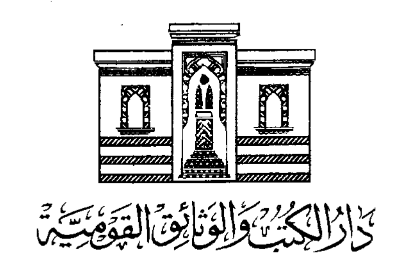


الثغر الباسم في صناعة الكاتب والكاتم

المعروف باسم

(المقصد الرفيع المنشا الهادي لديوان الإنشا للخالدي)

تأليف

شمس الدين محمد السحماوي

المتوفى عام ٨٦٨ هـ/ ١٤٦٤ م

دراسة وتحقيق

د. أشرف محمد أنس

مراجعة

أ.د. حسين نصـــار

الجزء الثانى

مطبعة دار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة

(١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م)

الهيئة العامة
لدار الكتب والوثائق القومية

رئيس مجلس الإدارة
أ. د. محمد صابر عرب

السحماوى، شمس الدين محمد.

الثغر الباسم فى صناعة الكاتب والكاتم، المعروف، باسم المقصد الرفيع المنشا الهادى لديوان الإنشا للخالدى/ تأليف شمس الدين محمد السحماوى؛ دراسة وتحقيق أشرف محمد أنس؛ مراجعة حسين نصار..

القاهرة: دار الكتب والوثائق القومية، 2009-

مج 2 ؛ 29 سم.

تدمك 6 - 0669 - 18 - 977

١ - الإنشاء الأدبى (أدب عربى)

أ - أنس، أشرف محمد (دارس ومحقق)

ب - نصار، حسين (مراجع) جـ - العنوان.

٨١٩

إخراج وطباعة:

مطبعة دار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة.

www.darelkotob.gov.eg

رقم الإيداع بدار الكتب ١٩٦٠٦/٢٠٠٩

I.S.B.N. 977 - 18 - 0669 - 6

الثغر الباسم
في
صناعة الكاتب والكاتم

القسم التاسع

فى معرفة الورق المستعمل بديوان الإنشاء وما يناسبه من الأقلام والليق والنشا الملونة والفواتح والخواتم واللواحق



وهو على خمسة أبواب

الباب الأول

فى معرفة الورق وما يناسبه من الأقلام

اعلم أن الورق واحده ورقة، ويجمع على ورقات وتجمع الورقات على أوراق وبه سمى بائع الورق وراقاً، وقد نطق القرآن الكريم بتسميته قرطاساً فقال عز وجل ﴿ وَلَو نَزَّلنَا عَلَيكَ كِتَـٰبًا فى قرطَاسٍ ﴾ [1]، وقال الجوهرى " قرطس بغير ألف "، ويقال فيه الصحيفة كما قال عز وجل ﴿ إِنَّ هَـٰذَا لَفِى ٱلصُّحُفِ ٱلأُولَى ﴾ [2]. وتجمع على صحائف وسمى المصحف مصحفاً لجمعه الصحف. ويقال فيه " الكاغد "، ويقال " طرس " وتجمع على طروس، ويقال فيه " مهرق "، قال الجوهرى " وهو فارسى معرب ". ويقال فيه سجل كما قال الله عز وجل ﴿ يَومَ نَطوِى السَّمَاءَ كَطَيِّ ٱلسِّجِلِّ ﴾ [3]، وقد نطق القرآن العظيم بالرق فقال ﴿ فى رَقٍّ مَّنشُورٍ ﴾ [4].

واعلم أن الأمم السالفة كانوا مختلفين فيما يكتبون فيه، فكان أهل الصين يكتبون فى ورق يصنعونه من الحشيش والكلأ وعنهم أخذ صنعة الورق. وأهل الهند كانوا يكتبون فى خرق الحرير الأبيض والجلود المدبوغة، وكذلك فى اللخاف وهى حجارة بيض رقاق، وفى عسيب النخل وهى الجرائد التى لا خوص عليها وأحدها عسيب، وفى عظم أكتاف الإبل والغنم، وعلى هذا الأسلوب كانت العرب لقربهم منهم. واستمر ذلك إلى أن بعث النبى صلى الله عليه وسلم فربما كتب بعض مكاتباته فى الأدم. واجتمع رأى الصحابة رضى الله عنهم على كتابة القرآن فى الرق لطول بقائه أو لأنه الموجود عندهم يومئذ وبقى الناس على ذلك إلى أن ولى معاوية بن أبى سفيان الخلافة فاستعمل الورق بديوان الإنشاء امتيازاً لديوان الخلافة على غيره كما قاله [١٧٧ ب] المدائنى وجرى الأمر على ذلك إلى زمن الرشيد[5] فكثر الورق فأمر أن لا يكتب

---

(١) الأنعام، الآية ٧.

(٢) الأعلى، الآية ١٨.

(٣) الأنبياء، الآية ١٠٤.

(٤) الطور، الأية ٣.

(٥)الذى أشار على الرشيد بصناعة هذا الورق لتعميمه على دواوين الدولة والناس هو الفضل بن يحيى بن خالد البرمكى. ابن خلدون: المقدمة، ص٤٢١ ــ ٤٢٢.

أحداً إلا فى الكاغد لأن الجلود ونحوها تقبل المحو والإعادة بخلاف الورق فأنه يظهر فيه الكشط ثم انتشر بعد ذلك الورق بسائر الأقطار.

وأصل الورق من نبات القنب أقصره يطول على القصب الفارسى ويسمى الجندريس وبررة الشدايق وتنبت ببلاد الشرق وبلاد الفرنجة، فيكسر ذلك النبات ويدق ويلف حبالاً جافية تستعمل فى المراكب الكبار إلى أن تذهب قوتها فيباع ويجلب إلى معمل الورق ويصنع أوراقاً والجيد منه بحسب رطوبة الأرض المستعملة فيها والزمن وإعطاؤه حقه فى التخمير فى الجير ونقاء غسله وصفاء الماء وحسن النشا وجودة الصقل بالزجاج بوجهته. وأحسنه ما صنع فى فصل الربيع.

ثم الورق أنواع والمستعمل منه بديوان الإنشاء ثلاثة أصناف:ـــ

الصنف الأول: ورق البغدادى، يجلب من مدينة بغداد وهو أعزها وجوداً يستعمل فى كتابة العهود والبيعات ومكاتبات القانات وفيه كانت ترد مكاتباتهم، وإنه لما قل استعمل بمدينة دمشق ما حاكاه على التقريب.

الصنف الثانى: الورق الشامى، المستعمل بمدينة دمشق، وهو على ثلاثة أنواع:

النوع الأول، الحموى وقد صار ذلك علماً عليه لأنه كان مبتدأ عمله بمدينة حماة ثم نقل عمله إلى مدينة دمشق واستعماله بديوان الإنشاء نادر.

النوع الثانى: الورق الشامى، المشهور ويسمى " الفرخة" منه بالبلاد الشامية " طلحا " والدست " كفة " وهو المستعمل بدواوين الممالك الشامية وبلاد المشرق وإقليم اليمن والروم والأقطار الحجازية، ويستعمل فى الدواوين الشريفة فى المربعات والتذاكر والقوائم، وبديوان الإنشاء فى الدفتر خاصة، وربما استعمل بالديوان فى المكاتبات والولايات ولا يكون ذلك إلا فى السفر فى الركاب الشريف عند عدم الورق المصرى، ويستأذن كاتم السر السلطان على استعماله بديوان الإنشاء ويأخذ بالإذن له مرسوم شريف [١٧٨ أ] مربع لأن الورق المصرى له مهامه عند جميع الملوك والممالك، ويختص بالكتابة فى الورق الأحمر الواردة على الأبواب الشريفة كافل السلطنة الشريفة بالشام ونائب الكرك ليس إلا.

النوع الثالث: ورق الطير، وربما قيل ورق البطائق، وهو عليه ما يكون من رقة الحاشية، والفرخة المعروفة منه زنة درهم ونصف تستعمل فى ديوان الإنشاء فى الملطفات والبطائق لا غير.

الصنف الثالث: الورق المصرى، وهو على نوعين:

النوع الأول: الورق المنصورى، وهو أوفى الأوراق قطعاً وأعظمها حجماً ومنه تفصل دروج الولايات والمكاتبات الكبار بديوان الإنشاء وتسمى الورقة الواحدة منه فرخة والدست خمسة وعشرون ورقة، والرزمة خمس دسوات، وكان فى القديم تسمى الفرخة طومار وتجمع على طوامير واشتقاقه من طمرت الشيء إذا أخفيته، والدرج فى الغالب يطوى ليخفى ما فيه ومقدار قطعه على ضربين:

الضرب الأول: ما كان يستعمل فى زمن الخلفاء ببغداد وهو على خمسة مقادير، قال محمد بن عمر المدائنى فى كتاب " القلم " " إنه كان يكتب للخلفاء فى قرطاس من ثلثى طومار، وإلى الأمراء من نصف طومار، وإلى العمال والكتاب من ثلث طومار، وإلى التجار وأشباههم من ربع طومار، وإلى الحساب والمساح من سدس طومار، ومنها استخرجت المقادير المستعملة الآن.

الضرب الثانى: مقادير قطع الورق المستعمل الآن بديوان الإنشاء وهو على تسعة مقادير:

الأول: الطومار الكامل، وعرض درجه ذراع ونصف بذراع القماش، وهو حادث فى أيام الملك المؤيد شيخ فى عام خمسة عشر وثمانمائة [1] استعمل على شبيه البغدادى وكتب فيه تفويض المؤيد من الإمام المستعين بالله أبو الفضل العباس حين كان مستبداً بالخلافة والسلطنة بتفويض ما وراء سرير خلافته إليه قبل أن يصرح له بالسلطنة. ومن ذاك ما كتب فى قطع شيء مثله.

الثانى: عرض ورق البغدادى، وعرض درجه ذراع وفيه كان يكتب عهود ملوك الديار المصرية من ابتداء الدولة التركية وكتب القانات كصاحبى [١٧٨ ب] مملكتى إيران وتوران وكتب إلى القان محمد خان صاحب خوارزم ودشت القبجاق فى عام اثنى وثلاثين وثمانمائة فى قطع المنصورى الكامل إلا إصبعين عند فقد البغدادى.

---

(١) ذكر القلقشندي فى ضوء الصبح [ولما استقر السلطان الملك المؤيد شيخ سلطان العصر فى السلطنة، اقترح له ورق مصرى شبه البغدادى فى عرض ذراع ونصف، كتب له فيه عهد وهو مقدار لم يسبق إليه ملك قبله]، ص ٤١٤.

الثالث: قطع البغدادى الناقص، وعرض درجه دون البغدادى الكامل بأربعة أصابع مطبوقة وفيه يكتب للطبقة الثانية من الملوك وفيه كتب عهد الناصر فرج فى سلطنته الأولى لتعذر وجود البغدادى وكتب لغيره فيه من ملوك الديار المصرية.

الرابع: قطع الثلثى، والمراد به ثلثى الطومار من المنصورى الكامل وعرض درجه ثلثى ذراع بذراع القماش وفيه يكتب تقليد النائب الكافل والنواب الكبار ومناشيرهم وتقليد صاحب دواوين الإنشاء والوزير الأستدار وناظرى الخاص والجيش وقضاة القضاة الأربعة ونائب ثغر الإسكندرية.

قلت: إن قطع الطومار من المنصورى نقص عن نظير ما كان يكتب بديوان الإنشاء فى زمن القاضى علاء الدين بن فضل الله قيراط دائر، ونقص مقدار قطع الثلثى عن التحرير قراطين.

الخامس: قطع النصف، من الطومار الكامل المنصورى وعرض درجه نصف ذراع بذراع القماش، وفيه تكتب بعض التقاليد والتفاويض وأكبر المساميح ومناشير أمراء الطبلخاناة ومقدمين الألوف بالشام والطبقة الثانية من الملوك وأرباب الوظائف الدينية والديوانية ولشيخ الشيوخ ولأعلى أرباب الوظائف الدينية والديوانية بالممالك الشامية بمدينتى دمشق وحلب.

السادس: قطع الثلث، من الطومار المنصورى الكامل، وعرض درجه ثلث ذراع وفيه تكتب غالب التواقيع والمساميح والطرخانيات والمراسيم الصغار لنواب القلاع والطبقة الثالثة من الملوك ومن فى معناهم كأمراء الألوس بخدمة ملوك الفرس ومناشير الأمراء العشرات والطبقة الثالثة من أرباب الوظائف الدينية والديوانية.

تنبيه: لا يفصل قطع الورق المذكور ولا يلصقه إلا وراق الديوان ولا يخرج منه شيء من المزرة إلا لمستحقه من أمر صاحب الديوان، وقطع الورق بمقام الوظيفة لا بمقام متوليها.

[١٧٩ أ] السابع: قطع العادة، وعرض درجه ربع ذراع وقيراط بذراع القماش، وفيه تكتب التواقيع والمراسيم الصغار ومناشير جند الحلقة ومقدميها ومناشير الأمراء الصغار من الممالك الشامية وعشرات التركمان وبعض المساميح والأمانات والطرخانيات وأوراق الخلف والطريق وبعض الملطفات وجميع الأمثلة خلا ما يكتب لبعض الملوك على ما سيأتى وهو أكثر ما يستعمل بالديوان.

الثامن: قطع ورق الملطفات، وغالباً تكون من ورق الطير ولم تكن على حد لازم فى القطع بل بالاختيار من رأى كاتم السر بحسب ما يتصوره العقل فى إخفائه.

التاسع: قطع ورق البطائق، وعرضه ثلاثة أصابع مطبوقة على حد واحد فى البطاقة المشمولة بالخط الشريف أو المرسوم ويتخذ من ورق الطير وهو من مهمات ديوان الإنشاء.

مهمة: جميع هذه الأوراق المحدود قطعها فأنها على ديوان الإنشاء وثمنها يصرف بأمر كاتم السر من أجرة مصبغة الحرير بالقاهرة، ولها وراق يقوم بكفاية الديوان من الورق ويحاسب عليه على عدة دروج من كل قطع، ويحاسب على ذلك دوادار صاحب الديوان.ويناسب كل قطع من ذلك قطه من الأقلام، قال فى التعريف: إن الذى يكتب فى العهود بقلم مختصر الطومار.

قلت قد وهم المقر الشهابى رحمه الله فى معرفة قطة القلم حيث ذكر بقلم مختصر الطومار، فإن الطومار إنما هو اسم لفرخة الورق على ما تقدم، وقطة القلم المناسبة للكتابة فى قطع الطومار يسمى القلم الجليل [1] وهو أوسع القطات فى كل طريقة.

تنبيه: إذا أتى فى القطع مع الكاتب شيء من القرآن أو الحديث يكتب ذلك بجليل المحقق[2] ويميز الطريقة عن غيرها، ولقطع الثلثين ثقيل الثلث [3] فإن أتى فيه ما تقدم فالحكم واحد، ولقطع النصف خفيف الثلث [4]، فإن وقع فيه ما تقدم يكون بخفيف المحقق أو قلم الريحان، ولقطع الثلث قلم التواقيع [5]، فإن وقع فيه ما تقدم يكون بقلم الريحان أو قلم النسخ،

---

(١) وقد قدر الكتاب مساحة عرضه بأربع وعشرين شعرة من شعر البرذون " الفرس ". القلقشندي: صبح، ج٣، ص٤٩.

(٢) قلم الجليل المحقق هو عبارة عن قلم الطومار " الجليل " ولكن قطته تكون ذات شكل معين تجعل الحروف الخارجة عنه كأنها مفردة، وكان يكتب به كتب القانات الكبار. السابق، ج٣، ص٢٢، ٤٨.

(٣) ويقال له الثلث الثيل، وعرضه يساوى ثمان شعرات من شعر الفرس. السابق،ج٣، ص٥٨.

(٤) عرضه يساوى عرض ثقيل الثلث، إلا أن الكتابة الخارجة عنه أدق قليلاً وألطف. السابق،ج٣، ص١٠٠.

(٥) سمى بذلك لأن الخلفاء والوزراء يوقعون به على ظهر القصص. السابق، ج٣، ص١٠٠.

ولقطع العادة قلم الرقاع [١]، ولقطع الملطفات والبطائق قلم الحواشي. وبعض الكتاب يكتب الملطفات [١٧٩ ب] وأوراق البطائق بقلم الغبار [٢].

أما أوراق المناشير فإن قطعها لا يتعدى أربعة ـــ حدود الثلثين ـــ وفيه تكتب مناشير الخلفاء والمقدمين من أولاد الملوك وأقاربهم، وكان يكتب فيها طغراة بالذهب ثم بطل ذلك وتكتب فيه مناشير الأمراء المقدمين والنواب الكبار، والنصف وهو للأمراء الطبلخاناه مصراً وشاماً ولصغار أولاد الملوك، والثلث للأمراء العشرينات والعشرات، والعادة لما دون ذلك، وحكمها فى الأقلام على ما تقدم.

أما قلم الملك فهو الذى يخضع عظماء الملوك لرسمه ويعقب عند أمره ونهيه:

فلكم يفل الجيش وهو عرمرم والسيوف ما سلت من الأغماد

وهمت له الأجام حين نشاها كرم السبوك وصولة الأساد

قال فى منهاج الإصابة " كانت الخلفاء تتخذ للكتابة لب الجريد والقصب الفارسى، ثم أبطل الجريد قبل الدولة الأيوبية، واقتصروا على الكتابة بالقصب الفارسى إلى أثناء دولة الترك، فاتخذوا الأقلام الغاب الأبيض، فكانوا يأتون بها من أطواف البحر، ثم عيدت بتروجة وصارت تحمل إلى ديوان الإنشاء ويبريها نائب كاتم السر أو أعيان الموقعين ولا يتعدى قطتين:

الأولى: ما عليها العمل وكانت فى الدولة الأيوبية وأوائل الدولة التركية على نحو من ستة عشر شعرة، ثم تضاعفت إلى أن كانت أيام قلاوون نحو من عشرين شعرة ثم ضاعفها أولاده إلى أن زادت عن الثلاثين شعرة ومن ثم وهى على ذلك، وبرايتها تكون طويلة معتدلة بين اليبس واللين، وتشتمل على شقين وقطتها كالظفر وينعم بمبرد يتخذ لذلك. وأقل ما يكون فى دواة الملك قلمين فأنه ربما كسر أحدهما أو خفى كتب بالثانى.

---

(١) هو القلم الخاص بالكتابة على الرقاع الصغيرة، ويختلف عن قلم التوقيع بأنه يكون أميل إلى التدوير من قلم التوقيع، وأن حروفه تكون أدق منه. القلقشندى: السابق، ج٣، ص١١٥.

(٢) سمى بذلك لدقته، وكان يكتب به القطع الصغير من الأوراق مثل بطائق الحمام، ويسمى عند البعض قلم الجناح. السابق، ج٣، ص١٢٨.

الثانية: المستعملة فى الملطفات وأوراق البطائق وقطتها [كثقيل التقلب] ولاغنى لدواة الملك عنها فإن أوراق البطائق تأتى على حين غفلة وربما كتب بها للخلفاء أو ولاة العهد بالخلافة.

الباب الثانى

فيما يحتاج إليه بديوان الإنشاء من الليق

[١٨٠ أ] الليقة مأخوذة من قولهم فلان ما تليق كفه درهماً أى لا يحبسه ولا يمسكه، سميت بذلك لإمساكها المداد، ويقال فيه ألقت الدواة ولُقتها إذا جعلت فيها الليقة، قال الجاحظ " ولا تستحق اسم الليقة حتى يلاق فى الدواة بالمداد أو غيره ".والألوان المستعملة بديوان الإنشاء ليقاً فهى خمسة:

الأولى: المداد، وسمى بذلك لأنه يمد القلم أى يعينه، قال عز وجل ﴿ قُل لَّو كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى ﴾ (١). قال ابن قتيبة " وهو من المداد لا من الإمداد "، ويقال أمده العلم فى الخير مثل ﴿ وَأَمْدَدْنَٰهُم بِفَٰكِهَةٍ وَلَحْمٍ ﴾ (٢)، ومده فى الشر مثل﴿ وَنَمُدُّ لَهُ مِنَ ٱلْعَذَابِ مَدًّا ﴾ (٣).

والمداد فى أصل اللغة يطلق على كل ما أمددت به الليقة ليكتب به على أى لون كان، وفى العرف هو الطابع المصنوع من الدخان والعسل وغيرهما، ومنه تكون ليقة دواة الملك، وشرطه أن يموه إلى أن يصفو ليكون فى ثلث الإصبع، ولا يعتنى بذلك إلا للملوك. وأمر تعمير دواة الملك وما يحتاج إليه راجع لنظر صاحب ديوان الإنشاء.

الثانية: الحبر، وهو معروف وأصله فى اللغة المداد، وقد اصطلح الكتاب على تسميته حبراً لتأثيره فى القرطاس. يقال على لسانه حبراً إذا كثرت صفرهما وصارت تضرب للسواد، قيل إنما وقع الاختيار على الكتابة بالسواد لمضادته لون الصحيفة. وينقسم إلى حبر رأس ودخان، والرأس ألمعه وأحبه، والدخان أحلكه وأسرعه.

---

(١) الكهف، الآية ١٠٩.

(٢) الطور، الآية ٢٢.

(٣) مريم، الآية ٧٩.

الثالثة: ليقة الذهب، يستعمل فى مكاتبات القانات وكبار المساميح، وربما كتب به أصدقة أولاد الملوك، وأحسنه ما صنع ورقه بالشام من الأفلورى الأحمر، وصفة حله أن لكل عشرين ورقة أوقية من شراب الليمون، وهو أرطب من العسل النحل، فيلقى الذهب فيه ويضربه بكلوة الكف حتى لا يبقى له جسم، ثم يصب عليه قدر رطل ماء حلو، ويترك ليلة إلى أن يرسب الذهب ثم يراق عنه الماء ويجعل ما رسب فى مقبلة بليقة صغيرة جداً مع زنة ربع درهم من الصمغ العربى ويكتب به ثم يترك حتى يجف ثم يصقل بجزعه حتى يأخذ حده.[١٨٠ ب]

تنبيه: لا تترك ليقة المذهب مكشوفة فيسحبها الفأر ويمصها، وكذا ليقة اللازورد.

الرابعة: ليقة اللازورد، وتستعمل لضبط ما يكتب بالذهب ولتحشية الطغراوات. وأجوده القوى الزرقة من المعدنى الناعم السحق حتى يكاد أن يكون روحاً من غير جسد. وصفة ليقته أن يأخذ منه بقدر حاجتك ويلقى عليه ماء الصمغ العربى ويضربه بإصبعه فى إناء ناعم حتى يأخذ أجزاؤه بعضها ببعض ويغمره بالماء الصافى ويضربه فيه حتى ينعمه الضرب. ثم يترك حتى يرسب ويصفى عنه الماء ويوضع فى مقبلة ويلقى عليه قليل من الصمغ المذاب ومن السكر النبات ثم يكتب به بقلم يكون بالغ شقه.

الخامسة: ليقة المغرة العراقية، وكان يكتب بها لبعض القانات ـ على ما سيأتى ـ، وصفة ليقها أن يسحق على رخامة بالماء حتى يكون فى غاية النعومة ثم يوضع على ليقة فى مقبلة ويضاف إليها قليل من ماء الصمغ العربى ومن السكر النبات ثم يترك إلى أن يروق ويستعمل، وأجودها السرقة [1] اللون.

أما ما يحتاج إليه الديوان غير ذلك النشا، يصنع من البر والأرز، والبر أجوده. وصفة طبخه لهذه الصناعة أن يأخذ من النشا الجاف جزر وقدر ضعفيه ماء فيذوبه فيه ثم يجعل قدرهما ماء على النار فى إناء مبيض نحاس، ويضع فيه قليل من المصطكا ويغلى عليه ثم يلقى عليه ذلك النشا المذاب قليلاً قليلاً وهو يلوكه بعود حتى لا يتحجر إلى أن ينضج ثم يترك ويضرب بعضه فى بعض ساعة جيدة ثم يلقى عليه شيء من المحلب أو الكافور الطيار، والمحلب أجود لأن رائحة الكافور فيها كسرة شهوة الرجل، ويكون طبخه فى الصيف رقيقاً وفى الشتاء كثيفاً، فإن الحر يلفه والبرد يحله.

---

(١) أى البيضاء اللون. ابن منظور، لسان، ج١٠، ص١٥٦.

الباب الثالث

فى الفواتح

وهى خمس فواتح تقع فى أوائل الكلام:ـ

الفاتحة الأولى: البسملة، والأصل فيها [١٨١ أ] أن قريشاً كانت تكتب فى أوائل كتبها " باسمك اللهم "، والسبب فى افتتاحهم بذلك ما حكاه المسعودى فى مروج الذهب على جماعة من أهل المعرفة بأيام الناس وأخبار من سلف، وهو أن أمية بن أبى الصلت الثقفى خرج إلى الشام فى نفر من ثقيف وقريش وغيرهم، فلما قفلوا راجعين نزلوا وادياً، فلما حبسوا الطعام[1]، ابتدرت حية صغيرة حتى دنت منهم فحصبها بعضهم بحجر فى وجهها، فرجعت فشدوا سفرهم ثم قاموا فارتحلوا من منزلهم، فلما برزوا من المنزل أشرفت عليهم عجوز من كثيب رمل متوكئة على عصا فقالت: ما منعكم أن تطعموا رحيبة اليتيمة الصغيرة التى باتت لطعامكم عليلة؟

قالوا: وما أنت؟

قالت: أم العوام أرملت منذ أعوام. أما ورب العباد لتفرقن فى البلاد ثم ضربت بعصاها الأرض وأثارت بها الرمل وقالت: أطيلى إيابهم وفرقى ركابهم. فوثبت الإبل كأن على ذروة كل منها شيطاناً ما يملكون منها شيئاً حتى افترقت فى الوادى فجمعوها من آخر النهار إلى غدوه، فعلت ذلك بهم ثلاث مرات فى ثلاثة أيام، فقالوا لأمية بن أبى الصلت: أين ما كنت تخبرنا به عن نفسك وعلمك؟ فتوجه إلى الكثيب الذى كانت تأتى منه العجوز حتى هبط من ثنية أخرى وجد كثيب آخر ثم هبط منه فوقعت له كنيسة فيها قناديل ورجل معترض مضطجع على بابها، وإذا رجل جالس أبيض الرأس واللحية، قال أمية فلما وقفت قال لى: ما حاجتك؟ فحدثته حديث العجوز فقال هى امرأة يهودية هلك زوجها منذ عام، وإنها لن تزال تفعل بكم ذلك حتى تهلككم إن استطاعت. قال فقلت له: فما الحيلة؟ قال اجمعوا أظهركم فإذا جاءتكم وفعلت ما كانت تفعل فقولوا لها سبعاً من فوق وسبعاً من أسفل " باسمك اللهم " فأنها لن تضركم فرجع أمية إلى أصحابه وأخبرهم بذلك. وجاءتهم العجوز ففعلوا معها ذلك فلم تضرهم، فلما رأت العجوز الإبل لا تتحرك قالت: قد علمكم صاحبكم؟ ليبيض الله أعلاه وليسودن أسفله، ثم

(١) الصواب: جلسوا للطعام، ضوء الصبح، ص ٣٩١.

حملوا وساروا فلما أدركوا الصبح نظروا إلى أمية قد بـرص فى غرتـه[١٨١ ب] ورقبتـه وصدره، واسود أسفله، فلما قدموا مكة تحدثوا بذلك فكتبت قريش فى أول كتبها " باسمك اللهم "، فكان أول من كتبها أهل مكة، وجاء الإسلام وهم على ذلك.

وقد روى محمد بن سعد [(١)] فى طبقاته أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يكتب كما كانت قريش تكتبه " باسمك اللهم " حتى نزلت عليه ﴿ وَقَالَ ٱرْكَبُواْ فِيهَا بِسْمِ ٱللَّهِ مَجْرٰهَا وَمُرْسَىٰهَا ﴾[(٢)] فكتب " بسم الله " حتى نزل قوله عز وجل ﴿ قُلِ ٱدْعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُواْ ٱلرَّحْمَـٰنَ ﴾[(٣)] فكتب " بسم الله الرحمن " حتى نزل قوله عز وجل ﴿ إِنَّهُ مِن سُلَيْمَـٰنَ وَإِنَّهُ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾ [(٤)] كتب " بسم الله الرحمن الرحيم "، وعلى ذلك جرى الحال فى كتب النبى صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين بعده فمن بعدهم من الخلفاء والملوك. إلا أن متأخرى كتاب الإنشاء قد اصطلحوا على حذفها فى أوائل التواقيع والمراسيم الصغار وأوراق الطريق، احتجاجاً بمفهوم ما رواه أبو داود وابن ماجه فى سننهما وأبو عوانة فى مسنده من حديث أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال " كل أمر ذى بال لا يبدأ فيه ببسم الله الرحمن الرحيم [فهو أقطع ـــ أى ناقص البركة ـــ]، [(٥)] وأن التواقيع والمراسيم الصغار ليس لها بال من حيث أنها لا يهتم بها.

والبسملة هى أول ما يكتبه الكاتب فى الولايات والمكاتبات وغيرها. فإن قيل لم تكتب الطرة أول الكتاب بأول الورق من غير بسملة مع أنه يجب افتتاح أول الكتابة بها، فالجواب أن الفصل بين ذلك وبين البسملة بياض، وأن البسملة وما بعدها كلام مستأنف فلا ينسب إلى تقدمه شىء عليها حتى لو فقدت الطرة لاكتفى بالصدر عنها. ثم على الكاتب أن يجردها بسطر واحد تبجيلاً لاسم الله تعالى، فقد روى محمد بن عمر المدائنى بسنده إلى أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم " نهى أن يكتب فى سطر بسم الله الرحمن الرحيم غيرها "، وعلى ذلك جرى اعتماد كتاب الإنشاء فيما يعهدونه فى الكتابة.

---

(١) فى الأصل (سعيد)، وكذلك عند القلقشندي فى ضوء الصبح، ص ٣٩٢.

(٢) هود، الآية ٤١.

(٣) الإسراء، الآية ١١٠.

(٤) النمل، الآية ٣٠.

(٥) ناقص فى المتن، والتكملة من هامش المخطوط.

الفاتحة الثانية: الحمدلة، اعلم أنه لما كان الحمد مطلوباً فى أوائل الأمور للتيمن والبركة عملاً بما رواه أبو داود وابن ماجه وغيرهما من حديث أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم [١٨٢ أ] قال " كل أمر ذى بال لا يبدأ فيه بحمد الله فهو أجذم "[١]. وقد اصطلح الكتاب فيما يكتبونه مما له بال بالخطبة المفتتحة بالحمدلة، قال فى الصناعتين " وإنما اختار الكتاب الافتتاح بالحمدلة لأن النفوس متشوقة للثناء على الله عز وجل والافتتاح بما تتشوق إليه النفوس مطلوب " وأتى بالحمدلة بعد البسملة أول الفاتحة كما هو مذهب الشافعى رضى الله عنه.

ثم ربما أتى الكلام بالحمد بعد البعدية فكتب " أما بعد حمداً لله " أو " أما بعد فالحمد لله"، واختلف هل الأبلغ صيغة " الحمد لله " أو " أحمد الله " فقيل الحمد لله أبلغ لما فيها من معنى الاستغراق والاستقرار والثبوت. وقيل أحمد الله أبلغ لأن القائل الحمد لله حاك لا حامد بخلاف القائل أحمد الله فإنه حامد بنفسه.

الفاتحة الثالثة: التشهد، فى الخطب بعد التحميد، والأصل فى ذلك ما رواه أبو داود والترمذى وصححه البيهقى أن النبى صلى الله عليه وسلم قال " كل خطبة ليس فيها تشهد فهى كاليد الجذماء "[٢] ، على أن المتقدمين من الكتاب ليس فى كتابتهم تشهد فى الخطب.

الفاتحة الرابعة: الصلاة والسلام على النبى صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه فى أوائل الكتب فى الخطب وغيرها، ولا نزاع فى أنها مطلوبة فى الجملة فيناسب الإتيان بها فى أوائل الكتب تبركاً وتيمناً. قال صلى الله عليه وسلم " من صلى على فى كتاب لم تزل الصلاة جارية له ما دام اسمى فى ذلك الكتاب "

وأما الصلاة على آله وصحبه بعد الصلاة عليه فقد نقل الشيخ عماد الدين بن كثير فى تفسيره الإجماع على جواز الصلاة على غير الأنبياء عليهم السلام على غير التبعية مثل أن يقال اللهم صلى على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وأزواجه وذريته ونحو ذلك. وأن يقارن الصلاة

---

(١) ونسنك: معجم، ج٥،ص٤٣٢.

(٢) السابق، ج١،ص٣٣١.

بالسلام ولا يقتصر على أحدهما لقوله عز وجل ﴿ يَأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيهِ وَسَلِّمُواْ تَسليماً ﴾ (١)

وأما السلام على غير الأنبياء فقد حكى النووى عن أبي محمد الجوينى منعه فى الغائب من حى وميت، وأنه لا يفرد به غير الأنبياء عليهم السلام بخلاف الحاضر فأنه يخاطب به.

الفاتحة الخامسة: أما بعد، وهى تستعمل فى صدر الولايات والمكاتبات، وقد قيل [١٨٢ب] إنها فصل الخطاب، واختلف فى أول من قالها فقيل داود عليه السلام، وقيل كعب بن لؤى(٢)، وقيل قس بن ساعدة (٣)، وربما حذفت " أما "وأتى مكانها بواو العطف ليقطعها عما قبلها فيبقى على البناء على الضم وربما دخلت الفاء فى جوابها لوقوعها مكان " أما بعد " غالباً فيقال " وبعد " فإن كذا وكذا، ولكنها أنزل رتبة من " أما بعد " كما فى التعريف فى الكلام على الولايات.

الباب الرابع

فى الخواتم

وهى ست خواتم:

الأولى: المشيئة، ويستحب للكاتب الإتيان بها عند انتهاء مقصده تبركاً ورغبة فى نجاح مقصد الكاتب، فقد ورد الحث على تعليق الأمور بمشيئة الله بقوله عز وجل ﴿ وَلاَ تَقُولَنَّ لِشَاْيءٍ إِنِّي فَاعِلُ ذَلِكَ غَداً إِلاَّ أَن يَشَاءَ ٱللهُ ﴾ (٤)، وذم قوم على ترك الاستثناء بالمشيئة فقال ﴿ إِذ أَقسَمُواْ لَيَصرِمُنَّهَا مُصبِحِينَ وَلاَ يَستَثنُونَ ﴾(٥). والاستثناء لا يدخل على ماض بل يدخل على

(١) الأحزاب، الآية ٥٦.

(٢) هو جد النبى صلى الله عليه وسلم. القلقشندي: صبح، ج٦، ص٢٣١.

(٣) هو قس بن ساعدة بن عمرو بن عدى بن مالك الإيادى، أحد حكماء العرب وخطبائها فى الجاهلية، أدركه النبى صلى الله عليه وسلم قبل البعثة، وكان من المعمرين حتى قيل إنه قد عمر سبعمائة عام. الأصفهانى: الأغانى، ج١٥، ص٢٣٦؛ الأبشيهى: المستطرف، ج٢، ص٧٥؛ النيسابورى: مجمع الأمثال، ج١، ص١١١.

(٤) الكهف، الآية ٢٣ ــ ٢٤.

(٥) القلم، الآية ١٧ ــ ١٨.

مستقبل أو ما فيه معنى الاستقبال كما فى قوله ﴿ وَقَالَ ٱدْخُلُواْ مِصرَ إِن شَاءَ ٱللَّهُ ﴾ (١) ثم يجعلها من الكتابة فى آخر الدرج فى وسط الوصل. قال ابن شيث فى معالم الكتابة " ولا يضيف الكاتب إليها شيئا فى سطرها ".

تنبيه: قال فى التثقيف: إنه لا يأتى بالاستثناء مع كتابة الأمــان لأنــه وقــع ومضــى. والاستثناء على ماض لا يقع كما تقدم.

الثانية: التاريخ، وقد اختلف فى لفظه، فقيل عربى ومعناه " نهاية الشيء ". يقال فــلان تاريخ قومه إذا انتهى إليه شرفهم وعليه يدل كلام صاحبى مواد البيان، وذخيرة الكتاب. وقيل هو فارسى ومعناه حساب الشهور وأصله " ماه روز " فعرب بــ "ورخ " (٢) ثم جعــل اسمــه التاريخ، ويقال فيه أرخت وورخت [بالهمزة والواو] (٣) لغتان، ويقال فى مصــدره تــأريخ وتوريخ كما يقال تأكيد وتوكيد. قال فى ذخيرة الكتاب: أرخت لغة قيس، وورخت لغة تميم. وقد أجمعت علماء كل فن على كتابة التاريخ فى جميع المكتتبات، قال صاحب نهاية الأرب: ولا غنية عنه لأن التاريخ يستدل به على ما مضى من الزمن من حين كتابة ذلك الأمر.

مهمة: الذى استقر عليه الحال من مبادئ تواريخ [١٨٣ أ] الأمم المشهورة أربعــة تواريخ. الأول من غلبة الإسكندر على ملك فارس وقتل دارا ملك الفرس وهو قبل الهجــرة بتسع مائة واثنين وثلاثين سنة ومائتين وتسعين يوماً وبه تؤرخ السريان والروم والفرنجة ومن فى معناهم إلى الآن.

الثانى من ملك دقلطيانوس آخر عبدة الأصنام من ملوك الروم على القبط والنصــارى ويعبرون عنه بالشهداء إشارة إلى أن الذين قتلهم من القبط شهداء وهو قبل الهجــرة بثلاثمائــة وثلاثة عشر سنة (٤) وبه تؤرخ القبط تواريخهم إلى الآن.

---

(١) يوسف، الآية ٩٩.

(٢) مؤرخ: ضوء، ص ٣٩٦.

(٣) ما بين الحاصرتين من، ضوء، ص ٣٩٧.

(٤) ٣٣٧: ضوء، ص ٣٩٧.

الثالث من هجرة النبى صلى الله عليه وسلم من مكة إلى المدينة وهى بعد البعثة بثلاثة عشر سنة [١] وبها تؤرخ الكتب الإسلامية.

الرابع من هلاك يزدجرد آخر ملوك الفرس وهو بعد الهجرة بعشر سنين وتسعة وسبعين يوماً وبه تؤرخ الفرس إلى الآن.

ثم اختلف فى أصل التأريخ الإسلامي والذى عليه الجمهور أن ابتداء التأريخ بالهجرة كان فى خلافة عمر بن الخطاب رضى الله عنه. قال فى ذخيرة الكتاب " لما أراد عمر التأريخ استشار الصحابة رضى الله عنهم، فقال بعضهم تؤرخ بالبعثة، وقال بعضهم لوفاة النبى صلى الله عليه وسلم، وقال بعضهم بالهجرة فاختار عمر الهجرة لأنه أول ظهور الإسلام وقوته فوافقوه على ذلك وكان ذلك فى الثانى عشر من شباط سنة ثمانمائة واثنين وثمانين لذى القرنين واتفقوا على أن يكون من المحرم "، قال فى عيون المعارف " وكان ذلك فى سنة ثمان عشرة أو تسع عشرة من الهجرة ".

والتاريخ على ضربين:

الأول تقييد التاريخ العربى ومداره على الليالى دون الأيام لأن سنى العرب قمرية، والقمر أول ظهوره للأبصار هللى [٢] فى الليل والليالى سابقة الأيام، وإذا تدبرت كلام الله عز وجل وجدت وقوع التاريخ بالليالى أكثر من وقوعها بالأيام كما قال عز وجل ﴿ وَوَٰعَدنَا مُوسَىٰ ثَلَٰثِينَ لَيلَةً وَأَتمَمنَٰهَا بِعَشرٍ فَتَمَّ مِيقَٰتُ رَبِّهِۦٓ أَربَعِينَ لَيلَةً ﴾ [٣].

وقد أهمل الكتاب تعليق التاريخ بالليالى وعولوا على التأريخ بالأيام على العدد من أول الشهر إلى أخره، ثم إذا وقعت الكتابة [١٨٣ ب] فى يوم مشهور أرخ به من قطع النظر عن عدد ما مضى من الشهر فيكتب فى أول يوم من سنة كذا أو ...... [٤] أسبوعاً أو عاشوراء أو يوم عيد الفطر أو يوم الوقفة، وفيه أيضاً يكتب يوم عرفة أو يوم عيد الأضحى وفيه أيضاً يوم

(١) ٢٣: ضوء، ص ٣٩٧. والمعروف أن الرسول صلى الله عليه وسلم قد هاجر بعد البعثة بثلاثة عشر سنة.

(٢) الصواب: هلالاً، ضوء، ص ٣٩٨.

(٣) الأعراف، الآية ١٤٢.

(٤) فى الأصل كلمة غير واضحة.

عيد النحر وفى ثانية يوم عيد القر والذى يليه يوم النفر الأول ثم ما يليه يوم النفر الثانى وبعض الكتاب يؤرخها بأيام التشريق.

تنبيه: إذا ورخ بعشر من الشهر فيثنى فيه على التأنيث فيكتب العشر الأولى أو الأول أو الوسطى أو الوسط أو الأخرى أو الآخر، أو يكتب العشرة الأخرى أو الأواخر ويكتب العشر الأول ولا الأوسط ولا الآخر. وقد اصطلحت جميع الأمم على تقييد تـــواريخهم بالأيـــام دون الليالى، لأن سنيهم مع اختلافها فى الشهور ومبادئها ومقاطعها شمسية، والشمس محل طورهـــا النهار.

مهمة: قال صاحب مواد البيان " إن كان الكتاب فى أمر تتشوف النفـــوس إلى معرفتـــه كالفتوحات والحوادث والمواسم ونحوها ورخ الكتاب فى صدره مثل أن يكتب كتابنا إليك من يوم كذا من شهر كذا من سنة كذا كما كان يكتب قديماً، وإن كان الكتاب لا تتشوف النفوس إليه ورخ فى آخره ".

والذى عليه الحال فى زماننا أن التاريخ يوضع آخر الكتاب فى جميع الحوادث والأمـــور وحيث ما وقع يكون على سطرين.

الثالثة: المستند، ويختلف الحال فيه فأن كان بخط السلطان يكتب على ظهـــر القصـــة " كتب حسب المرسوم الشريف " [١] بالخط الشريف، وإن كان بخط كاتم السر خاصة كتـــب " حسب المرسوم الشريف "، وإن كان بتلقى كاتم السر أو أحد من موقعين الدســـت وكتـــاب العدل كتب " حسب المرسوم الشريف " سطراً ثم تحته من " دار العدل الشريف " سطر آخر. وإن كتب برسالة النائب الكافل أو الأمير الدوادار الكبير كتب " برسالة للمقـــر الكـــريم أو الجناب العالى الأميرى الفلانى كافل الممالك الإسلامية أو أمير دوادار الأشرفى مـــثلاً أعـــز الله أنصاره أو ضاعف الله نعمته بحسب رتبته.

وقد أهمل كتاب زماننا مستند الإشارة من النائب الكافل والـــدوادار [١٨٤ أ] مـــن الدواوين.

(١) إن شاء سطرين وإن شاء سطراً واحداً: ضوء، ص ٤٠٣.

ومحل وضع كتابة المستند فى الأمور المهمة تحت التاريخ وفى غير الأمور المهمة مثل مـــا تكتب به التواقيع والمراسيم الصغار وأوراق الطريق على الهامش فى لطاف الوصل الأول والثانى عرضاً فإن كان المستند من دار العدل كتب تحته "من دار العدل الشريف ".

الخاتمة الرابعة: الحمدلة، أما أن الحمد مطلوباً فى الاختتام كما قـــال [عـــز وجـــل] ﴿ وَقُضِيَ بَيۡنَهُم بِٱلۡحَقِّ وَقِيلَ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَـٰلَمِينَ ﴾ [١]، وكان صلى الله عليه وســـلم إذا رجع من سفره يقول " آيبون تائبون لربنا حامدون ".

وقد اصطلح كتاب زماننا على أن يكتبوا " الحمد لله وحده "، وقال الحبر العلامة محـــيى الدين النووى رضى الله عنه فى الأذكار: أن أفضل أنواع الحمـــد، الحمـــد لله رب العـــالمين. واصطلح الكتاب على حذفها مما يحذف البسملة من أوله كالتواقيع على ظهور القصص وأوراق الطريق ونحوها.

تنبيه قال ابن شيث " لا يختم بالحمد فيما يكتب فى المظالم وربما يكتب بهـــا فى تواقيـــع الإطلاقات.

الخامسة: الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم، والأصل فيها أنه كتب آخر عمره [٢] لعمرو بن حزم حين وجهه إلى اليمن " صلى الله على محمد "، وقد تقدم الكلام فى الجمع بـــين الصلاة والسلام فى الفواتح، وقد اصطلحوا على أن تكتب الصلاة تلو الحمدلة بعد خلو فرجة بياض. واختار القاضى شهاب الدين القلقشندي رحمه الله احتمال ترك الصلاة فى الكتاب الذى يكتب عن ملوك الإسلام إلى ملوك الكفر صيانة لاسم النبى صلى الله عليه وسلم من الامتـــهان كما منعوا السفر بالمصحف إلى أرض الكفار ويحتمل أن لا يترك إرغاماً لهم.

السادسة: الحسبلة، والأصل فى كتابتها قوله تعالى ﴿ وَقَالُواْ حَسۡبُنَا ٱللَّهُ وَنِعۡـــمَ ٱلۡوَكِيـــلُ فَٱنقَلَبُواْ بِنِعۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضۡلٖ لَّمۡ يَمۡسَسۡهُمۡ سُوٓءٞ ﴾ [٣]، فجعل قولهم ذلك سبباً لحسن المنقلـــب والصون عن السوء.

---

(١) الزمر، الآية ٧٥.

(٢) أى النبى صلى الله عليه وسلم.

(٣) آل عمران، الآية ١٧٣ ــ ١٧٤.

ثم يأتى الكاتب عن الملك بنون الجمع تعظيماً، وإن كان يكتب عمن لا يستوجب ذلك من الآحاد كتب " حسبى الله ونعم الوكيل "على الإفراد، على أن بعض الكتاب كان يكتب حسبى الله ونعم الوكيل فراراً من اللبس فى لفظ الجمع بين التعظيم والجمع الحقيقى، وقد يقال فى مكانها ﴿ وَمَن يَتَوَكَّل عَلَى ٱللهِ فَهُوَ حَسبُهُ ﴾ [1].

فأما الأعلى إذا كتب إلى الأدنى فلا يخرج عن ﴿ حَسبُنَا ٱللهُ وَنِعمَ ٱلوَكِيلُ ﴾ وتكون سطراً واحداً آخر الكتابة، وبعض الكتاب [١٨٤ ب] يكتبون " وحسبنا " بواو ولا معنى للواو أو لا مسوغ لقطعها على ما قبلها كما ينبه عليها ابن هشام فى ورقاته، وبعض الكتاب يكتب " حا " منكسة آخر الكتابة ولا أصل لها.

الباب الخامس

فى اللواحق

وهى ثلاثة أمور:

الأول: ما يؤمر الكاتب بإلحاقه فى كتابه بعد الانتهاء وهو أن يكتب من سطور الكتاب أسطر متقاربة بارزة من أوائلها عن أوائل السطور وتكون قصيرة الإلحاق عن أواخر السطور. فإن كان الإلحاق قليلاً كان بين السطور يتصاعد إلى السطر الذى فوقه بميلة يسيرة، ولا يلحق المثال الشريف بورقة مفردة البند.

الثانى: التتريب طلباً للتبرك، فقد روى محمد بن عمر المدائنى من طريق ابن عباس رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال " أتربوا [2] الكتاب ونحوه من أسفله فأنه أعظم للبركة وأنجح للحاجة "، وفى حديث آخر " إذا كتب أحدكم كتاباً فليتربه فأنه مبارك وهو أنجح لحاجته ".

وأيضاً فيه تجفيف ومنع من المحو، والذى عليه كتاب الزمن القديم التتريب من على البسملة وينحدره إلى آخر الكتابة. وكتاب زماننا يتربون من الحسبلة والصلاة والحمدلة إلى أعلى الكتاب وفيها معنى التبرك، وقد اصطلحوا على التتريب بالرمل الأحمر لبهجته وعدم غباره، وكانت الوزراء تتخذ رملاً بصاصاً كالذهب، وأهمل ذلك وصار أجوده الرمل الفيومى.

---

(١) الطلاق، الآية ٣.

(٢) تربوا: ضوء، ص ٤٠٦.

تنبيه: إذا ورد على الكاتب فى كتابه آية من كتاب الله أو حديث عن النبى صلى الله عليه وسلم فالأولى عدم تتريبه لما فى الرمل من الامتهان، وكان بعضهم يترب الحديث بالصندل المدقوق ويقول لا أطرح على حديث النبى صلى الله عليه وسلم التراب.

الثالث: نظر الكاتب فى الكتاب بعد فراغه وتأمله له، فينبغى تتبع ألفاظه وتأمل معانيه ويصلح ما فيه ما وهم فيه الفكر أو سبق إليه القلم ليخلص [1] من قدح القادح وطعن الطاعن. ولا تخلى الكتابة من حرف ناقص أو مكشوف أو كلمة تقبل التصحيف فيخرج الكلام عن القصد فينقطها وربما ضبطها فيأتى الكلام على وجهه [١٨٥ أ]، وقد تقدم فى ذكر الوظائف أصحاب ديوان الإنشاء إنه لا غنى عن من يكون قريباً من مقام صاحب الديوان فى المعرفة والرتبة فيعرض عليه ما يكتب بالديوان قبل تأمل كاتم السر له ليزول نقص ما كتب ويرشد فيه إلى الصواب.

---

(١) ليسلم: ضوء، ص ٤٠٧.

القسم العاشر

فى ولايات أولى الأمر بهذه المملكة وما ينبه عليه حين ولاياتهم

وهو يشتمل على ثلاثة أبواب:-

الباب الأول

فى بيعات الخلفاء والملوك

وهى على نوعين:-

النوع الأول

فى بيعات الخلفاء وما ينبه فيها

والخلافة هى أعظم مناصب الدنيا، وأطولها يداً، وأعلاها كلمة، لا تُنال بجهد، ولا تُدرك بسعى، موهوبة من الله لمن يختصه بها من الذرية العباسية كما قال صلى الله عليه وسلم " الخلافة فى بنى العباس " إلى غير ذلك.

والخليفة لفظ عن مفرد قائم يجمع على " خلفاء " و"خلائف "، ودخول الألف واللام عليه لاستغراق الجنس. والخلافة هى الإمامة موضوعة لخلافة النبوة فى حراسة الدين وسياسة الدنيا، وعقدها لمن يقوم فى الأمة واجب بالإجماع.

والخليفة لقب على الزعيم الأعظم القائم بأمور الأمة، وقد اختلف فى معناه فقيل إنه فعيل بمعنى مفعول كجريح بمعنى مجروح، وقيل بمعنى مفعول. ويكون المعنى بأنه يخلفه من بعده وعليه حمل قوله تعالى ﴿ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ [1] على قول من قال: إن آدم أول من عمر الأرض وخلفه فيها بنوه. وقيل فعيل بمعى فاعل ويكون المعنى بأنه يخلفه من بعده وعليه حمل الآية لأنه كان قبله فى الأرض الجن وأنه خلفهم فيها، واختاره النحاس فى " صناعة الكاتب "، وأقتصر عليه البغوى فى " شرح السنة "، والماوردى فى " الأحكام السلطانية ".

قال النحاس: وعليه خوطب أبو بكر الصديق [١٨٥ ب] رضى الله عنه. قال الماوردى: واختلفوا هل يجوز أن يقال فيه خليفة الله فجوزه بعضهم وأنكره بعضهم، وقد أجازوا فى أن يقال خليفة رسول الله لأنه خليفته فى أمته، وأن من خوطب بذلك أبو بكر الصديق فإنه خوطب بـ " خليفة رسول الله "، والهاء فيه قيل للتأنيث، وقيل للمبالغة كما فى " راوية " و" علامة " وغيرها، وربما حذفت فقيل " خليف ".

---

(١) البقرة، الآية ٣٠.

قال البغوى: ويسمى خليفة وإن كان مخالفاً لسيرة أئمة العدل، والنسبة إلى الخليفة " خلفى " ولا يقال " خليفتى "، وأول خليفة لقب نفسه أبو جعفر المنصور حين عهد إليه أخيه عبد الله بن محمد السفاح وكان بالحجاز مسافراً فعقدت البيعة له فى غيبته.

مهمة: قال فى الأحكام السلطانية: أن الشروط المعتبرة فى الإمامة سبعة:-

أحدها: العدالة، على شروطها الجامعة.

الثانى: العلم، المؤدى إلى الاجتهاد فى النوازل والأحكام.

الثالث: سلامة الحواس، من السمع والبصر واللسان ليصح معهما مباشرة ما يدل بها.

الرابع: سلامة الأعضاء، من نقص يمنع من استيفاء الحركة وسرعة النهوض.

الخامس: صحة الرأى، المفضى إلى سياسة الرعية وتدبير المصالح.

السادس: الشجاعة والنجدة، المؤدية إلى حماية البيضة وجهاد العدو.

السابع: النسب، وهو أن يكون من قريش لورود النص فيه وانعقاد الإجماع عليه.

أما البيعات فهى جمع بيعة، ومعنى البيعة المعاقدة والمعاهدة، وهى شبيهة بالبيع الحقيقى بأن كل واحد منها باع ما عنده من صاحبه وأعطاه خالصة نفسه وطاعته ودخيلة أمره، ويقال " بايعه وأعطاه صفقة يده "، وأصله أن من عادة العرب إذا تبايع اثنان صفق أحدهما بيده على يد صاحبه، وقد عظم الله تعالى شأن البيعة بقوله ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوقَ أَيدِيهِم ﴾ [1]. الآية. وأمر بمبايعة المؤمنات بقوله " إذا جاءك المؤمنات يبايعنك ". الآية، وهى نوعان:

النوع الأول

مبايعات الخلفاء

وأصل شروعها بعد الإجماع ما ثبت فى الصحيحين من حديث عائشة رضى الله عنها " أنه لما توفى رسول الله عليه وسلم اجتمعت الأنصار إلى سعد بن عبادة فى سقيفة بنى ساعدة [١٨٦ أ] فقالوا: منا أمير ومنكم أمير، وذهب [2] إليهم أبو بكر، وعمر، وأبو عبيدة، وذهب

(١) الفتح، الآية ١٠.

(٢) فذهب: صبح، ج٩، ص٢٧٤.

عمر يتكلم فأسكته أبو بكر، وكان عمر يقول: ما أردت بذلك إلا إنى [قد] [١] هيأت كلاماً أعجبنى خشيت أن لا يبلغ [٢] أبو بكر، ثم تكلم أبو بكر بكلام [٣] أبلغ الناس فقال فى كلامه: نحن الأمراء وأنتم الوزراء "، فقال [الحباب] [٤] بن المنذر: لا والله ما [٥] نفعل، منا أمير ومنكم أمير، فقال أبو بكر: لا ولكنا الأمراء وأنتم الوزراء، فبايعوا عمر أو أبو عبيدة، فقال عمر: بل نبايعك، وأنت [٦] سيدنا وخيرنا وأحبنا إلى الله تعالى وإلى رسوله[٧]. فأخذ عمر بيده فبايعه وبايع الناس ". ولم ينقل أنه كتبت له مبايعة.

والسبب الموجب لأخذ البيعة على الرعية خمسة أشياء:

الأول: موت الخليفة عن غير عهد لأحد بعده أو تركها شورى فى جماعة معينة كما فعلها عمر عند وفاته حين تركها فى عثمان، وعلى، وسعد، وطلحة، والزبير، وعبد الرحمن بن عوف.

الثانى: خلع الخليفة لسبب يقتضى الخلع.

الثالث: أن يتوهم الخليفة خروج ناحية من النواحى عن الطاعة، فيوجه إليهم من يأخذ البيعة له عليهم ليدخلوا تحت الطاعة.

الرابع: أن تؤخذ البيعة للخليفة المعهود إليه بعد وفاة المعاهد كما فعلته الفاطميون، وكانوا يسمون البيعة سجلاً.

الخامس: أن يأخذ الخليفة المنتصب البيعة على الناس لولى عهده بأن يكون خليفته من بعده كما فعل معاوية ذلك لابنه يزيد.

وأن تكون البيعة مشتملة على مراعاة أمور. منها ما يكون فى براعة الاستهلال مما يتهيأ من اسم الخليفة، أو لقبه، أو لقب الخلافة، أو مقتضى الحال الموجب للبيعة من موت أو خلع.

---

(١) ما بين الحاصرتين من،صبح، نفسه.

(٢) يبلغه: صبح، نفسه.

(٣) فتكلم: صبح، نفسه.

(٤) بياض فى الأصل، وما بين الحاصرتين من، صبح، نفسه.

(٥) لا: صبح، نفسه.

(٦) فأنت: صبح، ج٩، ص٢٧٤.

(٧) رسول الله صلى الله عليه وسلم: صبح، نفسه.

وأن ينبه فيها على الانتماء إلى الإمام ودعاية الضرورة إليه، وإنه لا يستقيم أمر الوجود وحال الرعية إلا به ضرورة بالإجماع، وأن يشير فيها إلى صاحب البيعة، وإنه استوعبت فيه الشروط ويوصف فيها بما يعز وجوده كالعلم، والشجاعة، والرأى، والكفاية، بخلاف غيره. وإن كان شرطاً كالحرية، والذكورة، والسمع، والبصر فإن الوصف بذلك لا وجه له.

وأن ينبه فيها على أفضلية صاحب البيعة وتقدمه واستيفاء الشروط فيه على غيره ليخرج من الخلاف فى جواز [١٨٦ ب] توليته. وأن ينبه فيها على المختارين لصاحب البيعة ممن يعتبر اختياره من أهل الحل والعقد من العلماء والرؤساء والوجوه. وأن ينبه فيها على تعيين المختارين للبيعة إن كان الإمام الأول نص عليهم إذ لا يصح الاختيار من غير نص كما لا يصح إلا تقليد من عهد إليه.

وأن ينبه فيها على جريان عقد البيعة من المختارين ضرورة أنه يفرد شخص بشروط الإمام فى وقته لم يصير إماماً بمجرد ذلك. وأن ينبه فيها على سبب خلع الخليفة الأول إذ لا يصح خلع الخليفة بلا سبب. وأن ينبه فيها على قبول صاحب البيعة العقد وإجابته إليه إذ لابد من ذلك. وأن ينبه فيها على أن القبول وقع منه اختياراً إذ لا يصح الإجبار على قبولها. وأن ينبه فيها على وقوع الشهادة على البيعة خروجاً من الخلاف فى إنه: هل يشترط الإشهاد أم لا؟. وأن ينبه فيها على إنها لم تقترن ببيعة فى الحال ولا مسبوقة بأخرى إذ لا يجوز نصب إمامين وإن تباعدا خلافاً للإمام أبى إسحاق الإسفرائينى حيث جوز إمامين فى إقليمين. وأن ينبه فيها على إنه بمجرد البيعة تجب طاعته، ويجب على كل كافة الأمة تفويض الأمور العامة إليه وطاعته فيما وافق حكم الشرع.

وأن يعزى فى الخليفة الميت ويهنئ المستجد إن كان، وعلى ذلك جرت العادة إلا إنه يختص بما إذا كان الخليفة الأول قريباً من الثانى. وإن كان الخليفة غائباً وعقدت البيعة له فى غيبته فينبه فيها على أنه كان غائباً وعقدت البيعة له فى غيبته بمن جاز عقدها به. وأن يشير إلى ذكر السلطان القائم بالبيعة إن كان.

وأن ينبه فيها على من استحلف بالبيعة من وجوه الدولة وأعيان المملكة ويذكر صفة حلفهم وما ألزموه من الأيمان المذكورة، والمواثيق المغلظة.

وفى صورة ما يكتب فى مبايعات الخلفاء: أربعة مذاهب:-

المذهب الأول: أن يفتتح المبايعة بلفظ " نبايع فلاناً أمير المؤمنين " خطاباً لمن تؤخذ عليه البيعة، أو " يبايعون " [١٨٧ أ] إن كان عقد البيعة صدر من جماعة، أو " مبايعا " إن كان من اثنين، ويذكر ما ...... [1] عليه بعد المبايعة، ويأتى بما سنح من أمر البيعة، ثم يذكر الحلف عليها. وعلى ذلك كان مصطلح خلفاء بنى أمية ثم العباسية ببغداد.

قاعدة: لم ينقل أنه كتب للصديق ولا للصحابة بعده رضوان الله عليهم عهد ولا بيعة. ولما كانت خلافة عبد الملك بن مروان وأقام الحجاج على العراق وأخذ فى أخذ البيعة لعبد الملك بالعراق فرتب أيماناً مغلظة بالله والطلاق والعتاق يُحلف بها على البيعة واشتهرت بين الفقهاء بأيمان البيعة، واطرد أمرها فى العباسيين.

المذهب الثانى: أن يفتتح المبايعة بلفظ " من عبد الله ووليه فلان الإمام الفلانى إلى أهل دولته " ونحو ذلك بالسلام عليهم ثم يقول بعد ذلك " أما بعد فالحمد لله " ويؤتى بخطبة مناسبة الحال ثم يعزى فى الخليفة الميت ويهنئ بالخليفة المنتصب، ويصفه بأشرف المناقب واستحقاقه للخلافة واستجماعه لشروطها ونحو ذلك، ثم ينخرط فى سلك البيعة ويذكر القائم بأخذها على الناس من سلطان أو نظام أو نحو ذلك، ويذكر من أمر ولاية الخليفة ما فيه استجلاب قلوب الرعية والأخذ بخواطرهم. وعلى هذا الأسلوب كانت تكتب بيعات خلفاء الفاطميين.

المذهب الثالث: أن يفتتح البيعة بعد البسملة بخطبة مفتتحة بـ " الحمد لله "، ثم يؤتى بالبعدية ويتخلص إلى قصده، وقد يذكر السلطان القائم بها وقد لا يذكر، وعلى ذلك كانت بيعات بنى أمية بالأندلس ومن ادعى الخلافة بالمغرب.

المذهب الرابع: أن يفتتح البعدية بلفظ " هذه بيعة " ويصفها ويذكر ما يناسب، ثم يعزى الخليفة الميت ويهنئ بالخليفة المستقر، ويذكر فى حق كل منهما ما يليق به من الوصف على ما تقدم.

أما صورة ما يكتب فى خاتمة البيعة حين انتهاء آخرها، فيكتب المشيئة ثم التاريخ، ثم الذى يقتضيه قياس المعهود أنه يكتب المستند عن الخليفة فيكتب " بالإذن العالى المولوى الإمامى النبوى المتوكلى " مثلاً وكأن الخليفة الذى عقدت له البيعة هو الذى أذن له فى كتابتها. [١٨٧ب]

---

(١) بياض فى الأصل.

قلت: ولو اكتفى عن المستند فى البيعة بما يكتب من خطوط أهل الحل والعقد لصاغ بخلاف مستند العهود فإنها صادرة عن قول وهو المعاهد فيحسن إضافة المستند إليه، ثم بعد كتابة المستند فى البيعة إن كتب يكتب " الحمدلة والصلاة والحسبلة " ثم يكتب من بايع من أهل الحل والعقد فيكتب " بايعته على ذلك "، ويدعو للخليفة قبل أن يكتب اسمه مثل أن يكتب " بايعته على ذلك، قدس الله خلافته " أو " زاد الله فى شرفه " أو " زاد الله فى إعلائه "، ثم يكتب فلان بن فلان، أو فلان الفلانى، فإن لم يحسن الكتابة كُتب عنه. وأما الشهود فيكتب كل منهم "حضرت جريان عقد البيعة المذكورة ". ولا بأس أن يدعو بما يناسب ذلك مثل " قرنها الله تعالى باليمن أو بالسداد " أو " عرف الله المسلمين ببركتها [١] "، ونحو ذلك، ثم كتبه فلان الفلانى.

وأما قطع الورق الذى يكتب فيه البيعة، فاعلم أنه لم تكن البيعات متداولة الاستعمال لقلة وقوعها ولم يكن بها قطع ورق ولا تصوير متعارف متبع، ولكن يؤخذ فيها بالقياس وعموم اللفظ. وقد نقل عن المدائنى أن قطع البغدادى الكامل للخلفاء والملوك وهو قياس ما ذكره المقر الشهابى بن فضل الله: من أن للعهود القطع البغدادى الكامل. ولكن العهود الآن صارت تكتب فى قطع الشامى الكامل، ويقاس على ذلك ورق البيعات.

قلت: إن قطع الشامى الكامل فى العهود والبيعات لم يكن على وجه اللزوم واستعمالها إنما هو لعقد البغدادى الكامل، وإذا حضر فكان أحق ما يكتب فيه عهود الخلفاء والملوك وبيعاتهم.

وأما قطة القلم الذى يكتب به فيه فبحسب الورق، فلقطع الطومار القلم الجليل، ولقطع كامل الشامى مفتوح الثلث.

وأما صورة وضع الكتابة قياس على ما هو متداول فى كتابة العهود وغيرها من إنه يُبدأ بكتابة الطرة [٢] فى أول الدرج بالقلم الذى تكتب به البيعة سطوراً متلاصقة ممتدة من غير

---

(١) بركتها: صبح، ج٩، ص٣٣٢.

(٢) فى هامش صفحة المخطوط " مهمة: الطرة فى مصطلح الكتاب هى طرف الدرج من أعلاه، ثم اصطلحوا على ما يكتب فى رأس الدرج مكان تسمية التى باسم محله. وليس صحيحاً من حيث اللغة، فإنه مأخوذ من " طرة الثوب " وهو طرفه الذى لا هذب فيه وهى حاشيتاه. ثم يجوز أن يكون بمعنى " الطر " بمعنى القطع لأن الطرة مقتطعة عن الكتابة بالبياض الفاصل بينهما، ومنه سمى الشعر المنفصل عن الشعر المتصل عن الشعر طرة.

هامش، ويترك قدر إصبع أو ثلاث بياضاً. ثم أن كاتب الكتابة فى قطع البغدادى الكامل جرى فيه على القاعدة المتداولة فى عهود الملوك عن الخلفاء على ما [١٨٨ أ] سيأتى. ثم يترك بعد وصل الطرة بستة أوصال بياضاً، ثم يكتب البسملة فى أول الوصل الثامن بحيث تكون ألفاته رويتها [١] تلحق الوصل الذى فوقه والهامش خمسة أصابع مطبوقة. ثم يكتب تحت البسملة سطراً ملازماً لها من أول البيعة، ثم يخلى مكان بيت العلامة على قاعدة العهود قدر شبر _ وإن لم تكن علامة _. ثم يكتب السطر الثانى آخر الوصل متبعاً مثاله، ويحرص على أن يكون نهاية السجعة الأولى فى السطر الأول أو الثانى. ثم يسترسل فى كتابة بقية البيعة ويجعل بين كل سطرين قدر ربع ذراع ثم يسترسل إلى آخرها ويختم كما تقدم. وإن كانت الكتابة فى القطع الشامى فيجعل أوصال البياض خمسة أوصال والهامش ثلاثة أصابع، وما بين السطور بقدر سدس ذراع.

النوع الثانى

بيعات الملوك

وذكر فى التعريف: أن من قام من الملوك بغير عهد ممن لم تجر العادة بأن تكتب له مبايعة. وكأنه يريد إلى [٢] اصطلاح بلاد الشرق [٣] والديار المصرية. أما بلاد الغرب فعادة مصطلحهم بكتابة البيعات لملوكهم، وذلك أنه لم يكن عندهم خليفة يدينون له ويتقلدون الملك بالعهد منه بل كل منهم يدعى الخلافة فهم يكتبون البيعات بهذا المعنى، والظاهر أن كتابة البيعة عندهم كما فى طومار واحد كبير متضايق السطور ولم يكن له طرة بأعلاه.

(١) أعالى ألفاته تكاد: صبح، ج٩، ص٣٣٣. وهى هكذا فى متن المخطوط، ولعله يريد بها الترويسة، وهى نوع من طريقة الكتابة المتبعة فى تحلية الخطوط. القلقشندي: صبح، ج٣، ص٤٦.

(٢) ساقطة من صبح، ج٩، ص٣٣٧.

(٣) المشرق: صبح، نفسه.

الباب الثانى

فى العهود وما ينبه فيها

والعهد له ست معان:

الأول: الأمان، قال الله تعالى ﴿ فَأَتِمُّوٓاْ إِلَيهِم عَهدَهُم ﴾ [١].

الثانى: اليمين، قال عز وجل ﴿ وَأَوفُواْ بِعَهدِ ٱللهِ إِذَا عَـٰهَدتُّم ﴾ [٢].

الثالث: [الحفاظ] [٣] كما يقال: حسن العهد من الإيمان.

الرابع: الذمة: بقوله [صلى الله عليه وسلم] " لا يقتل مسلم بكافر ولا ذو عهد فى عهده ".

الخامس: الزمان، يقال: كان ذلك على عهد فلان.

السادس: الوصية، كما قال عز وجل ﴿ وَلَقَد عَهِدنَا إِلَى ءَادَمَ مِن قَبلُ ﴾ [٤]، ومنه اشتق العهد الذى يكتب بالولاية وهو ثلاثة أنواع:

النوع الأول

عهود الخلفاء عن الخلفاء

ويجب فيها مراعاة أمور منها: براعة الاستهلال [١٨٨ ب] يذكر ما يتفق من معنى الخلافة والإمامة واشتقاقهما، وحال الولاية ولقب المعاهد [٥] والمعهود إليه، ولقب الخلافة وغير ذلك. وأن ينبه فيها على شرف رتبة الخلافة وعلو قدرها والحاجة إلى الإمام والضرورة إليه، ويقيم على اجتماع شروط الإمام فى المعهود إليه من حين صدور العهد لها من المعاهد كما صححه النووى وقاله الماوردى.

---

(١) التوبة، الآية ٤.

(٢) النحل، الآية ٩١.

(٣) ما بين الحاصرتين من،صبح، ج٩، ص٣٤٨.

(٤) طه، الآية ١١٥.

(٥) العاهد: صبح، ج٩، ص٣٥١.

وأن ينبه فيها على اجتهاد المعاهد وتروى نظره فى أحقية المعهـود إليـه كمـا شـرطه الماوردى، وأن يشير إلى تقدم الاستخارة على العهد وأن استخارته أدته إلى ولاية المعهود إليـه فإن اختيار الله بالخلق خير من اختيارهم لأنفسهم. وأن ينبه فيها أن عهده إليه بعد مشورة أهل الاختيار ومراجعتهم فى ذلك وتصوبهم له خروجاً من الخلاف، فإنه إذا كان أجنبياً من المعاهـد هل له استقلال بعهد أو لابد من الشورى وجهان أصحهما الجواز. وفيما إذا كان غير أجـنبى ثلاثة مذاهب [١].

وأن ينبه فيها بحياة المعهود إليه، ووجوده إن كان غائباً لأنه إذا كان مجهول الحياة لم يصح بخلاف ما إذا لو علم فإنه يصح. وأن ينبه فيها على المعهود إليه بمفرده أو وقع الأمر شورى فى جماعة واقتضت الخلافة إلى واحد منهم لإخراج الباقى بأنفسهم منها واختيار أهل الحل والعقد أحدهم إذ يجوز للخليفة أن يعهد إلى اثنين فأكثر من غير تقدم البعض على البعض، ويختار أهل الاختيار بعد موته واحد منهما.

وأن ينبه فيها على عدد المعهود إليه وترتيبهم إن كان قد رتب الخلافة فى أكثر من واحد فإن قال الخليفة بعدى فلان فإذا مات فالخليفة بعده فلان، ففى البخارى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم استخلف على جيش [مؤته] [٢] زيد بن حارثة وقال: إن أصيب فجعفر بـن أبى طالب، فإن أصيب فعبد الله بن رواحة، فإن أصيب فإن رضى المسلمون فكان كذلك وكـان المختار خالد بن الوليد. قال الماوردى: وإذا جاز ذلك فى الإمارة فالخلافة مثلـه. وقـد عهـد سليمان بن عبد الملك إلى عمر بن عبد العزيز، ثم بعده إلى يزيد بن عبد الملك، ورتبها الرشيد فى بنيه الأمين [١٨٩ أ] ثم المأمون ثم المؤتمن. فلو قال عهدت إلى فلان فإن مات بعـد إفضـاء الخلافة إليه فالخليفة بعده فلان لم تصح خلافة الثانى لأنه لم يعهد إليه فى الحال وإنما جعلـه ولى عهد بعده لفظ الخلافة، وقد يموت بعد [٣] إفضائها إليه فلا يكون عهد الثانى منبرماً.

وأن ينبه فيها على أن صدور العهد فى حال نفوذ أمر المعاهد وجواز تصرفه فإنه لو أراد ولى العهد قبل موت المعاهد أن يرد ما آل إليه من ولاية العهد إلى غيره قبل موت المستخلف لم

---

(١) لم يذكر هذه المذاهب، إذ أن ما ذكره بعد ذلك يندرج فى مراعاة ما يكتبه الكاتب فى العهد، والثلاث مذاهب مذكورة عند القلقشندي: صبح، ج٩، ص٣٥٢ـــ٣٥٣.

(٢) بياض فى الأصل.

(٣) قبل: صبح، ج٩، ص٣٥٤.

يجز، وكذا لو قال جعلته ولى عهد إن أفضت الخلافة إلى. وأن ينبه فيها على قبول المعهود إليـه للعهد فلابد منه، فلو امتنع عن القبول بويع غيره والعمدة فى زمن القبول بما بين عهد المعاهـد وموته على الأصح. وقيل إنما يكون بعد موت المعاهد، وأن يورد من وصايا المعاهد للمعهود إليه ما يليق به.

أما ما يلزم المعاهد إليه إذا كان الأمر على ما كانت عليه الخلافة قـديماً مـن عمـوم التصرف عشرة أشياء كما قاله الماوردى:

الأول: حفظ الدين على أصوله المستقرة وما اجتمع عليه سلف الأمة.

الثانى[1]: إن نجم مبتدع أو زاغ ذو شبهة عنه أوضح له الحجة وبين الصواب وأخذ بمـا يلزمه من الحقوق والحدود ليكون الدين محروساً من الخلل والأمة ممنوعة من الزلل.

الثالث: تنفيذ الأحكام بين المتشاجرين، وقطع الخصام بين المتنازعين حتى تقع النصفة.

الرابع: حماية البيضة والذب على الحرم ليتصرف الناس فى المعاش والأسفار آمنين.

الخامس: أقسام [2] الحدود لتصان محارم الله ولحفظ حقوق عباده.

السادس: تحصين الثغور وإقامة الغزاة عليها حتى لا يظفر الأعداء بشىء منها.

السابع: جهاد من عاند الإسلام بعد الدعوة حتى يسلم أو يدخل فى الذمة ليقام بحق الله تعالى [فى إظهاره على الدين كله] [3].

الثامن: جباية الفىء والصدقات من غير حيف ولا نقص.

التاسع: تقدير العطاء وما يستحق فى بيت المال من غير سرف ولا تقصير [4] ودفعه فى وقت لا تقديم فيه ولا تأخير.

العاشر: استكفاء الأمناء وتقليد النصحاء فيما يفوضه إليهم لتكون الأموال والأعمال بهم مضبوطة محفوظة، وأن [5] يباشر بنفسه مباشرة الأمور وتصفح [١٨٩ ب] الأحوال لينهض

(١) ذلك العنصر يتبع الأمر الأول عند القلقشندي، صبح، ج٩، ص٣٥٥.

(٢) إقامة: صبح، ج٩، ص٣٥٦.

(٣) ما بين الحاصرتين من، صبح، نفسه.

(٤) تقتير: صبح، نفسه.

(٥) هنا بداية الأمر العاشر عند القلقشندي، نفسه.

بسياسة الأمة وحراسة الملة، ولا يعول على التفويض تشاغلاً بلذة أو عبادة، فقد يخون الأمين ويغش الناصح. قال عز وجل ﴿ يَـٰدَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَـٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ [١]. فأمره بمباشرة الحكم بنفسه بقوله عز وجل لنبيه " فاحكم "، وقال صلى الله عليه وسلم " كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته ".

وذكر فى التعريف فى وصى ولى العهد بالخلافة ومن فى معناه من الملوك وولاة عهدهم هذه الأمور. أما فى زماننا فقد قصروا أيدى الخلفاء عن التصرف فى هذه الأمور، والذى يقتضيه الحال أن يقتصر فى وصاياهم على حسن التأنى فى العهد بالسلطنة لمن يقوم بأعبائها، وأن تكون الشروط المتقدمة مختصة بوصايا الملوك فى العهود عن الخلفاء.

أما ما يكتب فى متن العهود فثلاث مذاهب [٢]:

الأول: أن يفتتح العهد بعد البسملة بلفظ " هذا ما عهد به فلان لفلان ".

الثانى: " هذا عهد من فلان لفلان " أو " هذا كتاب اكتتبه فلان لفلان " ونحو ذلك. وطريقة المتقدمين أن لا يأتى بخطبة فى أثناء العهد ولا يتعرض إلى ذكر أوصاف المعهود إليه بالثناء عليه أو يتعرض له باختصار، ثم يأتى بالوصايا ويختمه بالسلام أو الدعاء أو غير ذلك، وعلى ذلك كانت عهود السلف. ففى الصحيحين من حديث ابن عمر أنه قيل لعمر بن الخطاب رضى الله عنه عند موته هلا [٣] تعهد؟ فقال: أأتحمل أمركم حياً وميتاً، إن استخلف فقد استخلف من هو خير منى أبو بكر، وإن أترك فقد ترك من هو خير منى رسول الله صلى الله عليه وسلم. مشيراً إلى أنه لما اشتد على أبى بكر الصديق الوجع أرسل إلى على وعثمان ورجال من المهاجرين والأنصار، فقال: قد حضر ما ترون، ولابد من قائم بأمركم فإن شئتم استخرتم لأنفسكم، وإن شئتم استخرت لكم. قالوا: بل اختر لنا. فأمر عثمان فكتب عهد عمر.

وطريقة المتأخرين أن يأتى بالتحميد فى أثناء العهد، ويأتى من ألقاب ولى العهد بما يناسب [١٩٠ أ] على الاختصار، وعليهما اقتصر فى التعريف فقال: اعلم أن عهود الخلفاء عن الخلفاء لم تجر عادة من سلف من الكتاب أن يستفتحه إلا بما يذكر وهو " هذا ما عهد به عبد

(١) ص، الآية ٢٦.

(٢) هذه المذاهب الثلاثة عند القلقشندي مذهب واحد. انظر: صبح، ج٩، ص٣٥٨ وما يتبعها.

(٣) ألا تعهد: صبح، ج٩، ص٣٤٩.

الله ووليه فلان أبو فلان الإمام الفلانى أمير المؤمنين عهد إلى أخيه أو إلى ولده السيد الجليل ذخيرة الدين وولى عهد المسلمين أبي فلان فلان أعزه [١] الله تعالى بالتمكين وأمده بالنصر المبين، وأقر به عين أمير المؤمنين ". ثم يتفق الكاتب بقدر سعته، ثم يقول " أما بعد فإن أمير المؤمنين يحمد إليك الله الذى لا إله إلا هو، ويصلى على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم، ويخطب فى ذلك خطبة يكثر فيها التحميد وينتهى فيها إلى سبعة، ثم يأتى بعد ذلك من القول إلى ما يناسب ويصف المعهود إليه بما يليق به ". ثم يقول " عهد إليه وقلده بعده بجميع ما هو مقلده لما رأى فيه من صلاح الأمة والخلق بعد أن استخار الله تعالى فى ذلك ومكث مدة يتدبر ذلك، ويروى فيه فكره وخاطره ويستشير أهل الرأى والنظر فلم يروا [٢] أقوم منه بأمور الأمة ومصالح الدنيا و الدين ". ويطنب الكاتب فى مثل ذلك، ثم يقول " وأن المعهود إليه قبل ذلك منه، ويأتى فى ذلك بما يليق من محاسن العبارة وقوة الكلام ".

المذهب الثانى: أن يفتتح العهد بعد البسملة بلفظ " من فلان إلى فلان " كالمكاتبات ثم بالبعدية ويؤتى بالمناسبة فى ذكر الولاية ووصف القول وإحسان العهد إليه ونحو ذلك، وعلى ذلك كانت عهود الفاطميين ويأتون بالتحميد فى أثناء العهد، وعلى ذلك كان ينشئ القاضى الفاضل.

المذهب الثالث: أن يفتتح العهد بعد البسملة بخطبة مفتتحة بـ " الحمد لله "، ثم يأتى بالبعدية بما يناسب الحال على ما تقدم، وهذا هو الذى عليه عمل أهل زماننا مع الاقتصار على تحميدة واحدة، والاختصار فى القول كما ذكره فى مواد البيان. وهذه نسخة كتب بمثلها عن المستكفى بالله أبي الربيع سليمان بن الحاكم بأمر الله أحمد حين عهد لولده المستوثق بالله بركة بالخلافة بعده فى عام أحد وأربعين وسبعمائة وهى:-

" الحمد لله الذى أيد الخلافة العباسية بأجل والد وأبر ولد، وجعلها كلمة باقية فى عقبه، والسند كالسند، وآواهم من أمرهم إلى الكهف وإن تناهَى العدد [١٩٠ ب]، وزان عطفها بسؤدد سواد شعارهم المسجلة أنوارهم، ولا شك أن النور فى السواد وعدد نصرهم النبوى

---

(١) أيده: صبح، ج٩، ص٣٦٨.

(٢) يرى: نفسه.

بفخرها كل ساد [١]، ونحمده على ما من به من تمام النعمة فيهم، ونزول الرحمة بتوافيهم، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة محضة الإخلاص كافلاً فخصها[بالفكاك] [٢] من أسر الشرك والخلاص، ونشهد أن محمداً عبده ورسوله المبعوث بما أوضح سبل الرشاد وقمع أهل الفساد [٣]، والشفيع المشفع يوم التناد صلى الله عليه وعلى أله وصحبه صلاة لا انقضاء لها ولا نفاد وسلم تسليماً كثيراً [٤].

وبعد. فإن أمير المؤمنين ـ ويذكر اسمه ـ يعتصم بالله فى كل ما يأتى ويذر كما [٥] جعل له من التفويض ويشير إلى الصواب فى كل تصريح منه وتفويض [٦]، وأنه شد الله أزره وعظم قدره استخار الله تعالى فى الوصية بما جعله الله له من الخلافة المعظمة المفخمة الموروثة عن الآباء والجدود الملقاة إليه مقاليدها كما نص عليه ابن عمه صلى الله عليه وسلم فى الوالد فى [٧] قريش والمولود لولده السيد الأجل المعظم المكرم فلان سليل الخلافة وشبل غابها، ونخبة أحسابها وأنسابها، أجله الله تعالى وشرفه، وجمل به عطفاً [٨] وفوقه، لما نلمحه فيه من النجابة اللائحة على شمائله، وظهرت [٩] تستوثق [١٠] إبداء سره فيه بدلائل برهانه، وبرهان دلائله.

وأشهد على نفسه الكريمة صانها الله تعالى مولانا وسيدنا أمير المؤمنين من حضر من حكام المسلمين قضاة قضاتهم، وعلمائهم وعدولهم بمجلسه الشريف أنه رضى أن يكون الأمر فى الخلافة المعظمة الذى جعله الله له الآن لولده السيد الأجل فلان بعد وفاته فسح الله فى أجله، وعهد بذلك إليه، وعول فى أمر الخلافة عليه، وألقى إليه مقاليدها، وجعل بيده زمام مبديها

---

(١) وغدق بصولتهم النبوى معجزها كل مناد: صبح، ج٩، ص٣٨٩؛ استبهم الأمر على محققيه فى كلمة " عدق " فرأوا أنه يجوز أن يكون " وقدع " أى كف وتأمل.

(٢) صبح، ج٩، ص٣٩٠.

(٣) العناد: صبح، نفسه.

(٤) صبح، نفسه.

(٥) الصواب: مما، صبح، نفسه.

(٦) الصواب: وتعريض، نفسه.

(٧) الصواب: من، صبح نفسه.

(٨) عطف الأمانة: صبح، نفسه.

(٩) ظهر من: صبح، نفسه.

(١٠) مستوثق: صبح، نفسه.

ومعيدها. وصى له بذلك جزئية وكلية، وغامضة وجلية، وصية شـــرعية بشـــروطها اللازمـــة المعتبرة، وقواعدها المحررة، أشهد عليه بذلك فى تاريخ كذا ".

أما ما يكتب فى المستندات فينبغى أن يكون كما يكتب فى عهود الملوك عن الخلفاء كما تقدم فى البيعات، ويكتب الخليفة فى بيت العلامة "عهدت إليه بذلك " سطراً، وتحته " وكتب فلان بن فلان ". [١٩١ أ] ولو كتب " فوضت إليه ذلك " كما يكتب الخليفة للسلطان كما ذلك، والأول أليق.

أما ما يكتب فى ذيل العهد بعد إتمام نسخته فطرق:

كتب على الرضا تحت عهد المأمون إليه بالخلافة [١] المتقدم الإشارة عليه فى العقد:

" الحمد لله الفعال لما يشاء، لا معقب لحكمه ولا راد لقضائه، ﴿يَعلَمُ خَائِنَةَ الأَعيُنِ وَمَـــا تُخفِي الصُّدُورُ﴾[٢]، وصلواته على سيدنا محمد خاتم النبيين والمرسلين وآله الطيبين الطـــاهرين. أقول وأنا على بن موسى بن جعفر إن أمير المؤمنين عضده الله بالسداد، ورفعـــه [٣] بالرشـــاد عرف من حقنا ما جهله غيره، فوصل أرحاماً قطعت، وأمن أنفس فزعت، بل أحياهـــا وقـــد تلفت، وأغناها إذ افتقرت مبتغياً [٤] رضى رب العالمين لا يريد جزاء من غيره ﴿وَسَيَجْزِي اللّهُ الشَّاكِرِينَ ﴾ [٥] و ﴿لاَ يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [٦]، وإنه جعل إليه عهده والإمرة الكـــبرى، أن [بقيت بعده] [٧]، فمن حل عقدة أمر الله بشدها أو فصم عروة [أحب الله إيثاقها] [٨] فقـــد

---

(١) قام المأمون بإسناد ولاية العهد لأحد أحفاد الإمام على بن أبى طالب وهو على بن موسى بن جعفر بن محمد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب، ولبس الخضرة ثياب آل على، فقام أهل بغداد بخلعه وتولية الخلافة لإبراهيم بن المهدى. وعن هذه الأحداث انظر. الطبرى: تاريخ الرسل، ج٨، ص٥٥٤، وما بعدها.

(٢) غافر، الآية ١٩.

(٣) ووفقه: صبح، ج٩، ص٣٩١.

(٤) متبعاً: صبح، نفسه.

(٥) آل عمران، الآية ١٤٤.

(٦) التوبة، الآية ١٢٠.

(٧) بياض فى الأصل وما بين الحاصرتين من، صبح، نفسه.

(٨) بياض فى الأصل وما بين الحاصرتين من، صبح، نفسه.

أباح حريمه وأحل محرمه إذ كان بذلك زارياً على الأيام [١] منتهكاً حرمة الإسلام. بذلك جرى السالف فصبر منه [٢] على الفلتات، ولم يعترض بعدها على العزمات خوفاً على شتات الدين واضطراب حبل المسلمين ولقرب أمر الجاهلية ورصد فرصة تنتهز وباقية تبتد [٣]. وقد جعلت لله على نفسى إن استرعانى على المسلمين وقلدنى خلافته للعمل فيهم [عامة] [٤] وفى [بنى] [٥] العباس بن عبد المطلب خاصة بطاعته وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم أن لا أسفك دماً حرما ولا أبيح دماً [٦] ولا مالاً إلا ما سفكته حدوده، وأباحته فرائضه. وأنى أتخير الكفاة جهدى وطاقتى. جعلت بذلك على نفسى عهداً مؤكداً يسألنى الله عنه فإنه يقول جل من قائل [٧] ﴿وَأَوْفُواْ بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْؤُولاً﴾ [٨]، فإن أحدثت أو غيرت أو بدلت كنت للغير مستخفاً وللنكال مستعرضاً [٩]. وأعوذ بالله من سخطه وإليه أرغب فى التوفيق لطاعته والحول بينى وبين معصيته " فى عامة المسلمين، والخاصة [والحضر] [١٠] يدلان على ضد ذلك" [١١]، " ﴿وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ﴾ [١٢] ﴿إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلّهِ يَقُصُّ الْحَقَّ [١٩١ ب] وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ﴾ [١٣]. لكننى امتثلت أمر أمير المؤمنين وأثرت رضاه، والله يعصمنى وإياه، وأشهدت

---

(١) الصواب: الإمام، صبح، نفسه.

(٢) منهم:صبح، نفسه.

(٣) الصواب: تبتدر، صبح، ج٩، ص٣٩٢.

(٤) بياض فى الأصل وما بين الحاصرتين من، صبح، نفسه.

(٥) بياض فى الأصل وما بين الحاصرتين من، صبح، نفسه.

(٦) فرجاً: صبح، نفسه.

(٧) عز وجل يقول: صبح، نفسه.

(٨) الإسراء، الآية ٣٤.

(٩) متعرضاً: صبح، نفسه.

(١٠) بياض فى الأصل وما بين الحاصرتين من، صبح، نفسه.

(١١) ذكر محققو صبح الأعشى أن هذه العبارة لم تذكر إلا فيه فقط. انظر: صبح، ج٩، ص٣٩٢ هـ١.

(١٢) الأحقاف، الآية ٩.

(١٣) الأنعام، الآية ٥٧.

الله على فيه [١] بذلك، ﴿وَكَفَى بِاللّهِ شَهِيداً ﴾[٢]، وكتبت بخطى بحضرة أمير المؤمنين أطال الله بقاءه، والفضل بن سهل، وسهل بن الفضل، ويحيى بن أكثم، وبشر بن المعتمر، وحماد بن النعمان فى شهر رمضان سنة إحدى ومائتين ".

وكتب فيه من حضر، وصورة كتابتهم:

فكتب الفضل بن سهل وزير المأمون [٣]:

" رسم أمير المؤمنين أطال الله بقاءه قراء [مضمون] [٤] هذا المكتوب بظهره [٥] وبطنه بحرم سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بين الروضة والمنبر على رءوس الأشهاد وقرأ وسمع[٦] من وجوه بنى هاشم وسائر الأولياء والأجناد، وهو يسأل الله أن يعرف أمير المؤمنين وكافة المسلمين، بركة هذا العهد والميثاق بما أوجب به أمير المؤمنين الحجة به عليه على جميع المسلمين، وأبطل الشبهة التى كانت اعرضت [٧] آراء الجاهلين، و ﴿ مَّا كَانَ اللّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنتُمْ عَلَيْهِ ﴾[٨]. وكتب الفضل بن سهل فى التاريخ المعين فيه ".

---

(١) نفسي: صبح، ج٩، ص٣٩٢.

(٢) النساء، الآية ٧٩.

(٣) الفضل بن سهل: وزير المأمون، كان مجوسياً وأسلم عام ١٩٠ هـ فى عهد الرشيد على يد المأمون، زاد نفوذه فى عصره وسمى بذى الرئاستين، مات مقتولاً عام ٢٠٢ هـ. الطبرى: تارسخ الرسل، ج٨، ص٣٢٠، ٥٦٥.

(٤) ما بين الحاصرتين من، صبح، ج٩، ص٣٩٣.

(٥) ظهره: صبح، نفسه.

(٦) ومرأى ومسمع: صبح، نفسه.

(٧) الصواب: اعترضت، صبح، نفسه.

(٨) آل عمران، الآية ١٧٩.

وكتب عبد الله بن طاهر [١] " أثبت شهادته فيه بتاريخه عبد الله بن طاهر بن الحسين "، وكتب يحيى بن أكثم " [٢]على مضمون هذه الصحيفة ظهره وبطنها"، وكتب بخطه" فى التاريخ". وكتب حماد بن النعمان "شهد حماد بن النعمان [بمضمون] [٣] ظهره وبطنه " وكتب بيده " بتاريخ ". وكتب بشر " شهد بمثل ذلك بشر بن المعتمر [٤] " وكتب بخطه " بالتاريخ ".

قال الشيخ شهاب الدين القلقشندي: قلت: وعلى نحو ما تقدم من كتابة المعهود إليه بالقبول وشهادة الشهود ينبغى أن يعمل فى زماننا ليجتمع خط المعاهد بالتفويض وشهادة الشهود، ولو أقتصر المعهود إليه فى كتابته على " قبلت ذلك " كان كافياً نحو " قلت ذلك وكتب فلان ولى عهد أمير المؤمنين "، ويكتب الشهود " شهد على المعاهد والمعهود إليه فيه زادهما الله تعالى شرفاً، وكتب فلان بن فلان " وإن كان أمياً أكتفى بالشهود.

وقطع الورق. فقد تقدم أنه فى قطع البغدادى الكامل، وكتب عهد المعتضد بالله أبى الفتح أبى بكر والد المتوكل على الله أبى عبد الله محمد فى قطع الشامى الكامل، وكتب عهد ولده المتوكل على ظهره بخط الشهود دون [١٩٢ أ] وخط كاتب الإنشاء وكأنهم لا يفقهون الخلافة [٥]، والقلم تكون قطته كقطة قلم البيعات، وكذلك كبقية الكتابة وصورة وضعها.

---

(١) عبد الله بن طاهر بن الحسين، أحد القواد الولاة فى عهد المأمون، ولاه الرقة ثم ولاه عمل أبيه طاهر بن الحسين ببلاد خراسان ثم تولى ولاية الحرب والشرطة وغيرها، توفى عام ٢٣٠ هـ. الطبرى: السابق، ج٨، ص٥٨١، ج٩، ص١٣١.

(٢) يحيى بن أكثم القاضى، أحد المقربين من المأمون، ولى القضاء فى عهد المعتصم والمتوكل. السابق، ج٨، ص٦٢٢، ٦٢٥، ج٩، ص١٨٨، ١٩٠.

(٣) ما بين الحاصرتين من، صبح، نفسه. وحماد هو ابن الإمام أبى حنيفة النعمان تفقه على أبيه وعمل فى الإفتاء بعده. أبو الوفاء القرشي: الجواهر المضية فى طبقات الحنفية، ج١، ص٢٢٦، ت رقم ٥٦٧.

(٤) هو أبو سهل بشر بن المعتمر الكوفى أحد أقطاب المعتزلة، توفى عام ٢١٠ هـ. الذهبى: سير أعلام النبلاء، ج١٠، ص٢٠٣.

(٥) أوضح القلقشندي هذا المعنى بقوله " وكأنهم لما تقهقرت الخلافة وضعف شأنها وصار الأمر إلى الملوك المتغلبين على الخلفاء تنازلوا فى كتابه عهودهم من قطع كامل البغدادى إلى قطع الشامى ". صبح، ج٩، ص٣٩٤.

النوع الثانى

عهود الخلفاء للملوك

وأصله ما رواه ابن إسحاق وغيره: إنه لما رجع وفد عبد الحارث بن كعب إلى قومهم باليمن بعد [وفودهم على] [١] رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل وفاته بأربعة أشهر، بعث إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد أن ولى وفدهم عمرو بن حزم يفقههم فى الدين ويعلمهم السنة ومقالة [٢] الإسلام ويأخذ منهم صدقاتهم، وكتب له كتاباً عهد فيه عهده وأمره فيه إمرته [٣] ذكره ابن هشام فى سيرته. وكذلك كتب على بن أبي طالب رضى الله عنه عهد مالك بن الأشتر النخعى حين ولاه مصر [٤] كما ذكره ابن حمدون فى تذكرته.

أما تفويض الخليفة الأمور فى البلاد والأقاليم إلى من يدبرها فعلى ثلاثة ضروب:-

الضرب الأول: وهو أعلاها " وزارة التفويض "، وهو أن يستوزر الخليفة من يفوض إليه تدبير الأمور وإمضائها على اجتهاده وينظر فيها على العموم. وعلى ذلك كانت الوزارة [٥] فى زمن الفاطميين بمصر

قال الماوردى فى الأحكام السلطانية: وليس [٦] يمتنع جواز هذه الوزارة، قال عز وجل حكاية عن نبيه موسى عليه السلام ﴿ وَٱجعَل لِّى وَزِيراً مِّن أَهلِى هَـٰرُونَ أَخِى ٱشدُد بِهِ أَزرِى وَأَشرِكهُ فى أَمرِى ﴾ [٧]، فإذا أجاز ذلك فى النبوة كان فى الإمامة أجوز، ولأن ما وكل إلى الإمام من تدبير الأمة لا يقدر على مباشرة جميعه إلا بالاستنابة ونيابة الوزير المشارك له فى التدبير أصح فى تنفيذ الأمور من تفرده بها ليستظهر به على نفسه ولها فيكون أبعد من الزلل.

---

(١) بياض فى الأصل وما بين الحاصرتين من، صبح، ج٩، ص٣٩٨.

(٢) ومعالم: صبح، نفسه.

(٣) أمره: صبح، نفسه.

(٤) تولى مالك بن الأشتر النخعى مصر من رجب إلى رمضان من عام ٣٧ هـ. الكندى: ولاة مصر، ص٤٦ ـ ٤٩.

(٥) السلطنة: صبح، ج٩، ص٣٩٩. والصواب الثغر لأنه لم يطلق على الوزير فى العصر الفاطمى لقب سلطان.

(٦) ولا: صبح، نفسه.

(٧) طه، الآية ٢٩ ـ ٣٢.

ويعتبر فى تقليد هذه الوزارة شروط الإمامة إلا النسب وحده لأنه بمضى الآراء منفذ الاجتهاد فأمضى أن يكون على صفة المجتهدين.

وقال: فصحة التقليد فيها معتبر بلفظ الخليفة المستوزر لأنها ولاية تفتقر إلى عقد والعقود لا تصح إلا بالقول الصريح فإن وقع له بالنظر أو أذن له [١٩٢ ب] فيه لم يتم التقليد حكماً. وتنعقد الوزارة بأن يقول الخليفة للوزير " قلدتك ما آل إلى نيابة عنى " أو " فوضت إليك الوزارة" فتنعقد بذلك الوزارة، وكل ما صح من الإمام صح من هذا الوزير إلا ثلاثة أشياء:

أحدها: ولاية العهد، فإن للإمام أن يعهد إلى من يرى وليس للوزير ذلك.

الثانى: أن للإمام أن يستعفى الأمة من الإمامة وليس ذلك للوزير.

الثالث: أن للإمام أن يعزل من قلده الوزير وليس للوزير أن يعزل من قلده الإمام.

وما سوى هذه الثلاثة فبحكم التفويض إليه تقتضى جواز فعله له وصحة نفوذه منه.

وأما وزارة التنفيذ، فحكمها أضعف وشرطها أقل. لأن النظر فيها مقصور على رأى الإمام وتدبيره، وهذا الوزير وسيط بينه وبين الرعايا، فهو يعين فى تنفيذ الأمور وليس بوال عليها ولا متقلد لها وليس يفتقر إلى تقليد وإنما يراعى فيها مجرد الإذن ومطلق الاسم، وهذه الوزارة هى ولاية الوزراء فى زماننا، فإنها ولاية تنفيذ لا ولاية تفويض.

الثانى: إمارة الاستكفاء، وهى التى تعقد على اختيار من الخليفة، وتشتمل على عمل محدود، وأقطار مفهومة [١] بأن يفوض الخليفة إليه إمارة بلد أو ولاية إقليم على جميع أهله، ونظراً فى المعهود من سائر أعماله، فيصير عام النظر فيما كان محدوداً من عمل، وعهوداً من نظر. وله أن يتخذ وزير تقليد [٢] لا تفويض، وعلى هذا كانت الأمراء والعمال فى الأقاليم والأمصار من ابتداء الإسلام إلى أن تغلب المتغلبون وضعفت الخلافة. ويعتبر فى هذه الإمارة ما يعتبر فى وزارة التفويض من الشروط، إذ ليس بين عموم الولاية وخصوصها فرقاً فى الشروط.

الثالث: إمارة الاستيلاء، وهو أن يقلده الخليفة الإمارة على بلاد، ويفوض إليه تدبيرها ويستولى عليها بالقوة فيكون استيلاؤه مستبداً بالسياسة والتدبير والخليفة بإذنه تنفيذاً لأحكام

(١) ونظر معهود: صبح، ج٩، ص٤٠٠.

(٢) تنفيذ: صبح، نفسه.

الدين ليخرج عن الفساد إلى الصحة، ومن الحظر إلى الإباحة. نافذ التصرف عن [١] حقوق الأمة [٢] وأحكام الأمة، وهذا ما صار إليه الأمر على [٣] التغلب على الخلفاء [١٩٣ أ] والاستبداد بالأمر بالغلبة.

قال الماوردى: وهذا وإن خرج عن عرف التقليد المطلق فى شروطه وأحكام نفسه [٤] حفظ قوانين [الشرع] [٥] وجملة [٦] الأحكام الدينية، كما لا يجوز أن يترك [مختلاً مدخولاً ولا فاسداً معلولاً فجاز فيه] [٧] مع الاستيلاء والاضطرار ما أمتنع فى تقليد الاستكفاء والاختيار لوقوع الفرق بين شروط المكنة والعجز. قال: والذى يتحفظ بتقليد المستولى من قوانين الشرع [٨] سبعة أشياء، يشترك فى التزامها الخليفة المولى والأمير المستولى ووجوبها فى [جهة] [٩] المستولى عليه [١٠]:

الأول: حفظ منصب الإسلام [١١] فى خلافة النبوة، وتدبير أمور الأمة ليكون ما أوجبه الشرع من إقامتها محفوظاً.

الثانى: ظهور الطاعة الدينية التى يزول معها حكم الفساد [١٢] فى الدين وينتفى بها مأثم [المباينة له] [١٣].

الثالث: اجتماع الأمة على الألفة والتناصر ليكون المسلمون يداً على غيرهم.

---

(١) فى: صبح، ج٩، ص٤٠١.

(٢) الصواب: الملة، صبح، نفسه.

(٣) بعد: صبح، نفسه.

(٤) وأحكامه، ففيه: صبح، نفسه.

(٥) ما بين الحاصرتين من، صبح، نفسه.

(٦) وحراسة: صبح، نفسه.

(٧) ما بين الحاصرتين من، صبح، نفسه.

(٨) الشريعة: صبح، نفسه.

(٩) بياض فى الأصل، وما بين الحاصرتين من، صبح، نفسه.

(١٠) أغلظ: صبح، نفسه.

(١١) الصواب: الإمامة، صبح، ج٩، ص٤٠٢.

(١٢) العناد: صبح، ج٩، ص٤٠٢.

(١٣) بياض فى الأصل، وما بين الحاصرتين من، صبح، نفسه.

الرابع: عقود الولايات الدينية تكون جائزة، والأحكام والقضايا [١] نافذة، ولا تبطل بفساد عقودها ولا تسقط بخلل بالخلال [٢].

الخامس: أن يكون استيفاء الأموال الشرعية بحق تبرأ به منه [٣] مؤديها، ويستقبحه [٤] أخذها ومعطيها.

السادس: أن تكون الحدود مستوفاة بحق، وقائمة على مستحق فإن [جنب المؤمن حمى إلا من] [٥] حقوق الله وحدوده.

السابع: أن يكون الأمة فى حفظ الدين وازع عن محارم الله بأمر حقه أن أطيع ويدعو إلى طاعته إن عصى.

ومملكة الديار المصرية من حين الفتح الإسلامي وإلى زماننا دائرة بين هذه الأقسام الثلاثة، فكانت فى بداءة الأمر إمارة استكفاء يولى عليها الخليفة فى كل زمن [من] يقوم بأعبائها قاصر الولاية عليها، واقف عند حد ما يرد عليه من الخليفة من أمر ونهى، إلا ما كان فى أيام بنى طولون من الخروج عن طاعة الخلفاء فى بعض الأحيان، فلما استولى الفاطميون واستوزروا أرباب السيوف فى أواخر دولتهم وعظمت كلمتهم عندهم، صارت سلطتها " وزارة تفويض "، فكان الخليفة يحتجب والوزير هو المتصرف كالملوك الآن، وكانوا [١٩٣ ب] يلقبون بألقاب الملوك الآن كالملك الأفضل رضوان وزير الحافظ، وهو أول من لقب بالملك منهم، والملك الصالح طلائع بن رزيك وزير القائم [٦] ثم العاضد، والملك المنصور أسد الدين شيركوه بن شادى وزير العاضد، وابن أخيه الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب وزير العاضد أيضاً قبل أن يستقل بالملك ويخطب بالديار المصرية لبنى العباس ببغداد.

---

(١) الأقضية: صبح، نفسه.

(٢) الصواب: عهودها، صبح، نفسه.

(٣) الصواب: ذمة، صبح، نفسه.

(٤) ويستبيحه: صبح، نفسه.

(٥) بياض فى الأصل، وما بين الحاصرتين من، صبح، نفسه.

(٦) الصواب: الفائز. انظر القسم الثانى.

فائدة: لا نكر فى تسمية الوزير ملكاً، فقد فسر قوله تعالى ﴿ وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِى بِهِۦ ﴾ [(١)] أن المراد به الوزير لا الملك نفسه.

فلما انثنى عزم [(٢)] الفاطميين وصارت إلى بنى أيوب عن الخلفاء بنى العباس ببغداد صارت إمارة استيلاء لاستيلائهم بالقوة مع إذن الخليفة بتقليدهم. وكان الرشيد لقب جعفر بن يحيى البرمكى زمن وزارته له بالسلطان، ولم يأخذ الناس فى التلقيب به، فلما تغلبت الملوك بالشرق على الخلفاء واستبدوا عليهم صار لقب السلطان سمة لهم مع ما يختصهم به الخليفة من اللقب الشريف المضاف إلى الدولة كـ " شرف الدولة، وعضد الدولة " ونحو ذلك. وشاركهم فى لقب السلطنة غيرهم من ملوك النواحى، فلقب بذلك السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب، وتلقب بـ " الملك الناصر " عند استبداده بالملك على العاضد من الفاطميين بعد وزارته له، ونقل ما كان من وزارة التفويض والعهد بها إلى السلطنة، وصارت الوزارة عن السلطان مغدوقة بقدر مخصوص من التصرف، وبقى الأمر على ذلك إلى زماننا إلا ما كان زمن تعطيل الخلفاء ببغداد إلى حين إقامة الخلافة بمصر فى دولة الظاهر بيبرس البندقدارى. على أن فى السلطنة الآن قرب شبه من وزارة التفويض، فإن الخليفة يفوض إليه فى تقليده تدبير جميع الممالك الإسلامية بالتفويض العام، فحينئذ تكون السلطنة بالديار المصرية الآن من وزارة تفويض وإمارة استيلاء.

ويجب فى كتابة [١٩٤ أ] العهد مراعاة أمور منها براعة الاستهلال بما يتهيأ لهم من اسم السلطان أو لقبه مما يدل على ما بعده قبل الإتيان به كما تقدم فى البيعات، ومنها التنبيه على شرف السلطنة وعلو رتبتها ووجوب القيام بأمر الرعية ويحمل ذلك عن الخليفة. ومنها الإشارة إلى اجتهاد الخليفة وإعمال فكره فى من يقوم بأمر الأمة، وإنه لم يجد للملك أحق من المعهود إليه ولا أولى به منه، ويصفه بما يليق به. ومنها الإشارة إلى جريان لفظ تعقد به الولاية من عهد أو تفويض أو تقليد، وقبول ذلك، ووقوع الإشهاد على الخليفة بالعهد. ومنها إيراد ما يليق بالمقام من الوصية بحسب ما يقتضيه الحال من علو رتبة الخلافة أو انحطاطها [(٣)]، مبيناً لما يلزمه القيام به من حفظ الدين على أصوله المستقرة، وما اجتمع عليه سلف الأمة، وتنفيذ

---

(١) يوسف، الآية ٥٤.

(٢) انتزعت: صبح، ج٩، ص٤٠٣.

(٣) انخفاضها: صبح، ج٩، ص٤٠٥.

الأحكام الشرعية وإنصاف المظلوم وحمايته، والذب عن الحرم وإقامة الحدود، وتحصين الثغور، وجهاد أعداء الله وغزوهم، وجباية الفىء والصدقات على ما أوجبه الشرع الشريف من غير حيف وتغيير [١]، وصرف ما يستحق صرفه من بيت المال من غير سرف ولا تقصير [٢] فى وقت الحاجة إليه، واستكفاء الأمناء، وتقليد النصحاء للأعمال والأموال، ومباشرة الأمور بنفسه وتصفح الأحوال إلى غير ذلك من الأمور المتعلقة بالإمامة من إقامة موسم الحج وتأمين الحرمين الشريفين وإكرام ضرايح الأنبياء وبيت المقدس ومن بها، وتحرير مقادير المعاملات بما يقتضيه أمر المملكة.

وما يكتب فى طرة العهد فضربان:

الأول: ما كان يكتب فى وزارة التفويض فى دولة الفاطميين، وكان الخليفة هو الذى يكتبه بيده ــ وقد تُرك هذا الأمر ــ فمن ذلك ما كتبه العاضد فى طرة عهد أسد الدين شيركوه وهو "هذا عهد لا عهد لوزير بمثله، وتقليد أمانة رآك الله تعالى وأمير المؤمنين أهلاً لحمله، والحجة عليك عند الله ما أوضحه لك من مراشد سبله، فخذ كتاب أمير المؤمنين بقوة واسحب ذيل الفخار بأن اعتزت خدمتك إلى بنوه [١٩٤ ب] النبوة، واتخذ أمير المؤمنين للفوز سبيلا، ﴿وَلاَ تَنقُضُواْ الأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلاً﴾[٣]"

الثانى: ما يكتب فى طرة عهود الملوك الآن، وأن الذى يكتبه هو الذى يكتب بقية العهد دون الخليفة، وهو بحسب ما يوتره الكاتب، مما يدل على صدر العهد على ما تقتضيه الحال، وهذه نسخة طرة كتب بها علاء [٤] الدين بن عبد الظاهر فى عهد السلطان الناصر محمد بن قلاوون فى سنة سبع عشرة وسبعمائة "هذا عهد شريف تجددت مسرات الأقلام [٥] بتجديده، وتأكدت أسباب الأيمان بتأكيده، ووجد النصر العزيز والفتح المبين بوجوده، وورد الأنام مورد الأمان بوروده من عبد الله ووليه الإمام المستكفى بالله أبى الربيع سليمان أمير المؤمنين ابن

---

(١) ولا عسف: صبح، نفسه.

(٢) تقتير: صبح، ج٩، ص٤٠٦.

(٣) النحل، الآية٩١.

(٤) الصواب: محيى.

(٥) الإسلام: صبح، ج٩، ص٤٠٧.

الحاكم بأمر الله أبى العباس أحمد عهد [به] [١] إلى السلطان الملك الناصر أبى الفتح محمد خلد الله سلطانه بن السلطان الملك المنصور قلاوون [٢] الصالحى قدس الله روحه ".

وأما ألقاب الملوك عن الخلفاء فعلى ضربين:

الأول: ما كان يكتب قديماً. ولا كان يكتب للملوك عن الخلفاء إلا ما يلقب بـه مـن ديوان الخلافة مع اسمه، ثم يقال " مولى أمير المؤمنين "ولا يزاد على ذلك.

الثانى: ما يكتب لهم به الآن، وقد حكى فى التعريف مذهبان:

المذهب الأول: أن يكتب فيها "السلطان السيد الأجل الملك الفلانى " مع زيادة تليق بذلك كما كتب القاضى الفاضل فى عهد أسد الدين شيركوه عن العاضد وهو "من عبـد الله ووليه عبد الله بن [٣] محمد الإمام العاضد لدين الله أمير المؤمنين إلى السيد الأجل الملك المنصور، سلطان الجيوش، ولى الأمة، فخر الدين [٤] أسد الدين، كافل قضاة المسلمين، وهـادى دعـاة المؤمنين، أبى الحارث شيركوه العاضدى ". وعلى هذه الطريقة كتب ابن القيسرانى [٥] فى عهد الناصر محمد بن قلاوون بزيادة ألقاب. قال فى التعريف: وأنا إلى ذلك أجنح، وعليه أعمل.

المذهب الثانى: أن يكتب " المقام الشريف أو الكريم العالى "ويقتصر على المفردة كمـا [١٩٥ أ] كتب الصاحب فخر الدين بن لقمان فى عهد الظاهر بيبرس بعد ذكر أوصافه ومناقبه " ولما كانت هذه المناقب الشريفة مختصة بالمقام الشريف[٦]، العالى، المولوى، السلطانى، الملكى، الظاهرى، الركنى، شرفه الله وأعلاه ". وربما أبدل المتقدمون [المقام] [٧] فى هذه الحالة بـــ

(١) ما بين الحاصرتين من، صبح، ج٩، ص٤٠٨.

(٢) سيف الدين قلاوون: صبح، نفسه.

(٣) أبى: صبح، ج١٠، ص٦.

(٤) الدولة: صبح، نفسه.

(٥) وهو محمد بن عبد الله بن محمد بن أحمد بن نصر المخزومى الحلبى المعروف بابن القيسرانى، ولد بحلب عام ٦٤٨ هـ وولى كتابة السر بحلب وتوفى عام ٧٠٧ هـ. ابن حجر: الدرر، ج٥، ص٢٢٨، ت رقم ١٢٨٧.

(٦) ساقطة من صبح، ج١٠، ص٦.

(٧) ما بين الحاصرتين من، صبح، ج١٠، ص٧.

"المقر" [وأتى بالألقاب] [١] من نحو ما تقدم. كما كتب القاضى محيى الدين بن عبد الظاهر فى عهد المنصور قلاوون، بعد استيفاء مناقبه، وأوصافه، وذكر أعمال الفكر والروية فى اختيـــاره، "فخرج[٢] أمر مولانا أمير المؤمنين شرفه الله تعالى، أن يكون المقر[٣] العالى، المولوى، السلطانى، الملكى، المنصورى، أجله الله تعالى [٤]، ونصره، وأنفذه [٥]، وأقدره، وأيده، وأمـــده، كمـــا [٦] فوضه [الله][٧] لمولانا أمير المؤمنين ". ونحو ذلك.

أما ما يكتب فى متن العهود ففيه ثلاث مذاهب:

المذهب الأول: وعليه عامة المتقدمين وأكثر المتأخرين، وهو أن يفتتح العهد " هـــذا مـــا عهد به فلان فلاناً "، أو " هذا عهد من فلان الفلانى " أو " هذا كتاب اكتتبه فـــلان لفـــلان ونحوه".

قال فى التعريف: وعلى ذلك كتب القاضى الفاضل عهدى أسد الدين شـــيركوه وابـــن أخيه صلاح الدين، وعليه كتب الشيخ شهاب الدين محود الحلبى عهـــدى العـــادل كتبغـــا، والمنصور لاجين. وفى ذلك طريقتان:

الطريقة الأولى: طريقة المتقدمين، وهو أن لا يأتى بتحميد فى أثناء العهد فى خطبة ولا فى غيرها، ولا يتعرض إلى ذكر أوصاف المعهود إليه والثناء عليه أصلاً، أو يتعرض إليه باختصار. ثم يقول:" فقلده كذا وكذا"، ويذكر ما فوض إليه. ثم يقول: " قلده بلداً " أو " أمر بكذا " حتى يأتى إلى آخر الوصايا. ثم يقول فى آخره "هذا عهد أمير المؤمنين إليك، وحجته لك وعليـــك "، ويأتى بما يناسب ذلك ويختمه بقوله " والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته " أو " والسلام عليك "أو بغير ذلك من الألفاظ المناسبة على اختلاف طريقتهم فى ذلك.

---

(١) ما بين الحاصرتين من، صبح، نفسه.

(٢) وخرج: صبح، نفسه.

(٣) للمقر: صبح، نفسه.

(٤) ساقطة من صبح، نفسه.

(٥) وأظفره: صبح، نفسه.

(٦) كل ما: صبح، نفسه.

(٧) ما بين الحاصرتين من، صبح، نفسه.

وعلى هذا المنهج وما قاربه كانت عهود السلف فمن بعدهم تأسياً بالنبى صلى الله عليه وسلم فيما كتب به لعمرو بن حزم حين وجهه إلى اليمن فيما ذكره ابن هشام وغيره، وفيما كتب إليه على رضى الله [١٩٥ ب] عنه فى عهد مالك بن الأشتر حين ولاه مصر فيما ذكره ابن حمدون فى تذكرته، ومما كتب به أبو أسحق الصابئ عن الخليفة الطايع لله إلى فخر الدولة بن ركن الدولة بن بويه فى جمادى الأول سنة سبع [١] وستين وثلاثمائة.

الطريقة الثانية: طريقة المتأخرين المحققين كالشهابى محمود، وابن فضل الله وغيرهما وهو أن يأتى فى أثناء العهد بخطبة أو تحميدة [٢]، ويذكر بعد صدور العهد جميل [٣] أوصاف المعهود إليه ويطنب فيها ويثنى عليه بما يليق بمقامه.

قال فى التعريف: على نحو ما تقدم فى عهود الخلفاء عن الخلفاء. قال فى التثقيف: وصورته أن يكتب " هذا ما عهد به عبد الله ووليه أمير المؤمنين المتوكل على الله مثلاً أبو فلان فلان إلى السيد الأجل، الملك، العادل، المؤيد، المظفر، المنصور، المجاهد " ويذكر اللقب مثلاً مثل " المؤيد أو الناصر أو غيره فلان الدنيا والدين فلان ابن السلطان السعيد الشهيد الملك الفلانى _ إن كان _ خلد الله تعالى ملكه، أما بعد فإن أمير المؤمنين يحمد إليك الله الذى لا إله إلا هو، ويصلى على ابن عمه سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم " ويكمل الخطبة بما أمكنه ثم يقال " عهد إليه وقلده جميع ما قلده [٤] _ يشبه ما تقدم فى عهود الخلفاء عن الخلفاء _ مما رآه من مصالح الأمة من صلاح الحق [٥] بعد أن استخار الله تعالى فى ذلك ومكث مدة يتدبر هذا الأمر ويتردى فيه فكره [٦] وخاطره، ويستشير أهل الرأى والنظر، فلم ير أوفق منه بأمور الأمة ومصالح الدنيا والدين ". ومن هذا وشبهه. ثم يقال " وأن المعهود إليه قَبل ذلك منه " ويأتى فيه بما يليق من محاسن العبارة وأجناس الكلام، وقد يؤتى بعد " أما بعد " بخطبة مثل أن يقال " أما

---

(١) ست: صبح، ج١٠، ص١٥.

(٢) تحميد: صبح، ج١٠، ص٤٦.

(٣) حميد: صبح، نفسه.

(٤) ما هو مقلده: صبح، نفسه.

(٥) من مصالح الأمة وصلاح الخلق: صبح، نفسه.

(٦) ويروى فيه فكره: صبح، ج١٠، ص٤٦.

بعد فالحمد لله " ونحوه ويكمل الخطبة بما يليق بالمقام، ثم قد يقتصر على تحميدة واحدة، وقد يكون [١] إلى ثلاث، وإن شاء إلى [٢] سبعة.

قال فى التعريف: وكلما كثر التحميد كان أدل على عظم النعمة ويقال فى آخره "والاعتماد على الخط الفلانى بلقب الخلافة أعلاه حجة بمقتضاه أو الخط العالى حجة فيه [٣] وعلى هذه الطريقة كتب الشهاب محمود عهد [١٩٦ أ] الملك العادل كتبغا عن الإمام الخليفة الحاكم بأمر الله أبى العباس أحمد الذى استحضره الظاهر من بغداد، وعهد المنصور حسام الدين لاجين عن الحاكم بأمر الله أبى الربيع سليمان [٤] وكذلك كتب القاضى محيى الدين بن عبد الظاهر عن المستكفى بالله أبى الربيع سليمان عهد المظفر ركن الدين بيبرس الجاشنكير.

المذهب الثانى: أن يفتتح العهد بلفظ " من فلان " باسم الخليفة وكنيته ولقب الخلافة إلى فلان باسم السلطان ولقبه ولقب السلطنة كالمكاتبات. ثم يأتى بلفظ " أما بعد " فتارة يأتى بالبعدية [٥] بتحميد ويتخلص إلى ذكر الولاية ونحوها، وتارة يأتى بخطبة [بعد البعدية بخطاب المولى] [٦] والدعاء له، ويتخلص إلى مقاصد العهد من الولايات وغيرها، وعلى ذلك كانت عهود الفاطميين.

قال الشيخ شهاب الدين القلقشندي: قلت: يستحسن هذا المذهب فيما إذا كان المعهود إليه غائباً عن حضرة الخليفة لأن العهد حينئذ يصير [٧] كالرسالة الصريحة إليه بخلاف ما إذا كان بحضرته فإنه لا يكون فى معنى الرسالة الصريحة. وعلى هذا المذهب كتب أبو إسحاق الصابئ

---

(١) الصواب: يكرره، صبح، ج١٠، ص٤٧.

(٢) بلغ به: صبح، نفسه.

(٣) أو الخط الفلانى أعلاه حجة فيه: صبح، نفسه.

(٤) الذى فى التواريخ أن الحاكم بأمر الله الذى بايع له الظاهر بيبرس طالت مدته إلى أيام حسام الدين لاجين، وأما الحاكم بأمر الله بن أبى الربيع فهو ابن ابنه: صبح، ج١، ص٥٣هـ١. انظر القسم الثانى.

(٥) بعد البعدية: صبح، ج١٠، ص٧٥.

(٦) بياض فى الأصل، وما بين الحاصرتين من، صبح، نفسه.

(٧) يصير حينئذ: صبح، نفسه.

عن الطايع لله عهد شرف الدولة شيروك [١] بن عضد الدولة بن بويه، وكذلك كتب القاضي الفاضل عهد أسد الدين شيركوه بالوزارة عن العاضد الفاطمى، وكانت الوزارة يومئذ قائمة مقام السلطنة الآن.

المذهب الثالث: أن يفتتح العهد بخطبة، وهو ما حكاه فى التعريف عن الصاحب فخر الدين إبراهيم بن لقمان فيما كتب به للمظفر[٢] بيبرس، وقال: أن ابن لقمان ليس بحجة وإنما ذكره حتى لا يتمسك به من لم يعرف حقائق الأقدار. ثم قال: على أن القاضى محيى الدين بن عبد الظاهر تبعه فيما كتب به لقلاوون، وعليه كُتب عهد العادل أبي بكر بن أيوب أخي صلاح الدين من بغداد، وإليه مال ابن الأثير وهو حجة فى هذا الشأن يُرجع إليه ويُعمل بقوله، ويؤيده حديث " كل أمر ذى بال لا يبدأ فيه بالحمد فهو أجذم ". وإليه مال أهل العصر والعمل عليه [١٩٦ ب] إلا أن فيه مخالفه لعهد النبى صلى الله عليه وسلم لعمرو بن حزم وعهود الصحابة. وبكل حال فإما أن يعبر عن الأوامر الواردة فى العهد عن الخليفة بقوله " فأمره بكذا " أو "أمره بكذا " وهى طريقة المتقدمين، وعليها كُتب عهد العادل أبو بكر المشار إليه، وإما أن يعبر عنها بأن " يفعل كذا وكذا ". ونحو ذلك وهى طريقة أهل زماننا، وعلى هذه الطريقة مشى القاضى ناصر الدين البارزى فى عهد السلطان الملك المؤيد شيخ عن المستعين بالله أبي الفضل العباس، وطرته [٣]:

" هذا عهد شريف ترقمه أقلام أشعة الشمس بذهب الأصيل على صفحات الأيام وتعجمه [كف] [٤] الثريا بتنقط النجوم الزواهر، وإن كان لا عهد للعهود بالإعجام وتعرف صاحبة [٥] الأرض أن صاحبه شيخ الملوك والسلاطين، فتقدمه فى الرأى، وتجله فى الرتبة، وتعامله بالإجلال والإعظام من عبد الله ووليه وخليفته فى أرضه [وصفيه] [٦]، وسليل خلفائه

(١) شيرزيك: صبح، ج١٠، ص٧٥.

(٢) الصواب: للظاهر.

(٣) هذه الطرة من إنشاء القلقشندي كما ذكر هو ذلك بعد الانتهاء من تسجيل هذا العهد. انظر: صبح، ج١٠، ص١٢٨.

(٤) بياض فى الأصل، وما بين الحاصرتين من، صبح، نفسه.

(٥) وتعترف ملوك: صبح، نفسه.

(٦) ما بين الحاصرتين من، صبح، نفسه.

الراشدين وابن عم نبيه الإمام الفلانى إلى السلطان الأعظم المالك الملك الفلانى ". إلى آخر الألقاب. ومتنه " الحمد لله الذى جعل سيف الدين بنصره مؤيداً، وأمضاه (١) لمصالح الملك والدين فأصبح و[من] (٢) مرهقات عزمه بادية [بائدة العدا] (٣) وفتح على فقراء (٤) الزمان بشيخ يمتلك (٥) زويت له عوارف العدل ومعارف الفضل [فاستغنى] (٦) ولله الحمد بسعيد السعداء، وأصلح فساد الأحوال بأحكام رأيه وإحكام حكمه فأصبحت مأمونة الردى(٧) آمنة من الرداء، وامتن على أولياء الدولة الشريفة بمن لم يزل سهم تدبيره الشريف فيهم مسددا، ومياه الظفر جارية من قناة غوره الذى من ذلك (٨) تعودا، وبحر إحسانه الكامل، وإن قدم العهد المؤيد مجددا، والحمد لله الذى جعل وجوه هذه الأيام بالإمرة (٩) مسفرة، وليالى جودها بالعدل مقمرة، وعذبات أوليائها بالأفراح مزهرة، وحدائق أغصانها (١٠) بالنجاح مثمرة، ومنازل أعدائها مقفرة موحشة، ومنازهم (١١) مذعرة مدهشة، وأجنادهم (١٢) بأمراض قلوبهم مشوشة، وأكبادهم بلواعج زفراتهم معطشة، والحمد لله الذى [١٩٧ أ] جعل هذه الأيام الفاضلة الجلال جليلة الفضل، شاملة النظام ناظمة الشمل، هامته بالمكرمات هائمة بالعدل دانية القطوف، معروفة بالمعروف مغشية المرهوب (١٣) مرهبة الألوف (١٤)، متصرفة فى الآفاق، صارفة

---

(١) انتضاه: صبح، ج١٠، ص١٢١.

(٢) ما بين الحاصرتين من، صبح، نفسه.

(٣) بياض فى الأصل، وما بين الحاصرتين من، صبح، نفسه.

(٤) فقر: صبح، نفسه.

(٥) ملك: صبح، نفسه.

(٦) بياض فى الأصل، وما بين الحاصرتين من، صبح، نفسه.

(٧) الرداء: صبح، نفسه.

(٨) بذلك: صبح، نفسه.

(٩) بالأمن: صبح، نفسه.

(١٠) اخصائها: صبح، نفسه.

(١١) نوازلهم: صبح، نفسه.

(١٢) أجسادهم: صبح، نفسه.

(١٣) مغيثة الملهوف: صبح، نفسه.

(١٤) للألوف: صبح، نفسه.

المصروف[١] حمداً به [٢] تبهج النفوس ويزيل اللبوس [٣] ويديم السرور، ويـــذهب المحـــذور، و ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ﴾ [٤]، نحمده على هذه النعم الذى [٥] تفيأت الأمم بظلالها، وبلغت بها النفوس غاية أمالها، ورويت بعد ظمأ الخوف من حياض أمـــن زلالها واستسرت بعد الحزن بأفراح قبولها وإقبالها [وارتفعت بعد انخفاضـــها رءوس أبطالهـــا وأقيالها] [٦]، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة تديم النعماء وتجزل العطـــاء، وتكشف الغماء، وتقهر الأعداء، وتشهد أن سيدنا [٧] محمد [عبده] [٨] ورسوله الذى قـــرن طاعته إولى الأمر بطاعته، وأيد من اهتدى منهم بهدايته، وأعانه بما [٩] استعان بعنايته، وأظلـــه تحت ظل عرشه يوم لا ظل إلا ظله فى دار كرامته صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه [١٠] الذين انحازوا إلى حوزته، واحتموا بحمايته، وأثمر لهم غرس دينه فرعوه حق رعايته وشـــرف وكـــرم. وبعد، فلما كانت [رحمة الله تعالى لغضبه] [١١] سابقة، ورأفته لعباده [١٢] متلاحقة، وكانـــت الممالك الشريفة قد اختلت أمورها، وصار إلى الدثور معمورها، وأشرف على البـــوار أميرهـــا ومأمورها، فالشرائع متغيرة شرائعها، والعوائد مفقودة مآثرها، والمظالم قوى ســـلطانها، كـــثير أعوانها، ضعيف [مضاددها] [١٣]، قليل مُعانِدُها، فلا نائب سياسة إلا مشغولة [١٤] بالنوائـــب،

---

(١) الصروف: صبح، نفسه.

(٢) ساقطة من صبح، نفسه.

(٣) الصواب: البوس، صبح، نفسه.

(٤) فاطر، الآية ٣٤.

(٥) الصواب: التى.

(٦) ما بين الحاصرتين من، صبح، ج١٠، ص١٢٢.

(٧) ساقطة من صبح.

(٨) ما بين الحاصرتين من، صبح، نفسه.

(٩) لما: صبح، نفسه.

(١٠) صحبه: صبح، نفسه.

(١١) بياض فى الأصل، وما بين الحاصرتين من، صبح، نفسه.

(١٢) بعباده: صبح، نفسه.

(١٣) بياض فى الأصل، وما بين الحاصرتين من، صبح، ج١٠، ص١٢٢.

(١٤) مشغول: صبح، نفسه.

ولا حاكم شرع إلا وقد سدت عليه المذاهب، ولا تاجر إلا وقد خسرت تجارته فما ربحت، ولا ذو قراض إلا ورءوس أمواله قد انقرضت، ولا صاحب ميراث إلا وقد محيت آية ميراثه ونسخت، ولا ركن مملكة إلا وقد انهدم أساسه، ولا عضد دولة إلا وقد بطل إحساسه. أقامه[١] الله [٢] تعالى لإزالة هذه النوازل الفادحة، وإخماد نار هذه القبائح القادحة، من توفرت الدواعى على استحقاقه للسلطنة [٣] الشريفة، وأجمع[٤] الأمة على انحصار [١٩٧ ب] ذلك فى أوصافه المنيفة، ودلت أمائر السعود على محله الجليل، وجنابه الذى إذا لاذ به من خاف الدهر رجع وصرف الدهر عنه كليل، طال ما أصفى موارد العدل، وأضفى أذيال الفضل، وأمن الخائف، وروّعَ الحائف، وأمضى فى الجهاد عزمه، ونفذ [٥] فى [السرايا] [٦] لها باله [٧] حكمه، وسدد إلى معاونة من غرض للكفار [٨] سهمه، وفتح الطريق إلى بيت الله الحرام بعد الانسداد، وأنعم على القانع والمعتر بالراحلة والزاد، وعمر المساجد وجعلها آهلة بالراكع والساجد، وجلا عروس الأمور [٩] فى حلل التهليل والتكبير، وأعاد عود منبره الذابل وهو نضير، هذا مع شجاعة شهدها [١٠] وشهد بها أبطال الإسلام، وسطوة تخشاها الأسود فى الآجام، ووقار يُخضع لهيبته [١١] رءوس الأعلام، وبشر يطلع فجره من طالع جبهته، ونور ساطع من جهة [جبهته][١٢]، وحياء كتطلع من طلعته، وحياء يتدفق من أنملته.

---

(١) أقام: صبح، نفسه.

(٢) سبحانه: صبح، نفسه.

(٣) السلطنة: صبح، ج١٠، ص١٢٣.

(٤) الصواب: أجمعت.

(٥) أنفذ: صبح، نفسه.

(٦) بياض فى الأصل، وما بين الحاصرتين من، صبح، نفسه.

(٧) إليه: صبح، نفسه.

(٨) الكفار: صبح، نفسه.

(٩) الأموى: صبح، نفسه، يريد الجامع الأموى بدمشق.

(١٠) شاهدها: صبح، ج١٠، ص١٢٣.

(١١) بالهيبة: صبح، نفسه.

(١٢) بياض فى الأصل، وما بين الحاصرتين من، صبح، نفسه.

وكنت أيها الملك الجليل المؤيد ــ لا زال شمل الدين [بك] [١] مجموعاً، وعلم الإسلام مرفوعاً، وقلب أهل الشرك والنفاق مروعاً ــ أنت المتصف بهذه الصفات الحميدة، والكاشف لتلك الشدائد الشديدة فلم يرعك خطر الخطارة، ولا انحلال أهل صرخد حيث اشـــهدت [٢] عزائم صوارمك البتارة، ولا خطرتك من القيسارية إلى الريدانية فى أسرع من غفوة، والشيخ لا تنكر له الخطوة، ولا مشاهدة الحمام فى الحمام، ولا زاغ بصرك فى اللجون [٣] حين أظلم القتام حتى زال المانع وهجع الهاجع وأنست [٤] الخطوب، وفرجت الكروب، وخلا دست الســلطنة ممن نكث الأيمان وأصر على الآثم والعدوان، وأقررت اسم الخلافة على الانفراد ليستخير الله فى الأصلح للعباد والبلاد.

هذا ورأى أهل الحل والعقد من ملوك الإسلام، وأمرائه، وقضاته وعلمائـــه، ومشـــايخه وصلحائه، وخاصته وعامته، ورأى مولانا أمير المؤمنين أعز الله [تعالى] [٥] به الدين، وجمـــع بيمن بركته شمل الإسلام والمسلمين مجمع على تفويض أمر المسلمين وولاية عهـــدهم وكفالـــة السلطنة الشريفة والإمام المعظم [٦] إليك خلد الله سلطانك، وجعل الدهر خديمك، والملائكـــة أعوانك، فقدم [١٩٨ أ] أمير المؤمنين من الاستخارة أمام هذا التقليد ما يعتـــبر فى الســـنة الشريفة ويقدم، وعلم أن المصلحة فيما خاره الله له [وللأمة] [٧] من ولايتك أيهـــا الملـــك الجليل [٨]، والسلطان الأعظم، وإنك [أبرأ للذمة] [٩] وأبر بالأمة، وشهدنا [١٠] بإجماع الأمة على سلطنتك من التآلف والاتفاق ما نفى الخلاف والشقاق وسائر [١١] الجمهور الطائعين مـــن

---

(١) ما بين الحاصرتين من، صبح، نفسه.

(٢) اشتهرت: صبح، نفسه.

(٣) باللجون: صبح، نفسه.

(٤) أمنت: صبح، نفسه.

(٥) ما بين الحاصرتين من، صبح، نفسه.

(٦) الصواب: الإمامة العظمى، صبح، ج١٠، ص١٢٤.

(٧) ما بين الحاصرتين من، صبح، نفسه.

(٨) المبجل: صبح، نفسه.

(٩) بياض فى الأصل، وما بين الحاصرتين من، صبح، نفسه.

(١٠) وشاهد: صبح، نفسه.

(١١) وما سر: صبح، نفسه.

غير دفاع، والجم الغفير لبديع آرائك ورفيع راياتك مذعنين بحسن [١] الاتباع، وأهل الحل والعقد لأمرك ونهيك قد جمعت [٢] منهم الرقاب، وسارعوا إلى إجابة دعوتك حين اتضحت لهم أدلة الصواب والزمن بإفضاء الأمر إليك قد طاب واعتدل، والأرض فى مشارقها ومغاربها بمهابتك قد أمنت من الوجل، والنفوس الأبية قد أذعنت لمبايعتك من غير مهل، والفتنة وقد رد الله بالغيظ مثيرها، والألفة وقد برقت من سرائر أهل التوحيد أساريرها، والعساكر المنصورة قد أحاطت به كما أحاطت بالبدور الهالة، وقد أنزل الله عليك ناموس المهابة والجلالة، وفوض إليك ما والاه [٣] الله من أمور الإسلام والمسلمين، وأسند إليك ما فى يده من مصالح عباده المؤمنين لتقيم على أساس أحكامك دعائم الدين القويم، وتسير الخلائق على منهاج طريقك المستقيم، وتحسن إن شاء الله برعايتك عاقبة الرعية كما أصبحت قلوبهم بك راضية مرضية. وعهد إليك أمير المؤمنين فى كل ما وراء سرير خلافته وفى كل ما يرتبط بأحكام إمامته، وقلدك ذلك شرقاً وغرباً، بعداً وقرباً، وبراً وبحراً، سهلاً ووعراً، وفى كل ماله من الملك والممالك، وما يفتحه على يديك وفى أيامك بعد ذلك تفويضاً شاملاً [وتقليداً] [٤] كاملاً، وعهداً تاماً، وإسناداً عاماً، ولاية مكملة البنيان مؤسسه على تقوى من الله ورضوان وسلطنة آخذة بالذمم مشتملة على جميع الأمم، يدخل فى هذا العهد العام والتفويض التام، و[والرأى] [٥] الذى شهد له إجماع الأمة بالأحكام [يدخل فى ذلك] [٦] مفضول الناس وفاضلهم، وعالمهم وجاهلهم، وخاصهم وعامهم، وناقصهم وتامهم، وشريفهم [١٩٨ ب] ومشروفهم، وقويهم وضعيفهم، وأمرهم ومأمورهم، وقاهرهم ومقهورهم، والجمعُ والجماعات، وأهل [٧] العبادة والطاعات، والقضاة وحكامها [٨] والخطباء ومنابرها وأعلامها، والجيوش والعساكر والكتائب،

(١) لحسن: صبح، نفسه.

(٢) خضعت:صبح، نفسه.

(٣) الصواب: ولاه، صبح، نفسه.

(٤) بياض فى الأصل، وما بين الحاصرتين من صبح، ج١٠، ص١٢٥.

(٥) ما بين الحاصرتين من، صبح، نفسه.

(٦) أعتبر محققو صبح الأعشى أن هذه العبارة زيادة من قلم الناسخ، ج١٠، ص١٢٥ هـ١.

(٧) بيوت: صبح، نفسه.

(٨) أحكامها: صبح، نفسه.

ورب سيف، وكاتب إنشاء، وقلم حاسب، وطوائف الرعايا على اختلاف أطوارهم وتفاوت أرزاقهم وأقدارهم، والعربان والعشائر، وبيوت الأموال والذخائر، ودانى الأمم وقاصيها، وطائعها وعاصيها، والخراج وجباياته، والمصروف وجهاته، والصدقات ومستحقوها، والرزق ومرزوقها [١]، والإقطاعات والأجناد وما يستعد [به] [٢] لمواطن الجهاد، والمنع والعطاء، والقبض والإفضاء، والخُمس والزكوات، والهدن والمعاهدات، والبيع والقمامات، وما يظهر من أمور الملك وما يخفى وما تستدعيه براعتك فى السر وأخفى [٣]، وشعار السلطنة وأهبتها، ونواميس الملك وحرمتها.

فأجبت رعاك الله دعوة أمير المؤمنين ودعوهم لقبول ذلك مسئولاً معتمداً، على أن الله سيترل إليك من يسددك من الملائكة فعلاً وقولاً، فاجلس أيدك الله على تخت ملك قد هيأه الله لمواقفك المطهرة، وسرير سلطنة خلقت [٤] سرير سعدك الأمجد فتقاعست الهمم عنه مقصرة. فالحمد لله ثم الحمد لله على الدهر [وإنبائه] [٥] ولا مثل هذه النعمة بهذا الخبر وإنبائه، ذلك من فضل الله علينا وعلى الناس، وهذا ما كان من نصرة [٦] الدين على رغم الوسواس الخناس، وهذا ما كانت الآمال تنتظر وروده، وجوارى النجوم [٧] ترتقب سعوده.

وليس[٨] ما زادوك ملكاً إنمازادوا أكف الطالبين نوالا

وأما الوصايا فأنت بحمد الله تعالى طالما ملأت بها الأسماع، وكشفت عاطفتك لمن أردت ترتيبه عنها القناع، ولكن عهد من تعبداتك السماع لشدوها، والطرب لحدوها، فعليك بتقوى الله فيها تورق أغصان الأرب الذوابل، ويغرد طائر عزك الميمون بالأسحار والأصائل، فاجعلها

(١) مرتزقوها: صبح، نفسه.

(٢) ناقصة أيضاً فى صبح وأضافها محققوه لاستقامة المعنى، صبح، نفسه.

(٣) الخفا: صبح، نفسه.

(٤) غُلقت: صبح، ج١٠، ص١٢٥.

(٥) بياض فى الأصل، وما بين الحاصرتين من، صبح، نفسه.

(٦) قضية: صبح، نفسه.

(٧) القدم: صبح، ج١٠، ص١٢٦.

(٨) والله: صبح، نفسه.

رتبة [١] صدرك [١٩٩ أ] وأينع بها حدائق فكرك، وريح [٢] بعرقها الأريج أرجاء ملكك، وأجر الشرع الشريف على ما عودته من نصرك، والعلماء على ما ألفوه من برك وخيرك فهم ورثة الأنبياء عليهم السلام والدالون على الشريعة بأسنة الأقلام [٣] ما يكل عنه حد الحسام، وطهر منصب الشرع المطهر [٤] من الرذائل، وصن أيام ملكك الشريف عن الجهال والآكلين أموال الناس بالباطل، والعدل ونستغفر الله فإنك مثمر لغراسه، رافع ما انهدم من أساسه، قد جعلته مجلس محاكمتك وأنيس خلواتك، والفضل وبرك أخجل الأقلام، فلو مر بك راجيك على الصفا لارتاح للمعروف، ولو [٥] شاهد هباتك حاتم [الطائى][٦] لرجع طرفه عنها وهو مطروف، ولا سرف فى الخير ولا ضرر [٧] وأمر بالمعروف، وانْهَ عن المنكر، فأنت المسئول بين يدى الله [عز وجل] [٨] عن ذلك، وانْهَ نفسك عن الهوى، بحيث لا يراك الله هنالك، وحدود الله فلا تتعداها، والرعايا فلاحظها [٩] بعين رعايتك وارعاها، وجند الجنود براً وبحراً، وأنل [أعداء الله][١٠] وأعداءك قهراً وقسراً، وراجع النظر فى أمور [١١] نواب السلطنة [الشريفة] [١٢] مراجع[١٣] الناقد البصير، [فأنت الحامل لأزرهم، والله بما تعملون خبير][١٤]، وتيقظ لصيانة قلاع الممالك ومعاقلها وحصونها، وتخير لها من ليس بمشكوك المناصحة ولا

---

(١) ربيع: صبح، نفسه.

(٢) هنا كما فى أصول صبح الأعشى، وقد عدلها محققوه إلى " روح "، ج١٠، ص١٢٦ هـ١.

(٣) أقلامهم: صبح، نفسه.

(٤) الشريف: صبح، نفسه.

(٥) أو: صبح، نفسه.

(٦) ساقطة من صبح، نفسه.

(٧) ضير: صبح، نفسه.

(٨) ساقطة من صبح، نفسه.

(٩) فُحطها: نفسه.

(١٠) ساقطة من صبح، نفسه.

(١١) أمر: صبح، نفسه.

(١٢) ما بين الحاصرتين من، صبح، نفسه.

(١٣) مراجعة: صبح، نفسه.

(١٤) ساقطة من صبح، نفسه.

مظنونها، وحُطها مع عمارتها بالعدة والعدد " والآلات " [١] والأقوات لكى تطمئن النفوس بمددها أنها [٢] إذا طالت المُدَد، وتفقد أحوال من فيها من المستخدمين [٣]، وراع حقوق من له [خدمة بها من] [٤] المتقدمين [٥]، واجعل الثغور باسمة بحفظها، ولاحظ الأمور بحسن تدبيرك المألوف فى سياستها، واستوص خيراً بأمرائك الخالصين من الشكوك، السالكين فى طاعتك أحسن السلوك، وضاعف لهم الحرمة، وأرع لهم الذمة، لا سيما أولى الفكر الثاقب والرأى الصائب، وشاورهم [٦] فى مهمات الأمور، واشرح بإحسانك منهم الصدور، وأرع حقوق المهاجرين والأنصار الذين [ملكت منهم] [٧] مطاياهم البطاح والقفار وهجروا محبوبهم من الوطن [١٩٩ ب] والدار، وجالدوا وجادلوا وأوذوا [٨] فى سبيلك وقاتلوا، وأنل كلا منهم ما يرجوه، واشرح صدورهم بإدراج ما أملوه، وجيوش الإسلام فاغرس [محبتهم من] [٩] قلوبهم بإحسانك، وكما تتعقبهم [١٠] حساً فتحبب إليهم بجزيل امتنانك، وجيوش البحر فكن لها محيطاً، [وبجليات] [١١] مشاقها [١٢] محيطاً، فإنها [توجه] [١٣] للأصقاع سليمانية الإسراع تقذف بالرعب فى قلوب أعداء الدين وتقطع [١٤] بقلوعها آثار الملحدين، واصل [١٥] تجهيز

---

(١) ساقطة من صبح، ج١٠، ص١٢٧.

(٢) الصواب: منها، صبح، نفسه.

(٣) المستخدمة: صبح، نفسه.

(٤) بها خدمة: صبح، نفسه.

(٥) متقدمة: صبح، نفسه.

(٦) فشاورهم: صبح، نفسه.

(٧) سلكت معك: صبح، نفسه.

(٨) وآووا: صبح، نفسه.

(٩) بحبك فى: صبح، نفسه.

(١٠) سبقتهم: صبح، نفسه.

(١١) بياض فى الأصل، وما بين الحاصرتين من صبح، نفسه.

(١٢) مشيها: صبح، نفسه.

(١٣) بياض فى الأصل، وما بين الحاصرتين من صبح، نفسه.

(١٤) وتقلع: صبح، نفسه.

(١٥) فواصل: صبح، نفسه.

السرايا لركوب سحبه [١]، والتعرض [٢] إلى أعداء الله فى عميق لججه، وأجمل النظر فى بيت الله الحرام وحرم رسوله عليه أفضل الصلاة والسلام، [لتسلك عين الأمن الأباطح] [٣]، وتقر عيون حمره بالمائح والمانح، وتتعرف بعرفانك عرفات، وترمى مخاوف الخوف [٤] من أيدى مهابتك بالجمرات، وصل جيرانها[٥] بصلاتك لتسهر أعينهم بالدعاء لك وأنت فى غفواتك، والقدس الشريف الذى هو أحد المساجد الذى[٦] تشد إليها الرحال فزد تقديسه، وأجعل ربوع عباداته بالصلوات مأنوسة، وإقامة موسم الحج فى [٧] كل سنة، فأنت بعد [حركة تيمور] [٨] فاتح سبيله، وكاسى محمله حلل توقيره وتبجيله. هذه الوصايا تذكرة للخاطر الشريف وحاشاك من النسيان.

وهذا عهد أمير المؤمنين ومبايعة أهل [٩] الحل والعقد قد تقاضيا إلى حقك على الزمان، وعندك كتاب الله وسنة رسول الله [١٠] الذى [١١] ما ضل من تمسك بهما ولامان فأتبع أحكامها[١٢] يوسع الله لك فى ملكك، واجعل [هديك] [١٣] بهما " بمقام أمرك ونهيك " [١٤]، وأد ما قلدك الله من حقوق الإمامة والأمانة إلى خلقه " إذ أنت مأموراً " [١٥] ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ

---

(١) ثبجه: صبح، نفسه.

(٢) والغوص: صبح، نفسه.

(٣) بياض فى الأصل، وما بين الحاصرتين من صبح، نفسه.

(٤) الخيف: صبح، نفسه.

(٥) جيرانهما: صبح، ج١٠، ص١٢٧.

(٦) التى: صبح، نفسه.

(٧) ساقطة من صبح، نفسه.

(٨) بياض فى الأصل، وما بين الحاصرتين من، صبح، نفسه.

(٩) أولى: صبح، ج١٠، ص١٢٨.

(١٠) رسوله صلى الله عليه وسلم: صبح، نفسه.

(١١) ساقطة من صبح، نفسه.

(١٢) أحكام الله: صبح، نفسه.

(١٣) بياض فى الأصل، وما بين الحاصرتين من صبح، نفسه.

(١٤) أمام نهيك وأمرك: صبح، نفسه.

(١٥) أداء موفوراً: صبح، نفسه.

أَن تُؤدُّواْ الأَمَانَات إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُواْ بِالْعَدْلِ إِنَّ اللّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِ إِنَّ اللّهَ كَانَ سَمِيعاً بَصِيراً ﴾[١]

وقد تقدم أن عرض ورقه كان عرض البغدادى الكامل، واستعملوه إذ ذاك بالديار المصرية، وكتب على نحو ذلك عهد من أمير المؤمنين المستعين بالله أبي الفضل العباس ابن الإمام المتوكل على الله للملك العادل [٢٠٠ أ] شمس الدنيا والدين مظفر شاه بسلطنة الهند فى شوال سنة ثلاث عشرة وثمانمائة فى قطع البغدادى الكامل، والطرة خمسة أوصال، وقاعدة هذه السلطنة " دلى "، وهذا المذهب هو المستعمل فى زماننا.

أما كتابة المستند فكما فى البيعات، ويكتب فى بيت العلامة " علامته "، وتحتها " فوضت إليه بذلك، وكتبه فلان بن فلان ".

قلت: وفى بعض الدساتير عن الحاكم بأمر الله أبي العباس أحمد بن المستكفى بالله أبي الربيع سليمان إنه كان يكتب " وكتبه [٢] أحمد بن عم سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ".

وجرت العادة أن يكتب قاضيان فأكثر من القضاة الأربعة فى حاشية العهد أو فى ذيله "أشهدنى فلاناً [٣] أمير المؤمنين العاهد المشار إليه فيه أدام الله تعالى أيامه بما نسب إليه فيه من العهد إلى مولانا السلطان الملك الفلانى المعهود إليه فيه على ما نص وشرح فيه، وكتب فلان بن فلان " أو فى معنى ذلك. والذى اختاره الشيخ شهاب الدين القلقشندي أنه يجب فى رسم شهادتهم الشهادة على السلطان بقبول العهد، بأن يقول " قبل مولانا السلطان منه ذلك على ما نص وشرح فيه " أو " على مولانا السلطان المشار إليه فيه بقبول ما فوض إليه فيه " أو نحو ذلك.

وكيفية كتابة العهد وصورة وضعه على ما تقدم فى البيعات وعهود أولياء العهد بالخلافة، وفى بعض الدساتير أن سطوره تكون مزدوجة، وبين كل سطرين بقدر بيت العلامة بقدر خمسة أصابع مطبوقة، ولعل ذلك على وجه اليقين من الكاتب لا على سبيل اللزوم.

---

(١) النساء، الآية ٥٨.

(٢) وكتب: صبح، ج١٠، ص١٥٣.

(٣) الصواب: مولانا، صبح، ج١٠، ص١٥٣.

مهمة: إنما كان مقدار البياض من سطور العهد دون بياض ما بين سطور التقاليد كالمكاتبة من المُقلِد للمُقلَد، والأعلى فى حق المكتوب إليه أن تكون الأسطر متضايقة فتناسب أن تكون سطور العهد أكثر تقارباً من سطور التقليد تعظيماً لشأن السلطان فى الحالتين، فإن قلت ينتقص ذلك بقطم قلم العهد ضرورة إنه كلما غلظ القلم كان أنزل فى رتبة المكتوب إليه، فالجواب [٢٠٠ ب] أن غلظ قطة الأقلام فى العهد تابع للورق، وقاعدة ديوان الإنشاء كلما كبر قطع الورق كان تعظيماً للمكتوب إليه، ولو كتب العهد بقلم دقيق القطة مع تضايق السطور وسعة الورق لجاء قصيراً. وجرت العادة أن يكتب العهد من أوله إلى آخره من غير نقط ولا شكل على مذهب من يرى ذلك من المرءوس إلى الرئيس لما فيه من استجهال المكتوب إليه وقلة الفهم وهو المذهب الراجح خلافاً لمن ذهب أن الكتابة للرئيس تقبل الإعجام والضبط كى [لا] [١] يعترضه الشك، ولا يكلف أعمال الفكر. وإذا انتهى إلى آخر العهد كتب المشيئة ثم التاريخ ثم المستند والحمدلة والصلاة والحسبلة.

النوع الثالث

عهود الملوك لولاة العهد بالملك

وهو أن يعهد السلطان بالملك بعده لمن يختاره، وغالباً تكون فى أولاد الملوك وهو على ضربين:

الضرب الأول: عهود الملوك بالديار المصرية لولاة العهد بالمملكة بها. اعلم أن الملك هو الزعيم الأعظم ممن لم يطلق عليه اسم الخلافة، وقد نطق القرآن الكريم بذلك فى غير موضع كما فى قوله تعالى ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ قَدۡ بَعَثَ لَكُمۡ طَالُوتَ مَلِكاً ﴾ [٢]، وقوله ﴿ وَقَالَ ٱلۡمَلِكُ ٱئۡتُونِى بِهِۦ ﴾ [٣] إلى غير ذلك. ويقال فيه مَلِك، ومَلْك، ومَليك. قال الجوهرى: والملك مقصور من مالك أو مليك، وتجمع على ملوك وأملاك، والنسبة إليه مَلكى، ويقال لموضعه المملكة.

---

(١) ما بين الحاصرتين من، صبح، ج١٠، ص١٥٥.

(٢) البقرة، الآية ٢٤٧.

(٣) يوسف، الآية ٥٠.

وأول من لقب بذلك فى الإسلام ببلاد المغرب أبو محمد عبد الله المهدى، وبالديار المصرية المعز لدين الله معد، وهو أول من ملك من دولة العبيديين والفاطميين على ما تقدم. ثم صار ذلك اللقب فيهم وإن نسبوا أنفسهم إلى الخلافة على ما قيل، وربما لقبوا به وزراءهم كالملك الأفضل رضوان وزير الحافظ، وهو أول من لقب بالملك من الوزراء على ما تقدم وإلى حين انقراض دولة الفاطميين، ثم صار فى الدولة الأيوبية ولزم ذلك فى ألقاب الملوك إلى زماننا. وكانت السلاطين فى الدولة الأيوبية والتركية يتخذون من أولادهم ملوكاً معهم بالديار المصرية وغيرها من غير سلطنة متصرفون مع وجود آبائهم فى جميع المملكة.

ومحل العهد هو أن يعهد السلطان بالملك بعده لمن يختاره، وقاعدة ذلك أنه [٢٠١ أ] لما صحت إمارة الاستيلاء لإخماد الفتن وتنفيذ الأحكام الشرعية على ما تقدم، اقتضت المصلحة تصحيح العهد بالملك كذلك، وقد جرت عهود من الملوك بمصر لأبنائهم بالملك بمصر وغيرها بحضرة الجم الغفير فأمضوه ولا نكر، وذلك دليل الجواز، فإن قيل قد تقدم من كلام الماوردى أن وزير التفويض لا يجوز له أن يعهد بالوزارة لغيره ووزارة التفويض فى معنى السلطنة الآن أو قريباً منها. فالجواب أنه تقدم أن السلطنة الآن مركبة من وزارة التفويض وإمارة الاستيلاء، بل السلطان الآن مستبد بالأمر والشوكة " فيصح لأجل "[1] الولاية.

ويكتب فى الطرة على نحو ما يكتب فى عهود الملوك عن الخلفاء، إلا إنه يزاد فيها " عهد إليه بالملك بعده "كما يقال فى عهود الخلفاء عن الخلفاء " عهد بالأمر بعده "وألقابه. قال فى التعريف: وهى المقام الشريف أو الكريم أو العالى مجرداً عن الشريف والكريم، ويقتصر فيها على الألقاب المفردة. وعلى هذه الطريقة كتب القاضى محيى الدين بن عبد الظاهر ألقاب الملك الصالح على بن المنصور قلاوون فقال:" ولما كان المقام العالى، الولدى، السلطانى، الملكى، الصالحى، العمادى ". وعلى نحو ذلك كتب المشار إليه ألقاب الملك السعيد بركة بن الظاهر بيبرس، إلا أنه خالف فيما كتب به من ألقاب الملك الأشرف خليل بن المنصور قلاوون، فجمع بين الألقاب المفردة والمركبة فقال: " هذا عهدنا إلى السيد الأجل، الملك، الأشرف، صلاح الدنيا والدين، فخر الملوك والسلاطين، خليل أمير المؤمنين ". ولم يتعرض فى التعريف لحكاية هذا المذهب. ويكتب فى المستند حسب المرسوم الشريف لصدوره عن السلطان.

---

(١) مصححة لأصل: صبح، ج١٠، ص١٥٨.

وما يكتب فى متن العهد ففيه طريقتان:

الأولى: أن يفتتح العهد بعد البسملة بلفظ " هذا " ونحوه على ما تقدم، وعلى نحو من ذلك كتب أبو بكر بن القصيرة المغربي عن أمير المؤمنين [١] يوسف بن تاشفين سلطان المغرب بولاية عهد لابنه أبي الحسن على مما [٢] بيده من المغرب والأندلس أفتتحه بـ: " كتاب تولية عظيم جسيم [٣]، وتوصية جسيم كريم، مهدت على الرضى قواعده، وأكدت [٢٠١ ب] بيدى [٤] النفوس [٥] معاقده، وأبعدت عن الغواية والهوى مصادره وموارده، أنفذه فلان لفلان"إلى آخره.

الثانية: أن يفتتح العهد بعد البسملة بخطبة مفتتحة بـ " الحمد لله "، وهى طريقة المصريين، وعليها اقتصر فى التعريف، وعليها كتب القاضى محيى الدين بن عبد الظاهر عن المنصور قلاوون عهد ولده الأشرف صلاح الدين خليل، وكتب عنه أيضاً عهد ولده الصالح على، وكذلك كتب عن الظاهر بيبرس عهد ولده السعيد بركة، وهذه نسخة الطرة:

" هذا عهد شريف جليل قدره، رفيع ذكره، على فخره، متبلج صبحه، ضوى فخره، من السلطان الأجل الملك الفلانى فلان الدنيا والدين فلان خلد الله تعالى سلطانه، ونصر جيوشه وأعوانه بالسلطنة الشريفة، لولده المقام العالى، السلطانى، الملكى، الفلانى، بلغه الله تعالى فيه غاية الآمال، وحقق فيه للرعية ما يرجونه من مزيد الأفضال، على ما شرح فيه ".

والمتن " الحمد لله منمى الغروس، ومبهج النفوس، ومزين سماء [المملكة] [٦] بأحسن الأهلة، وأضواء البدور، وأشرق الشموس الذى شد أزر الإسلام بملوك يتعاقبون مصالح الأنام، ويتناوبون تدبيرهم كتناوب العينين واليدين فى مهمات الأجساد، وملمات الأجسام.

---

(١) الصواب: المسلمين، والمعروف أن يوسف بن تاشفين لم يدَّعِ الخلافة وإنما طلب العهد من الخلافة العباسية. انظر: مجهول: الحلل الموشية، ص١٦؛ أحمد مختار العبادى: دراسات فى تاريخ المغرب والأندلس، ص١٠٠.

(٢) الصواب: ما، صبح، ج١٠، ص١٦٠.

(٣) حميم: صبح، ج١٠، ص١٦١.

(٤) بيد: صبح، نفسه.

(٥) التقوى: صبح، نفسه.

(٦) بياض فى الأصل، وما بين الحاصرتين من، صبح، ج١٠، ص١٦٣.

نحمده على نعمه الذى (١) أيقظت جفن الشكر المتغافى، وأوردت نهيم (٢) الفضل الصافى وخولته (٣) الآلاء حتى تمسكت الآمال فيها بالوعد الوفى وأخذت بالوزن الوافى، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة عبد كثر الله عَدَده وعُدده، وأحمد أمسه ويومه، ويحمد إن شاء الله غده، ونصلى على سيدنا محمد الذى أطلع الله تعالى به نجم الهدى، وألبس المشركين به أردية الردى، وأوضح به مناهج الدين وكانت طرائق قددا صلى الله عليه وعلى آله وصحبه صلاة [دائمة](٤) لا تنقضى أبدا، وبعد.

فأنا[بما] (٥) ألهمنا الله من مصالح الأمم وخولنا من الحرص على مهمات العباد الذى قطع به شافة الكفر وختم، وأتى به والشرك قد علم كل أحد اشتعاله (٦) ناره فكان علماً بنار مضرمة [لا] (٧) ناراً على علم، وقَدَرهُ من رفع الكفر من جميع [٢٠٢ أ] الجوانب،وقمعهم (٨) من كل جهة حتى رماهم بالحتف الواصل، والعذاب الواصب، فأصبح الشرك من الإبادة فى شرك، والإسلام لا يخشى من فتك، ولا يخاف من درك، وثغور الإسلام عالية المبتنى، جانية ثمار الادخار من هنا ومن هنا، تزتحم بروجها فى السماء البروج، وتشاهد الأعداء منها سماء قد بنيت وزينت ومالها من فروج، وعساكر الملة المحمدية فى كل طرف من أطراف الممالك تجول، وفى كل واد تهيم حتى تشعر بالنصر، ولكنها تفعل ما تقول [قد دوخت البلاد فقتلت الأعداء تارة بالإلمام، وتارة بالإدهام، وسلت سيوفها فراعتهم يقظة بالقراع ونوماً بالأحلام] (٩)، ترى أنا قد لذ لنا هذا [الأمر] (١٠) التذاذ المستطيب، وحسن لدينا موقعه،

---

(١) الصواب: التى، صبح، نفسه.

(٢) نهل: صبح، نفسه.

(٣) وخولت: صبح، نفسه.

(٤) ما بين الحاصرتين من، صبح، ج١٠، ص١٦٣.

(٥) ساقطة أيضاً من صبح ووضعها محققوه لاستقامة المعنى، ج١٠، ص١٦٣.

(٦) اشتعال: صبح، نفسه.

(٧) بياض فى الأصل، وما بين الحاصرتين من، صبح، نفسه.

(٨) وقفوهم: صبح، نفسه.

(٩) ما بين الحاصرتين من، صبح، ج١٠، ص١٦٣ــ١٦٤.

(١٠) ما بين الحاصرتين من، صبح، نفسه.

فعكفنا عليه عكوف المستجيد، ولبيناه تلبية المستجيب، وجمعنا[١] فيه جميع الأوقات[٢] والحواس، وتقسمت مباشرته بمؤامرته[٣] سائر الزمن حتى غدا أكثر ترددا إلى النفس من الأنفاس، واستنفذنا الساعات من[٤] امتضاء [المضمر][٥] الشموس، وادراع لحكم الدلاص[٦] التى كأنها وميض بروق[٧] أو شعاع شموس، وتجريد المرهفات التى جفت لحاظها الأجفان وجرت كالمياه، واضطرمت كالنيران[٨]، وتفويق السهام التى غدت قسيها [مرابعا تباها بان][٩]، واعتقال السمرية[١٠] التى تقرع الأعداء سنها ندماً كأنما[١١] قرعت هى السن[١٢] إلى غير ذلك من كل غارة [شعواء تسىء][١٣] للكفار [الصباح][١٤] وتصدمه[١٥] كالجبال، وتسير كالريحان[١٦] ومنازلات كم استلبت من موجود، وكم استنجزت من نصير موعود، وكم مدينة أضحت بها[١٧] مدينة ولكن أخرها الله إلى أجل معدود.

---

(١) وجعلنا: صبح، نفسه.

(٢) الآلات: صبح، نفسه.

(٣) ومؤامرته: صبح، نفسه.

(٤) الصواب: فى، صبح، نفسه.

(٥) بياض فى الأصل، وما بين الحاصرتين من، صبح، نفسه.

(٦) الدلاص: هو الشيء البراق الأملس. ابن منظور: لسان، ج٧، ص٣٧.

(٧) برق: صبح، نفسه.

(٨) فكالنيران: صبح، نفسه.

(٩) بياض فى الأصل، وما بين الحاصرتين من، صبح، نفسه، وقد وضع محققو الصبح علامة استفهام وراء هذه الكلمات لاستبهام معناها.

(١٠) الصواب:السمهرية، صبح، نفسه. والسمهرية هى الرماح الصلبة القوية. ابن منظور: السابق، ج٤، ص٣٨١.

(١١) كلما: صبح، نفسه.

(١٢) السنان: صبح، نفسه.

(١٣) بياض فى الأصل، وما بين الحاصرتين من، صبح، نفسه.

(١٤) ما بين الحاصرتين من، صبح، نفسه.

(١٥) تصدم: صبح، نفسه.

(١٦) الصواب: كالرياح، صبح، نفسه.

(١٧) لها: صبح، نفسه.

وكانت شجرتنا المباركة قد امتد منها فرع تفرسنا فيه الزيادة والنمو، ووسمنا [١] فيه حسن الجنى المرجو، ورأينا أنه الهلال الذى أخذ فى ترقى منازل السعود إلى الابدار، وأنه سرنا الذى صادف مكان الاختبار له مكان الاختيار. أردنا [٢] أن ننصبه فى منصب أجلنا الله فسيح غرفه وشرفته [٣] بما خولنا الله من شرفه، وأن تكون يدنا ويده تقتطفان [٤] من ثمره، وجيدنا وجيده يتحليان بجوهره، وأن[٥]، تكون السلطنة [٦] الشريفة السمع والبصر، والمملكة [٧] المعظمة فى التناوب بالإضاءة الشمس والقمر، وأن تصول الأمة منا ومنه بحدين [٢٠٢ ب]، ويبطشون [٨] من أمرنا وأمره بيدين، وأن نرتبه على حسن سياسة تحمد الأمة إن شاء الله عاقبتها عند الملكين [٩]، وتكون الأخلاق الملوكية منتشئة منه [ومنتشئة] [١٠] به من الصغر، ونجعل سعى الأمة حميداً وينالهم [١١] منه سلطاناً نصيراً وملكاً سعيداً، ونقوى به عضد الدين، ونريش جناح المملكة وتنجح مطلب الأمة بإيالته، وكيف لا ينجح مطلب منه بركة.

وخرج أمرنا لا برح مسعداً ومسعفاً، ولا عدمت الأمة منه خلفاً منيلا ونوالاً[١٢] محلفاً بأن يكتب هذا التقليد لولدنا السعيد ناصر الدين بركة خاقان محمد جعل الله مطلع سعده بالإشراق محفوفاً، وأرى الأمة من ميامنه ما يطلع [١٣] للدهر صرفاً، ويحسن بالتدبير تصريفاً

---

(١) توسمنا: صبح، ج١٠، ص١٦٤.

(٢) فأردنا: صبح، نفسه.

(٣) الصواب: نشرفه، صبح، نفسه.

(٤) تلتقطان: صبح، نفسه.

(٥) إنا: صبح، نفسه.

(٦) الصواب: للسلطنة، صبح، نفسه.

(٧) الصواب: للمملكة، صبح، نفسه.

(٨) ويبطشوا: صبح، نفسه.

(٩) الكبر: صبح، نفسه.

(١٠) بياض فى الأصل، وما بين الحاصرتين من صبح، ج١٠، ص١٦٥.

(١١) ونهب لهم: صبح، نفسه.

(١٢) نوءاً: صبح، نفسه.

(١٣) الصواب: يدفع، صبح، نفسه.

بولاية العهد الشريف على قرب البلاد وبعدها وعفرها [١] ونجدها، وقلاعها وثغورها، وبرورها وبحورها، وولاياتها وأقطارها، ومدنها وأمصارها، وسهلها وجبلها، ومعطلها ومغتلها، وما تحوى أقطاره الأقلام [٢]، وما ينسب للدولة القاهرة من يمن وحجاز ومصر وغرب وسواحل وشام بعد شام، وما بداخل [٣] ذلك من قفار ومن [بيد] [٤] فى سائر هذه الجهات، وما يتخللها من نيل وملح وعذب فرات، ومن يسكنها من حقير وجليل، ومن يحلها من صاحب رغاء وثغاء وصليل وصهيل، وجعلنا يده فى ذلك كله المبسوطة وطاعته المشروطة ونواهيه [٥] المضبوطة، ولا تدبير ملك كلى إلا بنا أو ولدنا[٦] يعمل، ولا سيف ولا رزق إلا بأمرها [٧] هذا يُسأل [٨] وهذا يُسأل، ولا دست سلطنته إلا بأحدنا يتوضح منه الإشراق، ولا غصن قلم فى روض أمر ونهى إلا ولدينا ولديه تمتد له الأوراق، ولا منبر خطيب إلا باسمنا يميس، ولا وجه درهم ولا دينار إلا بنا يشرق ويكاد [تبرجاً ولا هرجاً] [٩] مطلع[١٠] من خلال الكيس.

فليتقلد الولد ما قلدناه من أمور العباد، وليشركنا فيما نباشره من مصالح الثغور والقلاع والبلاد، وسنتعاهد هذا الولد من الوصايا بما سينشأ معه توءماً، ويمتزج بلحمه ودمه حتى يكاد يكون ذلك إلهاماً لا تعلماً، وفى الولد بحمد الله تعالى [١١] من نفاذ الذهن وصحة التصور ما تتشكل منه الوصايا [٢٠٣ أ] أحسن التشكيل، وتظهر صورة الإبانة فى صفائه الصقيل، فلذلك استغنينا عن شرحها هاهنا مسرودة، وفيه بحمد الله تعالى [١٢] من حسن الخليقة ما يحقق

---

(١) الصواب: غورها، صبح، نفسه.

(٢) الأحلام: صبح، نفسه.

(٣) يتداخل: صبح، نفسه.

(٤) بياض فى الأصل، وما بين الحاصرتين من، صبح، نفسه.

(٥) نواميسه: صبح، نفسه.

(٦) بولدنا: صبح، نفسه.

(٧) بأمرنا: صبح، نفسه.

(٨) يسل: صبح، نفسه.

(٩) بياض فى الأصل، وما بين الحاصرتين من صبح، نفسه.

(١٠) يتطلع: صبح، نفسه.

(١١) ساقطة من صبح، ج١٠، ص١٦٦.

(١٢) ساقطة من صبح، نفسه.

بها[١] شرف [٢] الإلهام [موجودة] [٣] والله لا يعدمنا منه إشفاقاً ومبرا [٤]، ويجعله أبداً للأمة سنداً وذخراً إن شاء الله تعالى ".

والمستند فيه كالمستند فى غيره، ويكتب السلطان فى بيت العلامة اسمه واسم أبيه إن كان، ويكتب الشهود فى ذيل العهد " شهدت على مولانا السلطان الملك الفلانى العاهد المشار إليه فيه خلد الله ملكه " أو نحوها " بما نُسب إليه فيه من العهد بالسلطنة الشريفة إلى ولده المقام الشريف العالى السلطانى الملكى الفلانى، وعلى المعهود إليه أعز الله تعالى أنصاره بقبول العهد المذكور، وكتب فلان بن فلان ".

ومقتضى إطلاقه فى التعريف أن للعهود القطع الكامل من البغدادى وهو المناسب لأن الملك أميل إليه.

الضرب الثانى: عهود الملوك بالسلطنة للملوك المنفردين بصغار البلدان، وأول حدوث ذلك إلى حين إبطاله الآن. أن صلاح الدين يوسف بن أيوب حين استولى على البلاد الشامية مع مصر بعد وفاة نور الدين محمود بن زنكى صاحب الشام، وَلّى أقاربه فى ولاية الممالك الشامية واستمرت. وكان صلاح الدين ولى حماة لابن أخيه تقى الدين عمر بن شاهنشاه بن أيوب، فبقيت مدة حتى مات سنة سبع وثمانين وخمسمائة فوليها ابنه المنصور، وتداولوها واحد بعد واحد إلى أن وليها المؤيد عماد الدين إسماعيل بن الأفضل على سنة ستة عشر وسبعمائة [فبقى بها إلى أن توفى سنة اثنتين وثلاثين وسبعمائة] [٥]، فولى الناصر ابنه الأفضل محمد، وكتب له المقر الشهابى ابن فضل الله عهداً عن الناصر محمد بن قلاوون فى سنة اثنتين وثلاثين وسبعمائة وهو آخر من ملكها من بنى أيوب.

قال المقر الشهابى فى مسالك الأبصار: وكان سلطانها يستقل بإعطاء الإمرة والإقطاعات وتولية القضاة والوزراء وكتام السر وكبار الوظائف، ويكتب المناشير والتواقيع من جهته،

---

(١) أنها: صبح، نفسه.

(٢) بشرف: صبح، نفسه.

(٣) بياض فى الأصل، وما بين الحاصرتين من، صبح، نفسه.

(٤) الصواب: برا، صبح، نفسه.

(٥) ما بين الحاصرتين من، صبح، ج١٠، ص١٨٢.

ولكن لا يقضى أمراً كبيراً مثل إعطاء إمرة أو وزارة أو وظيفة كبيرة حتى يشاور [٢٠٣ ب] صاحب مصر عليها، وهو لا يجيبه إلا أن الرأى ما يراه، ومن هذا ومثله.

على أنه لم يتعرض فى التثقيف إلى هذا القسم لخلو المملكة الآن عن مثله، وإنما أشار إليه فى التعريف حيث قال: وأما ما يكتب للملوك عن الملوك مثل ولاية العهود والمنفردين بصغار البلدان فإنه لا يفتتح عهودهم إلا بالخطب لأن حماة كانت فى زمنه بيد بنى أيوب. ولذلك قال فى مسالك الأبصار: وما فى حدود هذه المملكة ممن له اسم سلطان حاكم. ويكتب فى طرة العهد تلخيص ما يشتمل عليه العهد على نحو ما تقدم فى عهود الملوك إلى أولياء العهد بالسلطنة مع بلوغ المقاصد، ويكتب فى متن هذا العهد على نحو ما تقدم فى عهود أولى العهد أيضاً، وطريقتهم أن يفتتح بالحمدلة، والمستند " حسب المرسوم الشريف "، ويكتب السلطان اسمه فى بيت العلامة من غير زيادة، ولا يكتب فيه شهادة على السلطان لأن العهد على السلطنة العظمى شبيهة بالبيعة، فالشهادة فيها مطلوبة للخروج من الخلاف والعهد بولاية سلطنة بعض الأقاليم شبيه بالتقليد، والشهادة فى التقاليد غير مطلوبة لأن السلطنة لا تنتهى إلى ولى عهد إلا بعد موت المعاهد [1]، وربما جحد بعض الناس العهد إليه، بخلاف هذا فإن السلطان حى فلا يؤثر الجحود فيها.

ومقتضى كلام التعريف أن هذا العهد يكون فى قطع البغدادى أيضاً وهو القياس لمعنى السلطنة ولكن فى دون القطع الكامل لنقصان رتبته، ألا ترى أن صاحب مملكة إيران كان فى زمن القان أبو سعيد يُكتب له فى قطع البغدادى الكامل ومكاتبة صاحب مملكة بيت بركة يكتب له فى قطع البغدادى بنقص أربعة أصابع مطبوقة كما ذكره فى التثقيف، لانحطاط رتبته عن ذاك. وقطة القلم تكون بجليل الثلث [2]، والأسطر متباعدة فإن نقطه وشكله كان أليق لما فيه من معنى التقاليد، ولو ترك النقط والشكل لجاز لأنه عهد.

---

(١) الصواب: العاهد، صبح، ج١٠، ص١٨٨.

(٢) يذكر القلقشندي أنه بمختصر قلم الطومار، ج١٠، ص١٨٩.

[٢٠٤ أ]

الباب الثالث

فى الولايات الصادرة عن الخلفاء والسلاطين

وفيه فصلان [١]:

الفصل الأول

فيما يكتب من ذلك عن الخلفاء

وفيه أربعة أطراف [٢]:

الطرف الأول: فيما كان يكتب عن الخلفاء الراشدين من الصحابة رضى الله عنهم، وكان الرسم فيه أن يفتتح العهد بلفظ " هذا ما عهد " أو " هذا عهد من فلان لفلان "، ويؤتى على المقصد ويقال فيه " أمره كذا " أو " أمره بكذا "، والأصل فيه ما كتب به أبو بكر الصديق رضى الله عنه لأمرائه الذين وجههم لقتال أهل الردة، وعليه بنى من بعده من الخلفاء الراشدين كما كتب عمر بن الخطاب رضى الله عنه عهداً لأبي موسى الأشعرى حين ولاه القضاء على ما ذكره ابن عبد ربه فى العقد، وغير ذلك.

الثانى: فيما كان يكتب عن خلفاء بنى أمية كما كتب عبد الحميد بن يحيى الكاتب عن مروان بن محمد لبعض العمال حين ولاه فافتتحها بـ " أما بعد "، والخطاب بالكاف ثم " أفعل كذا وافعل كذا " إلى آخره والاختتام بالسلام.

الثالث: فيما كان يكتب عن خلفاء بنى العباس ببغداد إلى حين انقراض الخلافة من بغداد، وكان رسمهم فيما كان لوزراء الخلافة أن يفتتح بلفظ " أما بعد فالحمد لله " ويؤتى فيها بثلاث تحميدات، وربما اقتصر على واحدة، وعلى ذلك كانت تقاليد وزرائهم، وكان رسمهم فيما يكتب لأرباب الوظائف من ديوان الخلافة ببغداد لأرباب السيوف نمطان:

النمط الأول: العهود وهى أعلاها رتبة، وطريقتهم أن يفتتح العهد بلفظ " هذا ما عهد عبد الله ووليه فلان أبو فلان الفلانى حيث عرفنا منه كيت وكيت "، ويذكر بعض مناقبه، وربما

---

(١) ثلاثة فصول: صبح، ج١٠، ص١٩٢.

(٢) خمسة أطراف: صبح، نفسه.

تعرض لثناء سلطان دولته عليه. ثم يقال " فقلده كذا وكذا " ثم يقال " أمره بكذا وأمره بكذا"، ويؤتى بما يناسب من الوصايا ثم يقال " فيُقلد كذا وكذا "، ثم يقال " هذا عهد أمير المؤمنين إليك وحجته عليك " أو نحو ذلك. ولا يؤتى بتحميد فى أول العهد ولا فى أثنائه، وبذلك [٢٠٤ ب] كان يكتب لأرباب الوظائف السنية.

الثانى: التقاليد، وهى دون أرباب العهود رتبة، وليس لافتتاحها عندهم ضابط يوقف عنده، بل القلم فيها مطلق العنان كما افتتح [أبو إسحاق الصابئ] (١) بحماية الكوفة " وقد رأينا تقليدك أطال الله بقاءك بحماية (٢) الكوفة وأعمالها، ومما يجب (٣) معها ثقة بشهامتك وعنايتك (٤) بكذا وكذا " إلى آخره.

الرابع: ما كان يكتب فى الدولة الفاطمية، وكان بها من وظائف أرباب السيوف الوزارة والنظر فى المظالم، وزم الأقارب (٥)، ونقابة العلويين، وزم الرجال والطوائف (٦)، وولاية الشرطة، وولاية المعاون والأحداث، وولاية حفظ الثغور، والإمارة على الحج، والإمارة على الجهاد، وولاية الأعمال، وغير ذلك. ومن الوظائف الدينية قضاة القضاة، والدعوة إلى مذهبهم، والنظر فى الأوقاف والأحباس، والنظر فى المساجد، وأمر الصلاة وغير ذلك. وكان يكتب إليهم لأرباب الولايات نوعان:

---

(١) ما بين الحاصرتين من، صبح، ج١٠، ص٢٦٢.

(٢) لحماية: صبح، نفسه.

(٣) ما يجرى: صبح، نفسه.

(٤) غنائك: صبح، نفسه.

(٥) زم الأقارب: وظيفة لصاحبها رعاية شئون أقارب الخليفة، وكلمته نافذة فيهم. انظر: القلقشندي: صبح، ج٣، ص٤٨١.

(٦) كان هناك وظيفتان تعرفان باسم " زم الرجال " الأولى صاحبها المختص بطعام الخليفة كوظيفة إستادار الصحبة فى عصر المماليك، والثانية يضاف إليها كلمة " الطوائف " ولصاحبها الإشراف على طوائف الرجال والجند كوظيفة مقدم المماليك. السابق، ج٣، ص٤٨١ ـ ٤٨٢.

الأول: ما يكتب عن الخليفة نفسه، ويتعرضون فى ذلك لإشارة الوزير بتولية المتولى وثنائه عليه، وربما أهملوا ذلك وكانوا يسمون جميع ما يكتب من ديوان الإنشاء " سجلات "، وربما سموه " عهود "، وكان لهم فى افتتاحه خمسة مذاهب [١]، وقد تركناها لإبطال طرائقها [٢].

النوع الثانى: ما كان يكتب عن الوزراء، وكان الوزير إذ ذاك كالسلطان الآن، وكان الشأن فيه أن يفتتح " بأن أولى " و" أحق أو أجدر "، أو " من حسنت طريقته "، أو " من كان متصفاً بكذا " أو " ولما كان فلان " أو " لما كنت "، على نحو ما تقدم [٣]، ثم يكتب عن الوزير تارة بأمر الخليفة، وتارة يصدر عن الوزير استقلالاً، فكان ينبه الكاتب على ذلك فى كتابته وهى لصاحب سيف أو قلم.

الفصل الثانى

فيما يكتب من الولايات عن الملوك

وفيه طريقتان [٤]:

الأولى: فى مصطلح كُتّاب ملوك الديار المصرية.

ولذلك أربع حالات:

الأولى: ما كان عليه أمر نواب الخلفاء إلى ابتداء الدولة الطولونية، ولم يكن لديوان الإنشاء إذ ذاك صرف عناية تقاصرا عن التشبيه بديوان الخلافة، إذ كانت الخلافة حينئذ [٥] فى غاية العز والرفعة، ونيابة مصر وغرها [٢٠٥ أ] مضمحلة فى جانبها، وكانت الولايات الصادرة عن نائب مصر متصاغرة بالنسبة لما يصدر من أبواب الخلافة، فلذلك لم يقع مما كتب منها.

---

(١) أربعة مذاهب: صبح، ج١٠ص٣٠٨.

(٢) هذه المذاهب عند القلقشندي تقع فى، ج١٠ص٣٠٨_٤٤٥.

(٣) لم يأت السحماوي هنا بشيء مما تقدم، ولكنه نقل عن القلقشندي بدون أن يحتاط فى نقله، وهذا الذى يقصده " بما تقدم " هو المذهب الرابع فى صبح الأعشى، ج١٠، ص٤٣٩ـ٤٤٥.

(٤) عند القلقشندي ثلاثة أطراف، ولقد ترك صاحب الثغر الطرف الأول الخاص بمصطلح كُتّاب الشرق، والطرف الثانى فى مصطلح كُتّاب المغرب والأندلس. انظر صبح، ج١١، ص٥ وما بعدها.

(٥) يومئذ: صبح، ج١١، ص٥.

الثانية: ما كان عليه [أمر] [1] الدولة الطولونية إلى حين انقراض الدولة الأخشيدية. وذلك أن أحمد بن طولون أول من أخذ فى ترتيب الملك وأقام شعار السلطنة بالديار المصرية، ولما شمخ سلطانه بها أخذ فى ترتيب ديوان الإنشاء لما يحتاج إليه فى الولايات والمكاتبات، فاستخدم الكُتّاب عنده وأقام منار الإنشاء ورفع مقداره. وكان يفتتح ما يكتب عنه فى الولايات بلفظ " إن أولى كذا " أو " إن أحق كذا " وما أشبه ذلك.

الثالثة: ما كان الأمر عليه زمن بنى أيوب، وكانوا يسمون ما يكتب عن ملوكهم لأرباب السيوف تقاليد وتواقيع ومراسيم، وربما عبروا عن بعضها بالمناشير، وكانت فى الافتتاح على أربع مراتب:

الأولى: أن يفتتح الولاية بخطبة مبتدأة بـ " الحمد لله "، ثم يؤتى بالبعدية ويذكر ما سنح من حال الولاية والمولى، ويوصى بما يليق به، ثم يقال " وسبيل كل واقف عليه من النواب العمل به "، أو نحو ذلك.

الثانية: أن يؤتى بلفظ " أما بعد حمد الله " أو " أما بعد فإن كذا وكذا "، ويؤتى بما يناسب من ذكر الولاية والمولى، ثم يذكر ما سنح من القضايا، ثم يقال " وسبيل كل واقف عليه" ويختم.

الثالثة: أن يفتتح " برسم "، ثم يذكر من المولى والولاية على نحو ما تقدم.

الرابعة: أن يفتتح بلفظ " أولى أو أحق " أو "إن أولى أو إن أحق " أو " لما كانت " أو " من كان صفته كذا " أو " من أحق من كان كذا أو يكون كذا "، ونحو ذلك.

الرابعة: ما كان يكتب عن ملوك الديار المصرية من الولايات والتقاليد والتفاويض والتواقيع والمراسيم مما عليه مصطلح كتاب الزمان بديوان الإنشاء، وفيه ثلاث مقاصد:

المقصد الأول: فى مقدمات هذه الولايات وفيه مهيعان:

المهيع الأول: فيما يجب على الكاتب مراعاته فى كتابة هذه الولايات [2].

(١) ما بين الحاصرتين من، صبح ج١١، ص٢٩.

(٢) المهيع الأول عند القلقشندي " فى بيان رجوع هذه الولايات إلى الطريق الشرعى "، ج١١، ص٧٢ـ٧٣، وهذا هو المهيع المذكور فى الثغر هو المهيع الثانى لدى القلقشندي، ص٧٤.

اعلم أنه ينبغى للكاتب مراعاة أمور منها [٢٠٥ ب] براعة الاستهلال بذكر اسم المولى أو لقبه أو نعته أو الوظيفة أو حال الولاية مع استصحاب براعة الاستهلال إلى آخر الخطبة ونحوها من الافتتاحات كما أشار إليه فى حسن التوسل. ومنها معرفة قطع الورق، وأوصال الطرة، ووسع ما بين السطور، وترجمة ما يكتبه الملك، وقطة القلم المناسبة لذلك القطع. ومنها معرفة اللقب المطابق لرتبة كل ولاية وصاحبها من الألقاب الأصول وهى " المقر والجناب والمجلس ومجلس كذا " وما يناسب كل لقب من الألقاب المرتبة عليه من الفروع. ومنها معرفة الدعاء اللائق بصاحب تلك الولاية، فإن لكل طائفة دعاء، ولكل رتبة دعاء مختص بصاحب تلك الولاية.

ومنها مراعاة الوصف اللائق بصاحب الولاية بما يناسبه من الأوصاف التى يقنع بها تقريظه ومدحه، مثل أن يصف نائب سلطنة بالبراعة وقوة العزم والشهامة، ونصرة الدين وإرهاب العدو، وقمع المفسدين والرفق بالرعية، والوقوف مع أحكام الشريعة والمناصحة والإطناب فى ذلك.

ويصف الوزير بحسن التدبير وجزالة الرأى والاحتياط فى الأمور، والقيام بمصالح الإسلام وعمارة البلاد، وتسهيل ما يجرى من الأرزاق على يديه، وبذل الجهد فى معاضدة الشريعة وسداد الأمور، ويطنب فى ذلك.

ويصف كاتم السر بالفصاحة والبلاغة، وقيام أقلامه فى التأثير فى العدو مقام السيوف والرماح ومقام الجيوش فى تفريق الكتائب والعساكر، وسداد الرأى وكتم الأسرار وحماية الممالك بنتائج أفكاره، وحسن السفارة بين سلطانه والرعية وما فيه بدع المقاصد ونحو ذلك.

ويصف قاضى الشريعة بغزارة العلم وسعة الفضل ونصرة السنة وقمع المبتدعة، والبعد عن الأهواء فى الأحكام، والأخذ للضعيف من القوى، والعفة وقوة الدين، ونحو ذلك.

ويصف ناظر الجيش بالمعرفة بأمور الحساب والجيوش وترتيبها وأصناف الأمراء والجند والمستحقين وترتيب مقاماهم، ونحو ذلك.

ويصف ناظر الخاص بالمعرفة بأمور الحسابات وأنواع المبيعات، والقيام فى المهمات [٢٠٦ أ] بعلو الهمة وقوة العزم وسداد الأمور من غير ظلم ولا حيف، ونحو ذلك.

نائب قلعة بالحذق واليقظة وقوة الحزم وشدة التحرز والمعرفة بأحوال الحصار وصروف القتال ونحو ذلك.

ويصف ناظرى المفرد والدولة بقوة الأمانة وضبط الأموال وتمييزها، ومعرفة الحساب وعمارة الجهات والبلاد والتنبيه على المصالح واستخراج الأموال قبل الفوات، ونحو ذلك.

ويصف مستوفى الصحبة بفنون الكتابة ونظم الحسابات والضبط والاحتراز والأمانة والعفة، ونحو ذلك.

ويصف المحتسب بالأمانة وعلو الهمة، وقوة العزم والنهوض بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، وإنه لا يفرق فى الحق بين الجليل والحقير، ونحو ذلك.

ويصف وكيل بيت المال بالعلم والديانة والوقوف مع الحق والتثبت فيه، ومراعاة المصلحة القائمة العامة فى كل ما يتعلق به والمعرفة بشروط الأعذار ومواقع إيذاء الدافع، ونحو ذلك.

ويصف مدرس بسعة العلم والتضلع به بكل فن والأخذ من كل منها بحظ وافر، وطول الباع فى البحث والمناظرة بالحق، وتربية الطلبة وتقديم البارع منهم، ونحو ذلك.

ويصف خطيب بالفصاحة والبلاغة وقوة اللسان والديانة لتأثير وعظه فى القلوب، ونحو ذلك.

ويصف شيخ خانقاه بالورع والزهد والتنسك وقطع العلائق وتربية المريدين وتسليكهم والوقوف مع طريق السلف الصالح، ونحو ذلك.

ويصف رئيس الأطباء بالحذق والمهارة فى الطب، وتقدمته على غيره ومعرفة العقاقير والأعشاب والأدوية المركبة والمفردة، وتشخيص الأمراض والعلل وطرق العلاج، ونحو ذلك.

ويصف رئيس الكحالين بالمعرفة بأمراض العين، وإنه مقدم على غيره من أبناء جنسه، وخبرته بأصناف الأكحال والأسياف وتركيبها، ونحو ذلك.

ويصف البطريرك ورئيس اليهود بالمعرفة بأمور ملته والوقوف مع قوانين شرعته، ومعاطاة العدل فى جماعته، وإلتزام شروط الذمة، والوقوف عند حشدها والدخول تحت الطاعة، والوقوف عند ما جد له. وعلى مثل ذلك [٢٠٦ ب] يجرى فى أرباب الولايات كلها ممن يكتب له من ديوان الإنشاء، ولا تنحصر ولاياتهم.

أما الوصايا فهى لا تنحصر، ولكن يجب على الكاتب [معرفة] وصية رب كل ولاية بما يناسبها، وكلما حسنت وصية المولى حسن وصفه. والوصايا مختلفة باختلاف موضوعها لأن الجميع مشترك بتقوى الله، وقد أورد فى التعريف كثير منها.

مهمة: الوصية هو الباب الذى يحتاج فيه الكاتب إلى سعة الباع، فإنه ما لم يكن الكاتب عارفاً بما يلزم رب كل ولاية ليوفيها فى الولاية حقها وإلا ضل عن سواء السبيل، فإنه يقال للكاتب " المعلم الأكبر " لأنه بصدد أن يعلم كل أحد من أرباب الولايات ما يلزمه فى الولاية التى هو بصددها.

المهيع الثانى: فى بيان مقاصد ما يكتب فى الولايات، وفيه أربعة أنواع:

النوع الأول: التقاليد، وهى تشتمل على طرة ومتن، أما الطرة فقال فى التعريف: وعنوانها تقليد شريف لفلان بكذا. وقال فى التثقيف: وصورته أن يكتب تقليد شريف بأن يفوض إلى المقر الكريم أو إلى الجناب الكريم ـــ أو الجناب العالى، الأميرى، الكبيرى، الكفيلى[1] الفلانى أو الكافلى الفلانى، ويدعى له بما يليق برتبته ـــ كفالة [2] السلطنة الشريفة بالشام المحروس أو نيابة السلطنة الشريفة بحلب المحروسة. وعلى مثل ذلك من نيابة الممالك الشامية على أجمل العوائد فى ذلك وأعمها، وأكمل القواعد وأتمها، ثم يخلى بياضاً ويكتب على ما شرح فيه، وعلى منوال ذلك نيابة ثغر الإسكندرية وغزة وسيس والكرك والوجهين القبلى والبحرى، ولا يكتب فيها الكافلى ويقتصر على المقدمى، فإن كانت غزة وسيس تقدمة عسكر أبدل نيابة السلطنة الشريفة بتقدمة العسكر المنصور. ولو عكس فى الفقرة بأن يقول على أكمل القواعد وأعمها، وأجمل العوائد وأتمها لصاغ ذلك.

مهمة: قد تقدم فى الباب الثالث من القسم الخامس [3] ما يكتبه كاتم السر أو نائبه من كتابة أوراق الرقاع بكل وظيفة من وظائف أرباب التقاليد والتفاويض والمراسيم الكبار والتواقيع، وفيها غنية عن الإتيان هنا بما يكتب فى طرة كل وظيفة تخرج [٢٠٧ أ] من ديوان

---

(١) الكافلى: صبح، ج١١، ص١٠٢.

(٢) نيابة: صبح، نفسه.

(٣) الصواب: الرابع.

الإنشاء، فإذا ترك الكاتب من أوراق الرقاع رسم أن يكتب " واعتمد بقيتها "، وترك المشيئة والتاريخ وكتب عوضه " على ما شرح فيه " كان ذلك طرة لما يقصده من الولايات.

وأما متن التقاليد: قال فى التعريف: إن التقاليد كلها لا تفتح إلا بـ " الحمد لله " ليس إلا، ثم يقال بعدها " أما بعد "، ثم يذكر ما سنح من حال الولاية وحال المولّى، وحسن الفكر فى من يصلح، وإنه لم ير أحق من ذلك المولى ويسمى، ثم يقال ما يفهم أنه المقدم الوصف أو المتقدم إليه بالإشارة. ثم يقال " فلذلك "، ويجتهد أن يكون آخر السطر الذى بعده " رُسم بالأمر الشريف العالى المولوى السلطانى الملكى الفلانى الفلانى " ويدعو لا زال أو لازالت، ومتى أبلغ أن يقلد كذا أو أن يفوض إليه كذا، أو الأول أجل، ثم يوصى بما يناسب الولاية تارة جملة، وتارة تفصيلاً، وينبه فيه على تقوى الله تعالى ويختم بالدعاء للمولى، ثم يقول " وسبيل كل واقف عليه العمل به بعد الخط الشريف أعلاه ".

ولفضلاء الكتاب فى ذلك تفنن وأساليب، وما ذكره صاحب التثقيف أنه يكتب بعد الصدر ـــ يعنى الطرة ـــ خطبة مناسبة أولها " الحمد لله " ثم " أما بعد "، ويذكر ما بدا ذكره من حال الولاية والمولى ويذكر اسمه. وهو أن يقال " ولما كان المقر أو الجناب " ويأتى بألقابه ونعوته إلى آخرها، ويدعى له برتبته ولا يزاد على دعوة واحدة. ثم يقال ما يفهم أنه المراد بهذه الأوصاف أو المَعنِى بهذه الإشارة، أو نحو ذلك. ثم يقال " اقتضى حسن رأينا الشريف " ويذكر ما يقتضى تعظيمه وتكريمه[1]. ثم يقول " فلذلك رسم بالأمر الشريف العالى المولوى السلطانى الملكى الفلانى الفلانى "، ويدعى له بـ " لا زالت " مما يناسب إلى ثلاث دعوات أو أربعة " أن يفوض إلى المشار إليه كذا "، ثم يقال " فليتقلد ذلك أو فليتلق هذا التفويض " ونحوه، ثم يختم بالدعاء للمتولى بالإعانة والتأييد وأقلها فقرتان وأكثرها أربعة، ثم يقال " بعد الخط الشريف شرفه الله تعالى وعظمه وأعلاه "، ثم يكتب المشيئة والتاريخ [٢٠٧ ب] والمستند والحمدلة والصلاة والحسبلة، ولم يقل فيه " وسبيل كل واقف عليه " كما قال فى التعريف، وهذه الطريقة هى التى عليها كُتّاب زماننا.

(١) تكريمه وتعظيمه: صبح، ج١، ص١٠٦.

النوع الثانى: المراسيم، وهى من قولك " رسمت له كذا فأرسمته " إذا أمسكته، أو من "رُسم على كذا " إذا كُتب، ويحتمل أن يكون من رسم الشيء إذا بينه كقولك "رسمت له رسماً يتبعه "، أى بينت له طريقة يتبعها، وهى ضربان:

الضرب الأول: المراسيم المكبرة، ولم يتعرض لها فى التعريف لأنها حدثت بعده، قال فى التثقيف: هى على نمط التقاليد ليس بينهما خلاف إلا فى أنه لا يكتب فى المراسيم شيء فى قطع الثلثين بل فى قطع النصف أو الثلث، وفى إنه لا يقال فى طرتها تقليد شريف بل مرسوم شريف.

قال[1]: ويفترقان فى أربعة أوجه، أحدها أنه يقتصر تارة فى المرسوم على " الأميرى " دون " الكبيرى " بخلاف التقاليد فأنه يُجمع بينهما.

الثانى: أن يقال فى المرسوم " أن يستقر " ولا يقال " أن يُقلد " و" أن يُفوض ".

الثالث: على أنه لا يقال " على أجمل العوائد وأتم القواعد " بل أن يقال " على عادة من تقدمه وقاعدته ".

الرابع: لا يقال فى الصدر " أما بعد "[2] بل يقال " وبعد ".

قال فى التثقيف: وهى تختص بنواب القلاع المنصورة بالممالك الإسلامية وأمراء العربان، وشادين الدواوين بالشام وحلب، وشادين مراكز البريد، وأمير بنى مهدى، ومقدم جرم، ومقدم عرب زبيد. وصورة طرته " مرسوم شريف بأن يستقر المجلس العالى، الأميرى، الفلانى أدام الله تعالى نعمته، فى نيابة كذا على عادة من تقدمه فى ذلك وقاعدته ". أو " مرسوم شريف بأن يستقر المجلس السامى، الأمير فلان الدين أدام الله سعده، فى كذا وكذا، على عادة من تقدمه وقاعدته ". ثم يخلى فرجة ويكتب على مما شرح فيه.

الضرب الثانى: المراسيم المصغرة، وهى التى تكتب فى قطع العادة وبها يكتب لبعض أرباب السيوف فى الولايات الصغار، وهى على حالتين:

الحالة الأولى: أن يكتب طرته " مرسوم شريف بأن يستقر المجلس السامى، [٢٠٨ أ] فلان الدين فلان فى كذا وكذا، بما لذلك من المعلوم الشاهد به ديوان الجهة الفلانية "، ويكتب

---

(١) لم يذكر ابن ناظر الجيش ما سيأتى ذكره، ولكن قائله هو القلقشندي، انظر: التثقيف: ص١٤٣؛ صبح ج١١، ص١٠٨.

(٢) لم تذكر فى متن المخطوط بل فى هامشه.

" على ما شرح فيه " ثم يترك ثلاثة أوصال، ثم يكتب البسملة ثم تحتها " أما بعد " كما تقدم، ويدخل فى الكلام فى المدح بما يناسب أوصافه، ثم يقال " فليباشر ذلك أو فليتلق ذلك أو فليقابل صدقاتنا الشريفة بكذا " ونحوه، ثم يوصى بما يليق به وبتقوى الله ثم يدعى له بدعوتين فقط، ثم يقال " بعد الخط الشريف العالى أعلاه الله تعالى أعلاه ".

الحالة الثانية: لمن تكون مرتبته مجلس الأمير، وصورة طرته أن يكتب على ما تقدم ثم يترك وصلين ثم يكتب البسملة وتحتها " رُسم بالأمر الشريف العالى، المولوى، السلطانى، الملكى، الفلانى الفلانى "، ويدعى بما فيه براعة الاستهلال من ذكر لقب صاحب الوظيفة أو اسمه أو ذكر الوظيفة، وأقلها ثلاث فقرات، ثم يقال " أن يستقر مجلس الأمير " ويكمل على ما تقدم.

تنبيه قال فى التثقيف: ومما ينبه عليه أنه لا يكتب مرسوم بنيابة فى قطع العادة إلا مثل نيابة الشقيف وصرخد وعجلون، فإنه لا يكون نائبها إلا جندى أو مقدم حلقة، ومثل هذا لا يُكتب [له عن المواقف الشريفة] [1] إلا نادرا بل كفال الممالك يستبدون بذلك.

وأصغر المراسيم ما يكتب على منوال ورقة الطريق، ولا تكتب ولاية به إلا نادراً، وصورته أن يكتب فى الطرة " مرسوم شريف بأن يستقر فلان أو أن يرتب فلان فى كذا وكذا على ما شرح فيه ". وربما امتدت الكتابة فى ذلك لسطرين ولا يكتب أعلاه الاسم [الشريف][2]، ثم يكتب على ما شرح فيه، ثم يكتب آخر الوصل " رُسم بالأمر الشريف العالى المولوى " إلى آخره من غير أن يأتى فيه ببراعة الاستهلال بل يقتصر على " أعلاه الله تعالى وشرفه وأنفذه فى الآفاق وصرفه "، ثم يأتى بما يقدم فى طرته ويكمله بأن يكتب " فليعتمد هذا المرسوم الشريف كل [٢٠٨ ب] واقف عليه، وليعمل بحسبه ومقتضاه من غير عدول عنه ولا خروج عن معناه والاعتماد فى ذلك على الخط الشريف أعلاه الله أعلاه حجة بمضمونه وعملاً بمقتضاه ". والمشيئة والتاريخ والحسبلة، وتكون الأسطر متقاربة وطولاً أن لا تتعدى ثلاثة أوصال ولا ينقص عنها، والمستند على لصاق الوصلين الأول والثانى وهو حسب المرسوم الشريف.

---

(١) ما بين الحاصرتين من، تثقيف، ص١٤٥.

(٢) ما بين الحاصرتين من، صبح، ج١١، ص١١٢.

النوع الثالث: التفاويض، وهى من فوض الأمر إليه إذا رده إليه، قال فى التعريف: وبه يُكتب لعامة القضاة. يعنى دون أرباب التقاليد، وهى من نمط التقاليد، غير أنه يقال فى الطرة "تفويض شريف للمجلس العالى، القاضوى، الكبيرى، الفلانى، بقضاء قضاة المالكية ــ مثلاً ــ بالديار المصرية، على أجمل العوائد، وأكمل القواعد، بالمعلوم الشاهد به الديوان المعمور على ما شرح فيه "، والافتتاح بالحمدلة ويؤتى بنحو ما تقدم فى التقاليد باختصار. والتفاويض لا تأتى إلا قليلاً، وقد تقدم فى الباب الثالث من القسم [الرابع] فيم تنحصر ممن يكتب بها كاتم السر أو نائبه أوراق الرقاع.

النوع الرابع: التواقيع، وهى فى اللغة التأثير الخفيف، وفى الاصطلاح للأقدمين " اسم لما يُكتب على حواشى القصص كما تقدم، ثم غلب حتى صار علماً لنوع خاص.

قال فى التعريف: وهى على أنموذج التفاويض، وعنوانها " توقيع شريف لفلان بكذا "، ولا يقال فيها على اختلافها " وسبيل كل واقف عليه "، بل يقال " فليعتمد ما رسم به فيه بعد الخط الشريف أعلاه الله تعالى أعلاه ". وقال: إنها تكون لعامة أرباب الوظائف جليلها وحقيرها وكبيرها وصغيرها حتى النواب [الطبلخانات] [1] اللاحقين بشأو الكبار فمن دونهم.

لكن قال فى التثقيف: إنها مختصة بالمتعممين من أرباب الوظائف الدينية والديوانية، ولا يكتب لأرباب السيوف منها إلا القليل مثل نظر البيمارستان، ونظر الجامع الجديد، ونظر حرم القدس والخليل عليه السلام.

قلت: [2] والجامع بينهما أنه فى زمن صاحب التعريف كانت التواقيع تُكتب بالوظائف [٢٠٩ أ] لأرباب السيوف من النيابات وغيرها قبل أن تكون المراسيم المكبرة المتقدمة الذكر، ثم خُصت التواقيع بعد ذلك بالمتعممين فى زمن صاحب التثقيف وإلى زماننا، ولم يبق ممن يُكتب له تواقيع من أرباب السيوف سوى نظار الجهات الثلاث المتقدمة الذكر.

ثم التواقيع على أربع طبقات:

الأولى: ما يكون فى قطع النصف لمن مرتبته " المجلس العالى "، ويفتتح بـ " الحمدلة ". قال فى التثقيف: وصورته أن يُكتب فى الطرة لأرباب الأقلام " توقيع شريف بأن يفوض إلى

(١) ما بين الحاصرتين من، صبح، ج١١، ص١١٤.

(٢) هذا كلام القلقشندي وليس السحماوي، انظر: صبح، ج١١، ص١١٤.

المجلس العالى، القاضوى، الكبيرى، الفلانى " ويدعى له دعوة واحدة كيت وكيت " على أجمل العوائد، وأكمل القواعد بالمعلوم الشاهد به الديوان المعمور إلى آخر وقت على ما شرح فيه ". فإن كان حاكما كتب له بعد الكبيرى الحاكمي، وإن كان كاتب السر كُتب له بعد الكبيرى اليميني لا غير، ثم يُكتب فى الصدر خطبة مفتتحة بالحمد لله ثم أما بعد، والتتمة على نظير التقاليد إلا فيما يليق بالوظيفة والمتولى لها مما يناسب الحال، فإن كُتب لصاحب سيف كُتب "توقيع شريف بأن يفوض إلى المقر الكريم أو الجناب العالى أو المجلس العالى الأميرى الكبيرى " ويكتب للأمير الكبير " الأتابكى "، ثم يقال " الفلانى فلان الفلانى الفلانى " ويدعى له برتبته "نظر الجهة الفلانية بالمعلوم الشاهد به ديوان الوقف المبرور " ويكمل على ما تقدم.

الثانية ما يُكتب فى قطع الثلث بقلم التوقيعات وهو لمن رتبته " المجلس السامى " بالياء. قال فى التثقيف: وصورته فى الطرة والصدر على ما تقدم لكن بأخصر، فيُكتب " توقيع شريف بأن يستقر المجلس السامى الأميرى أو القضائى أو الشيخى الفلانى " ويدعى له " أدام الله علوه أو أيد الله أحكامه أو أدام الله رفعته، أو أعاد الله من بركاته فى الوظيفة الفلانية بالديار المصرية أو بالمملكة الشامية ونحوها على عادة من تقدمه وقاعدته أو عوضاً عن فلان بحكم وفاته [٢٠٩ب] أو بحكم نزوله أو بحكم سجنه " ثم يكتب " على ما شرح فيه ".

الثالثة: ما يفتتح بـ " أما بعد حمد الله " وهى لمن رتبته " السامى " بغير ياء، ويُكتب فى قطع الثلث هو الأصل فيما كان يُكتب فى الثلث، ثم ترقى عنه إلى رتبة الافتتاح بـ " الحمد لله "، ألا ترى أن المناشير التى تُكتب فى الثلث تفتتح كلها بـ " أما بعد ". وصورته أن يُكتب فى الطرة " توقيع شريف بأن يستقر المجلس السامى القاضى فلان الدين أو الشيخ فلان الدين فى كذا على عادة من تقدمه فى ذلك وقاعدته " ويكمل، ثم يكتب فى الصدر " أما بعد حمد الله " ويصلى على النبى صلى الله عليه وسلم، ثم يقول " فإن أولى للأمور كذا من هو بصفة كذا " أو " إن أولى الناس فى التقديم من هو بصفة كذا " ونحو ذلك، ثم يكتب " ولما كان المجلس "، ويؤتى بنحو ما تقدم فى ما يفتتح بـ " الحمد لله " ويكمل. وقد قل الافتتاح فى زماننا بـ " أما بعد "، ولا صار يكتب ذلك إلا نادراً، وأخذ كتاب زماننا عنه فى الترقى إلى الافتتاح بـ "الحمد لله ".

الرابعة: ما يكون فى قطع العادة وهو على حالتين:

الأولى: ما يفتتح بـ " أما بعد " فى رتبة المجلس السامى بغير ياء، قال فى التثقيف: وهو قليل جداً لا يكون إلا فى تدريس كبير أو نظر وقف كبير أو مشيخة الحرم بالقدس الشريف إن لم يكن فى الثلث، أو لرجل قديم الهجرة فى الخدمة الشريفة، وتكون الطرة والصدر على نحو ما تقدم فى الثلث مما يفتتح بـ " أما بعد ".

الحالة الثانية: ما يفتتح برسم، وهى على ضربين:

الضرب الأول: لمن رتبته " المجلس السامى " بغير ياء، أو " مجلس كذا ". قال فى التثقيف: وصورته أن يكتب فى الطرة " توقيع شريف بأن يستقر المجلس السامى القاضى فلان الدين أعزه الله تعالى فى كذا وكذا أو أن يرتب أو أن يقدم ويذكر ما تضمنه الشاهد من قصة أو قائمة "، ثم يكتب " على ما شرح فيه "، ثم الصدر يكون " رُسم بالأمر الشريف إلى آخره "، ثم يأتى ببراعة الاستهلال على ما تقدم فى المراسيم الصغار وأقلها ثلاث فقرات، ثم يكتب " أن يستقر المجلس السامى القاضى أو الشيخ أو مجلس كذا فلان الدين أعزه الله تعالى أو نفع الله به [٢١٠ أ] فى كذا أو أن يرتب فى كذا لما له من صفات هى كذا وكذا، ويأتى من صفات المدح بما يناسب المقام. ثم يقول " فليباشر ذلك أو فليتلق هذا الإحسان أو فليقابل صدقاتنا الشريفة " ونحوه، ثم يوصى بما يليق بتلك الرتبة ويدعى له بسجعتين، ويكتب بعد الخط الشريف فإن كان لتلك الوظيفة معلوم مستمر تشهد به الدواوين الشريفة كُتب بعد قوله "ومستقر قاعدته بما لذلك من المعلوم الشاهد ديوان الفلانى الشريف أو على جهة من الجهات غير الدواوين الشريفة " كتب " بما لذلك من المعلوم الشاهد به الجهة الفلانية، أو كتاب الوقف المبرور " ونحو ذلك.

الضرب الثانى: التواقيع الصغار، وغالباً تكون بالحمل على ولاية أو تقرير أو مستند ونحو ذلك، ولا تكون أكثر من ثلاثة أوصال ولا أقل وحكمها حكم المراسيم الصغار المتقدمة. غير أنه يبدأ فى طرتها بتوقيع شريف ومنها يكتب على ظهور القصص إذا كتب كاتب السر على القصة يوقع بذلك أو بكذا وكذا. وقد أهمل ذلك فى زماننا حسب ما برر به المرسوم الشريف، فإن كتب كاتب كتابته على نحو ما تقدم من المراسيم والتواقيع الصغار، وتكون الأوصال الثلاثة ملصوقة على القصة، ولا يأتى فيها بفقرات ولا براعة استهلال، ويقتصر على " رُسم بالأمر "

إلى آخره، ثم يقال " أن يتأمل ما أنهاه رافعها باطناً، فإن كان جليل القدر كتب مترجمها باطناً " ويكمل على نحو ما تقدم.

المقصد الثانى:فى كيفية هذه الولايات، ويتعلق بذلك أربعة أمور:

الأول: الطرة، وقد جرت العادة أن كل ما يكتب له طرة مما يحتاج للترجمة من الولايات والمساميح والطرخانيات ونحو ذلك يُكتب بقلم الرقاع الاسم الشريف. وإن كتبت الطرة بالذهب كُتب الاسم الشريف بالذهب، ثم يكتب من أول الدرج بالقلم المستحق لقطع ذلك الورق من غير هامش إلى آخر الورق، ثم يكون تحته السطر الثانى [٢١٠ ب] على حكمه، وكذا إلى حين بلوغ القصد، فإن اتسع على الكاتب مجال الكلام كتب من رأس الدرج بالقلم المناسب سطران والتتمة بقلم الرقاع لا يختلف اثنان فى ذلك فى كتابة مسموح ولا غيره.

الثانى: البعدية بعد التحميد والتشهد والصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم فيقال " أما بعد " وهو الأعلى، وتكون فى التقاليد خاصة، وتارة يقال " وبعد "، وهى دونها وتكون فى التفاويض وكبار المراسيم والتواقيع.

الثالث: وصف المتولى بما يناسب مقامه ومقام الولاية من المدح والتقريظ من غير نقص فى حقهما ولا زيادة توجب الإطراء، قال فى التعريف: إن من استصغر من المولين فلا يدعى له فى أول الولاية ولا أخرها. ولعل مقصده الولايات الصغار كالتى على ظهور القصص.

الرابع: الوصية لصاحب كل ولاية بما يلزمه من حقوق تلك الوظيفة ثم يختتمها بتقوى الله الذى هو أس كل بنيان، قال عز وجل ﴿ أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَى مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ ﴾[1].

المقصد الثالث: البياض الواقع فى كتب الولايات. وهو على ستة مواضع:

الأول: فيما بين الطرة والبسملة، ولا يتجاوز ثلاثة أوصال بوصل الطرة فيما فوق قطع العادة، ويقتصر فى قطع العادة على وصلين إن افتتح برسم، وكتب له براعة استهلال، وألا يكون أول وصل فيه الترجمة والطرة، ويسطر رسمه كأوراق الطريق.

---

(١) التوبة، الآية ١٠٩.

الثانى: الحاشية، وهى على يمنة الكاتب من البياض ويقال لها الهامش، ولم يكن له أصلاً فى اللغة، ويكون بمقدار ربع عرض الورق ويمتد إلى أخره. أما ملوك الروم فإنهم يجعلون لكتبهم حاشيتان يميناً ويساراً.

الثالث: بيت الترجمة، وهو يستغرق وصل كامل من كل قطع بما فيه من سطرى البسملة والافتتاح وما بعدهما من السطر الذى آخر الوصل نقلاً [كذا].

الرابع: ما بين الأسطر من البياض فى متن الولاية وهو على مقدار النصف من بيت الترجمة [٢١١ أ] لا يختلف ذلك إلا فيما يكتب فى ثلاثة أوصال من المراسيم والتواقيع الصغار وعلى ظهور القصص، فإنه يكون بمقدار ثلاثة أصابع مطبوقه.

الخامس: فيما بين أسطر الخواتم من البياض بعد المشيئة فإنه يكون ما بين كل سطرين من ذلك قدر نصف ما بين سطرين مما فى متن الولاية وسطرى المستند واللواحق متلاصقة.

السادس: متابعة اللواحق فى آخر الكتاب، والأحسن أن يكون آخر الكتابة آخر الوصل، فإذا كان آخر الكتابة فى نصف الوصل أو ثلاثة كان ذلك نقص من الكاتب لأنه إن ترك بياضاً فيعتب، وإن قطع من الوصل عتب.

القسم الحادى عشر

فى رسم المكاتبات الصادرة

وهو يشتمل على عشرة [1] أبواب:

الباب الأول

فى ذكر أمور تتعلق بالمكاتبات يجب على الكاتب معرفتها وأمور يعتمدها

وفيه ثلاث [2] فصول:

الفصل الأول

فى أصول يتعين على الكاتب مراعاتها

وهى [عشرة] [3] أصول:

الأول: حسن الافتتاح المطلوب فى النثر والنظم، وهو أن يأتى فى مطالع الكلام بسهولة اللفظ، وصحة السبك، ووضوح المعنى، وتجنب الحشو، ونحو ذلك مما يوجب تحسين الكلام وطلاوته. وأعظم الافتتاح " الحمد لله "، كما يكتب فى بعض الكتب " يفتتح " ونحوه، وكما يكتب فى مكاتبات القانات العظام، وكما كان يكتب لصاحب الهند قديماً.

الثانى: أن يراعى الكاتب الإتيان فى أول الكتاب ببراعة الاستهلال المطلوبة فى كل فن بما يدل على المقصد من فتح أو تهنئة أو غير ذلك ليعلم من مبادئ الكلام ما المراد منه، كما يحكى أن عمرو بن مسعدة كتب إلى الخليفة [4] يعرفه أن بقرة ولدت عجلاً وجهه وجه إنسان، فكتب " أما بعد حمد الله خالق الأنام فى بطون الأنعام ".

---

(١) هى عند القلقشندي أربعة أبواب، ضوء، ص٤١٧.

(٢) خمسة فصول: ضوء، نفسه.

(٣) بياض فى الأصل، قد رتبها صاحب الثغر على عشرة أصول، وهى فى صبح الأعشى "عشرة " أيضاً، ولكن فى تقسيمها زادت إلى اثنى عشر أصلاً، انظر: صبح، ج٦، ص٢٧٤، هـ١؛ وفى ضوء الصبح " عشرة أصول "، ص٤١٧.

(٤) عمرو بن مسعدة كاتب المأمون: صبح، ج٦، ص٢٧٦. ضوء، ص٤١٨. توفى عام ٢١٧ هـ. ابن خلكان: وفيات، ج٣، ص٤٧٥، ت رقم ٥٠٧.

وأئمة الكتاب يرون أن فى ترك ذلك إخلالا بالصنعة، ثم إن أهل البلاغة [١] جعلوا الافتتاح فى الأمور المهمة على طرق، منها ما هو مأخوذ من اللقب ومنها ما هو مأخوذ [٢١١ ب] من النسب، ومنها ما هو مأخوذ من الاسم، ومنها ما هو مأخوذ من تلك الوظيفة ونحو ذلك. وغالباً يأتى ذلك فى الولايات، وأما فى المكاتبات فإنه لا يأتى فى براعة الاستهلال إلا بما يدل على الصورة المحكية فى تلك المكاتبة. والافتتاح فى المكاتبات لمحل وقوع براعة الاستهلال لا يتعدى ثلاثة أمور:

الأول: أن يكون الكتاب يفتتح بخطبة كما كتب الناصر فرج [٢] إلى تمرلنك فى عقد الصلح بينهما على يد رسوله منكلى بغا الفقيه، وهو " الحمد لله الذى شيد قواعد الإصلاح، ومهد مواطن الرشد والنجاح ".

الثانى: أن يكون الافتتاح بالتحميد بـ " أما بعد " كما كتب الصابئ عن الطائع إلى ولاة الأطراف عند زوال الوحشة بينه وبين الأمراء وهو " أما بعد فالحمد لله ناظم الشمل بعد شتاته، وواصل الحبل بعد بتاته ".

الثالث: أن يقع مع الابتداء بالدعاء مثل " ولا زال " أو " ولا زالت " كما كتب بعضهم فى البشرى بفتح وهو " ولا زالت آيات النصر تتلى عليه من صحف البشائر، ونفائس الظفر تجلى على سره فى أسعد طائر، وفواتح تزهى به الأسرة، وتزهو بنورة المنابر ". وكثير على نحو ذلك.

الثالث من الأصول: وهو أن يعتمد الكاتب فى الكتاب المشتمل على المقاصد الجليلة مقدمة يصدرها تأسيساً لما يأتى به فى كتابه، مثل أن يأتى فى صدر كتب الحث على الجهاد بذكر افتراضه على الأمة، وما وعد الله به من نصر أوليائه، وخذلان أعدائه، وإظهار دينه على الدين كله. ومثل كتب الخراج وجبايتها بحاجة قيام الملك، وأسس [٣] السلطنة فى الاستعانة بما يستخرج من حقوق السلطان فى عمارة الثغور وتحصين الأعمال ونحو ذلك. فإنه لا يحسن الكلام ويؤثر فى النفوس إلا بذلك، ولو كان الكلام وجيزاً لأن لكل كلام فرش يفرش تحته.

---

(١) يأتي صاحب الثغر بكلام لم أجده فى صبح الأعشى، وإن كان بعضه من اقتباسات الألفاظ مثل ما كتبه الصابئ عن الخليفة الطائع لدى القلقشندي ولكن بقية هذا العنصر من ترتيب صاحب الثغر.

(٢) يقصد بذلك الناصر فرج بن برقوق ٨٠١ ـــ ٨١٥ هـــ.

(٣) أس: ضوء، ص٤١٩. صبح، ج٦، ص٢٧٨.

الرابع: أن يعرف الفرق [١] بين الألفاظ فيقع كل لفظ منها فى موضعه فيخاطب كل أحد فى موضعه بما يستحقه من الخطاب، فمن ذلك الفرق بين " أصدرنا هذه المكاتبة "، وبين "أصدرناها"، وبين " أصدرت " [٢١٢ أ] على البناء للمفعول وبين " صدرت " على البناء للفاعل. فأصدرناها أعلى بالنسبة إلى المكتوب إليه للتصريح فيها بالضمير العائد على السلطان[٢] الذى صدرت المكاتبة عنه، إذ الشيء يشرف بشرف متعلقه. ولذلك أتى بها فى التعريف فى مكاتبة صاحب اليمن. ويلى ذلك فى الرتبة " أصدرت " لاقتضائها إصداراً من مصدر فى الجملة، وذلك المصدر هو السلطان [٣] الذى صدرت عنه فى الحقيقة، وقد أتى بها فى التعريف فى مكاتبة [صاحب] حصن كيفا، ودون ذلك " صدرت " لاقتضاء الحال صدورها بنفسها من غير دلالة على المصدر أصلاً، وقد أتى بها فى التعريف فى مكاتبة جميع النواب خلا النائب الكافل فإنه ذكر فى صدر المكاتبة إليه صدرت وأصدرناها وحملت على ذلك فى المكاتبة لنائب الشام الآن.

ومن ذلك الفرق بين " ويبدى لعلمه "، وبين " يوضح لعلمه "، " فيبدى " أعلى بالنسبة إلى المكتوب إليه لأن الإبداء يرجع فى المعنى إلى إظهار على خفى "، ويوضح " إلى بيان مشكل، وحصول الإشكال المحتاج إلى الإيضاح ربما دل على بعد فهم المخاطب عن المقصود، بخلاف إظهار الخفى فإنه لا ينتهى إلى هذا الحد. وقد أكثر من ورودها فى التعريف.

ومن ذلك الفرق بين " علمه الشريف "، وعلمه الكريم "، " وعلمه المبارك". فعلمه الشريف أعلى بالنسبة إلى المكتوب إليه لأن الشرف يفتقر إلى اتصال ذلك فى الآباء بخلاف الكريم، وإذا كان الشرف فى الإنسان أرفع كان فى غيره كذلك. وقد أتى به فى التعريف فى صدر مكاتبة لولى عهد بالسلطنة، غير أنه قال " فيطالع علمه الشريف ". و" الكريم " أعلى من

---

(١) لقد كانت الفروق فى هذه الألفاظ متفقا عليها بين كتاب الدساتير فى مجملها، نتيجة ارتباطها بمعناها اللغوى، عكس الألقاب التى كانت تصعد وتهبط نتيجة ارتباطها مع علو وهبوط قدر من أطلق عليه اللقب، وبالتالى نشأت الفروق فى الألقاب بين كتاب الدساتير، ولم تظهر فى الألفاظ التى يذكرها السحماوي فيما بعد.

(٢) الرئيس: ضوء، ص٤٢٠.

(٣) الرئيس: ضوء، نفسه.

" المبارك "، لأن الكرم فى أصل اللغة هو الخلوص من اللؤم والبركة والنمو[1] والزيادة. وهى قد تكون مع الكريم، وقد يختلف الكريم عنها، وقد أتى به فى التعريف فى مكاتبة أمير مكة.

ومن ذلك الفرق بين " بلغنا " وبين " انتهى إلى علمنا " وبين " اتصل بنا " فـ " اتصل بنا " [٢١٢ ب] أعلى من " الانتهاء إلى علمنا " بالنسبة إلى المكتوب إليه لما فى معنى الاتصال من التلاصق بخلاف الانتهاء، و" انتهى إلى علمنا " أعلى من " بلغنا "، لأن البلوغ قد يكون على لسان الآحاد.

ومن ذلك الفرق بين " عرفنا "، وبين " ذُكِر لنا "، وبين " أنهى ". فعرفنا أعلى بالنسبة إلى المكتوب إليه، فإن التعريف يقتضى الإعلام بما لم يكن عنده علمه، وفيه نوع توقر بخلاف " ذكر " فإنه لا يقتضى ذلك. وذكر أعلى من أنهى لأن الذكر يقنع بالخطاب، والإنهاء يحتمل الخطاب، ويحتمل رفع قصة.

ومن ذلك الفرق بين " وردت " وبين " ورود مكاتبته بكذا ". فوردت علينا أعلى بالنسبة إلى صاحب المكاتبة الواردة بتخصيصها بالورود على السلطان نفسه بخلاف ورودها مطلقاً.

ومن ذلك الفرق بين " تشريفى بكذا " وبين " إسعافى بكذا " وبين " إتحافى بكذا ". وإسعاف أعلى من تشريفى بالنسبة إلى المسئول لما فيه من دعوى الاحتياج إلى المطلوب، وتشريفى أعلى من إتحافى لأن الإتحاف ليس فيه معنى التشريف المؤذن برفعة قدر المسئول.

ومن ذلك الفرق بين " نزل عنده "، وبين " نزل بساحته "، فالنزول بالساحة أعلى فى حق المنزول به لما فى ذكر الساحة من معنى الفسحة واتساع الفناء.

ومن ذلك الفرق بين " ومرسومنا لفلان بكذا "، وبين " والمرسوم له بكذا ". " ومرسومنا " أعلى بالنسبة إلى المكتوب عنه لاسيما على نون التعظيم وهى مخصوصة للملوك دون غيرهم بخلاف " والمرسوم له بكذا " فإنه عار عن التعظيم.

ومن ذلك الفرق " فيحيط علمه بذلك "، وبين " ذلك " أو " فليعلم ذلك "، " فيحيط علمه بذلك " أعلى لما فى الإحاطة من الإشعار بسعة العلم إلى غير ذلك من الألفاظ التى لا يسع استيفاؤها.

---

(١) النماء: ضوء، ص٤٢٠.

مهمة [١]: يجب على الكاتب أن يعرف مواقع الدعاء فى المكاتبات وغيرها ليوقع كل دعاء فى موضعه، والمرجع فى ذلك إلى خمسة [٢] أمور:

الأول: أن يعرف مراتب الدعاء فى العلو والهبوط فيما يكتب من ديوان الإنشاء، فيورد كل منها فى محله، ويوفى كل أحد من الدعاء حقه، ولا يجاوز به فيه قدره. قال فى مواد البيان: إن الملوك تسمح ببدرات المال، ولا تسمح بالدعوة [٢١٣أ] الواحدة. فمن ذلك الدعاء "بطول البقاء" والدعاء " بطول العمر "، والدعاء " بطول البقاء " أرفع من الدعاء " بطول العمر، لأن البقاء ضد الفناء فلا يدل على مدة تنقضى، وكذا يوصف الله تعالى بالبقاء ولا يوصف بالعمر ومن هنا جعل الدعاء بالبقاء أول مراتب الدعاء وخص بالخلفاء، وجعل ما يليه لمن دونهم. ومن ذلك الدعاء بطول العمر بالمد به، فالدعاء بطول العمر أبلغ من الدعاء بالمد به، لأن الوصف بطول الزمان أبلغ من الوصف بالمد به.

ومن ذلك الدعاء " بعز الأنصار "، " وبعز النصرة "، فالدعاء بعز الأنصار أعلى الجميع بالنسبة إلى المكتوب له لأنه جعل " الأنصار " جمع " ناصر " فعز الناصر عز له بالضرورة مع ما فيه من تعظيم القدر ورفعة الشان إذ الأنصار لا يكون إلا لملك عظيم، وإن جعل جمع نصير فالدعاء للجميع أعلى من الدعاء للفرد. والدعاء " بعز النصر " أعلى من الدعاء " بعز النصرة " لما فى النصر من معنى التذكير الذى هو أرفع من التأثيث.

ومن ذلك الدعاء " بمضاعفة النعمة "، والدعاء " بدوام النعمة "، فالدعاء بالمضاعفة أعلى لأن دوام النعمة غايته استصحابها ومضاعفتها مقتضية للزيادة.

ومن ذلك الدعاء " بعز الأحكام " والدعاء " بتأييد الأحكام "، فالدعاء " بعز الأحكام " أعلى لأن المراد بالتأييد التقوية، وقد توجد القوة والعز معها.

فائدة: قال فى معالم الكتابة: إن مصطلح الدولة الأيوبية كان على[٣] أن لا يكتب عن السلطان لأحد ممن فى ممالكه، " ولازال ولا برح "، بل يختص ذلك بالمكاتبة لملك [٤] مثله. ثم

---

(١) هى الأصل الخامس عند القلقشندي. انظر، ضوء، ص٤٢٢؛ صبح ج٦، ص٢٨٤.

(٢) سبعة: ضوء، ص٤٢٢؛ ستة: صبح، ج٦، ص٢٨٤.

(٣) ساقطة من ضوء، ص٤٢٣.

(٤) بسلطان: ضوء، نفسه.

قال: ولا حرج فى الكتابة عن السلطان بذلك لولده مثله إذا كان نائباً عنه فى الملك. ومن ابتداء الدولة التركية وإلى زماننا والكتاب يأتون " بلا زالت أو لازال أو لا برحت أو لا برح " ونحو ذلك فى كل مكاتبة مفتتحة بالدعاء، وفى براعة الاستهلال فى الولايات الصغار.

الثانى: أن يعرف مقام كل [واحد من أرباب المناصب الجليلة] (١) ويأتى له بما يناسبه من الدعاء، فيدعي للخلفاء عن السلطان " أدام الله أيام الديوان " (٢) أو " خلد الله أيام الديوان"، وذلك فى الافتتاح، وفى متن الكلام " أعز الله به [٢١٣ ب] الدين " (٣) ونحوه. وفى الاختتام " والله تعالى يديم عز الديوان المجيد ". وبولاية العهد بالخلافة فى الافتتاح " يضاعف جلال الجانب " (٤). وفى الاختتام " بعز الأنصار " ولولاة العهد بالسلطنة " بعز الأنصار " فى الافتتاح، والاختتام. ولكل من كبار القانات " زيدت عظمته " (٥) أو " دامت معدلته " (٦)، ولكل من أكابر ملوك العرب " جعل الله كلمته العليا ". ولبعض أكابر الملوك وأكابر النواب والأمراء " بعز الأنصار "، و" عز النصر "، و"عز النصرة ". ولأكابر أرباب الأقلام كناظر الجيش فى زماننا " بعز الجانب " وللوزير " بعز التنفيذ "، وللطبقة الثانية من الأمراء " بمضاعفة النعمة ودوامها "، وذلك فى الافتتاحات.

فائدة: قال ابن شيث فى معالم الكتابة إن الدعاء " بالنصر ومضاعفة الاقتدار " كان فى الدولة الأيوبية مختص بالسلطان دون غيره. والظاهر أنه ما كان يدعى للسلطان بذلك إلا لكونه

---

(١) ما بين الحاصرتين من، صبح، ج٦، ص٢٨٥.

(٢) ومثال ذلك رسالة الناصر صلاح الدين للخليفة الناصر لدين الله العباسى ببغداد " أدام الله الديوان العزيز النبوى الناصرى " صبح، ج٦، ص٤٩٦.

(٣) ومثال ذلك طرة نسخة العهد الصادر من الخليفة المستعين بالله العباسى لمظفر شاه ملك الهند عام ٨١٣ هـ. صبح، ج١٠، ص١٣٥.

(٤) ومثال ذلك الصدر الذى كتبه العمري والقلقشندى دون النص على رسالة أو مكاتبة معينة " ضاعف الله تعالى جلال الجانب " العمري: التعريف، ص٣٠؛ القلقشندي: صبح، ج٧، ص١٣٦.

(٥) ومثال ذلك صورة البرلغ الشريف الذى أصدره الناصر محمد بن قلاوون عام ٧٢٩ هـ لتمربغا رسول القان أبي سعيد. صبح، ج٧، ص٢٢٩ ـ ٢٣٠.

(٦) ومثال ذلك ما كتب فى عقد الصلح بين الناصر فرج وبين تيمورلنك عام ٨٠٥ هـ. صبح، ج٧، ص٣٢٠.

يلقب بالمقر إذ ذاك، وافتتاح مكاتبات قضاة القضاة " بعز الأحكام "، و" تأييد الأحكام "، وما يشاكل ذلك.

ويأتى بالدعاء لأكابر المشايخ من العلماء والمتصوفة بـ " أمتع الله الإسلام ببركات " أو " أعاد الله تعالى بركات " أو " أدام الله تعالى بركات الجناب أو المجلس ". وللتجار " بمزيد الإقبال وخلود السعادة ".

قاعدة: حيث ما افتتحت المكاتبة بدعاء لزم أن يأتى فى العنوان بمثله لا يختلف بحاله بخلاف الخواتم فإن بينها وبين الافتتاح بياض كما سيأتى الكلام على ذلك. وأما الدعاء لأهل الكفر، فقد اصطلحوا على الدعاء لهم فى المكاتبات بطول البقاء وما فى معناه، والأصل فى ذلك ما ورد أن النبى صلى الله عليه وسلم استسقى فسقاه يهودى فقال له " جملك الله " فما رؤى الشيب فى وجهه حتى مات. فدل على جواز الدعاء لهم بما لم يكن فيه عز للكفر ولا نصرة على المسلمين ونحو ذلك.

الثالث: أن يعرف ما يناسب كل حالة من حالات المكاتبات بالمجريات، فيأتى لها بما يناسبها من الدعاء، فإن كان فى الهناء أتى بما يناسبه (١)، أو عزاء [٢١٤أ] أتى فيه بالمشقة الحاصلة (٢). ويختلف الحال فى ذلك باعتبار المعنى المطلوب فيكتب فى البشائر بجلوس ملك على تخت الملك لابتداء أمره (٣)، " وأمتعه من البشائر بما يتوضح على جبين الصباح بشره، وما يترجح على ميزان الكواكب قدره، وما يفسح من أوقات أمن لا يختلف فيها زيده ولا (٤)

(١) مثال ذلك الكتاب الذى أنشأه جمال الدين بن نباتة سنة ٧٤٣ هـ بالبشارة بتولية الصالح إسماعيل السلطنة " أمتعه الله من البشائر بما يتوضح على جبين الصباح بشره ". صبح، ج٨، ص٣٦٠.

(٢) ومثال ذلك ما أتى به أبو جعفر النحاس فى صناعة الكُتّاب من تعزية الرسول صلى الله عليه وسلم لمعاذ بن جبل. صبح، ج٩، ص٨٠.

(٣) لازال أمره: هكذا فى صبح، ج٦، ص٢٨٧. ووضع المحققون علامة تعجب بعدها لأن العبارة غير مستقيمة المعنى، ولكنها فى ضوء الصبح، " لأول مرة "، ص٤٢٤.

(٤) ساقطة من صبح، نفسه.

عمره"، ويكتب فى التهنئة بعافية " ولا برح فى برد الصحة رافلاً، والإقبال بجانبه متحاملاً، والهناء بعافية واصلاً " [(١)].

وتارة باعتبار حال المكتوب إليه، فيكتب لمن خرج إلى الغزو " وحفه بلطفه فلا يخيب، وهيأ له النصر والفتح القريب، وجعل على يده [(٢)] [دمار الكفار] [(٣)] حتى لا يبقى لهم بشدة بأسه من السلامة نصيب "، ويكتب لمن خرج لصيد " وأمتعه بصيوده، وجعل الأقدار من جنوده، وأراه من مصارع أعدائه بسيوفه [ورماحه][(٤)] ما يراه من مصارع صيده ببزاته وفهوده "، ويكتب لمن خرج لسفر " وقضى بقرب رجعته، وجعله كالهلال فى سيره[(٥)]، و[كالشمس فى مسير] [(٦)] رفعته، وسكن بقدومه أشواق أوليائه وأهل محبته ". ويكتب لمن خرج لتخضير بلاد " وألبس البلاد بقدومه أخضر الأثواب، وأحله أشرف محل وأخصب جناب ".

ويكتب بوصول ثلج " وأثلج بوصول إهدائه الصدور، وأبهج بظهور عليائه الجمهور، وأبهج بما نور أراءه حماية الممالك وحراسة الثغور ". ويكتب بوصول جوارح " ولا زالت محاسنه تستميل الجوارح، وميامنه تنيل المشايخ، ومواطنه بارزة بإفاضة الفضل البادى للغادى والرائح". ويكتب بوصول هدية " ولا برحت مشكورة شيمه وسجاياه، حميدة ما يراه ومزاياه، معاملة بالإقبال، ويسلمه بالقبول هداياه ". ويكتب بإهداء خيل " وأتحفه بكل سابق إلى المدار اللاحق إذا غدا طارق بغارته العداء، صادق الحمد كم أدرك النصر وتدارك من الرداء ". ويكتب لمن قصد العود " واسعد إلى أفقه مصيره ومرجعه، وخلد فى مشرقه ظهوره ومطلعه، وحمد برفقة مملكة [٢١٤ ب] جليلة جعلناها مستقر عدله ومستودعه ". ويكتب بوصول فاكهة تليق بابن السلطان " ولا زالت ثمرات سعادته قطافها، ومأثرات سيادته زاكية أوصافها، وموفرات إفادته

---

(١) ولا برح فى برد الصحة رافلا........ بعزمه وحزمه كافلا، والإقبال لجنابه العالي بالهناء بعافيته واصلا: صبح، ج٦، ص٢٨٨. ويوجد بها بياض ذكر محققوه أنها ربما تكون كلمة " لازال الزمان "، هـ١؛ ولا برح فى برد الصحة رافلا والإقبال لجنابه العالي بالهناء بعافيته واصلاً: ضوء، ص٤٢٤.

(٢) يديه: صبح، نفسه؛ ضوء، نفسه.

(٣) هلاك أعدائه: ضوء، نفسه.

(٤) ما بين الحاصرتين من، صبح، ج٦، ص٢٨٨؛ ضوء، ص٤٢٤.

(٥) مسيره: صبح، نفسه؛ ضوء، نفسه.

(٦) سبب: صبح، نفسه؛ ضوء، نفسه.

بتتابع إرسالها، وبتسارع إتحافها ". ويكتب لمن برز لسفر " وأصحبته السلامة والحراسة، وجدد من الإقبال والإجلال لباسه، ولا أعدم الأولياء والأعداء بأسه ". وكتب فى قمنئة بقدوم من سفر " وأقدم بركابه الكريم أيمن مقدم، وأكرم إنابة بعميم التأييد الذى سخر له السعد، وأخدم معظم شانه الذى اتخذ ببركاته الهدى، وأقعد بفتكاته العدى وأعدم ". إلى غيرَ ذلك.

وتارة تكون باعتبار الوظيفة، فيكتب إلى قاض " وفصل بين الخصوم بأحكامه المسددة، وأقضيته التى بها قواعد الإسلام ممهدة، وأبنية الشرع المطهر وأركانه المشيدة ". ويكتب لمتصوف " وأعاد بركات تهجداته، وأنار الليالى بمصابيح [(١)] دعواته "، ويكتب لمتعمم " ولا زالت أقلامه قمزأ بالغيوث الهامية، وإنعامه يفوق على البحار الطامية، وموارد إحسانه قمرع إليها الوفود الطامية ". أو " حفظ الله مكارمه التى عمرت القريب والبعيد، وحرس أقلامه التى هى شجرة المعروف بتمن لكل مؤمل ما يريد ". ونحو ذلك.

وتارة يكون باعتبار لقب المكتوب إليه فيكتب لمن لقبه سيف الدين " ولازال سيفه فى رقاب أعدائه مغمداً، وحده يذر كل ملحد ملحَداً "، ويكتب لعز الدين " ولازال عزه دائماً، والزمان فى خدمته قائماً، وطرف الدهر عن مراقبة سعادته نائماً "، ويكتب لشمس الدين " ولا زالت شموس [(٢)] سعادته مشرقة، وأغصان وصله بالعوارف مورقة، وعيون طوارق الغير عنه [فى كل زمن] [(٣)] مطرقة ". [٢١٥ أ] ويكتب لناصر الدين " نصر الله [(٤)] عزائمه، وشكر مكارمه، ووفر من الحسنات مغانمه ".

وتارة تقع لمن تجتمع له وظيفة سيف ووظيفة قلم، فيكتب " ولا زال السيف والقلم يشهدان بحسن تدبيره وعظيم سيمه، والعلم والقلم من دعاة جوده وهداة كرمه، والأمن والعز من شعار باديه وصفات خدمه، والنصر والفخر من جيوش رأيه ونعوت همَمه ".

وتارة باعتبار وظيفة المكتوب إليه، فيكتب مثلاً إلى كافل السلطنة " ولا زالت كفاية كفالته تزيد على الآمال، وتتقرب إلى الله بصالح الأعمال، وتكفل ما بين أقصى الجنوب وأقصى الشمال ". ونحو ذلك.

---

(١) بصالح: صبح، ج٦، ص٢٨٩. ضوء، ص٤٢٤.

(٢) شمس: صبح، ج٦، ص٢٨٩.

(٣) ما بين الحاصرتين من، صبح، نفسه.

(٤) ساقطة من صبح، نفسه.

وتارة تقع باعتبار بلد المكتوب إليه، فيكتب مثلاً لنائب الشام " ولا زال النصر حلية أيامه وشامه، وغمامة ما يحلق على بلده المخضر[١] من غمامه ". ونحو ذلك. وسيقع كثير من ذلك فى مكانه من دعاء المكاتبات إن شاء الله تعالى.

الرابع: أن يعرف ما يكرهه الكتاب من الدعاء فيتجنبه، مثل " جعلنى الله فداك "، و" قدمنى إلى السوء دونك " لما فى ذلك من التصنع والملق الذى لا يرضاه السلطان، لأن نفس الداعى لا تسمح باستجابة ذلك، قال فى صناعة الكتاب: ولا يقال فى مكاتبة النساء " وأدام كرامتك "، ولا " وأتم نعمته عليك "، ولا " وأدام سعادتك ".

الخامس: أن يتجنب الخلاف فى الدعاء والموالاة بين دعوتين مختلفتين أو متفقتين، فأما الخلاف فى الدعاء، قال فى صناعة الكتاب: وهو مثل أن يقول " أطال الله بقاء سيدى " بلفظ الغيبة، ثم يقول " وبلغك أملك " بلفظ الخطاب. وأما موالاة دعوتين مثل " حرس الله الأمير أعزه الله تعالى " ثم يقول بعد ذلك فى فصل آخر " أعزه الله تعالى "، وما أشبه ذلك.

السادس: أن يراعى الكتاب فى مقاصد مكاتباته مطابقة مقتضى الحال فى اللفظ والمعنى، فيأتى مع كل كلمة بما يليق بها، ويتخير لكل لفظة بما يشاكلها، ولينظر إلى من يصل إليه الكتاب فى طبقات العلم والفهم قبل أن يأخذ فى تسطير الكتاب [٢١٥ ب]، فإن كان من الأدباء البلغاء العارفين بنظم الكلام وتأليفه، فَلْيودع كتابه الألفاظ الجزلة التى إذا حليت بها المعاني يزاد بها فخامة فى القلوب وجلالة فى الصدور، وإن كان ممن لا يفرق بين خاص الكلام وعامه، فليضمن كتابه الألفاظ التى لا تتساوى ما بعدها فى إدراك معانيها، فإنه متى عدل عن ذلك ضاع كلامه ولم يصل معنى ما كتب فيه إلا من كاتبه، لأن الكلام البليغ إنما هو موضوع بإزاء إفهام البلغاء والفصحاء. والكتب التى ينبغى أن يراعى الكاتب فيها الفصاحة والبلاغة وجودة الخط المكاتبات الصادرة إلى عظماء ملوك الشرق وعظماء ملوك الغرب.

السابع: أن يراعى رتبة المكتوب إليه فى الخطاب، فيعبر عن كل واحد بما يليق به، وكذا المكتوب عنه. فأما المكتوب عنه فيختلف الحال فيه باختلاف منصبه ورتبته، فإن كان خليفة فيعبر فى الكتب الصادرة عنه " بأمير المؤمنين " مثل أن يقال " فجرى أمير المؤمنين بكذا وكذا "، وربما عبروا عنه بالسلطان فى أماكن مثل أن يقال فى حق المحاربين " وحاربوا عساكر السلطان "

(١) المخصب: صبح، ج٦، ص٢٨٩.

يريدون الخليفة. وإن كان المكتوب عنه ملكاً فيعبر عنه بنون الجمع للتعظيم فيقال " برز أمرنا بكذا وكذا "، و" اقتضت مراسمنا الشريفة كذا ". ونحو ذلك.

وأما المكتوب إليه فقال فى الصناعتين: ينبغى أن يعرف قدر المكتوب إليه ليفرق بين من يكتب إليه " أنا أفعل كذا "، أو من يكتب إليه " نحن نفعل كذا " " فأنا " من كلام الأشباه، و"نحن" من كلام الملوك. قال محمد بن إبراهيم الشيبانى: لا يجوز أن يخرج المعنى لكل مخاطب على صيغة واحدة من اللفظ، بل ينبغي أن تخرج فى الصيغة المشاكلة للخاطب اللائق بقدره ورتبته. ألا ترى أنك لو خاطبت سلطانك بالتعزية عن مصيبة من مصائب الدنيا لما جاز أن تثنى الكلام على وعظه وإرشاده ومجانبة الجزع وتلقى الحادثات بالتسليم والرضى، وإنما الصواب على أن يبنى الخطاب على أنه أعلى شأناً، وأرفع مكاناً، من أن يعزى، بخلاف المتأخر فى الرتبة فإنه[٢١٦ أ] إنما يعزى تنبيهاً وتذكيراً.

الثامن: أن يراعى موقع الشعر[١] فى المكاتبات فيورده حيث يحسن إيراده بحسب المكتوب عنه والمكتوب إليه، كما كتبت أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه إلى على بن أبى طالب كرم الله وجهه حين تمالأ عليه القوم واجتمعوا لقتله " أما بعد فقد بلغ السيل الـزبى، والحزام الطبيين، وطمع فى من كان يضعف عن الدفع عن نفسه، فاقبل إلىّ صديقاً كنت أم عدوا. وكتب:

فإن كنتُ مأكولا فكن خير آكل وإلا فأدركْنى ولما أفرق

حكى العسكرى أن رافعاً رفع كتاباً إلى الرشيد وكتب فى أسفله:

إذا جنيت عاراً أو رضيت بذلة فنفسى على نفسى من الكلب أهون

فكتب إليه الرشيد كتاباً وكتب فى أسفله:

ورفعك نفساً طالباً فوق قدرها يسوق لك الحتف المعجل والذلا

والأمر على ذلك جار إلى زماننا.

(١) هو الأصل العاشر عند القلقشندي بعنوان { أن يراعى مواقع آيات القرآن والسجع فى الكتب وذكر أبيات الشعر فى المكاتبات }، صبح، ج٦، ص٣٠٦.

التاسع [١]: أن يأتي فى كتابه بحسن الاختتام من اعتماد سهولة اللفظ وحسن السبك ووضوح المعنى وتجنب الحشو مع ما يؤدى إلى تعظيم المكتوب وإجلاله مما يستجلب الخواطر، ولا بد من الإتيان بالدعاء فى كل ما يكتب بحسب رتبة المكتوب له من الولايات والمكاتبات. فالبيعات والعهود لا تتعدى ست فقرات، والمتداول عليه بين الكتاب أربعة، ولا يمكن نقصها عن ذلك. والتقاليد والتفاويض لا تتعدى أربع فقرات، وربما اكتفى فيها بفقرتين. والتواقيع حيث وقعت لا تتعدى فقرتين. والمكاتبات فالدعاء فيها على السجعات التابعة لقطع الورق، ويدعى لكل ملك بما يناسبه من الدعاء على ما تقدم. وللنواب الكبار " والله تعالى يؤيده بالملائك ". والمتوسطين " والله تعالى يؤيده "، ثم ما دون " صدرت والعالى " اقتصر على الدعاء بالتوفيق من غير أن يأتي بمنه وكرمه.

الفصل الثانى

فى بيان مواقع الإيجاز والإطناب وما يلائم ذلك فى المكاتبات

وهو على ضربين:

الضرب [٢١٦ ب] الأول: ما يعمل فيه على الإيجاز والاختصار، وقد استحسنوا الإيجاز فى ثلاث مواضع [٢]:

الأول: أن يكون المكتوب عن السلطان فى أوقات الحروب إلى نواب الملك بالاستجاشة[٣]. قال فى حسن التوسل: فيجب أن يتوخى الإيجاز والألفاظ البليغة الدالة على القصد من غير تطويل [ولا بسط يضيع المقصد] [٤] ويفصل الكلام بعضه من بعض، ولا يعمد فى ذلك إلى تطويل [٥] لأمر العدو فيضعف القلوب، ولا تهوين لأمره بحيث يحصل به الاغترار.

---

(١) هو الأصل الحادى عشر عند القلقشندي، صبح، ج٦، ص٣١٢.

(٢) خمسة مواضع: صبح، ج٦، ص٣١٥.

(٣) يقصد به تجييش الجيوش استعداداً للحرب.

(٤) ما بين الحاصرتين من، صبح، نفسه.

(٥) الصواب: تهويل، صبح، نفسه.

الثانى: أن يكون ما يكتب عن السلطان خبراً يريد التورية به عنه، وستر حقيقة من هزيمة جيش، أو تغيير رسم، أو تكليف الرعية ما لا يسهل عليها تكليفه. قال فى مواد البيان: فيقصد فى ذلك الاختصار والإيجاز، ويعدل عن الألفاظ الخاصية بالمعنى إلى غيرها مما يحتمل التأويل ولا تنفر الأسماع عنه، ولا ترع القلوب له، من غير أن يحتمل كذباً صراحاً، فإنه لا شىء أقبح بالسلطان ولا أغمض بشأنه [1] وقدره من أن يضمن كتابه ما لا يكتب [2] للعامة بطلانه.

الثالث: أن يكون ما يكتب به عن السلطان أمراً ونهياً، قال فى مواد البيان: فحكمها حكم التوقيعات الوجيزة الجامعة للمعانى الجازمة بالأمر والنهى [اللهم إلا أن يكون الأمر أو النهى] [3] مما يحتاج إلى رسوم ومثل يعمل عليها، فيحتاج إلى الإطالة والتكرير بحسب ما يؤمر به وينهى عنه دون الحذف والإيجاز.

الضرب الثانى: ما يعمل فيه على البسط والإطناب، وقد استحسنوا ذلك فى ثلاث مواضع [4]:

الأول: أن يكون ما يكتب عن السلطان خبراً يريد تقرير صورته فى نفوس العامة كالأخبار بالفتوحات المتجددة والنعم القابلة، فيشيع [5] القول فيها، ويبنى على الإطناب، ويكثر الألفاظ المترادفة لتعرف قدر النعمة الحادثة، وتزيد بصائرهم فى الطاعة، ويعلو موضع سلطانهم من عناية الله تعالى به ليقوى [6] قلوب أوليائه وتضعف قلوب أعدائه. قال فى حسن التوسل: وإذا كتب بالتهانى بالفتوح فليس إلا بسط الكلام والإطناب [٢١٧ أ] فى شكر نعمة الله تعالى والتبرى من الحول والقوة إلا به، ووصف ما أُعطى من النصر وذكر ما منح من الثبات،

(١) لشأنه: صبح، ج٦، ص٣١٦.

(٢) الصواب: ما يكشف، صبح، نفسه.

(٣) ما بين الحاصرتين من، صبح، نفسه.

(٤) موضعين: صبح، ج٦، ص٣١٧.

(٥) هذا الكلام منسوب لصاحب مواد البيان، صبح، ج٦، ص٣١٧. وقد بدل فيه صاحب الثغر فى الألفاظ بما لا يخل بالمعنى

(٦) فتقوى: صبح، نفسه.

وتعظيم ما يسر من الفتح، ثم [ما وصل من ذلك] (١) من عزم وإقدام، وجلد عن الملك وعن جيشه مما حسن وصفه ولاق ذكره، ولا بأس تهويل العدو ووصف جمعه وإقدامه.

وإن كان الكتاب لصاحب مملكة تَعَّين أن يكون أبسط وأكثر إطناباً وأتم. فإن كتب إلى ملك كافر(٢) غير محارب ذكر من أسباب المودة ما يقتضى المشاركة فى المسار، وإن أمر [هذا](٣) العدو مع كثرته أخذ بأطراف الأنامل، ويقول إن تلك عوائد [نصر] (٤) الله تعالى بنا (٥)، وانتقامه ممن عادانا.

وإن كان المكتوب إليه متهماً بموالاة العدو، فيكتب بما فيه التقريع والتهكم والتهديد فى معرض الأخبار.

الثانى: أن يكون ما يكتب به عن السلطان فى أوقات حركات العدو إلى أهل الثغور يعلمهم بالحركة للقاء عدوهم. قال فى حسن الترسل: فيجب أن يبسط القول فى وصف العزائم، وقوة الهمم، وشدة الحمية للدين [وكثرة العساكر والجيوش] (٦) وسرعة الحركة، وطى المراحل، ومعاجلة العدو، وتخييل أسباب النصر، والوثوق بعوائد الله تعالى فى الظفر، وتقوية القلوب منهم، وبسط آمالهم وحثهم على التيقظ وحفظ ما بأيديهم، ويبالغ فى وصف الإنابة إلى الله تعالى استنزال نصره وتأييده والرجوع إليه فى تثبيت الأقدام، والاعتصام به فى الصبر والاستعانة فى خذلانهم، وزلزلة أقدمهم، دون التصريح ببطلان حركتهم لما فى ذلك من اهام الضعف عن لقائهم، واستشعار الخوف والوهم منهم.

الثالث: (٧) أن يكون ما يكتب به عن السلطان إخماداً، أو وعداً، أو وعيداً، أو استقصاراً، أو عدلاً، أو توشحاً. فيجب أن يسبغ الكلام وعد القول بحسب ما يقتضيه أمر

---

(١) ثم وصف ما بعد ذلك: صبح، ج٦، ص٣١٨.

(٢) غير مسلم: صبح، ج٦، ص٣١٩.

(٣) ما بين الحاصرتين من، صبح، نفسه.

(٤) ما بين الحاصرتين من، صبح، نفسه.

(٥) لنا: صبح، نفسه.

(٦) ما بين الحاصرتين من، صبح، نفسه.

(٧) لم يذكره القلقشندي فى صبح الأعشى.

المكتوب إليه فى الأناة والإحسان والاجتهاد والتقصير، لينشرح صدر المشمر المحسن، وتنبسط آماله ورجاؤه، ويرتدع المقصر المسيء على[٢١٧ ب] ندم منه، ويتلافى ما فرط منه.

الفصل الثالث

فى بيان لواحق المكاتبات من العنونة والترجمة

وهـــو على حالتين:

الأولى: العلوان، وفيه سبع لغات حكاها صاحب ذخيرة الكتـــاب: عُنـــوان، عُنيـــان، وعِنْيان، وعِنْوان، وعُلوان، وعِلوان، وعَليان. وتجمع علوان على علاويـــن، وعنـــوان علـــى عناوين. ويقال عَنَّ الكتاب وعنونه عنونة، ثم من قال عنوان جعله مأخوذاً من العنوان، يعـــنى الأثر، لأن عنوان يؤثر فى كل من الجهتين، ممن هو والى من هو. وزعم بعضهم إلى أنه مأخوذ من قول العرب " عنت الأرض عنواً "، إذا أخرجت النبات. وقيل: مأخوذ من " عـــن يعـــن " إذا عرض وبدا. وعلوان قيل مشتق من العلانية لأنه خط ظاهر على الكتاب، ومن قال عنيان جعله من " عنيت فلاناً " إذا قصدته. قال فى مواد البيان: العلوان [1] كالعلامـــة، [وهـــو] [2] دال على مرتبة المكتوب إليه حتى لا يجهل.

ولا يختلف عن الصدر فى الدعاء والألقاب، وتكون أسطر العنوان متقاربة، ويقتصـــر فى الدعاء فيه على دعوة واحدة، ولا يرمل، ويكتب بالذهب لعظماء القانات كما سيأتى.

مهمة: قال فى مواد البيان: إنه كان الأصل فى العلوان أنه يبدأ باسم المكتـــوب عنـــه، ثم يأتى باسم المكتوب إليه. قال: وهو الترتيب الذى تشهد به العقول لأن ابتـــداءه إلى المكتـــوب عنه، وانتهاءه إلى المكتوب إليه، وعلى هذا كانت كتب النبى صلى الله عليه وسلم ومن ســـلف من الأمم الماضية، ثم عرض للناس رأى فى تغيير هذا الرسم إلى غيره كما هو عليه الآن.

الحالة الثانية: الترجمة، وتقع عن السلطان فى المكاتبات على خمسة أقسام:

الأولى: إلى ديوان الخلافة، قال فى التعريف: إن السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب سقى الله عهده كتب " الخادم "، وكتب بنوه والعادل أخوه " المملـــوك "، وكتـــب الكامـــل

---

(١) العنوان: صبح، ج٦ص٣٤٩.

(٢) ما بين الحاصرتين من، صبح، نفسه.

"العبد"، وعلى ذلك كتب ابنه الصالح، وكتب الناصر بن العزيز " أقل المماليك "، وكتب الناصر داود " أقل العبيد "، وكان علاء الدين خوارزم شاه [١] يكتب " الخادم المطواع " وكذلك [٢١٨ أ] ابنه[٢]، وكانت أم جلال الدين تكتب " الأمة الداعية ". وفي زماننا وقبله بمائتين سنين لم يكتب عن السلطان كتاب لأحد من الخلفاء لأن الخليفة لم يفارق الركاب الشريف سفراً وحضراً.

الثاني: أخوه، وهي أعلى المراتب في زماننا، وتأتي مع المقام الشريف، والعالي، والحضرة، والمقر، والجناب الكريمين، ومع الجناب العالي، لبعض الوزراء. ومع المجلس العالي لأمراء مكة والمدينة وآل فضل، وأكابر ملوك الغرب، وقاضي القضاة الشافعي، وكذلك الحنفي إذا قصد تعظيمه. ويأتي في المطلقات الكبار، ويأتي مع صدرت والعالي لصاحب القرم، وكما كان يكتب لأولاد ملوك بغداد قديماً حين كانت بيد أولاد أويس.

الثالث: والده، مع الجناب الكريم في أماكن، والجناب والمجلس العالي، وهذه في أماكن. وفي المطلقات الوسطى للمقدمين ونواب القلاع ونحو ذلك.

الرابع: الاسم إذا جرد، وهو يأتي في جميع ما اشتملت عليه الولايات من التقاليد، والتفاويض، والمراسيم، والتواقيع، والمساميح، والطرخانات، والمطلقات الصغار، وأوراق الطريق، ومع السامي بياء وغير ياء، ومجلس الأمير ونحوه، والتذاكر، والمربعات كما سيأتي كل قسم من ذلك في موضعه إن شاء الله تعالى.

الخامس: ترجمة المناشير، وهي علامة اصطلاحية لكل ملك بحسب اختياره من غير اسمه، وغالب الملوك يكتبون " الله أملي " على اصطلاح ترتيبها، وتكون على وضع واحد في جميع المناشير، ويكتفي بالدلالة عن معرفة واضعها باللقب الملوكي، واللقب الخاص. أما الطغراوات

---

(١) هو السلطان علاء الدين محمد خوارزم شاه تولى حكم خوارزم وبلاد ماوراء النهر، وقد كانت له عدة معارك وحروب مع التتار انتهت بهزيمته واجتياح التتار لبلاده وموته بعد ذلك، وقد كانت وفاته عام ٦١٧ هـ. ابن كثير: البداية والنهاية، ج١٣، ص٨٩، ١٨١؛ ابن تغرى بردى: النجوم، ج٦، ص٢٢٥.

(٢) هو السلطان جلال الدين منكبرتي بن السلطان علاء الدين خوارزم شاه، تولى الحكم بعد أبيه عام ٦١٧ هـ إلى عام ٦٢٨ هـ وانتهى كأبيه مع التتار بهزيمته وقتله عام ٦٢٩ هـ. ابن كثير: السابق، ج١٣، ص٩١، ١٣٢؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج٢٣، ص١٦٢.

فلا يطلق عليها ترجمة، وكانت تأتى فى مناشير أولاد الملوك وبعض الأمراء، وتأتى فى الكتــب للقانات كما سنذكره فى مكانه إن شاء الله تعالى.

الباب الثانى

فى مصطلح مفتتح الكتب من أيام النبى صلى الله عليه وسلم والى زماننا

وهو على ثلاثة أساليب:

الأسلوب الأول: أن يفتتح المكاتبة من فلان إلى فلان، والأصل فى ذلك أن النبى صلى الله عليه وسلم كان كتابه يكتبون عنه فى جل مكاتباهم كذلك، فكان يكتب " من محمد رسول الله إلى فلان " باسمه فإن كان مسلماً [٢١٨ ب] كتب " سلام عليك فإنى أحمد إليك الله الذى لا إله إلا هو "، وإن كان كافراً كتب " سلام على من اتبع الهدى "، ثم يقول " أما بعد فإن كذا وكذا ". كما قدمت ذلك فى مقدمة الكتاب. وقد لا يقول أما بعد ويأتي على المقصد إلى آخره ويختم الكتاب بقوله " والسلام عليك ورحمة الله وبركاته " إن كان مسلماً، وربما اقتصر على " والسلام عليك ". وإن كان كافراً افتتح بقوله " السلام على من اتبع الهدى "، وربما يختم " بعد السلام عليك " ونحو ذلك.

فلما توفى النبى صلى الله عليه وسلم وولى أبو بكر الصديق رضى الله عنه الخلافة كتب فى كتبه افتتاحا " من أبي بكر خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى فلان "، ويأتى ببقية المكاتبة على ما تقدم. فلما آلت الخلافة إلى عمر بن الخطاب رضى الله عنه كتب " من عمر بن الخطاب خليفة خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم "، فلما لقب بأمير المؤمنين زاد فى المكاتبة " عبد الله " قبل اسمه وبعده " أمير المؤمنين " فكان يكتب " من عبد الله عمر أمير المؤمنين إلى فلان "، وباقى المكاتبة على ما تقدم، واستمر ذلك فيمن بعده فى الدولة الأموية والعباسية حتى إن المأمون كان اسمه عبد الله فكان يكتب " من عبد الله عبد الله أمير المؤمنين إلى فلان ". فكرر عبد الله مرتين مرة للاسم ومرة للقب الذى زاده عمر بن الخطاب.

ولما آلت الخلافة إلى معاوية بن أبي سفيان عبر عن نفسه فى أثناء المكاتبة " بأمير المؤمنين " مثل، " بلغ أمير المؤمنين "، " واقتضى رأى أمير المؤمنين "، ونحو ذلك. ولما ولى الوليد بن عبد الملك الخلافة، جود القراطيس، وحسن الخطوط، وفخم المكاتبات، وتبعه من بعده من الخلفاء على ذلك إلا عمر بن عبد العزيز، ويزيد بن الوليد، فإنهما جريا فى ذلك على طريقة السلف، ثم جرى الأمر بعدهما على ما سنه الوليد، فلما صار الأمر إلى مروان بن محمد آخر خلفائهم

وكتب له عبد الحميد بن يحيى وكان من اللسن والبلاغة بالمكان الذى لا يجهل، فأطال الكتب وفخمها وعظم أمرها.

فلما أفضت الخلافة إلى الدولة العباسية زيد بعد لفظ الخليفة اسم " الإمام " فكان يكتب " من عبد الله فلان الإمام [٢١٩ أ] الفلانى أمير المؤمنين إلى فلان سلام عليك فإن أمير المؤمنين يحمد إليك الله الذى لا إله إلا هو "، ثم يخلص إلى المقصود على ما تقدم. فلما آلت الخلافة إلى الرشيد زاد بعد التحميد " وأساله أن يصلى على محمد عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم " معيدا الضمير على أمير المؤمنين، وربما كتب " وأساله أن يصلى على ابن عمه محمد صلى الله عليه وسلم "، وجرى الأمر على ذلك إلى [أن] صارت الخلافة إلى الأمين اكتنى فى كتبه وتتبعه الخلفاء على ذلك، والذى رتبه أبو جعفر النحاس فى صناعة الكتاب أن يقدم الاسم أولاً على الكنية، والكنية على اللقب مثل أن يقال " من عبد الله فلان أبى فلان الإمام الفلانى أمير المؤمنين ". وقال: إن هذا الذى اصطلح عليه فى الأمور السلطانية الذى ينشأ بها الكتب من الدواوين. وذكر أن بعض العلماء خالفهم فى ذلك، وقال: إن الأولى أن يبدأ باللقب من أن يقال " من الراضى " كما قال عز وجل ﴿ إنما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله ﴾ لأن اللقب لا يشاركه فيه غيره. ولم يزل الأمر على ذلك إلى حين انقراض الخلافة من بغداد.

وأما الخلفاء الفاطميون بمصر بالديار المصرية فإنه كان يزاد فيما يكتب به عنهم بعد " من عبد الله " لفظة " ووليه "، فيقال " من عبد الله ووليه فلان أبى فلان الفلانى ـ بلقب الخلافة ـ أمير المؤمنين "، ويقولون فى الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم " وأسأله أن يصلى على جده محمد نبيه ورسوله وعلى الأئمة من عترته ويسلم عليهم تسليماً ".

فلما صارت الخلافة العباسية من بغداد إلى الديار المصرية جرت مكاتبة خلفائها على ما كان الأمر عليه فى بغداد مع زيادة لفظة " ووليه " التى كان يكتب بها الفاطميون مع التعويض عن التحميد والسلام بخطبة. فكتب عن المستكفى بالله أبو الربيع سليمان إلى الملك المؤيد [1] بدر الدين داوود صاحب اليمن بعد الافتتاح بآية من كتاب الله " من عبد الله ووليه أبى الربيع سليمان، أما بعد حمد الله ". ثم لما آلت الخلافة إلى المتوكل على الله افتتح الكتب عنه بالسلام فكان يكتب " سلام الله [٢١٩ ب] تعالى ورحمته وبركاته يخص فلاناً "، وعلى ذلك جرى

(١) هزبر: صبح، ج٦، ص٤٢١.

المستعين بالله [فى] كتبه فى أول خلافته، فلما استبد بالخلافة والسلطنة كتب عنه " من عبد الله ووليه خليفة رب العالمين وابن عم سيد المرسلين المفترض طاعته على الناس أجمعين الإمام المستعين بالله أبى الفضل العباس أعز الله به الدين "، ثم يؤتى بالمكاتبة السلطانية بنصها مثل " أعز الله تعالى أنصار المقر الكريم أو نصرة الجناب الكريم ". وكذا فى جميع المكاتبات، فلما خلع المستعين واستقر فى الخلافة أمير المؤمنين المعتضد بالله أبى الفتح داوود أعاد المكاتبة إلى ما كانت عليه فى زمن والده.

مهمة: اعلم أن الخطاب فى الكتب الصادرة عن النبى صلى الله عليه وسلم كان يقع باسم المكتوب إليه الذى هو علم عليه بتاء الخطاب وكافه، مثل " أنت فعلت وقلت ذلك وعليك " وما أشبه ذلك كما تقدم، وكذلك الكتب الصادرة عن الصديق رضى الله عنه، وعن الخلفاء الراشدين من الصحابة رضوان الله عليهم، ثم الدولة الأموية ثم الدولة العباسية فلما انحلت الدولة العباسية وتغلب على خلفائهم ملوك بني بويه ولقبوا بالإضافة إلى الدولة والملة كتب إليهم عن نظير ألقابهم فكتب أبو أسحق الصابئ عن الطائع لله " إلى صمصام الدولة ابن عضد الدولة بن بويه، من عبد الله عبد الكريم الإمام الطائع لله أمير المؤمنين إلى صمصام الدولة وشمس الملة [أبى كاليجار بن عضد الدولة وتاج الملة] [1] ولى أمير المؤمنين، سلام عليك فإن أمير المؤمنين يحمد إليك الله الذى لا إله إلا هو، ويسأله أن يصلى على محمد عبده ورسوله ويسلم تسليماً، أما بعد أطال الله بقاءك فإن أمير المؤمنين " ويأتي على المقصود إلى آخره.

ثم لما جاءت الدولة السلجوقية ولقب فيها بالإضافة إلى " الدين " وكثرت الألقاب التى يلقب بها الخلفاء الملوك كتب بها، فكتب عن المقتفى بالله أمير المؤمنين إلى شاه المعظم:

" مولى الأمم، مالك رقاب العرب والعجم، جلال دين الله، [٢٢٠ أ] ظهير عباد الله، حافظ عباد الله، معين خليفة الله، غياث الدنيا والدين، ناصر الإسلام والمسلمين، محيى الدولة القاهرة، معز الملة الزاهرة، عماد الملة الباهرة، أبى الفتح مسعود بن محمد بن ملك شاه قسيم أمير المؤمنين، سلام عليك فإن أمير المؤمنين يحمد إليك الله الذى لا إله إلا هو ويسأله أن يصلى على سيدنا محمد عبده ورسوله ويسلم تسليماً، أما بعد أطال الله بقاءك، وأدام عزك وتأييدك ". فى دعاء طويل يخلص منه إلى المقصد.

---

(١) بياض فى الأصل، وما بين الحاصرتين من، صبح، ج٦، ص٣٩٦.

إلا أن المقر الشهابى ابن فضل الله حين كتب عن المستكفى بالله أبى الربيع سليمان إلى الملك الناصر [١] محمد بن قلاوون وهو بالكرك يستدعى حضوره بالقاهرة لتقلد السلطنة بعد خلع أخيه الأشرف كجك عدل عن الألقاب بخطبته بعد الافتتاح بآية من كتاب الله فكتب ﴿ أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ ﴾ [٢]، ثم قال " فالحمد لله الذى أسبغ نعمة الظاهرة والباطنة وألف قلوب أوليائه المتفقة والمتباينة ". وأتى على الخطبة إلى آخرها وكان فى قطع العادة، والأسطر على العادة والترجمة فى بيت العلامة على العادة " الداعى بالخيرات فلان الفلانى " بلقب الخلافة.

وثَم من كتب " المحب الداعى " على ما تقدم ومن إذ ذاك لم يعهد أن الخليفة كتب إلى سلطان. أما الكتب الآن عن الخليفة إلى الأمراء فإنه بعد السلام يؤتى بألقاب المكتوب إليه مثل أن يكتب الخليفة إلى نائب الشام " سلام الله تعالى ورحمته وبركاته يخص المقر الكريم العالى إلى عضد أمير المؤمنين ". ويأتى على المقصد، وعلى مثل ذلك تكون جميع مكاتباته.

وأما المطلقات عنه فصورته أن يكتب فى طرته " مثال شريف إمامى مطلق إلى كل واقف عليه "، ويكمل طرته " من أن يتقدموا باعتماد ما تضمنه هذا المطلق الشريف الإمامى " إلى آخره، والصدر بعد البسملة " من عبد الله ووليه " ثم تحتها فى بيت العلامة اسم الخليفة واسم أبيه من داود بن محمد، وأول [٢٢٠ ب] السطر " الإمام الأعظم والخليفة المكرم المعتضد بالله تعالى أبى الفضل داود أمير المؤمنين وإمام المسلمين وابن عم سيد المرسلين أعز الله به الدين وأمتع ببقائه الإسلام والمسلمين إلى كل واقف عليه ". ويكمل على نحو المطلقات الشريفة.

وأما المراسيم فصورتها " رسم بالأمر الشريف العالى، المولوى، الإمامى الأعظمى، النبوى، الخليفى، المعتضدى، مثلاً سيدنا ومولانا أمير المؤمنين المعتضد بالله تعالى أبى فلان فلان"، ويدعى له نحو " أعز الله به الدين، وأمتع الإسلام والمسلمين " كما تقدم، ثم يقول " ولا زال أو ولا زالت " ويأتى بالمقصد إلى أخره، ثم يقول بعد الخط الشريف " الإمامى " أعلاه.

---

(١) هو الملك الناصر أحمد بن الناصر محمد بن قلاوون.

(٢) لقمان، الآية ٢٠.

الأسلوب الثانى: ما يكتب به عن الخلفاء أيضاً، وهو أن يفتح المكاتبة " بأمــا بعــد "، والأصل فى ذلك وهو أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يفتتح فى بعض كتبه بذلك كما كتب إلى نجران " أما بعد فإني أدعوكم إلى عبادة الله من عبادة العباد، وأدعوكم إلى ولايــة الله مــن ولاية العباد فإن [أبيتم فالجزية] [١]، وإن أبيتم فقد آذنتكم بحرب الإسلام.

وكذلك كتب بعض الخلفاء الراشدين، كما كتب عثمان بن عفان إلى على بن أبي طالب رضى الله عنهما حين خرج إلى البقيع [٢] واختلف الناس على عثمان " أما بعد فقد بلغ السيل الزبى، [وجاوز][٣] الحزام الطبيين، وطمع فى من كان يعجز عن الدفع عن نفسه، أما بعد فإذا أمكنتك القدرة على المخلوق فاذكر قدرة الخالق عليك، واعلم أن مالك عند الله ما لله عندك".

أما خلفاء بنى العباس، فغالب ما كان يقع ذلك عنهم فى كتب الفتوح ونحوها مما كان لا يختص بواحد وهو على ضربين:

الضرب الأول: أن يعقب البعدية بالحمد لله إما مرة واحدة كما كتــب أبــو إســحاق الصابئ عن المطيع إلى بعض ولاة الأطراف عند طاعة عبد الملك بن نوح السامانى وهو " أما بعد فالحمد لله الولى بالاستحماد المستحق، لكنه الاستعداد [٤] القدير على تأليف الأجساد ". ونحو ذلك ثم يخلص إلى المقصد بقوله " وقد علمت كيت وكيت ".

إما يكرر الحمد ثلاثاً فأكثر مما [٢٢١ أ] كتب عن المعتصم إلى ملوك الآفــاق مــن المسلمين عند قبض الأفشين [٥] [على بابك] [٦] ملك الروم [٧] ، وهو " الحمد لله الذى جعل

---

(١) بياض فى الأصل، وما بين الحاصرتين من، صبح، ج٦، ص٣٨١.

(٢) الصواب: الينبع، صبح، ج٦، ص٣٨٨.

(٣) ما بين الحاصرتين ساقط أيضاً من صبح، وأضافه محققوه من ضوء الصبح. ج٦، ص٣٨٩ هــ١.

(٤) الاعتبار: صبح، ج٦، ص٤١٠.

(٥) هو خيذر بن كاوس أحد القواد الأتراك فى عهد الخليفة المعتصم، قام بالقضاء على فتنة بابك الخرمى، وقد قتله المعتصم عام ٢٢٦ هــ. الطبرى: تاريخ الرسل، ج٩، ص١١١ ــ ١١٤؛ ابن خلكان: وفيات، ج٥، ص١٢٣.

(٦) ما بين الحاصرتين من، صبح، ج٦، ص٤٠٠؛ ضوء، ص٤٥٥.

(٧) لم يكن بابك ملكاً على الروم وإنما كان أحد الدعاة لمذاهب الزنادقة، وعنه وحركته انظر القسم الثانى، ص٢٠٥.

العاقبة لدينه، والعصمة لأوليائه، والعز لمن نصره، والفَلَح [(١)] لمن أطاعه " إلى نحو عشر سجعات، ثم قال " والحمد لله الذى يأخذ [(٢)] لأمير المؤمنين بصنعه، فيسر له أمره، وصدق له ظنه، وأنجح له طلبته "، إلى نحو عشرين سجعه، ثم قال " والحمد لله كثيراً كما هو أهله، ونرغب إلى الله فى تمام نعمه، ودوام صنعه، وسعه ما عنده بمنه وكرمه [(٣)] " ثم يخرج إلى المقصد.

الضرب الثانى: أن لا يعقب البعدية بتحميد، بل يقع الشروع عقبتها فى المقصود كما كتب أبو أسحق الصابئ عن الطائع لله إلى من بصحار وما معها من البحرين بالاجتماع على الطاعة " أما بعد فإن أمير المؤمنين الذى حمله الله من أعباء الأمانة، وأهله له فى شرف الخلافة، وأستودعه من الأمانة فى حياطة المسلمين، والاعتماد [(٤)] لهم فى مصالح الدنيا والدين " إلى آخر ما سنح له من ذلك، ثم يخلص إلى المقصود بقوله " وقد علمتم ".

الأسلوب الثالث: أن يفتتح المكاتبة بخطبة مفتتحة بالحمد لله، وأصل هذه المكاتبة تخليص من الأسلوب الأول من قولهم " فإنى أحمد إليك الله الذى لا إله إلا هو " ثم أحدث عبد الحميد بن يحيى فى خلافة مروان بن محمد أحد خلفاء بنى أمية التحميد بالبعدية، وتبعه من تبعه على ذلك، ثم توسعوا فى ذلك فجعلوا الحمد افتتاحاً ولاحقاً فى أن الافتتاح بالحمد من أعلى الافتتاحات، وأعلى مراتب الابتداء، وإن لم يقع الابتداء به فى صدر الإسلام، وعلى ذلك كانت مكاتبات الفاطميين فى آخر ولاياتهم والعمل على الأسلوب الأول.

واعلم أن للخليفة مكاتبات خاصة لأخصائه كالوزير ونحوه، قال فى صناعة الكتاب: ويكاتب الإمام الوزير ومن حل محله " أمتعنى الله بك "، و" بدوام النعمة عندى بك "، و" بقاء الموهبة لى فيك ". وما جرى هذا المجرى ثم يرتب على ما ذكره فى صناعة الكتاب على الأسلوب الأول، ثم يكتب " من عبد الله فلان [٢٢١ ب] إلى فلان، سلام عليك فإن أمير المؤمنين يحمد إليك الله الذى لا إله إلا هو، ويسأله أن يصلى على سيدنا محمد عبده ورسوله ". ثم يفصل ببياض يسير، ويكتب " أما بعد فإن كذا وكذا "، ويأتى على المعنى، فإذا فرغ من ذلك وأراد أن يكتب بأمر فصل ببياض يسير ثم يكتب " وقد أمر أمير المؤمنين بكذا ". فيؤمر

---

(١) الفلاح: ضوء، ص٤٥٥.

(٢) نوجه: صبح، نفسه؛ تولى: ضوء، نفسه.

(٣) ولطفه: صبح، ج٦، ص٤٠١؛ ضوء، ص٤٥٥.

(٤) الاجتهاد: صبح، ج٦، ص٤١٣؛ ضوء، ص٤٥٥.

بامتثال ما أمر به والعمل بحسبه، ثم يفصل ببياض ويكتب " فاعلم ذلك من رأى أمير المــؤمنين واعمل به إن شاء الله تعالى ".

أما عنونة كتب الخلافة، فكانت فى الجانب الأيمن " من عبد الله فلان الإمام الفلانى أمير المؤمنين ". وفى الجانب الأيسر " إلى فلان ". فلما تكنى الأمين فى كتبه زيدت الكنية فى العلوان، ثم زاد المأمون فى علونة كتبه البسملة أولا فكان يُكتب فى الجانب الأيمن قبل " مــن عبــد الله فلان" وبقيت فى العلونة إلى خلافة الراضى.

الباب الثالث

فى الكتب الصادرة عن ولاة العهد بالخلافة

قال فى صناعة الكتاب بعد أن ذكر صورة الكتابة عن الخليفة " من عبد الله إلى فــلان فلان الإمام الفلانى " عقب ذلك بأن قال: وليس أحد من الرؤساء يكاتب عنــه بالتصــدير إلا الإمام وولى العهد. ولم يزد على ذلك وقد فسر فى ذخيرة الكتاب بأن قال: يكتب التصــدير " من عبد الله أبى فلان فلاناً " باسمه وكنيته ونعته، ثم يقال " أمير المؤمنين إلى فلان، أما بعد فــإن أمير المؤمنين يحمد إليك الله الذى لا إله إلا هو " إلى آخره على ما تقدم. وقــال النحــاس فى الكلام على العلوان من الرئيس إلى المرءوس أنه يحذف من الكتاب عن ولى العهد لفظ الإمــام ولفظ أمير المؤمنين، ويقال فيه " ولى العهد " وظاهر ذلك أن المكاتبة عن ولى العهــد شــبيهة بالمكاتبة عن الخليفة، وأن لفظ ولى العهد فى المكاتبة من لفظ ولى العهد يقوم مقام أمير المــؤمنين فى المكاتبة عن الخليفة نفسه.

واختار الشيخ شهاب الدين القلقشندي بأن تكون المكاتبة عن ولى العهد " من عبد الله فلان أبى فلان الفلانى ولى عهد المسلمين أما بعد فإن كذا وكذاً "، ويأتى على المقصد. وعلــى ذلك يدل كلام [٢٢٢أ] صاحب ذخيرة الكتاب حيث قال: بعد الكتابــة عــن الخليفــة وكذلك المكاتبة عن ولى العهد.

الباب الرابع

فى المكاتبات الصادرة عن الملوك ومن فى معناهم إلى الخلفاء

والكلام عليه من خمسة [١] أساليب:

الأسلوب الأول: أن يفتتح المكاتبة بلفظ من فلان إلى فلان أو لفلان من فلان، واختلف فى ابتداء المكاتبة باسم المكتوب إليه على مذهبين، أحدهما كراهة ذلك لأنه مأخوذ عن ملوك العجم، وقد جاء عن جماعة من السلف كراهة ذلك حتى ذكر فى صناعة الكتاب عن الربيع بن أنس [٢] أنه قال: ما كان أحد أعظم حرمة من رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان أصحابه يكتبون إليه فيبدءون بأنفسهم، والذى عليه الجادة أنه لا كراهة فيه. ففى سيرة ابن هشام أن خالد بن الوليد رضى الله عنه حين بعثه النبى صلى الله عليه وسلم إلى بنى الحارث بن كعب فأسلموا كتب إليه " لمحمد النبى صلى الله عليه وسلم رسول الله من خالد بن الوليد "، وكتب النجاشى " إلى محمد رسول الله من النجاشى أصحمة "، وورد أن جماعة من السلف كانوا يتعانون ذلك.

والمتداول فى المكاتبات عن الخلفاء " لفلان " دون " إلى فلان "، كما كتب عمرو بن العاص إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنهما فى جواب كتاب " لعبد الله عمر أمير المؤمنين سلام عليك فإنى أحمد إليك الله الذى لا إله إلا هو، أما بعد فإن كذا وكذا ".

وكانت العادة عندهم بأنه إذا كان الكتاب بظهور نعمة من فتح أو غيره أتى فى صدر الكتاب بالتحميد كما كتب أبو أسحق الصابئ عن عز الدولة بن بويه إلى المطيع لله عند فتحه الموصل وهزيمة ابن حمدان [٣] فى سنة ثلاث وستين وثلاثمائة، " لعبد الله الفضل المطيع لله أمير المؤمنين، من عبده وصنيعته عز الدين [٤] بن معز الدولة مولى أمير المؤمنين، سلام على أمير المؤمنين ورحمة الله، فإنى أحمد إلى أمير المؤمنين الله الذى لا إله إلا هو، وأسأله أن يصلى على

(١) ستة: ضوء، ص٤٥٧.

(٢) هو الربيع بن أنس من بنى بكر بن وائل، وكان من أهل البصرة التابعين الذين أخذوا عن عبد الله بن عمر وجابر بن عبد الله، توفى فى خلافة أبى جعفر المنصور. ابن سعد: الطبقات، ج٧، ص٣٦٩.

(٣) أبى تغلب بن حمدان صاحب حلب: صبح، ج٦، ص٤٨٢؛ ضوء، كالثغر، ص٤٥٩.

(٤) الصواب: الدولة، ومن المعروف أن ملوك بنى بويه لم يتسموا بلقب مضافاً إلى الدين.

محمد عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم، أما بعد، أطال الله بقاء أمير المؤمنين وأدام [٢٢٢ب] له [العز] (١)، والتأييد، والتوفيق، والتسديد، والعلو، والقدرة، والظهور، والنصرة، والحمد(٢) لله العلى العظيم الأزلى القديم ". وأتى بسجعات تتعلق بتتريه الله عز وجل، ثم قال " والحمد لله الذى اصطفى للنبوة أحق عباده بحمل أعبائها " فى سجعات أخرى تتعلق بتتريه النبى صلى الله عليه وسلم. [ثم قال] " والحمد لله الذى انتجب أمير المؤمنين من ذلك السنخ الشريف، والعنصر المنيف " فى سجعات أخرى تتعلق بالخليفة، ثم يخلص إلى المقصد، وأتى على آخره.

الأسلوب الثانى: أن يفتتح المكاتبة بالصلاة على الخليفة على رأى من يرى جواز إفراد غير الأنبياء بالصلاة كما كتب القاضى الفاضل عن السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب إلى ديوان الخلافة بالبشرى بفتح بلاد من بلاد النوبة وهى:

" صلوات الله التى أعدها لأوليائه وذخرها، وتحياته التى قذف بشهبها شياطين أعدائه ودحرها، وبركاته التى دعى بها كل موحد فأجاب، وانقشع بها غمام الغم وظلام الظلام (٣) فانجاب عن أنجاب، ورحمته (٤) التى هى للمؤمنين سكن، وسلامه الذى لا يعترى الموقنين فى ترديده حصر ولا لكن على مولانا [أمير المؤمنين] (٥) عاقد ألوية الإيمان، وصاحب دور(٦) الزمان، وساحب ذيل الإحسان، وغالب حزب الشيطان، التى(٧) زلزلت إمامته قدم الباطل، وحلت خلافته ترائب الدهر العاطل، واقتضت سيوفه ديون الدين من كل عزيم مماطل (٨)، وأمضت غرب كل عزم للحق (٩) مفلول، وأطلعت مغارب (١٠) نجم كل هلال (١١) آفل،

(١) ما بين الحاصرتين من، صبح، ج٦، ص٤٨٣؛ ضوء، ص٤٥٩.
(٢) فالحمد: صبح، نفسه؛ ضوء كالثغر، نفسه.
(٣) الظلم: صبح، ج٦، ص٥١٢؛ ضوء، نفسه.
(٤) وزكاته: صبح، نفسه؛ ضوء كالثغر، نفسه.
(٥) ساقطة من صبح، نفسه.
(٦) دول: ضوء، نفسه.
(٧) الصواب: الذى، صبح، نفسه؛ ضوء، نفسه.
(٨) ماطل: صبح، ج٦، ص٥١٢؛ ضوء كالثغر، ص٤٥٩.
(٩) ساقطة من ضوء، نفسه.
(١٠) غارب: صبح، نفسه؛ ضوء، نفسه.
(١١) هدى: صبح، نفسه؛ ضوء، نفسه.

وشفعت يقظات استغفاره إلى غافر ذنب كل غافر، وعلى آبائه [الغاية والمفزع والملاذ فى وقت الفزع] [١]، والقائمين بحقوق الله إذا قعد الناس، والحاكمين بعدل الله إذا عـــدم القســـطاس، والمستعين [٢] بأنوار الأفهام [٣] الموروثة [من الوحى][٤] إذا عجز الاقتبـــاس، والصـــابرين فى البأساء والضراء وحين البأس، خزان الحكم وحفاظها، ومعانى النعم وألفاظها، وأعلام العلـــوم المنشورة إلى يوم القيامة [كالئى] [٥] السروح [٢٢٣ أ] المنتشرة [بيد] [٦] الإمامـــة، ومن لا ينفذ سهم عمل إلا إذا شحن [٧] بموالاتهم، ولا سابق [٨] صبح هداية إلا إذا استصـــبح الساري بدلالاتهم.

المملوك يقبل الأرض بمطالع الشرف ومنازله، ومرابع المجد ومعاقله، ومجـــالس الجـــود، ومحال السجود، ومختلف أنباء الرحمة المترلة [ومرسى أطواد البسيطة المتزلزلـــة] [٩]، ومفتـــر مباسم الإمامة، ومجر مساحب الكرامة، ومكان جنوح أجنحة الملائكة [١٠]، ومشتجر مناســـك المناسك، حيث يدخلون من كل باب مسلمين، ويتبعهم ملوك الأرض مستسلمين، ومشـــاهد الإسلام كيوم أنزل فيه ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ ﴾ [١١]، وينعقد على الولاية، فأما غيره فله [قوله] [١٢] ﴿ قَاتِلُواْ الَّذِينَ يَلُونَكُم ﴾ [١٣]، ويناجيها بلسان حكى [١٤] الإخلاص الصـــادق

---

(١) ساقطة من ضوء، ص٤٦٠.

(٢) المستضيئين: صبح، نفسه؛ ضوء، نفسه.

(٣) الإلهام: صبح، نفسه؛ ضوء، نفسه.

(٤) ما بين الحاصرتين من، صبح، نفسه؛ ضوء، نفسه.

(٥) بياض فى الأصل، وما بين الحاصرتين من، صبح، نفسه؛ ضوء، نفسه.

(٦) من كلا سديد: صبح، ج٦، ص٥١٢.

(٧) شحذ: صبح، نفسه؛ ضوء، نفسه.

(٨) يتألق: صبح، نفسه؛ ضوء، نفسه.

(٩) ما بين الحاصرتين من، صبح، نفسه؛ ضوء كالثغر، نفسه.

(١٠) الملائك: صبح، نفسه؛ ضوء، نفسه.

(١١) المائدة، الآية ٣.

(١٢) ما بين الحاصرتين من، صبح، ج٦، ص٥١٢؛ ضوء، ص٤٥٩.

(١٣) التوبة، الآية ١٢٣.

(١٤) جلى: صبح، ج٦، ص٥١٣؛ ضوء، نفسه.

عقدته، [وبسط للولاء] [١] السابق عقيلته، وأرهف الإيمان الناصع مغاربه [٢]، وصبح [٣] المعتقد الناصح مذاهبه، فأعرب عن خاطر لم يخطر فيه لغير الولاء خطره، وقلب إيمانه على ورود الولاء صفاء المصافاة فيه فطره، ويخبر [أنه ما وهن] [٤] عما أوجبته آلاؤه، ولا أوهى، ولا انثنى عزمه عن أن يقف حيث أظلت سدرة المنتهى، ووضحت الآيات لأولى النهى، والله تعالى[٥] يزيل عنه فى شرف المثول عوائق القدر ومواقعه، ويكشف له عن قناع الأنوار التى ليست همته بما دون سكرها [٦] قانعة، والأمر كيت وكيت ".

وعلى هذا الأسلوب كانت المكاتبة إلى الخلفاء الفاطميين بالديار المصرية، لكن قال صاحب مواد البيان إن المستعمل فى دولتهم هو " أفضل صلوات الله وبركاته، وأشرف رضوانه وتحياته، على مولانا وسيدنا الإمام الفلانى، وعلى آبائه الطاهرين، وأبنائه الأكرمين ". فإن لم يكن له أبناء قيل مكان الأكرمين " المنتظرين "، ثم يقال بعد فضاء واسع " كتب عبد المواقف النبوية خلد الله ملكه من مقر خدمته بناحية كذا، وأمور ما غدق به، ورد إلى حظيرة منتظمة بسعادة مولانا أمير المؤمنين صلوات الله عليه وعلى جده، والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد وآله الطاهرين وسلم تسليماً "، ثم يقول " العبد ينهى كذا وكذا "، [٢٢٣ ب] ونحو ذلك [٧].

الأسلوب الثالث: أن تفتتح المكاتبة بالسلام على الخليفة، قال ابن شيث فى معالم الكتابة، إن على ذلك كان الاصطلاح فى زمانه فى أواخر الدولة الأيوبية، كما كتب بعض ملوك بنى

---

(١) وأنشط الولاء: صبح، نفسه؛ ضوء كالثغر، ص٤٦٠.

(٢) مضاربه: صبح، نفسه؛ ضوء، نفسه.

(٣) وفسح: صبح، نفسه؛ ضوء، نفسه.

(٤) ما بين الحاصرتين من، صبح، نفسه؛ ضوء، نفسه.

(٥) سبحانه: صبح، نفسه؛ ضوء كالثغر، نفسه.

(٦) نظرها: صبح، نفسه؛ ضوء، نفسه.

(٧) هومثال تطبيقى عام أورده القلقشندي على سبيل التمثيل فقط فلم يكن هناك نص مكاتبة فعلية يضرب عليها هذا المثال. انظر. صبح، ج٦، ص٥٢٢.

أيوب إلى ديوان الخلافة ببغداد يعتذر عن تأخير الكتب، ويذكر خبر صاحب [١] قسطنطينية وصقلية وهو:

" سلام الله الأطيب وبركاته التى يستديرها الحضر والغيب، وزكواته [٢] التى ترفع أولياءه إلى الدرج، ونعمه التى لم تجعل على أهل طاعته فى الدين من حرج، على مولانا سيد الخلق وساد الخرق ومسدد أهل الحق، ولابسى الشعار الأطهر سواداً، ومستحق الطاعة التى أسعد الله [من خصه] [٣] بها بدءاً ومعاداً، ومولى الأمة التى [٤] نشأ به يوم نداه وبأسه إن ركض جوداً أو جواداً، وواحد الدهر الذى لا يثنى، وإليه القلوب تتثنى، ولا تقبل الله جمعاً يكون بولاية جمع سلامه لا جمع تكسير، ولا استقبال قبله ممن لا تكون محبته فى قلبه تقيم، واسمه فى عمله إلى الله يسير، مولانا أمير المؤمنين، وعلى آبائه المالئى الأرض عدلاً، المملئى [٥] أهلها [٦] فضلاً، والضاربين فيصلاً، والعالمين [٧] فصلاً، ومن يقول الجنة لأهلها [٨] أهلاً [ثم أهلاً] [٩] المخصوصين بالعناية الإلهية الحاكمين، لكل[١٠] أمة بطاعتهم مأمورة، وعن معصيتهم منهية، والمشرفى الأسارير على أسرة الشرف، فكم ملأت البهو مناظرهم البهية.

المملوك يخدم الحرم الشريف لاحترامه[١١]، والفناء الكريم بإعظامه، والبساط المقبل بطول استلامه، والستر الذى أسبله على العباد بتحيته وسلامه، وينهى كيت وكيت ".

---

(١) الصواب: صاحبى، ضوء، ص٤٦٠.

(٢) زكاته: ضوء، نفسه.

(٣) ما بين الحاصرتين من،ضوء، نفسه.

(٤) الذى: صبح، نفسه.

(٥) الملاء: ضوء، نفسه.

(٦) أهلا: ضوء، نفسه.

(٧) الصواب: القائمين، ضوء، نفسه.

(٨) لهم: ضوء، نفسه.

(٩) ساقطة من ضوء، نفسه.

(١٠) الصواب: فكل، ضوء، نفسه.

(١١) باحترامه: ضوء، نفسه.

قلت: وقد يجمع بين الصلاة والسلام، كما كتب إلى المستضىء بأمر الله ببشرى بفتح بلد وهو ﴿ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ من بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ ﴾ (١)،﴿ سَلَامٌ قَوْلاً مِن رَّبٍّ رَّحِيمٍ ﴾ (٢)، ﴿ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّةُ نَعِيمٍ ﴾ (٣)، وصلاة يتبعها تسليم، وكأس يمزجها تسنيم، ذكر من الله سبحانه إلى الملأ الأعلى، ورحمة الله وبركاته معلومة من البشارة الأولى على مولانا الإمام المستضىء بالله [٢٢٤ أ] المستضاء بأنواره " إلى آخره ونحو ذلك.

الأسلوب الرابع: أن يفتتح المكاتبة بخطبة مفتتحة بالحمد لله وذلك مما يختص بالبشارة بالفتوح ونحوه، كما كتب العماد الأصفهاني عن السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب إلى الناصر لدين الله ببغداد وهو:

" الحمد لله على ما أنجز من هذا الوعد، وعلى نصرته لهذا الدين الحنيف من قبل ومن بعد [على أن] (٤) أجرى هذه الحسنة التى ما اشتمل على مثلها كرائم الصحائف ولم يجادل عن مثلها فى المواقف فى الأيام الإمامية الناصرية زادها الله غرراً وأوضاحاً، ووالى البشائر فيها بالفتوح غدواً ورواحاً، ومكن سيوفها فى كل [مازق] (٥) كافر ومارق، ولا أخلاها من سيرة سرية تجمع بين سيرة مخلوق وطلعة (٦) خالق، وأطال أيدى أوليائها ليحمى بالحقيقة حمى الحقائق وأنجز لها الحق، وقذف بها على الباطل الزاهق، وملكها هوادى المغارب ومرامى المشارق، ولازالت آراؤها فى الظلمات مصابيح (٧)، وسيوفها للبلاد مفاتيح (٨)، وأطراف أسنتها لدماء الأعداء نوازح، والحمد لله على نصر الديوان العزيز وأيده، وأظفر بجنده (٩) الغالب وأنجده، وجلابه جلابيب الظلماء وجدد جدده، وجعل بعد عسر يسراً". إلى آخر التحميد، " والحمد لله

(١) الأنبياء، الآية ١٠٥.

(٢) يس، الآية ٥٨.

(٣) الواقعة، الآية ٨٩.

(٤) ما بين الحاصرتين من، ضوء، ص٤٦١.

(٥) ما بين الحاصرتين من، ضوء، نفسه.

(٦) الصواب: طاعة، ضوء، نفسه.

(٧) مصابح: ضوء، نفسه.

(٨) مفاتح: ضوء، نفسه.

(٩) جنده: ضوء، ص٤٦١.

الذى أعاد الإسلام جديداً ثوبه، جديداً حبله، مبيضاً نصره، مخضراً نصله [متسعاً فضله] (١)، مجتمعاً شمله، والخادم يشرح من نبأ [هذا] (٢) الفضل العظيم كيت وكيت ".

الأسلوب الخامس: أن يفتتح المكاتبة بالدعاء للديوان العزيز مثل " أدام الله تعالى أيام الديوان العزيز "، أو " خلد الله أيام الديوان العزيز "، أو " أدام الله تعالى سلطان الديوان العزيز "، أو " أدام الله النعمة على الدين والدنيا بأيالة الديوان العزيز "، أو " أعلى الله الموحدين على الملحدين، وثبت كلمة المتقين على اليقين، بدوام أيام الديوان العزيز ". وعليه اقتصر فى التعريف (٣) جارياً عليه فى الاصطلاح وكلامه ظاهر على أنه لم يقف على أسلوب سواه كما كتب فى صدر مكاتبة إلى ديوان الخلافة:

" خلد الله سلطان الديوان العزيز، المولوى، السيد، النبوى، الإمامى، الفلانى ـ والدعاء ـ [٢٢٤ ب] ولازالت أيامه شامخة الذوائب، شارخة الصبا(٤) حيث يلحق الشيب الشوائب، راسخة الفخار بالظهور (٥) بالعجائب، نافخة فى فحم الليل جمر الكتائب، صارخة والرعد ترتعد فرائصه بين السحائب، ناسخة دولة كل علياء بما تأتى به من الغرائب، وتبذله من الرغائب، فاسخة عقد كل خالع يرده [الله] (٦) إليها ردة خائب، باذخة على ماض كل زمن ذاهب من عصور الخلفاء [الشرفاء] (٧) وآيب (٨)، سالخة لجلده كل أيم (٩) ظن أن فى أنياب رمحه النوائب.

---

(١) ما بين الحاصرتين من، ضوء، ص٤٦٢.

(٢) ما بين الحاصرتين من، ضوء، نفسه.

(٣) انظر نصه أصبح، ج٧، ص١٢٢. ولكن فى ضوء لم يذكره كالثغر، ص٤٦٢.

(٤) أضاف محققو صبح الأعشى كلمة " حق "، ج٧، ص١٢٢. وهى غير موجودة بأصل صبح أو الثغر وبوضعها اختل المعنى.

(٥) فى الظهور: صبح، نفسه. ضوء، نفسه.

(٦) ما بين الحاصرتين من، صبح، نفسه؛ ضوء، نفسه.

(٧) ما بين الحاصرتين من، صبح، ج٧، ص١٢٢؛ ضوء، ص٤٦٢.

(٨) أئب: ضوء، نفسه؛ والأيب بمعنى رجع. لسان العرب، ج١، ص٢١٨.

(٩) والأيم ككيس، والأيم بالكسر الحية انظر: صبح، ج٧، ص١٢٢ هـ ١؛ لسان العرب، ج١، ص٤٧٧.

الخادم يقبل العتبات الشريفة ساجداً بجبينه، وشاهداً يستأديه له على يمينه، وجاحداً كل ولاء سوى ولائه المعقود بيمينه، وعاقداً بشرف الانتساب إليه عقد دينه، وحامداً الله الذى جعله من [1] طاعة أمير المؤمنين عند حسن يقينه، وعائداً بأمله إلى كرم تثمر به الآمال، وتقمر به الليالى لأنها شعاره الذى تضرب به الأمثال، وتمطر به السحب الجهام فتمحى به آية الإمحال، وينهى كيت وكيت ".

دعاء آخر:

" ولازالت سيوف أوليائه فى رقاب أعدائه محكمة وصنوف الكفار فى أيدى عسكره الجرار بالنهاب مقسمة، وطوائف [2] أهل الشرك مزلزلة بخوافق أعلامه المطهرة، وسنابك جياده المطهمة، ولا برحت ملائكه النصر من إمداده، وملوك العصر بيض الوجوه بعظيم سواده [3].

الخــادم ينتهب ثرى العتبات الشريفة بالتقبيل، وينتهى فى قصارى الطلبات على الوقوف فى تلك [الرحاب، هو وابن كل سبيل، ويكلل تلك الساحات] [4] بلآلئ الدموع خصوصاً[5] فى ذلك الموقف الذى تنكر القلوب فيه الصدور، وتلصق منه الترب [6] بالنحور، ويظهر به [7] سيما الجلالة فى الوجود، وتضرب [8] على الأولياء فىعرفون بسيماهم من أثر السجود، وينهى أن ولاءه القديم وإبلاءه [9] العظيم، وأيامه السالفة، وأفعاله التالدة والطارفة، وسوابق خدمه فى امتثال الأوامر [الشريفة] [10] التى لم يزل يتسارع إليها، ويقارع عليها، ويصــارع غلــب

---

(١) ساقطة من الصبح وأضافها محققوه من التعريف، ج٧، ص١٢٣ هــ١؛ وساقطة من ضوء، نفسه.

(٢) صفوف: صبح، ج٧، ص١٢١.

(٣) بتعظيم شعار سواده: صبح، ج٧، ص١٢١.

(٤) الربوع، ويكلل ربي تلك الساحات هو وكل ابن سبيل: صبح، نفسه.

(٥) الصواب: خضوعاً، صبح، نفسه.

(٦) الصواب: الترائب، صبح، نفسه.

(٧) ساقطة من صبح، نفسه.

(٨) ويغدق: صبح، ج٧، ص١٢١.

(٩) بلاءه: صبح، نفسه.

(١٠) ما بين الحاصرتين من، صبح، نفسه.

الأسود فى [١] تنفيذ مراسمها وإقامة مواسمها، وإطارة صيتها، ودوام تثبيتها، تحمل الخادم علـــى الاسترسال [٢٢٥أ] وتجمل له السؤال وينهى كيت وكيت ".

وقد تقدم أن المراد بديوان الخلافة المكتوب إليه هو ديوان الإنشاء، لأن المكاتبـــة إليـــه صادرة وعليه واردة، وسبب مخاطبتهم للديوان الخضعان عن [خطاب] [٢] الخليفة نفسه. قال فى التعريف: والصدر فيه نحو العبد أو المملوك أو الخادم يقبـــل الأرض والعتبـــات أو مـــواطئ المواقف. ويخاطب الخليفة فى أثناء الكتاب بـــ " الديوان العزيز " أو بـــ " المقام الأشـــرف " أو بـــ " الجانب الأعلى أو الشريف " أو بـــ " أمير المؤمنين " مجردة من سيدنا ومولانا ومرة غير مجردة مع مراعاة المناسبة والتسديد والمقاربة، ويختم الكتاب تارة بالدعاء له، وتارة يطالع أو أنهى وغير ذلك من هذا المعنى.

قال فى التثقيف: وعنوانه " الديوان العزيز، العالى، المولوى، السيدى، النبوى، الإمامى، الفلانى، مطالعة مولانا أمير المؤمنين الواثق بالله فلان ـــ مثلاً ـــ، أدام الله تعالى أيامـــه، فـــلان المملوك" ويُكتب فى العادة، والأسطر على العادة فى البياض والترجمة فى بيت العلامـــة بقلـــم الملطفات، المملوك أو الخادم أو ما يقتضيه رأيه مما تقدم.

---

(١) على: صبح، نفسه.

(٢) ما بين الحاصرتين من، ضوء، ص٤٦٢.

الباب الخامس

فى رسم المكاتبات الصادرة عن الملوك ومن فى معناهم إلى ولاة العهد بالخلافة

وهو على أسلوبين:

الأسلوب الأول: ما كان عليه الأمر فى الزمن القديم حين كان يكتب إلى الخليفة لفلان من فلان، قال فى صناعة الكتّاب: والتصدير [١] إلى ولى العهد على ما تقدم فى المكاتبة إلى الخلفاء مع تغيير الأسماء وهو " لعبد الله أبى فلان فلان ولى عهد المسلمين سلام على ولى عهد المسلمين فإنى أحمد إليك الله الذى لا إله إلا هو، وأسأله أن يصلى على محمد عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم، أما بعد أطال الله بقاء ولى العهد أن الأمر كيت وكيت ". ويختمه بقوله " والسلام على ولى عهد المسلمين ورحمته [٢] وبركاته ".

الأسلوب الثانى: ما عليه المصطلح الآن. قال فى التعريف: إن رسم المكاتبة إليه:

" ضاعف الله تعالى جلال الجناب الشريف، المولوى، السيدى، النبوى، الفلانى، والدعاء قريباً [٢٢٥ب] مما تقدم وهو " واطلع من [٣] وجوده [٤] الشمس بدرة التمام، وأحوج مع زاخر البحر منه إلى مدد الغمام، وقدمه إماماً على الناس، [وأطال الله بقاه ببقاء الأيام] [٥]، و [لا عدم مع النظر الشريف جميل النظر] [٦] ولا برح صدر دسته العلا [إن غاب وإن حضر] [٧]، ولازال الزمان مختالاً من وجود وجوده [٨] [فى جزيل الآلاء، وجميل المبرات ووافر النماء] [٩] .

---

(١) فى المكاتبة: ضوء، ص٤٦٤.

(٢) ورحمة الله: ضوء، ص٤٦٤.

(٣) مع: التعريف، ص٢٥؛ صبح، ج٧، ص١٣٦؛ ضوء، ص٤٦٥.

(٤) وجود: التعريف، نفسه؛ صبح، نفسه.

(٥) وأطال الله بقاء سيدنا أبيه الإمام: التعريف، نفسه.

(٦) ولا عدم منه مع نظر والده الشريف جميل النظر: التعريف، نفسه؛ صبح، نفسه.

(٧) إذا غاب وثانيه إذا حضر: التعريف، نفسه؛ صبح، نفسه.

(٨) وجودهما: التعريف، ص٢٥؛ صبح، ج٧، ص١٣٦.

(٩) ساقطة من، التعريف، نفسه؛ صبح، نفسه.

الخادم يخدم تلك العتبات الباذخة الشرف، الناسخة بما وجده من الخير فى الإسراف [١] فى تقبيلها قول من قال: لا خير فى السرف. وينهى بعد [٢] ولاء ما عقد على مثله ضـــمير، ولا انعقد شبيهه لولى عهد ولا أمير، وإخلاصه فى انتماء أشرق منه على الجبين، وأشرف فرآه فرضاً عليه فيما نطق به القرآن أو رقمه [٣] فى الكتاب المبين، وأن الأمر كيت وكيت ".

وأبدل فى التثقيف لفظ " الجناب " بـــ " الجانب " ثم قال: والخطاب له بسيدنا ومولانا ولى العهد ونحو ذلك. والطلب والمسئول من إحسانه كذا وكذا والتعبير عن المكتـــوب عنـــه بالخادم، والترجمة فى بيت العلامة الخادم أو المملوك، والعنوان سطران من غير المطالعة وهما:

الجانب الشريف العالى المولى السيدى النبوى الفلانى

أعز الله تعالى أنصاره مولانا ولى العهد فلان

قال فى التثقيف " إن التعبير بالجانب أولى من التعبير بالجناب لعدم اشتراك غيره معه فيه بخلاف الجناب ".

قلت: إنما لقب ولى عهد الخلافة بالجانب أو الجناب إذ كان فى زمن صاحبى التعريـــف والتثقيف من أعلى الألقاب فى زماننا وقطع المورق والأسطر بنظر ما كتب للخليفة علـــى مـــا تقدم.

(١) الأشراف: التعريف، نفسه. وصححها المحقق إلى ما هى عليه، ص٢٥ هـــ٣؛ وساقطة من، صبح، نفسه. ضوء، ص٤٦٤.

(٢) ساقطة من، التعريف، نفسه؛ صبح، نفسه.

(٣) ورقم: التعريف، نفسه؛ صبح، نفسه؛ ضوء، ص٤٦٥.

الباب السادس

فى رسم الكتب الصادرة عن الملوك ومن فى معناهم إلى الملوك ومن فى معناهم

وهو يشتمل على خمسة [١] أساليب.

الأسلوب الأول: أن تفتتح المكاتبة بـــ " أما بعد، فإن كذا وكذا "، وعليه كان الحال فى الزمن القديم [٢٢٦أ] كما كتب الحجاج بن يوسف الثقفى وهو على العراق إلى المهلب بن أبى صفرة' وهو على بعض حروبها [٢]:

" أما بعد، فإنك تتراخى عن الحرب حتى تأتيك رسلى ويرجعون [٣] بعذرك، وذلك إنك تمسك حتى تبرأ الجراح وتنسى القتلى ويجم الناس [٤]، ولو كنت تلقاهم بذلك الجـــد لكـــان الراقد [٥] حسم، والقرن قد قصم، ولعمرى ما أنت والقوم سواء، لأن من ورائـــك رجـــالاً، وأمامك أموالاً، وليس للقوم إلا ما معهم، ولا يدرك الوجيف بالدبيب ولا الظفر بالتعـــذير "، وعلى مثل ذلك.

الأسلوب الثانى: أن يفتتح بلفظ " من فلان إلى فلان "، ثم يحمد الله تعالى ويصلى علـــى النبى صلى الله عليه وسلم ويخلص بـــ " أما بعد "، كما كتب أحمد بن طولون وهو على الديار المصرية إلى ابنه العباس [٦] حين عصى عليه بالإسكندرية بالإنذار له وبالتوبيخ على فعله:

---

(١) ستة: ضوء، ص٤٦٦.

(٢) حروبه: ضوء، نفسه.

(٣) وترجع: ضوء، نفسه.

(٤) ثم تلقاهم فتحمل منهم مثل ما يحتملون منك من وحشة القتل وألم الجراح: فى ضوء كالثغر وأضاف هذه الجملة ناشر الضوء عن صبح، ضوء، نفسه.

(٥) الراء: ضوء، نفسه.

(٦) قام العباس بن أحمد بن طولون بالفرار إلى برقة مع بعض أتباعه مخالفاً لأبيه ومعه ما فى بيت المال من الأموال بعد أن زينوا له الانفراد بحكم إفريقية وأخذها من يد ابن الأغلب، وقد أرسل إليه أحمد بن طولون بجيش رده فقام بحبسه وذلك عام ٢٦٥ هـــ. الطبرى: تاريخ الرسل، ج٩، ص٥٤٥؛ ابن تغرى بردى: النجوم، ج٣، ص٤٠؛ وقد ذكر ابن الأثير أن ذلك قد حدث عام ٢٦٨ هـــ. الكامل، ج٦، ص٢٨٢ ــ ٢٨٣.

" من أحمد بن طولون مولى أمير المؤمنين، إلى الظالم لنفسه، العاصى لربه، الملم بذنبه، المفسد لكسبه، العادى لطوره، الجاهل لقدره، المركوس فى فتنته، المبخوس [من] [١] حظ دنياه وآخرته، سلام على كل منيب مستجيب، تائب من قريب قبل الأخذ بالظلم [٢] وحلول الفوت والندم، وأحمد الله الذى لا إله إلا هو حمد معترف له بالعطاء [٣] الجميل، والطول الجليل، وأسأله مسألة مخلص فى رجائه، مجتهد فى دعائه، أن يصلى على محمد عبده المصطفى، وأمينه المرتضى، ورسوله المجتبى، صلى الله عليه وسلم، أما بعد فإن كذا وكذا " وعلى مثل ذلك.

الأسلوب الثالث: أن تفتتح المكاتبة بلفظ " كتابنا " بنون الجمع المقتضية للتعظيم، وبذكر ما يناسب الحال ثم يخلص إلى المقصد، وهو مختص بما إذا كانت رتبة المكتوب إليه منحطة عن رتبة المكتوب عنه كما كتب القاضى الفاضل عن السلطان صلاح الدين يوسف إلى أمراء الشام معزياً بالسلطان نور الدين الشهيد:

" كتابنا هذا إلى فلان معزين بالرزء الذى كملت أقسامه فعمت [٤]، ورمت أحداثه القلوب فأصْمَتْ، وطرقت أحاديثه الأسماع فأصمَّتْ، وأبى أن تشفى [٥] كلومه، وكاد لأجله الأفق تنكسف بدوره وتنكدر نجومه، وتلم جانب الدين لفقد من لولاه لدرست أعلامه [٢٢٦ ب] ولم تدرس علومه وفجأ فاستولى على كل قلب وجيبه، وعلى كل خاطر وجومة بانتقال المولى نور الدين الشهيد "، إلى آخر التعزية، وعلى مثل ذلك.

الأسلوب الرابع: أن تفتتح المكاتبة بلفظ " كتابى " على الإفراد وذلك إن انحطت رتبة المكتوب عنه عن رتبة المكتوب إليه، كما كتب أبو إسحاق الصابئ عن عز الدولة بن بويه [٦]

---

(١) ما بين الحاصرتين من، ضوء، ص٤٦٧.

(٢) باللطم: ضوء، ص٤٦٧.

(٣) بالبلاء: ضوء، نفسه.

(٤) وتمت: صبح، ج٧، ص٢٩؛ ضوء، نفسه.

(٥) تعفو: صبح، نفسه.

(٦) هو أبو منصور بختيار بن معز الدولة البويهى، تولى ملك البويهيين بعد أبيه معز الدولة عام ٣٥٦ هـ إلى عام ٣٦٧ هـ، قتل على يد ابن عمه عضد الدولة. ابن خلكان: وفيات، ج١، ص٢٦٧، ت رقم ١٠٩.

من شرق [١] الأهواز بحضرة أمير المؤمنين إلى عضد الدولة فى طلب الصلح:

" كتابنا [٢] أطال الله بقاء مولانا [الملك] [٣] الجليل المنصور عضد الدولة من المعسكر بظاهر سوق الأهواز، ومولانا أمير المؤمنين مشمول بالكفاية والتأييد مخصوص بالعز والـتمكين مجرى على أفضل [٤] ما عود الله خلفاءه فى أرضه وأمناءه فى رعاية خلقه مـن التكفـل لهـم بالإظهار والإدالة ويوليهم بالإعلاء والإنافة، وأنا مستظل بكنف طاعتـه، مسـتكين فى حـرم مشايعته، شاكر لله على بلائه، مثن عليه بآلائه، راغب إليه أن يعصمنى فى مولانا الملك الجليـل المنصور،، وأن يقيني من كل مكروه ومستهجن، ويوفقنى وإياه لكل مسـتحب مستحسـن، ويعيذنا من المقام على الفرقة والزوال عن سنن الألفة، وهو المحمود رب العالمين، والأمر كيـت وكيت ".

الأسلوب الخامس [٥]: أن تفتتح المكاتبة بالدعاء للمجلس مثل " أدام الله تعـالى أيـام المجلس " أو " أدام الله تعالى سلطان المجلس " أو " أدام الله تعالى نعمة المجلـس"، أو " أدام الله تعالى اقتدار المجلس " أو " أدام الله تعالى سعادات المجلس "، وعلى ذلك كانت الدولة الأيوبية، كما كتب عن بعض ملوكهم بالبشارة فى فتح غزة، واقتلاعها من أيدي الفرنج، وهى:

" أدام الله تعالى سعادات المجلس، وأحسن له التدبير وأصفى عيشه من التكدير، وحقق له وفيه أحسن الرجاء والتقدير، وجعل وجهه من أهله الأكابر والتكبير، وأعاد تأخير آجله مـن التقديم، وتقديم حظه من التأخير يشعر المجلس بكذا ".

وهذه الخمسة أساليب هى الأصول المشهورة التى كانت [٢٢٧أ] دائرة بين الكتاب شرقاً وغرباً، قال ابن شيث فى معالم الكتابة: إن مصطلح الدولة الأيوبية على ما كان الحال عليه فى أواخرها أهم لا يكتبون " المجلس " إلا للسلطان خاصة، ويكتبون لأعيان الناس من الوزراء وغيرهم " الحضرة "، ثم أفردوا للسلطان بـــ "المقام والمقر "، وجعلوا المجلس لمن دونه.

(١) سوق:ضوء، نفسه.

(٢) كتابى: ضوء، نفسه.

(٣) ما بين الحاصرتين من، ضوء، نفسه.

(٤) فضل: ضوء، ص٤٦٧.

(٥) هذا عند القلقشندي هو الأسلوب السادس، فقد أغفل صاحب الثغر الأسلوب الخامس عند القلقشندي وهو خاص بافتتاح المكاتبة بلفظ المقام، انظر، ضوء، ص٤٦٨.

قال: ويكتب السلطان لولده المستخلف عنه بالمجلس دون المقام واصطلحوا على الاختصار فى نعوت الملوك المكتوب إليهم والدعاء بخلاف من هو تحت أمر السلطان فإنه كلما كثرت النعوت والدعاء له فى مكاتبته كان ذلك فى معنى التشريف من السلطان، وإذا كتب السلطان لمن هو من ذوى الأقدار عبر بمجلس الأمير الأجل من غير ياء النسب، ولا يقال "المجلس العالى" عن السلطان، ولا يجمع بينهما لذوى الأقدار، وأنه يضاف فى لقب كل أمير "عضد الملوك والسلاطين" و" عز الإسلام أو نصرة الإسلام أو فارس الإسلام والمسلمين " من غير اختصاص أحد دون أحد، و" عمدة الملوك والسلاطين " و" ذخر الملوك والسلاطين " ودونهما " اختيار الملوك والسلاطين ". وللأقارب " فخر الملوك والسلاطين "، و" جمال الملوك "، و" ذخر الملوك "، و" زين الملوك ". وللأماثل " معين الملوك "، و " نصرة الملوك ". وللأمراء الأعيان " حسام أمير المؤمنين "، و" ولى أمير المؤمنين "، و" صفوة أمير المؤمنين "، و" ثقة أمير المؤمنين " على مقدار مراتبهم.

وأن لقب الأجل ما يرد إلا بعد " المجلس العالى الأجل "، أو " المجلس السامى الأجل ". وأن السلطان لا يبتدئ بالدعاء إلا لمن ماثله،، ولا يكتب لمن تحت أمره " بلا زال " و" لا برح " والدعاء، وإنما يكتب بذلك إلى من ماثله من الملوك وإلى ولده المستخلف عنه فى الملك، ويكون الدعاء مثل " أدام الله أيامه "، أو " خلد الله سلطانه "، أو" ثبت الله دولته "، ونحو ذلك.

وأن التحميد فى أوائل الكتب لا يكون إلا فى الكتب الصادرة عن السلطان وأن غاية عظمة المكتوب إليه أن يكون الحمد ثانية وثالثة فى الكتاب ثم يؤتى بالشهادتين والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم، ويكتب فى الكتب السلطانية " صدرت " و" أصدرناها "، ولا يكتب " كتبت ".

ويخاطب الخليفة عن السلطان " المواقف المقدسة الشريفة والعتبات العالية ومحل الرحمة ومحل الشرف "، أو أن الذى [٢٢٧ب] به تخاطب الملوك. " المقر العالى والمقر الأشرف ". والوزراء " الجناب العالى والمجلس العالى، والمجلس السامى "، ومن دونهم " المجلس السامى " ودونهم " مجلس الحضرة " ودونهم " الحضرة ".

ولا يكتب عن السلطان لمن هو تحت أمره إلا بنون الجمع لدلالتها على العظمة ولا يكتب " نشعر " إلا عن السلطان خاصة بخلاف " نُعلم "، وأن الكتب [الصادرة] [١] عن السلطان تكون طويلة الطرة بقلم جليل ويوسع بين الأسطر بقدر ثلاثة أصابع أو أربعة ولا تخرج عن تحت البسملة إلا فى الحمدلة ولا يكثر النقط والشكل فى الكتب السلطانية، وأنه لا يترك [٢] فصلة بياضاً فى آخر الكتاب، ولا يكتب فى حاشيته. وأن الترجمة عن السلطان فى كتبه لمن تحت أمره أعلاهم وأدناهم " العلامة "، فإن أراد تمييز أحد كتب بخطه له شيئاً فى مكان العلامة.

ويترجم للقضاة والعلماء والعباد بـ " أخيه وولده "، وإن عنونة الكتب وختمها مختص بصاحب ديوان الإنشاء ليدل ذلك على وقوفه على الكتاب، ولا يجوز عنونة الكتب قبل أن يكتب السلطان عليها ترجمته أو علامته ، ولا تكون الكتب مفتوحة إلا إذا كانت بإطلاق مال. وكان طى الكتب عرض ثلاثة أصابع.

وكان غالب ما رتب القاضى الفاضل، ومن هذا الترتيب استخرج المصطلح المستقر عليه الحال الآن مع إيجاد زيادات تقرب ما جد. وفضلاء الكُتَّاب فى كل زمن يتصرفون فى ذلك بالزيادة والنقص والتقديم والتأخير ومراعاة التحسين بحسب ما تؤدي إليه قرائحهم، وتسنح به ينابيع أفكارهم إلى أيام المقر الشهابى ابن فضل الله، فحرر الألقاب ورتب الوظائف وصنف كتابة التعريف وجعله عمدة ديوان الإنشاء فى أيام الناصر محمد بن قلاوون إلى أيام الأشرف شعبان بن حسين فانتقلت بعض الألقاب الأصول إلى ما فوقها من الرتبة. ثم إن القاضى محب الدين بن ناظر الجيش ثقف كتاب التعريف بأصول ومكاتبات استقر الحال عليها وصار عمدة فى هذه الصناعة فى زماننا. ثم غُيرت منه بعض مراتب، وأُبطلت منه بعض مكاتبات يسيرة [٢٢٨أ] ثم أعان الله على ما أتيت به هنا، مما هو المصطلح عليه فى زماننا من كل قسم، وبه المستعان فيما بقى، إنه ولى ذلك والقادر عليه وبالإجابة جدير.

---

(١) ما بين الحاصرتين من، ضوء، ص٤٧٠.

(٢) الصواب: يترك، ضوء، نفسه.

الباب السابع

فى رسم المكاتبات الصادرة عن ملوك الديار المصرية على ما استقر عليه الحال

وهو يشتمل على خمسة فصول:

الفصل الأول

فى رسم المكاتبات الصادرة لأهل المملكة

وفيه ست مقاصد:

المقصد الأول

فى المكاتبات الخاصة بأرباب السيوف

وهى على ضربين.

الضرب الأول

فى المكاتبات المشتركة وهى ما يشترك فى صورة المكاتبة لاثنان فأكثر من النواب فمن دونهم على ما استقر عليه الحال عشر مراتب [1].

المرتبة الأولى: " أعز الله تعالى أنصار المقر الكريم العالى " إلى آخر النعوت ثم الدعاء مثل و" لازال عزه مؤبداً وعزمه مؤيداً " [2]، وسعده على ممر الجديدين مجدداً، أصدرناها إلى المقر الكريم، تهدى إليه من السلام أتمه ومن الثناء أعمه، وتبدى لعلمه الكريم كيت وكيت "، إلى حين انتهاء المقصد. ثم يقول " ومرسومنا للمقر الكريم أن يتقدم أمره العالى بكيت وكيت "، ويختمه " فنحيط علمه الكريم بذلك، والله يؤيده بالملائك "، أو " والله تعال يجمل به المسالك بيمنه وكرمه "، والمشيئة والخواتم.

المرتبة الثانية: " أعز الله تعالى نصرة الجناب الكريم " على ما تقدم فى الألقاب إلى آخر النعوت ثم الدعاء مثل " ولازالت عزائمه مؤيدة، [وأيام سعده مجددة] [3] وأوامره السعيدة مسددة، صدرت هذه المكاتبة إلى الجناب الكريم [4] تهدى إليه سلاماً طيباً وثناء مطنبا، وتوضح

---

(١) كتبها القلقشندي فى صبح عشر مراتب ولكنه لم يذكر غير ثمان فقط. انظر ج٧، ص١٤٠ هـ١.

(٢) عزمه مؤيدا، وعزه مؤبدا: صبح، نفسه.

(٣) ساقطة من صبح، ج٧، ص١٤١.

(٤) العالى: صبح، نفسه.

لعلمه الكريم كيت وكيت، ومرسومنا للجناب الكريم أن يتقدم أمره العالى [١] بكذا وكذاً "، وختمه " فيحيط علمه الكريم بذلك والله تعالى يؤيده بالملائك بمنه وكرمه "، والمشيئة والخواتم.

المرتبة الثالثة: " ضاعف الله تعالى نعمة الجناب العالى " على ما تقدم فى الألقاب المتأخرة [٢٢٨ ب] النعوت والدعاء مثل " ولا زال قدره عالياً ومدحه متوالياً وجيد الدهر بمحاسنه حالياً، صدرت هذه المكاتبة إلى الجناب الكريم تهدى إليه سلاماً يروق وثناء يشوق، ونوضح لعلمه الكريم كيت وكيت، ومرسومنا للجناب الكريم [٢] أن يتقدم أمره العالى بكذا وكذا، فيحيط علمه الكريم بذلك، والله تعالى يؤيده بالملائك بمنه وكرمه "، والمشيئة والخواتم.

المرتبة الرابعة: " ضاعف الله تعالى نعمة الجناب العالى "، ويكمل كما تقدم فى الألقاب والنعوت والدعاء ثم القصد يكون " ومرسومنا للجناب العالى أن يقدم أمره المبارك [٣] بكذا وكذا فنحيط علمه المبارك [٤] بذلك والله تعالى يؤيده [بالملايك] [٥] بيمنه وكرمه "، والمشيئة والخواتم.

المرتبة الخامسة: " أدام الله تعالى نعمة الجناب العالى " ويكمل كما تقدم فى الألقاب والنعوت والدعاء مثل " ولا زال عالياً قدرة، نافذاً أمره، جارياً على الألسنة حمده وشكره، صدرت هذه المكاتبة إلى الجانب العالى تبدى إليه سلاماً وثناء بساماً، وتوضح بعلمه المبارك كيت وكيت [٦] " ويكمل على ما تقدم.

المرتبة السادسة: " أدام الله تعالى نعمة المجلس العالى " ويكمل من الألقاب والنعوت على ما تقدم، والدعاء مثل " ولا زال قدره عالياً ومدحه متوالياً، صدرت هذه المكاتبة إلى المجلس العالى تهدى إليه سلاماً طيباً وثناء صيباً ونوضح لعلمة المبارك كيت وكيت " [٧]. أو " مرسومنا

---

(١) الكريم: صبح، نفسه.

(٢) العالى: ضوء، ص٢٧١.

(٣) العالى: ضوء، ص٢٧١.

(٤) ساقطة من، ضوء، نفسه.

(٥) ما بين الحاصرتين من، ضوء، نفسه.

(٦) يذكر القلقشندي هذا الدعاء ضمن { أدام الله تعالى نعمة المجلس }، انظر، ضوء، نفسه. صبح، ج٧، ص١٤٣.

(٧) هذا الدعاء مع " أدام الله تعالى نعمة الجناب العالى " ضوء، نفسه. صبح، نفسه.

للمجلس العالى أن يقدم أمره المبارك بكذا وكذا فيحيط علمه المبـــارك، والله المؤيـــد بيمنـــه وكرمه"، والمشيئة والخواتم.

المرتبة السابعة: " صدرت هذه المكاتبة إلى المجلس العالى " ويكمل من الألقاب على مـــا تقدم، والدعاء مثل " أدام الله تعالى نعمته ووفر من الخير قسمته "، أو أدام الله سعادته واجـــزل بره أفادته، موضحة لعلمه كيت وكيت، ومرسومنا للمجلس العالى أن يتقدم بكذا وكذا فيحيط علماً [١] بذلك، والله تعالى يديم توفيقه بيمنه وكرمه " والمشيئة والخواتم.

المرتبة الثامنة: " صدرت هذه المكاتبة إلى المجلس السامى "، ويكمل من الألقاب والنعوت على ما تقدم، والدعاء مثل " أدام الله تعالى سعادته وأجزل من الخير عادته تتضمن إعلامه كذا وكذا، ومرسومنا للمجلس السامى أن يتقدم بكذا وكذا [٢٢٩ أ] فيحيط علماً [٢] بـــذلك والله الموفق والمشيئة والتاريخ.

تنبية: السامى بياء النسب إذا ظلت فى المكاتبات يقال " صدرت والسامى "، وإذا طلبت فى الولايات، يقال " السامى " بالياء.

المرتبة التاسعة: " هذه المكاتبة إلى المجلس السامى " ويكمل من الألقاب والنعوت على ما تقدم، والدعاء مثل " أدام الله تعالى سعده وأنجح قصده بقلمه كيت وكيت، ومرسومنا للمجلس السامى أن يتقدم بكيت وكيت يعلم ذلك ويعتمده " والمشيئة والخواتم.

المرتبة العاشرة: " يعلم مجلس الأمير الأجل " ويكمل من الألقاب والنعوت على ما تقدم، والدعاء مثل " أدام الله عزه ووفر من الخير كثره "، أما المرسوم فأنه لم يكن له مرتبة، ويكتـــب غالباً لمن لم تكن له رتبة، وهو مبنى لما لم يسم فاعله، ويكتب للأكابر مع الأصاغر إذا كان بمقام المطلق وصورته " رسم بالأمر الشريف، العالى، المولوى، السلطانى، الملكى الفـــلانى الفـــلانى " بلقب الملك واللقب الخاص، والدعاء مثل " أعلاه الله تعالى وشرفه، وأنفذه فى الآفاق وصـــرفه أن يتقدم فلانا بكذا أو فلانا وفلانا بكذا وكذا "، فإن كان صادراً عن شكوى فيبـــدأ بكتابـــة الجواب قبل الانتهاء إلى آخره، ثم يقول " وذلك عندما أنهى ــ أو رفع قصة ــ لدى مواقفنـــا الشريفة بكذا ثم يكتب فليعتمد هذا المرسوم الشريف كل واقف عليه، ولىعمل بحسبة ومقتضاه

(١) علمه: صبح، نفسه.

(٢) فليعلم: صبح، نفسه.

من غير عدول عنه ولا خروج عن معناه والاعتماد فى ذلك على الخط الشريف أعلاه حجة بمضمونة " والمشيئة والتاريخ والحسبلة.

الضرب الثانى

المكاتبات المختصة

وهى ما يختص بصورة المكاتبة فيه الواحد، إما باعتبار زيادة أو نقص أو تغيير أو غير ذلك، ويشترك فيها أرباب السيوف والأقلام وغيرهم، وسيأتى ذكر كل مكاتبة منهما فى موضعها إن شاء الله تعالى.

واعلم أن المكاتبات تصدر من الأبواب الشريفة فى هذه المملكة إلى ثلاثة أقاليم:

الإقليم الأول

إقليم الديار المصرية

والمكاتبون بها إلى ضربين:

الضرب الأول

أرباب السيوف

وهم على ستة أصناف: [٢٩٩ ب]

الصنف الأول

ولاة العهد بالسلطنة

ورسم المكاتبة إلى ولى العهد بالسلطنة على ما أوردة فى التثقيف " أعز الله تعالى أنصار المقام العالى، الكبيرى، العالمى، العادلى، المجاهدى، المرابطى، المثاغرى، المؤيدى، المنصورى، الملكى، الفلانى الفلانى " بلقب الملك واللقب المتعارف.

ورأيت فى بعض الدساتير من كُتِبَ له " السلطانى "، فإن كان أخاً أو ولداً زيد فيه الأخوى أو الوالدى. وقال فى التعريف: إنه يقتصر فى المكاتبة لأولياء العهود على المفردة دون المركبة. على أن فى هذا ضابط كان فى القديم، وهو أنه لا يُكتَب لملك إلا ما كان يلقب به من ديوان الخلافة بالنص من غير زيادة ولا نقص، وما شبه من الدعاء مثل:

" ولا زال مشرق الأهلة، مغدق السحب المستهلة، محدق الحدائق لتجتنى الأمة ثمره وتتبوأ ظله، مطلق الأعنة إلى مدى أمه [١]، قبلة سلف الملوك فما وجد إلا ظله [٢]. صدرت هذه المفاوضة إلى مقامه العالى ومحله منا فى الصدر، مثاله وإن بعد عنا فتن [٣] عينينا مثل القمر ليلة البدر ومكانه إلى جانبنا على سرير الملك يتشوق لحلوله، ومقامه تحت أعلامنا وأعلامه يتشوف إلى وصوله، وعساكرنا التى هى عساكره تعلن فى مواقف الجهاد باسمنا واسمه، وجنودنا التى هى مدده تقسم بالله وبنا أنها لا تعدل عن قسمه، وتطالع علمه الشريف بما هو كذا وكذا، أو نبدى لعلمه الشريف ما هو كذا وكذا أو المقصد من المقام العالى كذا وكذا ".

وخطابه " بالمقام العالى " والدعاء " أعز الله أنصاره "، والترجمة أخوه سواء كان أخا أو غير أخ، فإن كان والداً كانت الترجمة " والده "، والعنوان سطران " المقام العالى، الكبيرى، العالمى، العادلى، المجاهدى، المرابطى، المؤيدى، المنصورى، الملكى، الفلانى الفلانى، أعز الله تعالى أنصاره " وتعريفه إن كتب له " السلطانى "، قيل سلطان البلد الفلانى وإن لم يكتب له السلطانى قيل " ملك البلد الفلانى ". والورق فى قطع العادة قال فى التثقيف: إنه كتب عن المنصور قلاوون حين كان عهد بالملك لولده الصالح على مكاتبته بنظير ذلك، [٢٣٠ أ] وربما كتب فى تعريفه " ولى العهد بالسلطنة الشريفة " وهو الأمثل.

الصنف الثانى

مكاتبة أمراء الحضرة الشريفة

قال فى التعريف: إن المكاتبة لأمراء المقدمين منهم أسوة كبار النواب بالممالك الشامية كالشام وحلب، ولأوسطهم كأوسط النواب كحماة وطرابلس وصفد، ولأصغرهم كأصغر النواب كغزة وحمص. ثم قال: إن لأعيان المقدمين بالأبواب السلطانية الجناب الكريم. والذى استقر عليه الحال أن المكاتبة لأمراء الحضرة الشريفة على ضربين.

---

(١) ساقطة من التعريف، ص٣٢.

(٢) ضله: التعريف، نفسه.

(٣) الصواب: بين، التعريف، نفسه.

الضرب الأول: المقدمين أرباب الوظائف [(١)]

وهم عشرة:

الأول: الأمير الكبير، ورسم المكاتبة إليه " أعز الله أنصار المقر الكريم العالى " وتكمل كرسم المكاتبة لنائب الشام، ولا يكتب فيها الكفيلى، ويقتصر فيها على الأتابكى والدعاء مثل " ولا زال سيفه فى رقاب أعدائه مغمداً، وحده يذر كل ملحد ملحداً وسعده على ممر الجديدين مجدداً، أصدرناها إلى المقر الكريم تهدى إليه سحاباً يعوزها باسمة، ويتبدى أبنته لفرايد محامده ناظمة، ونبدى لعلمه الكريم كذا وكذا "، ويكمل العلامة " أخوه "، تعريفه " أتابك العساكر المنصورة بالممالك الإسلامية "، وهذا التعريف مستعار فإن الأمير الكبير غير أتابك العساكر على ما تقدم.

تنبية: إذا خرج الأمير الكبير عن الإمرة أو سجن واضطر إلى المكاتبة إليه فتكون "صدرت والعالى" ليس إلا.

الثانى: أمير سلاح، ورسم المكاتبة إليه " أعز الله تعالى نصرة الجناب الكريم العالى " ويكمل كرسم المكاتبة إلى نائب حلب، العلامة " أخوه "، وتعريفه " أمير سلاح الفلانى " بلقب السلطنة.

الثالث: رأس نوبة الأمراء، ورسم المكاتبة إليه كرسم المكاتبة إلى أمير سلاح، والعلامة " أخوه "، وتعريفه " أمير رأس نوبة الأمراء الفلانى " بلقب السلطنة، وغالباً تكون هذه الوظيفة مهملة.

الرابع: أمير مجلس، ورسم المكاتبة إليه " ضاعف الله نعمة الجناب الكريم "، والعلامة " والده "، تعريفه " أمير المجلس الفلانى " بلقب السلطنة.

الخامس: ما كان قديماً من الأمراء الكبار وهو أمير مشور كالأمير قطلقتمر فى أيام الظاهر برقوق [٢٣٠ ب] وقد أهملت هذه الوظيفة فى زماننا، وكان رسم المكاتبة إليه كرسم مكاتبة أمير مجلس، وتعريفه " أمير مشور الفلانى ".

---

(١) لم يذكر القلقشندي هذا التوصيف الذى ذكره صاحب الثغر وإنما عنى بنواب السلطنة مباشرة دون ذكر الأمراء المقدمين أصحاب الوظائف كما ذكره صاحب الثغر، انظر صبح، ج٧، ص١٥٤ وما بعدها.

السادس: أمير أخور، ورسم المكاتبة إليه " ضاعف الله تعالى نعمة الجنــاب الكــريم "، والعلامة " والده "، وتعريفه " أمير أخور الفلانى ".

السابع: الدوادار الكبير، ورسم المكاتبة إليه والعلامة كأمير أخور وتعريفه " أمير دوادار الفلانى " بلقب السلطنة ويزاد فى ألقابه " السفيرى" وفى نعوته " سفير الملوك والسلاطين ".

الثامن: رأس نوبة النوب، ورسم المكاتبة إليه " ضاعف الله تعالى نعمة الجناب العــالى "، والعلامة " والده "، وتعريفه " أمير رأس نوبة النواب الفلانى ".

التاسع: حاجب الحجاب، ورسم المكاتبة إليه والعلامة كما كتب إلى الأمير رأس نوبــة النوب، وتعريفه " أمير حاجب الفلانى " بلقب السلطنة وربما عرف فى زماننا بــ " أمير حاجب الحجاب الفلانى "، وكان من ألقابه قديماً " السفيرى ".

العاشر: أمير استادار، ويعبر عنه " أمير استادار الاستادارية "، ورســم المكاتبــة إليــه والعلامة كما تقدم، وتعريفه " أمير استادار العالية " وإن أضيف إليه وظيفة أخرى ذُكــرت أو كتب وما مع ذلك.

الصنف الثالث

نواب السلطنة بالديار المصرية

وهم خمسة:

الأول: النائب الكافل، قال فى التثقيف: وقل أن يكاتب إلا إذا كان السلطان مسافراً فى سرحة أو غزاة. أو نحو ذلك، ورسم المكاتبة إليه " أعز الله تعالى أنصار المقر الكريم العــالى "، وبقية الألقاب المتقدمة، ويزاد فى ألقابه مثل " الأميرى الآمرى "، وفى نعوته " مجند الجنود عاقد البنود "، والدعاء مثل " ولا زالت كفاية كفالتة تزيد على الآمال، ويتقــرب إلى الله بصــالح الأعمال، ويتكفل ما بين أقصى الجنوب وأقصى الشمال، أصدرناها إلى المقر الكريم تهدى إليــه من السلام أتمه ومن الثناء أعمه ونبدى لعلمه الكريم كيت وكيت، ومرسومنا للمقر الكريم أن بتقدم أمره العالى بكيت وكيت "، وختمه " فيحيط علمه الكريم بــذلك والله تعــالى يؤيــده بالملائك"، والعلامة " أخوه "، وتعريفه " كافل الممالك الإسلامية المحروسة ".

والذى ذكره فى التعريف [٢٣١ أ] أن يقال فى تقليده نائب السلطنة الشريفة [١] وكافل الممالك الشريفة الإسلامية "، وأختار أن يجتمع فى تقليده ذكر النيابة والكفالة، أما نائب الغيبة [٢] قال: إنه الذى يتخلف بالأبواب الشريفة إذا غاب السلطان والكافل، ولم يكن إلا لإخماد الثوائر، وخلاص الحقوق. ورسم المكاتبة إليه والعلامة بحسب رتبته ووظيفته، وتعريفه " نائب الغيبة الشريفة بالأبواب الشريفة ".

الثانى: نائب الإسكندرية، ورسم المكاتبة إليه " ضاعف الله تعالى نعمة الجناب العالى، ولا يكون فى القابة " الكافلى "، ويقتصر فيه على " المقدمى" عوضها، ويصلح أن يكون فى نعوته " حامى الثغور "، وتعريفه " نائب السلطة الشريفة بثغر الإسكندرية المحروس ".

الثالث: نائب الوجه القبلى، ورسم المكاتبة إليه " أدام الله تعالى نعمة الجناب العالى " [٣] وتعريفه نائب السلطنة الشريفة بالوجه القبلى ".

الرابع: نائب الوجه البحرى، وكان فى مرتبة نائب الوجه القبلى، فلما أضيفت نيابة الوجه البحرى إلى الاستادارية أقام من جهته نائباً بإقليم البحيرة خاصة، واستقر رسم المكاتبة إليه " صدرت والسامى "، فإن اختار السلطان ولاية أحد من غير رأى الاستادار، كان رسم المكاتبة إليه " صدرت والعالى "، وتعريفه نائب السلطنة الشريفة بالبحيرة [٤].

الخامس: نائب ثغر دمياط، وهو حادث فى سنة ثلاثين وثمانماية فى الأيام الأشرفية بعد أن كان ولاية، ورسم المكاتبة إليه " هذه المكاتبة " وتعريفه " نائب ثغر دمياط المحروس ".

---

(١) الصواب: المعظمة، التعريف، ص٩٥.

(٢) قال العمري: أما نائب الغيبة وهو الذى يترك إذا غاب السلطان والنائب الكافل وليس إلا لإخماد الثوائر وخلاص الحقوق، وحكمه فى رسم الكتابة إليه رسم مثله من الأمراء.ص٩٤ – ٩٥.

(٣) ضاعف الله تعالى نعمه الجناب العالى: صبح، ج٧، ص١٥٦.

(٤) هذا الوصف انفرد به صاحب الثغر لأنه فى زمن القلقشندي كانت كل نيابة الوجه البحرى لنائب الوجه البحرى ومقره دمنهور الوحش وكان رسم المكاتبة إليه " ضاعف الله تعالى نعمه الجناب العالى " كما فى الوجه القبلى والعلامة الشريفة له " أخوه " وتعريفه " نائب السلطنة الشريفة بالوجه البحرى "، انظر صبح، ج٧، ص١٥٦.

الصنف الرابع
الكشاف

وهم فى زماننا أربعة [١].

الأول: كاشف الفيوم، وربما أضيف إليه إقليم البهنساوية، ورسم المكاتبة " صدرت والسامى "، وتعريفه " كاشف الأعمال الفيومية ".

الثاني: كاشف الغربية والمنوفية، ورسم المكاتبة إليه " صدرت والسامى "، وتعريفه " كاشف الغربية والمنوفية ".

الثالث: كاشف المنوفية إذا أفردت عن الغربية، ويضاف معها القليوبية، ورسم المكاتبة إليه " هذه المكاتبة "، وتعريفه " كاشف المنوفية والقليوبية ".

الرابع: كاشف الشرقية والدقهلية والمرتاحية، وكان فى الزمن القديم يسمى " كاشف الوجه [٢٣١ ب] البحرى "، ورسم المكاتبة إليه " صدرت والسامى "، وتعريفه " كاشف الشرقية ".

الصنف الخامس
كشاف الجسور [٢]

وهم على ضربين:

الضرب الأول: كشاف جسور الوجه القبلى، وهم أربعة. كاشف الجيزة، وكاشف البهنساوية، وكاشف الفيوم، ورسم المكاتبة إلى كل منهم بحسب إمرته، ويلحق بهم كاشف المغل بمنفلوط.

---

(١) يذكر القلقشندي أنه فى عهده كان هناك كاشفان الأول كاشف الفيوم والبهنساوية، والثاني كاشف الشرقية وكل منهما طبلخاناه، صبح، ج٧، ص١٥٧.

(٢) يقول القلقشندي: من يتوجه من الأبواب السلطانية من الأمراء لبعض الأعمال المتقدمة الذكر لكشف الجسور وعمارتها أو لتخضير البلاد أو لقبض الغلال. قال فى التثقيف: فمن كان منهم طبلخاناه فرسم المكاتبة إليه " السامى " بالياء، ومن كان منهم عشرة فرسم المكاتبة إليه " السامى " بغير ياء. والعلامة للجميع الاسم الشريف. قال: ولا تذكر الوظيفة التى توجه بسببها ولا الإقليم الذى هو به. صبح، ج٧، ص١٥٨.

الثانى: كشاف جسور الوجه البحرى، وهم ستة. كاشف القليوبية وكاشف المنوفية، وكاشف البحيرة، وكاشف الشرقية، وكاشف الدقهلية والمرتاحية، وغالباً يكونوا مع الأمير الاستادار، فإن أفرد عنه شيء من ذلك لأحد من الأمراء كانت المكاتبة إليه بحسب إمرته. وكاشف الغربية وغالباً يكون طبلخاناه ورسم المكاتبة له بحسب إمرته.

الصنف السادس

الولاة

وكانوا أربعة عشر [1] منهم ستة طبلخاناه، ثلاثة بالوجه القبلى وهم متولى قوص ومتولى الأشمونين، ومتولى البهنساوية، وقد أضيفوا إلى نائب الوجه القبلى. وثلاثة بالوجه البحرى وهم والى الغربية ووالى المنوفية، ووالى الشرقية، وقد أهملوا بوجود كشاف الأقاليم [2]. وثمان عشرات، ثلاثة بالوجه القبلى وهم والى الجيزة، ووالى منفلوط والوزير مستبد بأمرهما، وولاية أطفيح وقد أهملت، وخمسة بالوجه البحرى وهم متولى قليوب، ومتولى منوف، والأمير الاستادار مستبد بأمرهما، ومتولى ثغر دمياط وقد أهمل بوجود نائبها، ومتولى قطيا والوزير مستبد بأمره، ورسم المكاتبة إليه " هذه المكاتبة " وتعريفه " متولى قطياً المحروسة ".

ورسم مكاتبات أمراء الطبلخاناه قال فى التعريف: منهم من يكتب له " المجلس العالى " لمن يعين للتقدمة وله عدة سبعين فارساً كالمقربين من الخاصكية أو من له عراقة نسب كبقايا الملوك أو أرباب الوظائف الجليلة كالدوادار الثانى وأمير أخور الثانى ومن فى معناهم. ثم قال: وهؤلاء وإن كتب لهم بـ " المجلس العالى " فأنه يكتب بغير افتتاح بالدعاء وتكون الكتابة لهم على سبيل العرض لا الاستحقاق وإلا فأجل رسم المكاتبة لهم " السامى " بالياءء وبجمهورهم " السامى " بغير ياء. أقول إنه فى زماننا يكتب لعاليهم " صدرت والعالى "، ولا يكتب لبعضهم [٢٣٢ أ] " صدرت والسامى " إلا نادراً.

ورسم مكاتبة امراء العشرات لأجلهم "السامى" بالياء وهو الغالب، وبعضهم " السامى " بغير ياء وهو نادر، وتعريف كل منهم بوظيفته وينسب للقب الملوكى فإن لم تكن له وظيفة نسب إلى تاجره أو شهرته ما لم يكن عليه فيها امتهان.

---

(١) ثلاثة عشر: ضوء، ص٢٧٥، وهو الصواب.

(٢) انفرد بذكر ذلك عن القلقشندي.

تنبيه: لا يكاتب أمير مسجون ولا مبعود بغير الخواطر الشريفة إلا بما تبرز به المراسيم الشريفة، وألا تكون المكاتبة لمن له الأمر على سجنه.

الضرب الثانى

رسم المكاتبة إلى الأمراء المقدمين بالحضرة ممن لم تكن له وظيفة

وهو " ضاعف الله تعالى نعمة الجناب العالى "، وتعريفه اسمة أو شهرته أو نسبة إلى تاجره ثم يقال الفلانى بلقب السلطنة.

أما مقدمى جند الحلقة فقال فى التعريف إن لهم أسوه أمراء العشرات فى المكاتبة. وعلى مرتبتهم الخاصكية الآن.

وأما الجند فإنه لم تكن لهم رسم مكاتبة إلا فيما تبرز به المراسيم الشريفة فى ما لابد منه.

المقصد الثانى

فى المكاتبات الخاصة بأرباب الوظائف الدينية بالديار المصرية

وهى ما يشترك فى صورة المكاتبة الاثنان فأكثر على ما استقر علية الحال، وهـى علـى خمس مراتب:

المرتبة الأولى: مرتبة الجناب الكريم، وهى مرتبة قاضى القضاة الشافعى فى زماننا إذا عظم والرسم فيها " أعز الله تعالى أحكام الجناب الكريم " على ما تقدم فى الألقاب والنعوت والدعاء مثل " وشمل الأنام بعدله وأظهر شموس الفوائد فى آفاق فضله، وجمل بأحكامه أيامنا الزاهرة فإن الدول ما فرحت بمثله، صدرت هذه المكاتبة إلى الجناب الكريم معربة عن سلام جوهرى النظام، وثناء عنبرى الختام، ويوضح لعلمه الكريم كيت وكيت، والقصد من الجانب الكريم أن يتقـدم أمره العالى بكيت وكيت "، وختمه " والله تعالى يعز أحكامه بمنه وكرمه " والمشيئة والخـواتم، والعلامة " أخوه " وتعريفه " قاضى القضاة الشافعى بالديار المصرية ".

مهمة: لم يذكر صاحبى التعريف والتثقيف رسم مكاتبة صدرت عن الأبواب الشـريفة لأحد من قضاة القضاة ولا أرباب الوظائف الدينية بالديار المصرية سوى ما كوتب به تاج الدين قاضى القضاة الإخنائى المالكى حين حج فى سنة سبع [٢٣٢ ب] وستين وسبعمائة جواباً عما ورد منه، وأنه كتب له الدعاء مع " المجلس العالى "، وقال ابن المتوج فى " إيقاظ المنغفل " إنـه كتب إلى قاضى القضاة عز الدين بن جماعة وهو مجاوراً بمكة " أعز الله تعالى أحكام المجلس العالى " والعلامة " أخوه " [1]، وتعريفه " قاضى القضاة الشافعى بالديار المصرية ".

المرتبة الثانية: مرتبة الجناب العالى، والرسم فيها على ما يكتب لكل من قضاة القضـاة الثلاثة غير الشافعى " أعز الله تعالى أحكام الجناب العالى القاضوى " ويكمـل مـن الألقـاب والنعوت على ما تقدم،والدعاء مثل " وفصل بين الخصوم بأحكامه المسددة وأقضيته التى بهـا قواعد الإسلام ممهدة، وأبنيته للشرع المطهر وأركانه المشيدة، صدرت هذه المكاتبة إلى الجناب العالى يتضوع بأوصافه وينبوع فى ركن معدلته وإنصافه، ونبدى لعلمه المبارك كيت وكيـت " والعلامة " أخوه "، وتعريفه " قاضى القضاة ــ وينسب إلى مذهبه ثم يقول ــ بالديار المصرية".

---

(١) يذكر القلقشندي أن ابن المتوج لم يتعرض للعلامة، ضوء، ص٢٧٧. ولكنه يذكره فى صبح، ج٧، ص١٦٥.

المرتبة الثالثة: مرتبة المجلس العالى، بالدعاء والرسم فيها على ما أورده فى التثقيف فبما كان يكتب به لقاضى القضاة بالديار المصرية " أعز الله تعالى أحكام المجلس العالى القاضوى "، ويكمل من الألقاب والنعوت على ما تقدم، والدعاء مثل " ولا زال الشرع الشريف ناصراً، وبأحكامه الحنيفة ناهياً وآمراً، ولحاكمه إذا قضوا به مؤيداً ومؤازراً " والعلامة " والده " وتعريفه كما تقدم.

المرتبة الرابعة: صدرت والعالى، والرسم فيها على ما يكتب به لخلفاء الحكم بالديار المصرية إن اضطر إلى المكاتبة إلى أحد منهم " صدرت هذه المكاتبة إلى المجلس العالى القضائى "، ويكمل العلامة " والده " وتعريفه خليفة الحكم العزيز الفلانى بالديار المصرية ".

المرتبة الخامسة: مرتبة صدرت والسامى، والرسم فيها على ما يكتب للقاضى المالكى بثغر الإسكندرية المحروس " صدرت هذه المكاتبة إلى المجلس السامى القضائى "، ويكمل كما تقدم من الألقاب والنعوت.

أما نواب الحكم بالديار المصرية وبلاد الوجهين القبلى والبحرى فلم تجرى العادة بالمكاتبة إلى أحد منهم، فإن دعت الضرورة إلى مكاتبة أحد منهم بما وردت به المراسيم الشريفة كان رسم المكاتبة إليه [٢٣٣ أ] " المجلس السامى " بغير ياء أو " مجلس القاضى الأجل "، وتعريفه " نائب الحكم العزيز بالعمل الفلانى ".

المقصد الثالث

فى المكاتبات الخاصة بأرباب الوظائف الديوانية

وهى ما يشترك فى صورة المكاتبة الاثنان فأكثر على ما استقر عليه الحال وهى على خمس مراتب:

المرتبة الأولى: مرتبة الجناب الكريم، والرسم فيها على ما يكتب به الآن لكاتب السر، وهى " أعز الله تعالى أنصار الجناب الكريم العالى القاضوى "، ويكمل من الألقاب والنعوت المتقدمة، والدعاء مثل " وجدد للدولة القاهرة بكتبه كتائباً وجنوداً، ومنحها بآرائه التى إذا نشرت كانت أعلاماً وبنوداً، وأمدها بمعرفته التى إذا عدت كانت بحار ومدوداً، صدرت هذه المكاتبة إلى الجناب الكريم تهدى إليه سلاماً رطيباً، وشكراً يكون على ما تخفى الصدور رقيباً، ونبدى لعلمه الكريم كيت وكيت، ومرسومنا للجناب الكريم أن يتقدم بكيت وكيت "، العلامة " أخوه "، وتعريفه " صاحب دواوين الإنشاء بالممالك الشريفة الإسلامية "، ويزاد فى ألقابه "اليمينى، الأمينى، السفيرى "، وفى نعوته "مشير الملوك والسلاطين ".

وفيما يكتب فى رسم المكاتبة إلى الوزير إن كان صاحب سيف " أعز الله تعالى أنصار الجناب الكريم، العالى، الأميرى، الكبيرى "، ويكمل من الألقاب والنعوت المتقدمة، ويزاد فيها " المتصرفى، المدبرى، المشيرى، الوزيرى ". وفى نعوته " سيد الوزراء فى العالمين، مفيد المنائح، فاتح أبواب المناجح، معتمد المصالح، مدبر الدول، مشير الملوك والسلاطين "، والدعاء مثل " ولا زال السيف والقلم يشهدا بحسن تدبيره، وعظيم شيمه، والعلم والقلم من دعاة جوده، وهداة كرمه، والأمر والعز من سعاة ناديه وصفاة هممه، صدرت هذه المكاتبة إلى الجانب الكريم، وصدرها بذكره منشرح وبتدبيره فرح، وبعلو قدره بسر، ويؤمل منه ما يريد على أمل المقترح، تهدى إليه من السلام أطيبة، ومن الثناء أطنبه، ومن الشكر ما بهر هدة السكر، من سمع منه أطربه أو سمع مطربة، ويوضح لعلمه الكريم كيت وكيت " [٢٣٣ ب] العلامة " أخوه "، تعريفه " مدبر الممالك الشريفة الإسلامية المحروسة ".

ولصاحب قلم " أعز الله تعالى تنفيذ الجناب الكريم، العالى، الصاحبى، الكبيرى ". والألقاب والنعوت كما تقدم والدعاء " ولا زالت مفاتيح الإسلام بتدبيره مستهلة، والدولة

الشريفة على جميل رأيه معولة، وعرائس الممالك بمساعيه الجميلة مخولة "، ويكمل كما تقدم فى المكاتبة السابقة فى العلامة والتعريف.

وما كتب به لناظر الجيش وهو " عين الزمان " أعز الله تعالى أنصار الجناب الكريم، العالى، القاضوى " ويكمل من الألقاب والنعوت المتقدمة، ويزاد فى ألقابه " المرتبى " وفى نعوته " مدبر الجيوش، مرتب العساكر، فريد الزمان، نظام الملك ". والدعاء مثل " ولا زالت يده مبسوطة بالرغائب، وحوزته محوطة من النوائب، وبحار جوده تقذف بالعجائب، ورياض مرتبته الجيوش يجنى منها ثمار المنى أبداً أطايب، صدرت هذه المكاتبة إلى الجناب الكريم بسلام علا حدق حدائقه نوراً، وقلب عساكرنا به سروراً "، العلامة " أخوه "، تعريفه " ناظر الجيوش المنصوره بالممالك الإسلامية ".

المرتبة الثانية: مرتبة الجناب العالى، والرسم فيها على ما كان يكتب [فى] مكاتبة كاتم السر قبل انتقاله إلى مرتبة " الجناب الكريم " وهى " ضاعف الله تعالى نعمة الجناب العالى القاضوى " ويكمل من الألقاب والنعوت المتقدمة، والدعاء مثل " ولا زالت محاسن البلاغة موقوفة على تخيره، ومنازل القلوب مأهولة بتدبيره، وأنفس البلغاء طيبة بسيادة مجده وتأميره، صدرت هذه المكاتبة إلى الجناب العالى تهدى إليه سلاماً كالدرر، وثناء طويل الأوضاع والغرر ويوضح لعلمه المبارك "، ويكمل. والعلامة والتعريف كما تقدم.

وعلى ما كان فى مكانته الوزير قبل انتقاله إلى رتبة " الجناب الكريم " وهى " ضاعف الله تعالى نعمة الجناب العالى، الوزيرى، الصاحبى " ويكمل كما تقدم من الألقاب والنعوت والدعاء مثل " ولا زالت الأقلام خداماً لخاطره، والأسماع [٢٣٤ أ] نظاماً لجواهره، والمشار سائرة إلى سرائره، صدرت هذه المكاتبة إلى الجناب العالى بسلام تسربه النفوس، ويعرف به فضله الجامع ومحلى العروس، ويوضح لعلمه كيت وكيت "، والعلامة والتعريف كما تقدم.

وفيما يكتب به فى المكاتبة لناظر الخاص على ما الحال مستقر عليه وهى " ضاعف الله تعالى نعمة الجناب العالى، القاضوى " ويكمل كما تقدم، والدعاء مثل " ولا زالت الدول بتدبيره مطرزة العوائق، وألسنة الأيام على حميد تأثيره مبينة، وتحميل تدبيره نواطق، والأقاليم محروسة بأقلامه من شر كل غاسق، صدرت هذه المكاتبة إلى الجناب العالى، وسطورها بعبير

الثناء تتبسم، وثغورها للسرور بسلامته تبسم "، والعلامة " والده "، وتعريفه " ناظر الخواص الشريفة بالممالك الإسلامية ".

وكرسم المكاتبة لناظر الجيش على ما كان الأمر عليه قبل انتقاله إلى رتبه " الجناب الكريم " وهى " ضاعف الله تعالى نعمة الجناب العالى القاضوى ". ويكمل، والدعاء مثل " ولا زالت علياؤه شامخة المناكب، وقدم اعتلائه ممتطية غوارب الكواكب، مفترعة أسنى الملك، وأسمى المناصب، صدرت هذه المكاتبة إلى الجناب العالى بسلام يُسرع إليه، ويرد منا عليه، ويجنبه به، ولا ينسى ما لديه، ويوضح لعلمه المبارك كيت وكيت " ويكمل، العلامة " والده "، تعريفه " ناظر الجيوش المنصورة بالممالك الإسلامية ".

مهمة: [إذا] اجتمع لرئيس وظيفتين فيورد فى تقليده فى المكاتبة إليه الألقاب والنعوت التى تتميز بها كل وظيفة كـ " السفيرى، واليمينى، وعين الملوك ومشير السلاطين " لكاتم السر، و" الوزيرى، والصاحبى، والمدبرى، وقوام الدول، ومدبر الملوك " للوزير، و" المرتبى، ومرتب الجيوش، ومدبر العساكر" لناظر الجيش. ثم يقدم ألقاب أعلى الوظيفتين كما يقال " صاحب دواوين الإنشاء، وناظر الجيوش المنصورة بالممالك الإسلامية "، أو لوزير وناظر الخاص " مدبر الممالك الإسلامية وناظر الخواص الشريفة بالممالك الإسلامية "، وعلى مثل ذلك.

المرتبة الثالثة: مرتبة المجلس العالى، وهى على ضربين:

الضرب الأول إيرادها مع الدعاء [٢٣٤ب] قال فى التثقيف: إنها كانت مرتبة كتام السر، ونظار الجيش، ونظار الخاص، فلما انتقلوا إلى رتبة الجناب صارت لمن هو دونهم كما هو الآن فى مكاتبة ناظر الديوان المفرد الآن إن عظم وهى " حرس الله تعالى مجد المجلس العالى القضائى " ويكمل، والدعاء " ولا زالت النعم إليه واصلة، والأيام ما هى مأمول منه وما هى آملة، صدرت هذه المكاتبة إلى المجلس العالى تهدى إليه سلاماً تحمله إليه الركائب السائرة، وثناء تشرق منه الكواكب النائرة " ويكمل، والعلامة " والده "، وتعريفه " ناظر الديوان الشريف المفرد ".

وكما فى رسم مكاتبة ناظر الدولة إن عظم " أدام الله تعالى نعمة المجلس العالى القضائى " والدعاء مثل " ولا زالت الأمانة مشتملة على أوصافة، والمودات شاكرة لتأيد إنصافه، صدرت هذه المكاتبة إلى المجلس العالى تخصه بسلام حسن الافتتاح، وثناء كما نظم الوشاح، ويوضح

لعلمه المبارك ". ويزاد فى ألقابه " العارفى، المتصرفى "، وفى نعوته " عون الوزراء عين الاكفياء، مهذب الدواوين، مرتب الدولة "، العلامة " والده "، تعريفه " ناظر الدواوين المعمورة والصحبة الشريفة ". وعبر فى التعريف بـ " ناظر المال "، ولو كُتِبَ " ناظر الدولة الشريفة بالممالك الإسلامية " لصاغ للشهرة.

الضرب الثانى، تجريدها عن الدعاء وهى مرتبة ناظر الدولة، وناظر المفرد ـ إذا لم يعظما ـ، وناظر الإسطبلات، وناظر الخزانة، ومستوفى الصحبة إن عظم.

المرتبة الرابعة: مرتبة المجلس السامى، وهى على ضربين:

الضرب الأول، مرتبة المجلس السامى بالياء، ويكاتب بها بعض أعيان الكتّاب وناظر الإسكندرية، وموقعين الدست ومن فى معناهم، والدعاء فيها مثل " أدام الله تعالى سعده، وأنجح قصده "، والتعريف بالوظيفة.

الضرب الثانى، مرتبة هذه المكاتبة وهى مرتبة مستوفين الدواوين الشريفة والأنظار الصغار ومن فى معناهم، والرسم فيها " هذه المكاتبة إلى المجلس السامى القاضى الأجل "، ويكمل، والدعاء " أدام الله تعالى سموه وحقق مرجوه " ونحو ذلك.

المرتبة الخامسة: مرتبة يعلم [٢٣٥ أ] مجلس القاضى الأجل ويكمل، والدعاء كما تقدم. ولم يكن أحد من أرباب الأقلام بالوجهين القبلى والبحرى له رسم مكاتبة غير ناظر ثغر الإسكندرية.

المقصد الرابع

المكاتبات الخاصة بمشايخ الصوفية

وهى على ثلاث مراتب:

المرتبة الأولى: مرتبة الافتتاح بالسلام وبعبيره، وهى أعلاها ولا تكتب إلا لمن يكـــون فى مقام القطبية، ورسم المكاتبة فيها " سلام الله تبارك وتعالى وتحياته التى تترادف وتتوالى، وزكواته المتعاظمة وقاراً وجمالاً " أو " سلام الله المتسق النظام، الواكـــف الغمـــام، المتجـــدد بالعشـــى والأبكار، المتعبد آناء الليل وأطراف النهار، وبعبير السلام أفضل التحيات وأتمهـــا، وأكمـــل الزكوات وأعمها. أو " أتمى سلام الله وتحياته، وأفضل رحمته ورأفته وبركاته ـــ ثم يكتـــب ـــ على الحضرة الكريمة المقدسة الطاهرة الزكية "، ويكمل والدعاء مثل " ولا زالت البصائر بـــه منورة، والحدائق بسحبه مزهرة، والحقائق بعلمه مصورة، صدرت هذه المفاوضة إليه تهدى إليه سلاماً حسن وصفة، وثناء طاب أرجه وعرقه، ونبدى لعلمه الكريم كيت وكيت، ـــ وخطابـــه بالحضرة الكريمة ـــ، والقصد كذا وكذا "، ويختمه مثل " والله تعالى يهدى به إلى أوضح الطرق وأحسن المسالك " العلامة " أخوه "، تعريفه " الشيخ فلان "، وكتب عن الظاهر برقوق للشيخ إبراهيم بن زقاعة [1] " الجناب " مفتتحاً بالدعاء.

المرتبة الثانية: مرتبة الافتتاح بالدعاء، وهى على ثلاث درجات:

الدرجة الأولى: الجناب الكريم، وهى " أمتع الله الإسلام ببركات الجناب الكريم العـــالى الشيخى "، ويكمل، والدعاء " ونور البصائر بنور عرفانه وهدى القلوب إلى طرق هدايتـــه فى سره وإعلانه، وجمع الخوطر على محبة حلت عليها لمزيد فضله وإحسانه، صدرت هذه المكاتبـــة إلى الجناب الكريم تهدى إليه سلاماً يليق أن يعرض بحضرته، ويزاد نصره بنظرته، ونبدى لعلمه الكريم كيت وكيت " [٢٣٥ب]، ويكمل، والعلامة " أخوه "، وتعريفه الشيخ فلان الدين الفلانى.

---

(١) هو إبراهيم بن محمد بن رفاعة المعروف بابن زقاعة أحد الشيوخ الصوفية وكان للظاهر برقوق به اعتقاد كبير حتى إنه لم يكن يسافر إلا فى اليوم الذى يحدده له الشيخ، توفى عام ٨١٦ هـــ. ابن حجر: إنباء، ج٣، ص١٧.

الدرجة الثانية: درجة الجناب العالى، ورسم المكاتبة فيها " أعاد الله تعالى من بركات الجناب العالى الشيخى "، ويكمل، والدعاء مثل " وشمل الكافة بخالص دعواته وأفاض عليه العرفان للذى فى بركاته وسكناته، صدرت هذه المكاتبة إلى الجناب العالى لهدى إليه سلاماً طاب نشره، وثناء حسن بين الأيام ذكره، ونوضح لعلمه المبارك كيت وكيت "، ويختمه " فيحيط علمه المبارك بذلك، والله تعالى يمده بلطفه المتدارك " العلامة " والده "، تعريفه الشيخ فلان الدين.

الدرجة الثالثة: درجة المجلس العالى، والرسم فيها " أدام الله تعالى بركة المجلس العالى الشيخى "، ويكمل، والدعاء مثل " لازال يقابل بسلاحه ويقابل فساد الدهر بصلاحه، ويجلى دجى الظلماء بمصباحه "، وهذه مكاتبة شيخ الشيوخ بخانقاه سرياقوس، ويزاد فى ألقابه المركبة " شيخ شيوخ العارفين ".

المرتبة الثانية: مرتبة المجلس، وهى على ثلاث درجات:

الدرجة الأولى " صدرت هذه المكاتبة إلى المجلس العالى الشيخى " والدعاء "أعاد الله من بركاته، ونفع بصالح دعواته، وبلغ به من الخير منتهى طلباته، موضحه لعلمه كذا " العلامة " والده "، وتعريفه، " الشيخ فلان الدين الفلانى " حيث ما قيل الفلانى يكون منسوباً لشيخ طريقه، كا لقادرى والرفاعى ونحوه.

الدرجة الثانية، درجة " صدرت والسامى "، والرسم فيها " صدرت هذه المكاتبة إلى المجلس السامى الشيخى " ويكمل، والدعاء " نفع الله ببركته الأيام وأفاض من عرفانه على الخاص والعام "، ويكمل، والعلامة الاسم، وتعريفه " الشيخ فلان الدين ".

الدرجة الثالثة، درجة " هذه المكاتبة إلى المجلس السامى "، ويكمل على نحو ما تقدم من غير ياء النسب، والعلامة، والتعريف على نحو ما تقدم.

المقصد الخامس

مكاتبات العربان بالديار المصرية

وهم على ضربين.

الضرب الأول

مكاتبه أمراء عربان الوجه [٢٣٦ أ] القبلى

والمكاتبون منهم فى ثلاثة أقاليم:

الأول: إقليم البهنساوية، والإمرة فيه كانت فى عربان بادين، وهم هوارة البحرية فى بيت أولاد مازن وأولاد غريب بدهروط، وكانت مكاتبة أميرهم " هذه المكاتبة "، ثم خرج عنهم إقطاع الإمرة فاستقرت المكاتبة " يعلم " ثم أبطلت الإمرة فيهم وقسموا أخماساً.

الثانى: الأشمونين، والإمرة فيه فى بيت أولاد الأحدب على عربان عرك وإقامتهم بالبدرمان، ورسم المكاتبة إلى أميرهم " يعلم مجلس الأمير الأجل "، وتعريفه " أمير عربان عرك بالأشمونين ".

الثالث: إقليم قوص، والإمرة فيه فى أولاد عمر، وإقامتهم بجرجا على عربان هوارة، وهم أكثر جمعاً وأوسع عملاً، ورسم المكاتبة إلى أميرهم " هذه المكاتبة "، وتعريفه أمير هوارة بالوجه القبلى، وما عدا هؤلاء فهم شيوخ عربان، وهم شيخ بنى هلبا بالأطفيحية، وشيخ فزارة بالبهنساوية، وشيخ لواتة بها من أولاد تاج الملك، وكانت الإمرة فى بيتهم ثم صارت فى معنى المشيخة، وشيخ الصبيحة ببلاد القوصية ولا يتعدى أحد منهم فى مكاتبته غير " مجلس الأمير " وتعريفه " شيخ عربان كذا ".

الضرب الثانى

مكاتبة أمراء عربان الوجه البحرى

وهم فى أربعة أقاليم:

الأول: إقليم البحيرة، قال فى التعريف: وكان فى زمانه الإمرة فيه لأحمد بن مقدم وكان رسم المكاتبة إليه " صدرت والسامى "، والعلامة " أخوه "، وصارت الآن فيه فى أولاد التركية، وانحطت إلى أن صارت فى معنى المشيخة، وربما أقاموا بأطراف إقليم الجيزية، واستقر رسم المكاتبة إلى أميرهم " يعلم مجلس الأمير "، والعلامة " الاسم "، وتعريفه " ابن التركية أمير

المقادمة ". أما مشايخ الأخماس بها فرسم المكاتبة إلى كل منهم " يعلم مجلس الأمير "، وتعريفه " فلان بن فلان أحد مشايخ أخماس البحيرة ".

وأما عربان لبيد وهم عرب برقة، فقال فى التعريف: إنه كان شيخهم فى زمانه جعفر بن عمر، ولم يذكر رسم المكاتبة إليه، وهى الآن فى أولاد عريف، ورسم المكاتبة إليه " يعلم "، وتعريفه " فلان شيخ عربان لبيد "، ولم يكن لهم مقرة.

الثانى: إقليم المنوفية، والإمرة فيه فى أولاد نصر الدين [٢٣٦ ب] وإقامتهم بالحديرة، وعربانهم لواتة، ويداخلهم فى الإمرة أولاد مقداد، وإقامتهم ما بين المنوفية، الغربية، وصارت الإمرة فيهم فى معنى المشيخة، ورسم المكاتبة إلى أميرهم " فلان أميرعربان المنوفيه، وأمير عربان لواتة ".

الثالث: إقليم الغربية، وعربانه جماعة السنابسة من الخزاعلة، والإمرة فيه فى أولاد يوسف وإقامتهم بسخا، ورسم المكاتبة إلى أميرهم " يعلم مجلس الأمير "، وتعريفه " فلان بن يوسف أمير عربان السنابسة أو الخزاعلة أو السخاوية ".

الرابع: إقليم الشرقية، والإمرة فيه فى جذام فى أولاد بقر وإقامتهم بمربيط، وفى العايد فى أولاد شعبان، وإقامتهم بنوبة، وهم شعبة من جذام، ورسم المكاتبة إلى كل مثل أمراءهم " هذه المكاتبة "، وتعريفه " أمير عربان جذام أو أمير عربان العايد بالشرقية ".

أما مشايخ العربان بالوجة البحرى فلا ضابط لهم يزيدون وينقصون، ويقيمون ويرحلون، وأجل ما يكتب لهم " يعلم مجلس الأمير "، وتعريفه " شيخ عربان كذا ".

المقصد السادس

فى رسم المكاتبات الخاصة بالخوندات

قال فى التثقيف: إن منهن جماعة كتب لهن فيما تقدم، وهن خمسة [١]:

الأولى: ابنة السلطان الناصر محمد بن قلاوون حين كانت بحلب مع زوجها أبى بكر بن أرغون، ورسم المكاتبة إليها " الذى يحيط به علم الحرمة [الشريفة] [٢] العالية " والأسطر

---

(١) يذكرهم خمسة وقد عدهم ستا انظر ما بعدها.

(٢) ما بين الحاصرتين من، صبح، ج٧، ص١٦٦.

متقاربة كالملطفات، والدعاء " ضاعف الله جلالها " والعلامة " والدها "، وتعريفها " الدار السيفية فلان بحلب المحروسة ".

الثانية: طغاى زوجة الناصر المشار إليه المعروفة بأم أنوك حين توجهها إلى الحجاز الشريف " ضاعف الله تعالى جلال الحرمة [1] الشريفة العالية " ويكمل، والعلامة الاسم، والأسطر متقاربة تعريفها " والدة المقر الكريم الوالدى السيفى أنوك ".

الثالثة: أخت السلطان الناصر حسن زوج [2] الأمير طاز لما كانت بالحجاز " ضاعف الله تعالى جلال الجهة الشريفة " ويكمل العلامة " أخوها " وتعريفها " جهة الجناب السيفى طاز "[3].

الرابعة: الست حدق كُتِبَ لها عن الناصر حسن وهى بالحجاز " ضاعف الله [٢٣٧ أ] تعالى جلال الجهة الشريفة " والعلامة كما تقدم، وتعريفها " الحاجة الست [4] حدق".

الخامسة: والدة الأشرف شعبان بن حسين " ضاعف الله تعالى حجاب [5] الجهة الشريفة " ويكمل والعلامة " والدها "، تعريفها " والدة الأشرف شعبان "[6].

تنبيه: أنكر فى التثقيف الافتتاح لها بالدعاء، وقال إن السلطان كان يعظمها كثيراً ويقبل يدها غالباً فكانت تستحق أن يكتب لها " اليد ".

السادسة: زوجة القان حسين ببغداد كتب لها فى الثلث " ضاعف الله تعالى جلال الجهة الشريفة " العلامة ----- [7]، وتعريفها " جهة القان حسين ببغداد ".

أما العنوان فلا يتعدى ثلاث حالات:

الأولى: الجهة، وهى فى أصل اللغة الناحية، ويكنى بها عن المرأة الجليلة كما كنوا عن الرجل الجليل بـ " الجناب "، ويقال فيها " الجهة الشريفة أو الجهة الكريمة " وبقية الألقاب.

---

(١) الجهة: صبح، نفسه.

(٢) جهة: صبح، نفسه.

(٣) ساقطة من صبح، نفسه.

(٤) ست: صبح، ج٧، ص١٦٧.

(٥) جلال: صبح، نفسه.

(٦) ساقطة من صبح، نفسه.

(٧) بياض فى الأصل.

الثانية: الستارة، وهى دون الجهة لأن الجهة أوسع نطاقاً من الستارة، ويقال فيها "الستارة الشريفة " إلى آخر الألقاب ويكنى بذلك عن المرأة الجليلة القدر.

الثالثة: الدار، مفردة وتجمع على ديار، وآدر، ودور، ويقال فيها " الدار العزيزة " ويأتي ببقية الألقاب والتعريف بكل عنوان.

تنبيه: يتجنب الكاتب اسم المرأة المكتوب إليها لأنها عورة، ويقتصر على خوند أو خاتون.

الفصل الثانى

فى رسم المكاتبات الصادرة إلى أرباب الوظائف بالممالك الشامية

وهى تشتمل على خمس [١] نيابات:

النيابة الأولى

نيابة دمشق وعملها

والمكاتبون بحاضرها على ثلاثة أصناف:

الصنف الأول

أرباب الوظائف من أرباب السيوف

وهم الآن سبعة [٢]:

الأول: كافل السلطنة بها، ويعبر عنه بنائبها، وكان رسم المكاتبة إليه " أعز الله تعالى نصرة الجناب الكريم " إلى سنة خمس وستين وسبعمائة فى أيام الأشرف شعبان كتب إلى الأمير بيدمر الخوارزمى " أعز الله تعالى أنصار المقر الكريم " ومن ثم وهى مستقرة، والدعاء مثل " ولا زالت عزائمه مؤيدة، وآراؤه مسددة والدولة [٢٣٧ب] الشريفة على جميل كفالته معتمدة، أصدرناها إلى المقر الكريم تهدى إليه من السلام أطيبة، ومن الثناء أعذبه، ونبدى لعلمه الكريم كيت وكيت، ومرسومنا للمقر الكريم أن يتقدم أمره العالى بكذا وكذا فيحيط علمه الكريم بذلك، والله تعالى يؤيده بالملائك بمنه وكرمه " والمشيئة والخواتم، العلامة " أخوه "، وتعريفه " كافل السلطنة الشريفة بالشام المحروس ".

الثانى: الأمير الكبير بها، ورسم المكاتبة إليه " أدام الله تعالى نعمة الجناب العالى "، والعلامة " والده "، وتعريفه " الأمير الكبير بالشام المحروس ".

---

(١) ثمان نيابات: صبح، ج٧، ص١٦٨. وقد أضاف لها القلقشندي نيابة سيس ويبدو أنها كانت قديماً نيابة وذلك لأنه أوضح ذلك فى ج٧، ص٢٢٠ { قلت: هذا على ما كان الأمر استقر عليه من كونها نيابة فى أول الأمر، إما بعد استقرارها مقدمة عسكر فإنه يكون بعد مقدم العسكر بغزة ------- وأيضاً فإن غزة مضافة إلى دمشق وسيس مضافة إلى حلب.

(٢) فى زمن القلقشندي { ثلاثة، الكافل، نائب قلعتها وحاجب الحجاب } انظر، صبح، ج٧، ص.ص١٦٨ – ١٦٩.

الثالث: حاجب الحجاب بها، ورسم المكاتبة إليه " أدام الله تعالى نعمة المجلس العـــالى "، والعلامة " والده "، وتعريفه " أمير حاجب بالشام المحروس " وثم من يكتب " حاجب الحجاب بالشام المحروس ".

الرابع: نائب القلعة بها، ورسم المكاتبة إليه " صدرت والعالى "، وتعريفه " نائب القلعـــة المنصورة بدمشق المحروسة ".

الخامس: استادار الشام، ورسم المكاتبة إليه إن كان مقدماً " صدرت والعالى " وإن كان طبلخاناه " صدرت والسامى "، وتعريفه " استادار الديوان الشريف بالشام المحروس ".

السادس: الحاجب الثانى، ورسم المكاتبة إليه " صدرت والسامى " وتعريفه " الحاجـــب الثانى بالشام المحروس ".

السابع: الدوادار، القائم من جهة السلطان فى خدمة نائب الشام ورسم المكاتبة إليـــه " صدرت والسامى "، وتعريفه " فلان الفلانى الدوادار الفلانى " بلقب السلطنة، ثم يقول بالشام المحروس.

أما الأمراء المقدمين بها، فرسم المكاتبة إلى كل منهم " صدرت والعالى "، وتعريفه اسمة أو شهرته ثم ينسب إلى لقب السلطنة. وثم من يكتب " أحد الأمراء المقدمين بالشام المحروسة ".

وأما الطبلخاناه بها فرسم المكاتبة إلى كل منهم" صدرت والسامى " وتعريفه كما تقدم.

وأما العشرات إن كوتب أحد منهم كان رسم المكاتبة إليه " هذه المكاتبـــة " وتعريفـــه كذلك.

الصنف الثانى

أرباب الوظائف الدينية

والمكاتبون منهم الآن أربعة:

الأول: قاضى القضاة الشافعى، قال فى التعريف [٢٣٨ أ]، إنه كانت المكاتبة إليه من أيامه " المجلس العالى "، ولم يذكر صورها. قال فى التثقيف، إنه كتب للشيخ تقي الدين السبكى " أعز الله أحكام المجلس العالى " ثم قال فيما بعد إنه كتب له فى نعوته " صدر الشام، معز السنة، مؤيد الملة، شمس الشريعة، رئيس الأصحاب، لسان المتكلمين ". ثم كتب للقاضى نجم الدين بن حجى بعد فصاله من كتامة سر مصر " الجناب العالى " واستمرت، والدعاء مثل " ولا برح العدل الشريف بكفالته منشور الألوية، والشرع بمقاصدته معمور الأبدية، وأوامر الحق على الباطل بمظافرته مستولية مستعلية، صدرت هذه المكاتبة " العلامة " أخوه "، تعريفه " قاضى القضاة الشافعى بالشام المحروسة ".

الثانى: قاضى القضاة الحنفى بها، ورسم المكاتبة إليه " أعز الله تعالى أحكام المجلس العالى القاضوى "، ويكمل، والعلامة " أخوه "، تعريفه " قاضى القضاة الحنفى بالشام المحروس ".

الثالث: قاضى القضاة المالكى، ورسم المكاتبة إليه " صدرت والعالى " والعلامة " والده"، وتعريفه " قاضى القضاة المالكى بالشام المحروس ".

الرابع: قاضى القضاة الحنبلى، ورسم المكاتب إليه " صدرت والسامى "، والعلامة الاسم، وتعريفه " قاضى القضاة الحنبلى بالشام المحروس ". وقل أن يكاتب هو والمالكى إلا فيما تبرز به المراسيم الشريفة.

أما بقية أرباب الوظائف الدينية بها فلم تجرى العادة بمكاتبة أحد منهم إلا فيما تبرز به الأوامر الشريفة.

الصنف الثالث

أرباب الوظائف الديوانية بها

والمكاتبون منهم ثلاثة:

الأول: كاتم السر بها، وكان رسم المكاتبة إليه " أدام الله تعالى نعمة المجلس " فلما استقر القاضي جمال الدين الكركي بعد إفصاله من كتابة سر مصر، استقر رسم المكاتبة إليه " أدام الله تعالى نعمة الجناب العالي القاضوي "، والدعاء مثل " ولا برح مين قلمه لتفاريق أمورها جامعاً، والدهر لاختيارها متتابعاً، ولإرادتها طائفاً، صدرت هذه المكاتبة إلى الجناب العالي بسلام تسربه النفوس، وثناء تتحلى به العروس، ونوضح لعلمه كيت وكيت "، والعلامة " والده " وتعريفه " كاتم الأسرار الشريفة بالشام المحروس ".

الثاني: ناظر الجيش بها، وكان رسم المكاتبة إليه " صدرت والعالي "، [٢٣٨ ب] ثم كتب للشريف الحسيني قبل ولايته وظيفة كتامة السر بمصر " أدام الله تعالى نعمة المجلس العالي القاضوي "، والدعاء مثل " وألبسه من حلل السعادة أصفاها، وأورده من مناهل العز أعذبها وأصفاها، وأيده بعونه في أواخر الأمور وأُوْلاها، صدرت هذه المكاتبة إلى المجلس العالي تهدى إليه سلاماً طرياً، وثناء ندياً، ونوضح لعلمه المبارك كيت وكيت "، والعلامة " والده "، وتعريفه " ناظر الجيش المنصور بالشام المحروس ".

الثالث: الوزير، قال في التعريف: إنه كتب للصاحب عز الدين حمزة بن القلانسي (١) "الجناب العالي" لجلالة قدره. وقال في التثقيف: إن مكاتبة الوزير كانت في أيام الناصر محمد بن قلاوون ضاعف الله تعالى نعمة المجلس العالي " والعلامة " أخوه " وتعريفه " مدبر الممالك الشريفة بالشام المحروس ". ثم قال: وأن لم يصرح له بالوزارة بل جعل ناظر النظار فيكون رسم المكاتبة إليه " حرس الله تعالى مجد المجلس العالي "، والدعاء مثل " وأطلع شمس سعادته مشرقة الأنوار، وألبسه من حلل العز ملابس الافتخار، وحلى المملكة من جميل تصرفه ما هو أحسن من عقود الكواكب على هالة الأقمار، صدرت هذه المكاتبة إلى المجلس العالي تهدى إليه سلاماً

(١) هو حمزة بن أسعد بن مظفر بن أسعد بن حمزة القلانسي المعروف بالصاحب عز الدين، ولد عام ٦٤٩، تولى نظر الخاص ثم الوزارة بدمشق عام ٧١٠ هـ، توفى عام ٧٢٩ هـ. ابن حجر: الدرر، ج٢، ص١٩٣، ت رقم ١٦٢٧؛ ابن تغرى بردى: النجوم، ج٩، ص٢٨٠.

كالدرر، وثناء طويل الأوضاح والغرر، ونوضح لعلمه المبارك كيت وكيت ". وفى زماننا لقب بناظر النظار وخرج عنه التلقيب بالوزارة، واستقر رسم المكاتبة إليه صدرت والسامى، والعلامة الاسم، وتعريفه " ناظر المملكة الشامية ".

أما من يكاتب ببرها فهم على أربعة أصناف:

الصنف الأول

النواب ومن فى معناهم

وهم سبع نواب [١]:

الأول: نائب القدس، وربما أضيف إليه نظر الحرمين، وكشف الرملة، وجبال نابلس، ورسم المكاتبة إليه " صدرت والعالى " وتعريفه " نائب القدس الشريف "، فأن أضيف له شيء أورده فى تعريفه.

الثانى: نائب حمص، قال فى التثقيف، إنه كان يكتب له نظير نائب الكرك " أدام الله تعالى نعمة المجلس العالى " [٢٣٩ أ]، ثم المستقر عليه الآن " صدرت والعالى " [٢]، وتعريفه " النائب بحمص المحروسة ". أما حاجبها فرسم المكاتبة إليه " هذه المكاتبة " وتعريفه " الحاجب بحمص المحروسة "، ولم تجرى العادة بمكاتبة نائب قلعتها.

الثالث: نائب بعلبك، ورسم المكاتبة إليه " صدرت والسامى "، وتعريفه " النائب ببعلبك".

الرابع: نائب الرحبة، ورسم المكاتبة إليه " صدرت والعالى " وتعريفه " نائب الرحبة"[٣].

الخامس: نائب عجلون، ورسم المكاتبة إليه " هذه المكاتبة " وتعريفه " نائب عجلون ".

السادس: نائب صرخد، كذلك.

---

(١) خمس نواب: صبح، ج٧، ص١٦٩.

(٢) يقول القلقشندي: واستقرت مكاتبته " صدرت هذه المكاتبة إلى المجلس السامى " فيما أظن، وقد تقدم رسمها. صبح، ج٧، ص١٦٩.

(٣) النائب بالرحبة: صبح، ج٧، ص١٦٩.

السابع: نائب مصيات، ورأيت فى بعض النسخ " مصياف "، وكُتب ليوسف شاه الأتابكى بها " صدرت والعالى " [١] واستقرت الآن " هذه المكاتبة "، وتعريفه " النائب بمصيات"، وقد أضيفت إلى معاملة طرابلس [٢].

الصنف الثانى

الكشاف

وهم اثنين:

الأول: كاشف القبلية، قال فى التعريف: إن كان مقدماً يسمى " كاشف "، وإن كان طبلخاناه فيسمى " والى الولاة "، ورسم المكاتبة إليه " صدرت والسامى "، وإن كان مقدماً " صدرت والعالى "، وتعريفه " كاشف الصفقة القبلية بالشام المحروس ".

الثانى: كاشف الرملة، ورسم المكاتبة إليه " صدرت والسامى " فإن أضيف إليه نابلس كان " صدرت والعالى " وتعريفه " كاشف الرملة ونابلس ".

الصنف الثالث

الولاة

وهم أربعة:

الأول: والى نابلس ــ إذا انفرد عن الرملة ــ، ورسم المكاتبة إليه " يعلم " وتعريفه " متولى نابلس ".

الثانى: والى بيروت، ورسم المكاتبة إليه " هذه المكاتبة " وتعريفه " والى بيروت ".

الثالث: والى صيدا، كذلك.

الرابع: والى تدمر، وتارة يكون أمير عشرة، فيكون رسم المكاتبة إليه " هذه المكاتبة "، أو تكون البلد للعرب فتكون " بعلم "، وتعريفه " متولى فلانه ".

---

(١) هذه المكاتبة إلى المجلس السامى: صبح، ج٧، ص١٧٠.

(٢) يقول القلقشندي: إنها كانت مضافة إلى طرابلس فى جملة قلاع الدعوة، ثم استقرت فى مضافات الشام. صبح، نفسه.

أما نائب قلعة صبيبة إذا كان مقدماً فإن رسم المكاتبة إليه " صدرت والعالى "، وإن كان طبلخاناه " صدرت والسامى " وتعريفه " نائب قلعة صبيبة المحروسة ". أما غير هؤلاء من الولاة فلم يكاتبوا إلا إذا دخلوا فى [٢٣٩ب] الملطفات.

الصنف الرابع

العربان والمقدمين منهم

والمكاتبون من أمرائهم خمسة:

الأول: أمير آل فضل، قال فى التعريف: إن رسم المكاتبة إليه " أدام الله تعالى نعمة المجلس العالى " بألقاب جليلة مفخمة معظمة "، وأوضح ذلك فى التثقيف على ما تقدم فى الألقاب، والدعاء مثل " ولا زالت كلمته على الخيرات مجتمعة، ومساعيه الجميلة فى طاعة الله متنوعة، والألسن والأسماع قائمين بشكره فهذه تاليه، وهذه مستمعة، صدرت هذه المكاتبة إلى المجلس العالى تهدى إليه سلاماً بشوق وثناء شوق، ونوضح لعلمه المبارك كيت وكيت ". العلامة " أخوه "، وتعريفه " أمير آل فضل "، وربما كتب " أمير الملأ ". أما من هو نظيره أو يدانيه وعدته الإمرة قال فى التعريف إن رسم المكاتبة إليه " صدرت والعالى " العلامة " أخوه "، وتعريفه " فلان بن فلان ".

الثانى: أمير آل مرا، ورسم المكاتبة إليه " صدرت والسامى "، والعلامة " والده "، وتعريفه فلان " أمير آل مرا ".

الثالث: أمير آل على، ورسم المكاتبة إليه " صدرت والسامى "، قال فى التثقيف إن العلامة له " والده "، وهى المستقر عليها الحال، وقال صاحب التعريف إن العلامة له " أخوه "، وتعريفه " فلان أمير آل على ".

الرابع: أمير بنى مهدى، ورسم المكاتبة إليه " هذه المكاتبة إلى المجلس السامى [١] " والعلامة الاسم، وتعريفه " فلان أمير بنى مهدى ".

الخامس: أمير بنى عقبة، ورسم المكاتبة إليه والعلامة كذلك، وتعريفه " أمير بنى عقبة ".

أما المقدمين فهما اثنين:

---

(١) مجلس الأمير: صبح، ج٧، ص١٨٨.

الأول: مقدم جرم، ورسم المكاتبة إليه " هذه المكاتبة "، العلامة الاسم، وتعريفه " فلان مقدم جرم ".

الثاني: مقدم حارثة، كذلك.

أما غير هؤلاء من العربان ممن هو داخل تحت إمرهم وتقدمتهم ممن تدعو الضرورة إلى مكاتبة أحد منهم، فيكون رسم المكاتبة إليه مما يراه كاتم السر ولا ضابط لكثرهم.

الثانية

نيابة حلب وأعمالها

والمكاتبون بها من أرباب الوظائف ممن بحاضرتها ثلاثة أصناف:

الصنف الأول

أرباب السيوف

وأصحاب الوظائف منهم سبعة [1] [٢٤٠ أ]

الأول: نائبها، وكان رسم المكاتبة إليه على ما أوردة فى التعريف " ضاعف الله تعالى نعمة الجناب العالى "، وعلى ما أورده فى التثقيف وهو المستقر عليه الحال الآن " أعز الله تعالى نصرة الجناب الكريم العالى " والدعاء مثل " ولا زال بعد ليوم يشيب فيه الولدان، وبعد دونه كل مجار بينة وبينة الشهب والميدان، ويعم حلب من حلي أيامه مالا يقعد معه سيف الدين إن قعد وسيف الدولة بن حمدان "، أو مثل " ولا زال يمنح جزيلاً، ويبلغ مأمولا وسولاً، ويولى فى كفالته أحسن ما يولى، صدرت هذه المكاتبة إلى الجناب الكريم تهدى إليه سلاماً يروى بالروض حسناً، وثناء يباهى النجوم، إلا أنه منها أثنى، ويوضح لعلمه الكريم كيت وكيت " والعلامة " أخوه "، تعريفه " نائب السلطنة الشريفة بحلب المحروسة ".

الثاني: الأمير الكبير بها، ورسم المكاتبة " أدام الله تعالى نعمة المجلس العالى "، العلامة " والده "، تعريفه " الأمير الكبير بحلب المحروسة ".

الثالث: الحاجب الكبير بها، ورسم المكاتبة إليه " صدرت والعالى " وتعريفه " أمير حاجب الحجاب بحلب المحروسة " [1].

---

(١) ذكرهم القلقشندي ثلاثة، النائب بها، نائب القلعة بها، حاجب الحجاب بها. صبح، ج٧، ص١٧١.

الرابع: نائب قلعتها، ورسم المكاتبة إليه " صدرت والعالى " [٢]، وتعريفه " نائب القلعة المنصورة بحلب المحروسة ".

الخامس: الحاجب الثانى، ورسم المكاتبة إليه، " صدرت والسامى " وتعريفه " الحاجب الثانى بحلب المحروسة ".

السادس: استادار الديوان الشريف بها، ورسم المكاتبة إليه " صدرت والسامى " وتعريفه " استادار الديوان الشريف بحلب المحروسة ".

السابع: دوادار السلطان بها، على ما تقدم فى دمشق، ورسم المكاتبة إليه إن كان مقدماً " صدرت والعالى "، أو طبلخاناه " صدرت والسامى "، وتعريفه " فلان الدوادار الأشرفى ـــ مثلاً ـــ بحلب المحروسة ".

أما الأمراء المقدمين فرسم المكاتبة إلى كل منهم " صدرت والعالى "، وتعريفه أسمه وشهرته، وينسب للقب السلطنة، والطبلخاناه " صدرت والسامى " والعشرينات والعشرات فرسم المكاتبة إلى كل منهم " هذه المكاتبة " وتعريفه كما تقدم [٢٤٠ ب] وقل أن يكاتبوا إلا فيما تبرز به المراسيم الشريفة.

الصنف الثانى

أرباب الوظائف الدينية

وهم ثلاثة:

الأول: قاضى القضاة الشافعى، ورسم المكاتبة إليه " أعز الله تعالى أحكام المجلس العالى القاضوى " العلامة " أخوه "، تعريفه " قاضى القضاة الشافعى بحلب المحروسة ".

الثانى: قاضى القضاة الحنفى، ورسم المكاتبة إليه " صدرت والعالى " العلامة " والده " وتعريفه " قاضى القضاة الحنفى بحلب المحروسة ".

الثالث: قاضى القضاة المالكى، ورسم المكاتبة إليه " صدرت والسامى "، والعلامة الاسم، وتعريفه " قاضى القضاة المالكى بحلب المحروسة "، وقل أن يكاتب.

وأما الحنلبى فلا يكاتب إلا إن برزت المراسيم الشريفة بالمكاتبة له.

(١) أمير حاجب بحلب المحروسة: صبح، ج٧، ص١٧١.

(٢) صدرت هذه المكاتبة إلى المجلس السامى: صبح، نفسه.

الصنف الثالث

أرباب الوظائف الديوانية

وهما اثنان:

الأول: كاتم السر بها، ورسم المكاتبة إليه " صدرت والعالى "، والعلامة " والده "، وتعريفه على ما كان قديماً " ناظر ديوان المكاتبات بحلب المحروسة "، وعلى ما استقر عليه الحال " كاتم السر الشريف بحلب المحروسة ".

الثانى: ناظر الجيش بها، وكان رسم المكاتبة إليه " صدرت والسامى " ثم استقر " صدرت والعالى "، وتعريفه " ناظر الجيش المنصور بحلب المحروسة ".

أما من يكاتب ببرها فهم ثلاثة أصناف:

الصنف الأول

النواب

وهم سبعة وعشرون نائباً بمقدم العسكر بسيس [(١)]:

الأول: نائب البيرة، ورسم المكاتبة إليه " صدرت والعالى "، وتعريفه " نائب البيرة ".

الثانى: نائب قلعة المسلمين، والجارى على ألسنة الناس قلعة الروم ورسم المكاتبة إليه " صدرت والعالى "، وتعريفه " نائب قلعة المسلمين ".

الثالث: نائب ملطية، وكان استقر بها أحد الأمر المقدمين بمصر، وكان رسم المكاتبة إليه " ضاعف الله تعالى نعمة الجناب العالى " ثم أفضل واستقر بها أحد الأمراء المقدمين بحلب، واستقر رسم المكاتبة إليه، " صدرت والعالى " وتعريفه، " نائب ملطية ".

الرابع: نائب طرسوس، ورسم المكاتبة إليه " صدرت والعالى " وتعريفه " النائب بطرسوس ".

(١) أحد وعشرون نائباً: صبح، ج٧، ص١٧٢.

الخامس: نائب أذنة [١]، وكان رسم المكاتبة إليه " صدرت والسـامى " [٢]، [٢٤١أ] فلما استقر بها سلطان شاه كتب له " صدرت والعالى "، وتعريفه " النائب بأذنة ".

السادس: نائب البلستين، ويقال الأبلستين، ورسم المكاتبة إليه " صـدرت والعـالى " وتعريفه " النائب بالأبلستين ".

السابع: نائب بهسنى، قال فى التثقيف: ومما استقر عليه الحال أنه لم يكتب لأحـد مـن النواب، ولا من أرباب السيوف السامى بالياء، والعلامة والده غير المـذكور. والآن فرسـم المكاتبة إليه " صدرت والعالى " والعلامة " والده "، وتعريفه " النائب ببهسنى ".

الثامن: نائب أياس، وهو المعبر عنه بنائب الفتوحات الجاهانية ورسم المكاتبة إليه " هذه المكاتبة " وتعريفه " النائب بآياس ".

التاسع: نائب جعبر، وكان رسم المكاتبة إليه على ما أورده فى التثقيف السامى بغير ياء، والآن " صدرت والعالى " وتعريفه " النائب بقلعة جعبر المحروسة ".

العاشر: نائب عين تاب، ورسم المكاتبة له على ما أورده فى التثقيف " يعلم مجلس الأمير الأجل " والآن فرسم المكاتبة إليه " صدرت والسامى " وتعريفه " النائب بعين تاب ".

الحادى عشر: نائب درندة، وكان رسم المكاتبة إليه على ما أورده فى التثقيف " هـذه المكاتبة " [٣]، والآن فرسم المكاتبة إليه " صدرت والعالى " وتعريفه " النائب بدرندة ".

الثانى عشر: نائب القصير، ورسم المكاتبة إليه " يعلم مجلس الأمير " وتعريفه " النائـب بالقصير ".

الثالث عشر: نائب الراوندان، كذلك.

الرابع عشر: نائب شيزر [٤]، وكان رسم المكاتبة إليه على ما ذكره فى التثقيف " هـذه المكاتبة "، والآن استقرت " صدرت والعالى "، وتعريفه " النائب بشيزر ".

---

(١) تقع اليوم بتركيا وتعرف باسم " أضنه ". البلاذرى: فتوح، ص٦٨٢؛ لى سترانج: بلدان، ص١٦٣.

(٢) صدرت هذه المكاتبة إلى المجلس العالى: صبح، ج٧، ص١٧٢.

(٣) قال فى التثقيف: إن كان طبلخاناه فـ " السامى " بغير ياء، وإن كان عشرة فـ "مجلس الأمير ":، صبح، ج٧، ص١٧٣.

(٤) شيزر تقع اليوم بسوريا. البلاذرى: فتوح، ق٣، ص٧٤٢.

الخامس عشر: نائب كركر، وكان رسم المكاتبة إليه على ما أورده فى التثقيف " يعلم مجلس الأمير "، والآن استقرت " صدرت والسامى "، وتعريفه" النائب بكركر ".

السادس عشر: نائب كختا، والأفصح فيها الكختا، وكان رسم المكاتبة إليه على ما أورده فى التثقيف " يعلم مجلبس الأمير "، والآن " صدرت والسامى " وتعريفه " النائب بالكختا".

السابع عشر: نائب [٢٤١ ب] بغراص [1]، ورسم المكاتبة إليه " يعلم مجلس الأمير " وتعريفه " نائب بغراص ".

الثامن عشر: نائب الشغر وبكاس، كذلك.

التاسع عشر: نائب الدربساك، كذلك.

العشرون: نائب أسفندكار، ورسم المكاتبة إليه " هذه المكاتبة "، وتعريفه " نائب أسفندكار ".

الحادى والعشرون: نائب دوركى، ورسم المكاتبة إليه " صدرت والعالى " وتعريفه " النائب بدوركى "، ويكتب أيضاً ديركى.

الثانى والعشرون: نائب قلعة كومى، وهو مستجد ورسم المكاتبة إليه " هذه المكاتبة " وتعريفه " نائب قلعة كومى المحروسة ".

الثالث والعشرون: تقدمة العسكر بسيس، قال فى التثقيف إن رسم المكاتبة إليه " ضاعف الله تعالى نعمة الجناب العالى " والمستقر الآن " أدام الله تعالى نعمة الجناب العالى " والعلامة " والده "، وتعريفه " مقدم العسكر بسيس المحروسة ". أما حاجبها فرسم المكاتبة إليه " يعلم مجلس الأمير " وتعريفه " الحاجب بسيس "، ولم يكن بها نائب قلعة.

الرابع والعشرون: نائب قيسارية، ويكتب قيصرية، وكان رسم المكاتبة إلى نائبها حين كان ناصر الدين بلك بن ذو الغادر " أدام الله تعالى نعمة الجناب العالى " والعلامة " والده "، وتعريفه " نائب السلطنة الشريفة ".

---

(١) بغراس: صبح، ج٧، ص١٧٤.

الخامس والعشرون: نائب الرها، وكان بها أحد المقدمين بالأبواب الشريفة، وكان رسم المكاتبة إليه " ضاعف الله تعالى نعمة الجناب العالى " ثم استقر بها أحد الأمراء الطبلخاناه بمصر، واستقر رسم المكاتبة إليه " صدرت والعالى "، وتعريفه " النائب بالرها ".

السادس والعشرون[١]: نائب مرعش،ورسم المكاتبة إليه " صدرت والسامى "، وتعريفه" النائب بمرعش.

السابع والعشرون: النائب بخرت برت، واستقر رسم المكاتبة له حين أخذها [٢] "صدرت والعالى"، وتعريفه " النائب بخرت برت ".

واعلم أن بهذه المملكة نواب لم يكاتبوا، قال فى التثقيف: ومن النواب بالقلاع الحلبية من لم تجرى عادته بمكاتبة ممن كان قديماً ومن استجد، وهم نائب حجر شغلان، ونائب قلعة بـــارى كروك، ونائب قلعة كاورا، ونائب كولاك، ونائب كرزال.

وأما النواب العشرات فأنهم لم يكاتبوا وهم نواب أبى قبيس، وحارم، وكفر طاب، فاميه، وتل حمدون، وقلعة نجمة، وحموص، ولؤلؤة، ومن يوليهم نائب حلب غالباً كنائب كفر طـــاب، وسرمين، والجبول وجبل سمعان، والرازية، وعرار، وتل ناشر، ومنبج [٢٤٢ ب] وبيريـــن، والباب وبزاغا، ودركوش، وأنطاكية.

مهمة: لم يكن رسم المكاتبات للنواب مستلزم النيابة، بل لازم للإمرة، فالمقدم " صدرت والعالى "، والطبلخاناه " صدرت والسامى "، والعشرين " هذه المكاتبة "، والعشرات " يعلم ".

الصنف الثانى

التركمان

قال فى التثقيف: وغالبهم لا يكتب له إلا إذا ضمه مطلق شريف. ثم قال: وإن كتب له " السامى " بغير ياء إن كان طبلخاناه، وإن كان عشرين أو عشرة كتب له " مجلس الأمير ".

وأما المشهور منهم فهم سبع فرق [٣].

---

(١) من هامش صفحة المخطوط هو والسابع والعشرون.

(٢) انظر فيما بعد ص٧٦٣.

(٣) يذكر القلقشندي: ثم أخلى بياضاً ـــ أى ابن ناظر الجيش ـــ متسعاً ولم يصرح باسم أحد منهم، صبح، ج٧، ص١٩٠. ويبدو أن صاحب الثغر نقل عن التثقيف ولذلك شابهه فى ترك البياض.

الأولى: الدلغاريه ـــــ [١]

الثانية: الأحقية، وأميرهم الآن ـــــ [٢] ورسم المكاتبة إليه " صـــدرت والعـــالى " وتعريفه ـــــ [٣]

الثالثة: الأوزرية، وأميرهم الآن ــــــ [٤] ورسم المكاتبة إليه " هذه المكاتبـــة "، وتعريفه ــــــ [٥]

الرابعة: الأوشرية، وأميرهم الآنــــــ [٦] ورسم المكاتبة إليه " هــذه المكاتبـــة " وتعريفه ـــــــــ [٧]

الخامسة: الذكرية، وأميرهم فرغلى بن دمشق جحا، وقد انتقل بجماعته إلى ــــــ [٨] ورسم المكاتبة إليه ــــــ [٩] وتعريفه ـــــ [١٠]

السادسة: الورسق، وأميرهم الآن ـــــ [١١] ورسم المكاتبة إليـــه " يعلـــم مجلـــس الأمير"، وتعريفه ـــــ [١٢]

السابعة: البياضة، وأميرهم الآن ـــــ [١٣] ورسم المكاتبة إليه " هـــذه المكاتبـــة " وتعريفه ـــــــ [١٤]

---

(١) بياض فى الأصل.

(٢) بياض فى الأصل.

(٣) بياض فى الأصل.

(٤) بياض فى الأصل.

(٥) بياض فى الأصل.

(٦) بياض فى الأصل.

(٧) بياض فى الأصل.

(٨) بياض فى الأصل.

(٩) بياض فى الأصل.

(١٠) بياض فى الأصل.

(١١) بياض فى الأصل.

(١٢) بياض فى الأصل.

(١٣) بياض فى الأصل.

(١٤) بياض فى الأصل.

أما الأكراد فأنهم طوائف كثيرة، وقد عبر عنهم فى التثقيف كما عبر عن التركمان، ولم يكن لهم أمير يكاتب من الأبواب.

الصنف الثالث

العربان

ولم يتعدوا قبيلتان:

الأولى: بنو كلاب [٢٤٢ ب] ولهم أربع أمراء فى معنى المقدمين، وأمثلهم ---[١]، ورسم المكاتبة إليه " هذه المكاتبة "، والعلامة الاسم، وتعريفه فلان مقدم بنى كلاب.

الثانية: آل يسار، ولم يكن لهم أمير، وقد طالت يد أمير آل فضل عليهم، والمكاتبة تصدر فى أمرهم لأمير آل فضل

الثالثة

نيابة حماة

والمكاتبون بها من أرباب الوظائف ثلاثة أصناف:

الصنف الأول

أرباب السيوف

وهم ثلاثة [٢]:

الأول: نائبها، وقد تقدم أنه كان بها ملك من بقايا الملوك الأيوبية، وكان رسم المكاتبة إليه فى العادة " أعز الله تعالى أنصار المقام الشريف العالى السلطانى الملكى الفلانى بلقب السلطنة"، واللقب الخاص، ثم الدعاء، ثم " أصدرناها إلى المقام الشريف "، والعلامة " أخوه "، وتعريفه " صاحب حماة "، فلما صارت نيابة استقر رسم المكاتبة إلى نائبها " ضاعف الله تعالى نعمة الجناب العالى " إلى آخر الألقاب والنعوت. والدعاء مثل " وأتم بخدمه كل مبرة، وهممه كل مسرة وصار ما وليه أن يكون به غير العاصى، أو ينسب إليه سوى البلد المعروف مقره"، العلامة " والده "، تعريفه " نائب السلطنة الشريفة بحماة المحروسة ".

---

(١) بياض فى الأصل.

(٢) اثنان: صبح، ج٧، ص١٧٧، { نائبها ــ حاجبها }.

الثانى: حاجبها، ورسم المكاتبة إليه " صدرت والسامى " وتعريفه " الحاجب بحماة المحروسة ".

الثالث: الحاجب الثانى، ورسم المكاتبة إليه إن كان عشرة " يعلم مجلس الأمير "، وتعريفه " الحاجب الثانى بحماة المحروسة ". قال فى التثقيف: ولم يكن بها نائب قلعة. ويكاتب كل من الأمراء الطبلخاناه " صدرت والسامى "، وتعريفه اسمه، وبنسب للقب الملوكى، والعشرينات والعشرات " يعلم مجلس الأمير " وتعريفه كذلك وقل أن يكاتبه.

الصنف الثانى

أرباب الوظائف الدينية

ولم يكاتب بها من أرباب الوظائف الدينية غير اثنين:

الأول: قاضى القضاة الشافعى، ورسم المكاتبة إليه " صدرت والعالى " والعلامة "والده"، تعريفه " قاضى القضاة الشافعى بحماة المحروسة ".

الثانى: قاضى القضاة [٢٤٣ أ] الحنفى، ورسم المكاتبة إليه " صدرت والسامى " وتعريفه " قاضى القضاة الحنفى بحماة المحروسة "، أما المالكى والحنبلى فلم يجرى لهما عادة بمكاتبة، فأن رسم المكاتبة لهما كتب لهما مثل الحنفى.

الصنف الثالث

أرباب الوظائف الديوانية

وهما اثنين:

الأول: كاتم السر بها، ورسم المكاتبة إليه " صدرت والسامى " وتعريفه " ناظر ديوان المكاتب بحماة المحروسة "، وربما كتب " صاحب ديوان الإنشاء بحماة المحروسة.

الثانى: ناظر الجيش بها، ورسم المكاتبة إليه " صدرت والسامى " وتعريفه " ناظر الجيش المنصور بحماة المحروسة ".

ولم يكن بها أمراء تركمان ولا عربان تصدر إليهم مكاتبة من الأبواب الشريفة.

الرابعة

نيابة طرابلس

والمكاتبون بها من أرباب الوظائف خمسة أصناف:

الصنف الأول

أرباب السيوف

وهم خمسة [(١)].

الأول: نائبها، ورسم المكاتبة إليه " ضاعف الله تعالى " والدعاء مثل " وأطاب أيامه التى ما رقت على مثلها أشجار، وعدد فى مناقبه العقول التى لا تحار، وأخذ بنواصى الأعداء مرة فلا تأبى بهم البرارى المقفرة، ولا تحصنهم البحار الزاخرة "، وتعريفه " نائب السلطنة الشريفة بطرابلس المحروسة ".

الثانى: الأمير الكبير بها، ورسم المكاتبة إليه " صدرت والعالى " وتعريفه " الأمير الكبير بطرابلس المحروسة ".

الثالث: الحاجب الكبير بها، ورسم المكاتبة إليه " صدرت والعالى " وتعريفه " أمير حاجب بطرابلس المحروسة ".

الرابع: استادار الديوان الشريف، وغالباً يكون هو الحاجب، فإن أفرد كان رسم المكاتبة إليه " هذه المكاتبة " وتعريفه استادار الديوان الشريف بطرابلس المحروسة.

الخامس: الحاجب الثانى، ورسم المكاتبة إليه " صدرت والسامى " وتعريفه " الحاجب الثانى بطرابلس المحروسة ".

الصنف الثانى

أرباب الوظائف الدينية

ولم يكاتب بها منهم غير اثنين:

الأول: قاضى القضاة الشافعى، ورسم المكاتبة إليه " صدرت والعالى " وتعريفه " قاضى القضاة الشافعى بطرابلس المحروسة ". [٢٤٣ ب]

---

(١) اثنان: صبح، ج٧، ص١٧٥. { نائب السلطنة، الحاجب بطرابلس }.

الثانى: قاضى القضاة الحنفى، ورسم المكاتبة إليه " صدرت والسامى "، وتعريفه " قاضى القضاة الحنفى بطرابلس المحروسة ".

وأما المالكى والحنبلى فلم تجرى العادة بالمكاتبة إلى أحد منهما، فإن بـــرزت المراســـيم الشريفة بمكاتبة أحد منهما، كان رسم المكاتبة إليه " صدرت والسامى "، وتعريفـــه " قاضـــى القضاة المالكى أو الحنبلى بطرابلس المحروسة ".

الصنف الثالث

أرباب الوظائف الديوانية

ولم يكن بها غير اثنين:

الأول: كاتم السر بها، ورسم المكاتبة إليه " صدرت والسامى "، وتعريفه " ناظر ديوان المكاتبات "، أو " رئيس ديوان الإنشاء بطرابلس المحروسة ".

الثانى: ناظر الجيش بها، ورسم المكاتبة إليه كذلك، وتعريفه " نـــاظر الجـــيش المنصـــور بطرابلس المحروسة ".

الصنف الرابع

النواب بالمملكة بالنواحى والقلاع

وهم اثنا عشر نائباً [١]

الأول: نائب اللاذقية، وكان رسم المكاتبة إليه " هذه المكاتبة " [والعلامة الاسم] [٢] وتعريفه النائب باللاذقية.

الثانى: نائب صهيون، ورسم المكاتبة إليه " يعلم " وتعريفه " النائب بصهيون.

الثالث: نائب حصن الأكراد. كذلك

الرابع: نائب بلاطنس. كذلك

---

(١) قسمهم القلقشندي إلى نواب قلاع نفس طرابلس وهم سبعة نواب، نواب القلاع المضافة إلى طرابلس وهم ست قلاع بعد استبعاد مصياف. انظر صبح، ج٧، ص١٧٦ــ ١٧٧

(٢) بياض بالأصل، وما بين الحاصرتين من، صبح، ج٧، ص١٧٦.

الخامس: نائب المرقب، وكانت المكاتبة إليه فى أيام الناصر فرج " صدرت والعالى " ثم استقرت الآن " صدرت والسامى "، وتعريفه " النائب بالمرقب ".

السادس: نائب حصن عكار، ورسم المكاتبة إليه " يعلم "، وتعريفه " النائب بحصن عكار ".

السابع: نائب الكهف. كذلك.

الثامن: نائب المنيقة. كذلك.

التاسع: نائب العليقة. كذلك.

العاشر: نائب القدموس. كذلك.

الحادى عشر: نائب الخوابى. كذلك.

الثانى عشر: نائب الرصافة. كذلك.

وكانت مصيات من معاملها، ثم انتقلت إلى معاملة دمشق، ورسم المكاتبة إلى نائبها " هذه المكاتبة "، وتعريفه " نائب مصيات أو مصياف ".

الصنف الخامس

الولايات

وهم من قبل نائبها، وعدهم سبعة:

الأول: نائب انطرسوس، ورسم المكاتبة إليه " يعلم ".

الثانى: جبة المنيظرة. كذلك.

الثالث: الظنين. كذلك.

الرابع: بشرية، ولم [٢٤٤ أ] يكاتب متوليها.

الخامس: جبلة، " يعلم "

السادس: أنفة، لم يكاتب متوليها.

السابع: ولاية البيرون، ولم يكاتب.

وأما تركمانها فلهم أمير ولم تجرى العادة له بمكاتبة، وأما عربانها وهم بنى كلاب، ولم يكن لهم أمير يكاتب وهم يترلون من مكان إلى مكان، ولم تكن بها قلعة يكاتب نائبها.

الخامسة

نيابة صفد

وهى تشمل على ثلاثة أصناف من أرباب الوظائف:

الصنف الأول

أرباب السيوف

والمكاتبون منهم خمسة [(١)]:

الأول: نائبها، ورسم المكاتبة إليه " ضاعف الله تعالى نعمة الجناب العالى "، وتعريفه " نائب السلطنة الشريفة بصفد المحروسة ".

الثانى: الحاجب الكبير بها، ورسم المكاتبة إليه " صدرت والسامى " وتعريفه " الحاجب الكبير بصفد المحروسة ".

الثالث: نائب القلعة، وكان رسم المكاتبة إليه " صدرت والعالى " ثم استقر " صدرت والسامى " وتعريفه " نائب القلعة المنصورة بصفد المحروسة ".

الرابع: استادار الديوان الشريف بها، ورسم المكاتبة إليه " هذه المكاتبة " وغالباً يكون هو الحاجب الكبير، وتعريفه " استادار الديوان الشريف بصفد المحروسة ".

الخامس: الحاجب الثانى، ورسم المكاتبة إليه " يعلم " وتعريفه " الحاجب الثانى بصفد المحروسة ".

الصنف الثانى

أرباب الوظائف الدينية

ولم يكاتب منهم غير اثنين:

الأول: قاضى القضاة الشافعى.

الثانى: قاضى القضاة الحنفى، ورسم المكاتبة إلى كل منهما " صدرت والسامى "، وتعريفه " قاضى القضاة الشافعى أو الحنفى بصفد المحروسة "، وقل أن يكاتبا.

---

(١) ثلاثة: صبح، ج٧، ص١٧٨. { نائبها، نائب قلعتها، الحاجب بها }.

الصنف الثالث

أرباب الوظائف الديوانية

وهم اثنين:

الأول: كاتب السر بها، ورسم المكاتبة إليه " صدرت والسامى " وتعريفه " صاحب ديوان المكاتبات بصفد المحروسة "، أو " رئيس ديوان الإنشاء بصفد المحروسة ".

الثانى: ناظر الجيش بها، وكان رسم المكاتبة إليه " صدرت والسامى " ثم استقرت بالعناية لابن الوقف " صدرت والعالى " وتعريفه " ناظر الجيش المنصور بصفد المحروسة ".

والولاة بها من قبل نائبها لم يكاتبوا، ولم يكن بها أمراء عربان ولا تركمان [٢٤٤ ب] يكاتبوا.

السادسة

نيابة غزة

والمكاتبون بها من أرباب الوظائف على ثلاثة أصناف:

الصنف الأول

أرباب السيوف

وهم أربعة (١):

الأول: نائبها، ورسم المكاتبة إليه " أدام الله تعالى نعمة الجناب العالى " والدعاء مثل " ولا زال عاليا قدره، نافذاً أمره، جارياً على الألسنة حمده وشكره، وصدرت هذه المكاتبة إلى الجناب العالى نبدى إليه سلاماً، وثناء تاماً، ونوضح لعلمه المبارك أن الأمر كيت وكيت "، وتعريفه " نائب السلطنة الشريفة بغزة المحروسة ". إن لم يكن نائباً كتب له " مقدم العسكر المنصور بغزة المحروسة ".

الثانى: الحاجب الكبير بها، ورسم المكاتبة إليه " صدرت والسامى "، وتعريفه " الحاجب الكبير بغزة المحروسة ".

---

(١) اثنان: صبح، ج٧، ص١٧٩. { النائب بها، الحاجب بها }.

الثالث: استادار الديوان الشريف بها، وغالباً يكون هو الحاجب فإن أفرد كان رسم المكاتبة " هذه المكاتبة ".

الرابع: الحاجب الثانى، ورسم المكاتبة إليه " يعلم "، وتعريفه " الحاجب الثانى بغزة المحروسة ". وقل أن يكاتب.

الصنف الثانى

أرباب الوظائف الدينية

وبها أربع قضاة، وقل أن يكاتبوا. فإن كتب للقاضى الشافعى كان رسم المكاتبة إليه " صدرت والسامى "، وتعريفه " قاضى القضاة الشافعى بغزة المحروسة ". وإن اضطر إلى مكاتبة أحد من الثلاثة كان رسم المكاتبة إليه " هذه المكاتبة " وتعريفه " القاضى الفلانى بغزة المحروسة".

الصنف الثالث

أرباب الوظائف الديوانية

وهما كاتم السر، وناظر الجيش، وقل أن يكاتبا.

أما عربانها وهم جرم، وقد تقدم الكلام على مكاتبة مقدمهم مع أمراء عربان الشام.

السابعة

نيابة الكرك

ولم يكاتب بها من أرباب الوظائف غير أرباب السيوف، وهم ثلاثة [١].

الأول: نائبها، وكان رسم المكاتبة إليه على ما أورده فى التثقيف " أدام الله نعمة المجلس العالى "، ورسم المكاتبة إليه الآن " أدام الله تعالى نعمة الجناب [٢٤٥ أ] العالى " والدعاء " لازال نظره جميلاً، ورأيه فى المهمات أصيلاً وعلو همته كالشمس لا تحتاج دليلاً. صدرت هذه المكاتبة إلى ".

الثانى: نائب القلعة بها، ورسم المكاتبة إليه [" هذه المكاتبة إلى المجلس السامى "، والعلامة الاسم، وتعريفه " والى القلعة المنصورة بالكرك المحروس "] [٢].

---

(١) اثنان: صبح، ج٧، ص١٧٩. { نائبها، والى القلعة }.

(٢) بياض فى الأصل، وما بين الحاصرتين من، صبح، ج٧، ص١٨٠.

الثالث: حاجبها [١]، ورسم المكاتبة إليه " صدرت والسامى " وتعريفه الحاجب بالكرك.

وأما الولاة بها فأهم من قبل نائبها وهم والى برها، ووالى الشوبك، ووالى زعـــر، ووالى معان. ولم يكاتبوا.

وأما عربانها فهم بنى عقبة، وتقدم الكلام عليهم فى مكاتبات العربان بالبلاد الشامية.

الفصل الثالث

فى رسم المكاتبات الصادرة لأرباب الوظائف بالأقطار الحجازية

وتشمل الأقطار الحجازية على ثلاث قواعد:

القاعدة الأولى

مكة المشرفة

والمكاتبون بها على ثلاثة أصناف:

الصنف الأول

الإمارة

وهى فى الأشراف فى أولاد عجلان وهى الآن بيد بركات بن حسن ورسم المكاتبـــة إلى أمير مكة على ما أوردة فى التثقيف " أدام الله تعالى نعمة المجلس العالى "، والألقاب والنعــوت كما تقدم، والدعاء " ولا زال حرمه أميناً، ومكانه مكيناً، وشرفه تبيض له لمجاورة الحجر الأسود عند الله وجها ويضىء جبيناً، صدرت هذه المكاتبة إلى المجلس العالى تحمل إليه سلاماً تميل بـــه الركائب، وثناء تثنى على مسكه الحقائب، وشوقاً أوسق قلبه فى [٢] نسكه مع الحبائب. ونوضح لعلمه المبارك كيت وكيت "، العلامة " أخوه "، وتعريفه " فلان أمير مكة المشـــرفة ". ولـــه أتباع:

(١) يقول القلقشندي { قلت: ولم يكن بها حاجب يكاتب ولا بأعمالها نواب، بل ولاة يكاتبون عند النائب بها خاصة }، نفسه.

(٢) لمن: صبح، ج٧، ص١٩٢.

الأول: حاجبه، ورسم المكاتبة إليه " يعلم مجلس الأمير "، وتعريفه " فلان حاجب أمير مكة المشرفة "، وقل أن يكاتب.

الثانى: القواد، وهم من بنى حسن، وقل أن يكاتبوا. قال فى التثقيف أنه يكتب إليهم " مجالس الأمراء ".

أما الأمير المجهز من الأبواب فى كل سنة إلى جدة فرسم المكاتبة إليه بحسب إمرته.

الصنف الثانى

أرباب الوظائف الدينية

ولم يكاتب أحد منهم غير قاضى القضاة الشافعى، ورسم المكاتبة إليه " صدرت [٢٤٥ب] والسامى "، وتعريفه " القاضى الشافعى بمكة المشرفة ".

الصنف الثالث

أرباب الوظائف الديوانية

ولم يكن بها غير ناظر جدة، وهو مستجد، ورسم المكاتبة إليه بحسب مقامه فإنه يولى بها الجليل والحقير، وتعريفه " فلان الناظر بجدة المحروسة ".

الثانية

مدينة يثرب

على ساكنها أفضل الصلاة والسلام والتحية والإكرام، ولم يكاتب بها من أرباب الوظائف غير ثلاثة:

الأول: أميرها، ورسم المكاتبة إليه كرسم المكاتبة إلى أمير مكة، والدعاء مثل " ولا زال فى جوار الله ورسوله، ومهبط الوحى ونزوله، ومكان يردد فيه [من] [1] أبويه الطاهرين بين حيدره وبتوله، صدرت هذه المكاتبة إلى المجلس العالى بسلام يحدو ركابها، وثناء يزين فى فنا قبابها، وشوق إلى رؤيته فى الروضة التى طال ما استسقى رسول الله صلى الله علية وسلم فيها[2]

---

(١) ما بين الحاصرتين من، صبح، ج٧، ص١٩٣.

(٢) ساقطة من صبح، نفسه.

سحابها، ونوضح لعلمه المبارك كيت وكيت "، العلامة " أخوه "، وتعريفه " أمير المدينة النبوية، وأمير المدينة المشرفة ".

الثانى: القاضى الشافعى بها، ورسم المكاتبة إليه " هذه المكاتبة " وتعريفه القاضى الشافعى بالمدينة النبوية، وقل أن يكاتب إلا إذا ضمه مطلق شريف.

الثالث: شيخ الخدام بالحجرة الشريفة، ويعبر عنه بشيخ الحرم، وكان رسم المكاتبة إليه " هذه المكاتبة "، فلما استقر القاضى ولى الدين بن قاسم فى سنة ثمان وثلاثين كتب له " أدام الله تعالى نعمة الجناب العالى "، والعلامة " والده "، وتعريفه "شيخ الخدام بالحرم الشريف النبوى". ولم يكن بها أحد من الأتراك يكاتب.

الثالثة

الينبع

ويلحق بذلك جزيرة سواكن، ولم يكاتب بها أحد من أرباب الوظائف غير نائبها، ولم يسمع له بالإمرة ورسم المكاتبة إليه " هذه المكاتبة "، والعلامة الاسم، وتعريفه " النائب بالينبع"، وتلحق بقواعد الأقطار الحجازية جزيرة سواكن، ولم يكاتب بها غير نائبها، ورسم المكاتبة إليه " هذه المكاتبة "، والعلامة الاسم وتعريفه " النائب بسواكن " ويعبر عنه فى سواكن بـ " الحدرى ".

[٢٤٦ أ]

الفصل الرابع

فى رسم كتابة المطلقات لأرباب الوظائف بهذه المملكة

المطلقات جمع مطلق، مقابل المقيد، واشتقاقه من الإطلاق الذى هو المصـــدر علـــى رأى البصريين، وهى جمع تكسير. قال فى التعريف: وأقسامها لا تخرج عن ثمانية أقســـام: الأول إلى الوجه القبلى، الثانى إلى الوجه البحرى، الثالث إلى عامة الديار المصرية، الرابع إلى عامة الـــبلاد الشامية، الخامس إلى الديار المصرية والبلاد الشامية، السادس إلى الممالـــك الإســـلامية ومـــا جاورها، السابع إلى أولياء الدولة كالأمراء بدمشق وغيرها، الثامن إلى قبائل العرب أو التركمان أو الأكراد أو بعضهم.

واعلم أن المطلقات قاعدتها أنها إذا اجتمع فيها كبار وصغار غلب حكم الأكبر منهم فى العلامة والألقاب على الأصغر تعظيماً للأكابر، فإن كان فى الألقاب ما يختص به الأكـــابر دون غيرهم استوفى للكبير ما يختص به من الألقاب. ثم تأتى بالألقاب المشترك فيها فيـــه. قـــال فى التعريف: وعنوان المطلقات مخالف لعنوان [١] الكتب المفردة للآحاد فإن تلك فى ظاهر الورق، وهذه فى باطنها [٢]. والطرة فى المطلقات الكبار ثلاثة أوصال، والصغار وصلين ويقال فيهـــا " مثال شريف مطلق " وهو خبر مبتدأ محذوف تقديره " هذا مثال شـــريف مطلـــق "، ويـــأتى بالمقصود فيه من نحو ما فى الصدر، ثم يقال على ما شرح فيه أو حسب ما شرح فيه.

ثم من عادة المطلق أن يصرح بذكر المكتوب إليه فيه بخلاف المكاتبات، قال فى التثقيف: وذلك أن ذكرها فى صدر المطلق [٣] الشريف هو التعريف الذى من عادته أن يكون فى العنوان حيث لا عنوان للمطلق. قال فى التعريف: وفى آخرها يتعين أن يقال فيعلموا [٤] ذلك ويعتمدوه

(١) فى أصل صبح الأعشى { عنوانها كعنوان } وصححها محققوه كما فى الثغر انظر: صبح، ج٧، ص٢١٩، هـــ١.

(٢) فى باطن الورق: التعريف، ص١١٦، صبح، ج٧، ص٢١٩.

(٣) المثال: التثقيف، ص١١٩.

(٤) فليعلموا: التعريف، ص١١٦؛ صبح، ج٧، ص٢١٩.

بعد الخط الشريف. قال فى التثقيف: ولعل هذا كان فى أيام مباشرة صاحب التعريف أما الآن لم يكتب ذلك.

والمطلقات على أربعة ضروب:

الأول: المطلقات المكبرة، قال فى التثقيف [١]: وهى ما يكتب فيها إلى سائر النواب بالممالك الشريفة، وتقدم غزة على سيس لأنها فى الإسلام أقدم منها وكتابتها على صورتين، أحدهما أن يستوفى ألقاب المقر الكريم بدعائه [٢٤٦ ب] ويؤتى بألقابه الخاصة به، ثم يعطف عليه الجناب الكريم، والجنابات العالية بالألقاب المشتركة، ويميز ما يمكن تميزه. وصورته أن يكتب فى الطرة:

" مثال شريف مطلق إلى كافل السلطنة الشريفة بالشام المحروس أعز الله أنصاره، ونواب السلطنة الشريفة بحلب، وحماة، وطرابلس، وصفد، وغزة، ــ إن كان نائباً ــ، ومقدم العسكر بسيس، ــ فإن كان بغزة مقدم عسكر كتب ومقدمى العسكر بغزة وسيس ــ، ونائب السلطنة الشريفة بالكرك المحروس، أعز الله نصرته وضاعف وأدام نعمهم بما رسم لهم به من أن يتقدم أمرهم الكريم بكيت وكيت "، ويشرح ما رسم لهم به إلى آخره ويخلى بياضاً يسيراً ثم يكتب " على ما شرح فيه "، ثم بعد البسمله " أعز الله تعالى أنصار المقر الكريم العالى، [المولوى] [٢]، الأميرى الكبيرى، العابدى، الخاشعى، الناسكى، الأتابكى الكفيلى [٣]، ونصره الجناب الكريم، وضاعف وأدام نعمة الجنابات [والمجالس] [٤] العالية، الأميرية، الكبيرية، العالمية، العادلية، المؤيدية [٥]، المثاغرية، المرابطية، العونية، [الذخرية] [٦]، الغياثية، المهدية، المشيدية، الزعيمية[٧]، الظهرية، الكافلية الفلانية ــ إن كانوا متماثلين الألقاب ــ معز ــ وأعز ــ الإسلام والمسلمين، سيدى الأمراء فى العالمين، ناصر ونصرة الغزاة والمجاهدين، ملجا الفقراء

---

(١) قال فى التعريف: صبح، نفسه.

(٢) ما بين الحاصرتين، صبح، ج٧، ص٢٢٢.

(٣) ساقطة من صبح، نفسه.

(٤) ما بين الحاصرتين من، صبح، نفسه.

(٥) ساقطة من صبح، نفسه.

(٦) ما بين الحاصرتين من، صبح، نفسه.

(٧) المقدمية: صبح، نفسه.

والمساكين [١] زعماء الجيوش، أتابك العساكر، ومقدم العساكر[٢]، ممهدى الدول، مشيدى الممالك، أعوان الأمة، كهوف الملة، ظهراء الملوك والسلاطين، عضد وسيوف وحسامات [٣] أمير المؤمنين، كافل السلطنة الشريفة بالشام المحروس، ونواب السلطنة الشريفة بحلب، وطرابلس، وحماة، وصفد، وغزة ــ إن كان نائبها ــ المحروسات ومقدم العسكر بسيس، ونائب السلطنة الشريفة بالكرك المحروس "، والدعاء مثل " ولا زالت الدنيا مجملة بنقائهم، والملة منصورة بعزائمهم، وأمتع الملك والممالك بما وهبها من سناه وسنائهم، أصدرناها إلى المقر والجناب الكريمين، والجنابات العالية، تهدى إليهم من السلام أتمة ومن الثناء أعمه، ونبدى لعلمهم الكريم والمبارك كذا وكذا، ومرسومنا [٢٤٧ أ] للمقر والجناب الكريمين، والجنابات العالية، أن يتقدموا بكذا وكذا فيحيط علمهم الكريم بذلك والله تعالى يؤيدهم بالملائك ".

الثانية: وهى المستعملة الآن، الطرة:

" مثال شريف مطلق إلى كل واقف عليه من المقر، والجناب الكريمين، والجنابات، والمجالس العالية، الأميرية، الكبيرية، الكفيلى، والكافلية،، والمقدمين، كافل السلطنة الشريفة بالشام المحروس، ونواب السلطنة الشريفة بحلب، وطرابلس، وحماة، وصفد، والكرك، ومقدمين العسكر بغزة، وسيس، المحروستين، والنواب بالممالك الشريفية فلانة، وفلانة، أو بالمملكة الشريفة الشامية والحلبية المحروسات، أعز الله تعالى أنصاره ونصرته، وضاعف وأدام نعمته بما رسم لهم به من أن يتقدم أوامرهم العالية بكيت وكيت، على ما شرح فيه ". ويترك ثلاثة أوصال، والصدر بعد البسملة " أعز الله تعالى أنصار، ونصرة المقر والجناب الكريمين، وضاعف وأدام نعمة الجنابات والمجالس العالية، الأميرية، الكبيرية، العالمية، العادلية، المؤيدية، العونية، الغياثية، الزعيمية، المرابطية، المثاغرية، المهدية، المشيدية، العابدى، الخاشعى، الناسكى، الأتابكى، الكفيلى والكافلية، معز ــ وأعز أو مجد ــ الإسلام والمسلمين، سيد وسادات الأمراء فى العالمين، ناصر ونصرة الغزاة والمجاهدين، زعماء الجيوش الموحدين، ملجا الفقراء والمساكين، أتابك ومقدمى العساكر، ممهدي الدول، مشيدى الممالك، عمادات الملة، أعوان الأمة، ذخراء الدولة، كهوف المملكة، ظهراء وأعضاد الملوك والسلاطين، عضد وسيوف وحسامات أمير

---

(١) ساقطة من صبح، نفسه.

(٢) أنابك ومقدمى العساكر: صبح، نفسه.

(٣) ساقطة من صبح، نفسه

المؤمنين "، والدعاء مثل " ولا زال عزهم مؤيداً، وعزمهم مؤيداً، وسعدهم على ممر الجديدين مجدداً، أصدرناها وصدرت هذه المكاتبة إلى المقر والجناب الكريمين، والجنابات والمجالس العالية، هدى إليهم من السلام أتمه، ومن الثناء أعمه، ونبدى ونوضح لعلمهم الكريم والمبارك أن الأمر كيت وكيت "، ويخاطبوا بلفظ " المقر والجناب الكريمين "، و" الجنابات والمجالس العالية "، ويختمه " والله تعالى يؤيدهم بالملائك بيمنه [٢٤٧ ب] وكرمه ويكمل ".

الضرب الثانى: ما يكتب إلى كفلاء الممالك كبارهم وصغارهم دون كافل السلطنة الشريفة بالشام المحروس. وصورتة أن يكتب فى الطرة:

" مثال شريف مطلق إلى الجناب الكريم، والعالية، والمجالس العالية، الأميرية، الكبيرية، نواب السلطنة الشريفة بحلب، وطرابلس، وصفد، ومقدمين العسكر المنصور بغزة وسيس المحروستان، ونائب السلطنة الشريفة بالكرك المحروس، بأن يتقدموا باعتماد مابرزت به المراسيم الشريفة، أو ما رسم به من كيت وكيت ". على ما شرح فيه.

طرة أخرى:

" مثال شريف مطلق إلى نواب السلطنة الشريفة بحلب وطرابلس، وحماة، وصفد، ومقدمين العسكر المنصور بغزة وسيس المحروستان، ونائب السلطة الشريفة بالكرك المحروس، بأن يتقدموا باعتماد ما رسم لهم به من كيت وكيت ". على ما شرح فيه، والصدر بعد ثلاثة أوصال والبسملة الشريفة " أعز الله تعالى نصرة الجناب الكريم، وضاعف وأدام نعمة الجنابات والمجالس العالية، والسامية، الأميرية، الكبيرية، العالمية، العادلية، المؤيدية، الغوثية، الغياثية، الممهدية، المشيدية، الزعيمية، الظهرية، الكافلية، السيفية، ــ إن توافقت الأسماء [(١)] وأن لا على[(٢)] الترتيب ــ أعزاء الإسلام والمسلمين، سادات الأمراء فى العالمين، نصرة الغزاة والمجاهدين، زعماء الجيوش، مقدمى العساكر، ممهدى الدول، مشيدى الممالك، عون الأمة، كهوف الملة، ظهراء الملوك والسلاطين، سيوف وحسامات أمير المؤمنين، نواب السلطنة الشريفة بحلب، وطرابلس، وحماة، وصفد، ومقدمى العسكر بغزة وسيس المحروستان، ونائب السلطنة الشريفة بالكرك المحروس ". والدعاء مثل " ولا زال قدرهم عالياً، ومجدهم متوالياً،

---

(١) الألقاب: العرف الناسم، ورقة ٧ أ.

(٢) وإلا فعلى: العرف، نفسه.

وجيد الدهر لمحاسنهم حالياً، صدرت هذه المكاتبة إلى الجنابات الكريم والعالية، والمجالس العالية تهدى إليهم من السلام أتمه، ومن الدعاء [٢٤٨ أ] أعمه، ونوضح لعلمهم الكريم والمبارك كيت وكيت، ومرسومنا للجنابات والمجالس أن يتقدموا بكيت وكيت فيحيط علمهم بذلك ". والعلامة فى هذه المطلقات " أخوهم ".

تنبيه: إذا تولى أحد مقدمى الألوف بالأبواب الشريفة نيابة مستجدة بالبلاد الشامية، وكانت التقدمة مستمرة بيده كما كانا نائبى الرها وملطية، فيضاف فى المطلقات الكبار بعد نائب صفد، وقبل نائب غزة.

الضرب الثالث: المطلقات المصغرة.

وقد ذكر لها فى التعريف قواعد كلية، وأشار إلى اختلاف مقاصدها فى ضمن الكلام الجملى، فقال [١]: وفى كلها يكتب: " مثالنا هذا إلى كل واقف عليه، من المجالس السامية، ومجالس [٢] الأمراء، الإجلاء، الأكابر، الغزاة، المؤيدين، الأنصار، أمجاد الإسلام، بهاءات الأنام، أشراف الأمراء، زيون المجاهدين، عمدة الملوك والسلاطين، ـ ويكتب ـ عدد الملوك والسلاطين، ـ فإذا كان إلى الممالك الإسلامية قيل ـ بالديار المصرية، والبلاد الشامية وسائر الممالك الإسلامية المحروسة وما جاورها من البلاد الشرقية والممالك القانية. وقد تكون إلى جهة الروم فقال: " وما جاورها من البلاد الرومية وما يليها "، ثم عقب ذلك بأن قال: فإذا كان إلى بعض أولياء الدولة نظر، فإن كان إلى عامة أمراء دمشق كتب [٣] " صدرت هذه المكاتبة إلى المجالس العالية الأمراء "، وبقية الألقاب ممن [٤] نسبه ما يكتب إلى المجلس العالى فإذا انتهى إلى أعضاء أو عضو الملوك والسلاطين [٥]، قال جماعة الأمراء مقدمى الألوف وأمراء الطبلخانات وسائر مجالس الأمراء أمراء العشرات ومقدمى الحلقة المنصورة.

أما فى التثقيف، فإنه رتب المطلقات المصغرة على ستة أصناف:

---

(١) لقد ذكر العمري والقلقشندى هذه الطرة فى صيغة أخرى، انظر: التعريف، ص١١٥؛ صبح، ج٧، ص٢٢٣.

(٢) ساقطة من التعريف، نفسه؛ صبح، نفسه.

(٣) قيل: التعريف، ص١١٦؛ صبح، ج٧، ص٢٢٤.

(٤) من: التعريف، نفسه؛ صبح، نفسه.

(٥) ساقطة من صبح وأكمله محققوه من التعريف. انظر: ج٧، ص٢٢٤، هـ١.

الأول: إلى جميع نواب القلاع بالمملكة الشامية أو المملكة الحلبية، فيكتب فى الطرة "مثال شريف مطلق إلى المجالس العالية، والسامية، الأميرية، ومجالس الأمراء النواب بالقلاع الفلانية المنصورة [١] أدام الله تعالى نعمتهم بما رسم لهم به من كذا وكذا "، إلى آخره، ثم يقال " على ما شرح فيه " [٢٤٨ ب]، ثم يكتب فى أول الوصل الرابع بعد البسملة " صدرت هذه المكاتبة إلى المجالس العالية، والسامية، الأميرية، الكبيرية [٢]، ويأتى [٣] ببقية ألقابهم ويكتب " ومجالس الأمراء الأجلاء، الأكابر، الغزاة،[المجاهدين، المؤيدين] [٤] الأنصار، أمجاد الإسلام والمسلمين، أشراف الأمراء فى العالمين، أنصار الغزاة والمجاهدين، مقدمى العساكر، كهوف الملة، أعوان الأمة، ظهراء[٥] الملوك والسلاطين، النواب بالقلاع المنصورة بالمملكة الفلانية المحروسة "، ثم الدعاء، ويكتب " ومرسومنا للمجالس العالية، والسامية، ومجالس الأمراء، أن يتقدموا بكذا وكذا "، وعلى مثل ذلك إلى الأمراء المقدمين، والحجاب، وامراء الطبلخاناه، والعشرينات، والعشرات، والخمسات، ومقدمى الحلقة وأجنادها، والعسكر المنصور بطرابلس المحروسة فإنه يكتب لهم مطلق بمفردهم والعلامة " والدهم ".

الثانى: المطلقات إلى أصاغر نواب القلاع ممن يكتب له " السامى " بالياء وبغيرياء، أو " مجلس الأمير "، وصورة ما يكتب فى الطرة " مثال شريف مطلق إلى المجالس السامية، ومجالس الأمراء، النواب بالقلاع الفلانية أو بولاية [٦] فلانة وفلانة أدام الله تعالى علوهم بما رسم [٧] لهم به من أن يتقدموا بكيت وكيت "، ثم يكتب " على ما شرح فيه ". وبعد البسملة فى أول الوصل الثالث " مثالنا هذا إلى كل [٨] واقف عليه من المجالس السامية، ومجالس الأمراء

(١) المحروسة: التثقيف، ص١١٦؛ صبح، نفسه.

(٢) كتبها محقق التثقيف بدون " الكبيرية "، ولكنها فى إحدى نسخ مخطوط التثقيف كما فى الثغر، انظر: التثقيف، ص١١٦، هـ٢.

(٣) ساقطة من التثقيف، نفسه.

(٤) ما بين الحاصرتين من، التثقيف، نفسه؛ صبح، نفسه.

(٥) ظهيرى: التثقيف، نفسه؛ صبح، نفسه.

(٦) كتبها محقق التثقيف " بفلانة "، ص١١٦، وفى الصبح كالثغر، ج٧، ص٢٢٥.

(٧) ساقطة من التثقيف، نفسه، ولكنها فى صبح كالثغر، نفسه.

(٨) لكل: التثقيف، نفسه، ولكن فى إحدى نسخ المخطوط كما فى الثغر، ص١١٦، هـ٨، وفى صبح كالثغر، نفسه.

الأجلاء، الأكابر، الغزاة [المجاهدين، المؤيدين] [١]، الأنصار، أمجاد الإسلام، بهاءات الأنام [٢]، أشراف الأمراء، زيون المجاهدين، عمداء وعدد الملوك والسلاطين، النواب بـالقلاع الفلانية المنصورة "، كما كتب فى الطرة والدعاء والعلامة الاسم.

الثالث: المطلقات إلى عربان الطاعة بالممالك الإسلامية [٣]، قال فى التثقيف: فإن كـان المطلق إلى طائفة ممن [٤] له عادة بمكاتبة جليلة ممن [٥] تكون العلامة له " والده " كأمير آل مهنا، وآل مرا، وآل على، ونحوهم فإنه تكون صورة ما يكتب لهم فى الطرة " مثال شريف مطلق إلى جماعة العربان آل فلان وآل فلان إلى آخره "، والصدر بعد ثلاثة أوصال والبسملة "مثالنا هذا إلى كل [٦] واقف عليه من المجالس السامية، ومجالس الأمراء "، وبقية الألقاب على ما تقدم [٧] إلى آل فلان وآل فلان، والدعاء، ثم يكتب " يتضمن إعلامهم [٢٤٩ أ] كيت وكيت كيت"، والعلامة " والدهم ". قال: ويمكن أن يكتب فى الصدر " صدرت هـذه المكاتبة إلى المجالس السامية، [الأميرية] [٨]، ومجالس الأمراء الأجلاء، الأكـابر "، وبقية الألقاب المخصوصة بهم ثم يكتب " جماعة العربان الفلانية، والتتمة على ما شرح أولاً.

الرابع: المطلقات إلى تركمان الطاعة والحكم فيها كذلك، غير أن العلامة الاسم خاصة.

الخامس: المطلقات إلى أكراد الطاعة والحكم فيها كذلك. أما إذا كتب المطلق إلى عربان الطاعة وتركمانها والأكراد فصورته أن يكتب الطرة " مثال شريف مطلق إلى عربان الطاعة، وتركمانها، وأكرادها، بأن يتقدموا بكذا وكذا " على ما شرح فيه، والصدر " مثالنا هذا إلى كل

---

(١) ما بين الحاصرتين من التثقيف، نفسه؛ صبح، نفسه.

(٢) ساقطة من التثقيف، نفسه؛ صبح، نفسه.

(٣) الشامية: صبح، ج٧، ص٢٢٥.

(٤) من العربان: صبح، نفسه.

(٥) بأن: التثقيف، نفسه؛ صبح، نفسه.

(٦) لكل: التثقيف، نفسه، وفى إحدى نسخ المخطوط كما فى الثغر، ص١١٧، هـ٦، وفى صبح كالثغر، ج٧، ص٢٢٦.

(٧) كما: التثقيف، نفسه.

(٨) ما بين الحاصرتين أضافها محقق التقيف، ولكنها ساقطة من بعض نسخ المخطوط كما فى الثغر، انظر: ص١١٧، هـ٩.

واقف عليه من المجالس السامية، الأميرية، الأجلية، الكبيرية، المجاهدية، العضوية، الذخرية، النصرية، والمجالس السامية، ومجالس الأمراء الأكابر، الغزاة، المجاهدين، المؤيدين، الأعضاد، الأذخار، النصراء، أمجاد الإسلام، بهاءات الأنام، أشراف الأمراء، زيون المجاهدين، عمدة الملوك والسلاطين، عربان الطاعة الشريفة، وتركمانها، وأكرادها، يعلمهم أن الأمر كيت وكيت، والمرسوم لهم أن يتقدموا بكذا وكذا فىعلموا ذلك ويعتمدوه ".

السادس: المطلقات إلى الكشاف والولاة بالوجهين القبلى والبحرى بالديار المصرية أو بأحدهما، وصورته أن يكتب الطرة " مثال شريف مطلق إلى كل واقف عليه من الكشاف، والولاة، وأمراء العربان، ومشايخهم، والشادين، والمتصرفين بالوجه الفلانى أو بالوجهين بما رسم لهم به من أن يتقدموا باعتماد ما تضمنه هذا المطلق الشريف والعمل بمقتضاه على ما شرح فيه". والصدر " مثالنا هذا إلى كل واقف عليه من المجالس السامية، ومجالس الأمراء الأجلاء، الأكابر، الغزاة، المجاهدين، المؤيدين، الأنصار، أمجاد الإسلام، بهاءات الأنام، أشراف الأمراء، زيون المجاهدين، عمدة الملوك والسلاطين، الكشاف والولاة وأمراء العربان ومشايخهم بالوجه الفلانى أو بالوجهين "، والدعاء ثم يكتب " يتضمن إعلامهم كيت وكيت "، فإن كان المطلق إلى البلاد الشامية خاصة اقتصر فيه [٢٤٩ ب] على الحكام وولاة أمور الإسلام بالمملكة الفلانية أو البلاد الشامية. قال فى التثقيف: وقد يضاف إلى الوجه البحرى الثغور فيكتب " بالوجه البحرى والثغور المحروسة ".

مهمة: حيث ما اعتبرنا فى كتابة المطلق أن الصغير يندرج تحت الأكبر فى الألقاب الأصول فى الافتتاح والترجمة، وكتب مطلق إلى الوجهين القبلى والبحرى، أو إلى أحدهما، وقصد فيه إدخال نائبى الوجهين القبلى والبحرى أو أحدهما فأنه يتعين أن يفتتح المطلق بـ "أدام"، ويأتى فيه بألقاب " الجناب "، ثم يعطف على الكشاف والولاة وتكون العلامة فيه "والدهم ".

فائدة: قال فى التثقيف: إنه رأى بخط القاضى ناصر الدين النشائى رحمه الله مطلقا إلى المجاهدين وهم الفداوية صورته " فى علم كل واقف على مثالنا هذا أمراء المقدمين، الغزاة،

الأجلاء، الأنصار، الأتابك فلان، والأتابك فلان، جماعة المجاهدين "، ثم الدعاء أن كيت وكيت ويختم [١].

الضرب الرابع: البرالغ

جمع برلغ، وهى لفظة تركية معناها " المرسوم "، وعليه جرت عادة كتاب الشرق، ولم يذكراه فى التعريف ولا التثقيف لقلة كتابتها، وصورتها على ما هو فى تذكرة المقر الشهابى ابن فضل الله فى الجزء السادس والأربعين بخط أخيه المقر العلائى [٢] الطرة

" مثال شريف مطلق إلى كافة من يصل إليه، ويقف له وعليه، للمجلس السامى، الأميرى، الكبيرى، السيفى، تمربغا الرسول بالطرخانية، ويمكن[٣] أصحابه من التردد إلى الممالك الشريفة الإسلامية، وإكرام حاشيتهم، وتسهيل مطلبهم ومسامحتهم فى البيع والشراء، بما طلب من الحقوق على اختلافها، وتحذير من سمع هذه المراسيم المطلقة [٤] ثم أقدم على خلافها "، والصدر بعد البسملة الشريفة " الحمد لله الذى بسط أيدينا الشريفة بالجود، ونصب أبوابنا الشريفة كعبة تهوى إليها أفئدة الوفود، وأطاب مناهلها لكافلة الأمم فيردونها[٥] فى الصدور والورود، نحمده على نعمه التى كم بلغت راجياً ما يرجوه، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك، له شهادة تبيض بها الوجوه، ونشهد أن محمداً [عبده] [٦] ورسوله الذى [٢٥٠ أ] ندب إلى مكارم الأخلاق بقوله " إذا أتاكم كريم قوم فأكرموه " صلى الله عليه وعلى آله صلاة من يقرن [الثناء بها] [٧] تكريماً، ثم على آله وصحبة وسلم تسليماً. وبعد أنه لما حضر الآن فلان "، وأتى على المقصد إلى آخره.

---

(١) قال فى التثقيف: يعلم كل واقف على مثالنا هذا من المقدمين الأجلاء، الغزاة، المجاهدين، المؤيدين، الأنصار، الأتابك فلان، والأتابك فلان، وجماعة المجاهدين، والدعاء، ص١٢٠.

(٢) ذكر القلقشندي أنها كتبت فى الدولة الناصرية محمد بن قلاوون فى عاشر رجب الفرد سنة ٧٢٩ لتمربغا الرسول الواصل إلى الديار المصرية عن القان أبي سعيد صاحب مملكة إيران. ج٧، ص٢٢٩.

(٣) تمكين: صبح، نفسه.

(٤) المطاعة: صبح، ج٧ص٢٢٩.

(٥) لتنتابها: صبح، نفسه.

(٦) ما بين الحاصرتين من، صبح، نفسه.

(٧) ما بين الحاصرتين من، صبح، ج٧، ص٢٣٠.

مهمة: كل ما يقع فى المطلقات من الألقاب بصيغة الجمع كأعضاد فأنه يجوز فيه الإفراد فيقال فيه " عضد "، ولا تتعدى المطلقات غير قطع العادة، والظاهر أنها تكون فى البرالغ فى قطع الثلث قالها [كذا] مفتتحة " بالحمدلة ".

فائدة: يضاف فى المطلقات فى الأمور المهمة " أرباب الأدراك بالطرقات الآخذة من مكان كذا إلى مكان كذا " إلى أن يأتى إلى بلوغ قصده من تلك الجهة على التوالى.

الفصل الخامس

فى رسم كتابة الملطفات وأوراق الجواب والطريق والبطائق

وهى على أربعة أنواع:

النوع الأول

الملطفات

وهى على ضربين:

[الأول]: الملطفات المكبرة، قال فى التثقيف " وهى فى قطع العادة وأسطرها متقاربة والبياض بينهما قدر أصبعين مطبوقتين، والطرة وصل، وصورتة " الذى يحيط بـه علـم المقر الكريم، ــ أو الجناب الكريم أو العالى ــ "، ثم يخلى بيت العلامة ثم يكتب " الأميرى، الكبيرى، العالمى، العادلى، المؤيدى، الزعيمى، الكفيلى، ــ أو الكافلى ــ الفلانى، أعـز الله أنصـاره أو نصرته، ــ أو ضاعف أو أدام الله تعالى نعمته وجدد مسرته ــ أن الأمر كيت وكيت، فيحيط علمه الكريم بذلك " ويدعى له بمرتبة والعنوان سطران.

الثانى: الملطفات المصغرة، قال فى التثقيف: وهو ما يكتب فى ورق البطائق، والطرة نصف وصل، ثم يكتب بقلم الحواشى[1]، والأسطر متقاربة من غير بياض، ويكتب إلى كل منهم رسم المكاتبة إليه بما جرت به عادته من الألقاب على ما تقدم ولا يزاد على ذلك. ثم قال: وقد يكتب الملطف مطلقا لكنه بعنوان بغير طرة وذلك إلى عامة الأمراء بتلك المملكة أو العشرات منهم أو إلى عربان الطاعة أو غيرهم فيكتب نسبة ما تقدم ذكره فى الملطفات[2] بهذا الاختصار [٢٥٠ ب]، ولا يتعدى العنوان سطران، فإن كان المكتوب منهم ممن مكانته جليلة فيكتب " الـذى يحيط به علم المجالس العالية، والسامية، الأميرية، الكبيرية، الذخرية[3]، النصيرية، السيفية، أدام الله تعالى سعادتهم، وأجرى من الخير عادتهم، أن الأمر كيت وكيت "، وإن كانوا دون ذلـك كتب " الذى يعلم به المجالس السامية، ومجالس الأمراء الأجلاء الأكابر، الغـزاة، المجاهـدين، المؤيدين، الأنصار، أدام الله تعالى علوهم، أن الأمر كيت وكيت "، والعنوان يكـون سـطران

---

(١) الغبار: التثقيف، ص١٢٠.

(٢) المطلقات: التثقيف، ص١٢١، ولكن فى إحدى نسخ المخطوط كما فى الثغر، ص١٢١، هـ٣.

(٣) الفخرية: التثقيف، نفسه.

متقاربان بقلم دقيق. فإن كان على يد أحد البريدية كتب فيه اسم المكتوب إليه، والترجمة فى الملطف على الوضع المعتاد غير أن القلم يكون فى قطة جليل الثلث، وبياض بيت العلامة بقدر النصف من العادة.

تنبيهات ثلاثة:

أحدها: قال فى التعريف إن المطلق الكبير إذا وضع إلى من كتب إليه فى مثال شريف لا يكتب له عنوان بل ينبه عليه فى المثال الشريف بقوله " وقد عطفنا على هذا مطلقا شريفاً فتقدم بالوقوف عليه واعتماد ما رسمنا به ".

الثانى: إذا كتب الملطف لواحد فرد لا يذكر اسمه فى العنوان لما فيه من الكشف، فإن كان له كتابة مفردة فى ديوان الإنشاء أو حرف من حروف المعجم أو إشارة، ذكر فى العنوان.

الثالث: أن ينبه المكتوب له على أن يصور ما رسم له به فى صحيفة ذهنه وإدخاله فى فكره، ثم يقطع الملطف ويغسله.

[النوع] الثانى

أوراق الجواب

وهى جواباً لنواب الممالك بسبب ورود القصاد الحائزة عليهم من مرسليهم ليتمكنوا من العود إلى جهة مرسلهم، وصورتها أن يكتب بعد رسم المكاتبة " ورود مكاتبته الكريمة ـــ أو المباركة ـــ على أبوابنا الشريفة ـــ أو علينا ـــ على يد فلان قاصد فلان، يتضمن حضور المذكور إلى الأبواب الشريفة بما على يده من المطالعة المختصة بالمواقف الشريفة "، فإن كان على يده أو صحبته تقدمة كتب " وبما على يده من الطيور الجوارح ـــ مثلاً أو بما ضمه من الخيول والنجابى ونحو ذلك ـــ فقد وصل المذكور إلى الأبواب الشريفة وأحاطت العلوم الشريفة مما على [٢٥١ أ] يده وبما صحبته إن كان ". ثم يقول " وكتب الجواب الشريف عنه وعاد به، وهذا الجواب الشريف ومرسومنا للمقر ـــ أو الجناب ـــ الكريم أن يتقدم أمره العالى بتسهيل طريقه وتجهيزه إلى جهة مرسلة مكرماً محترماً، والوصية به "، فإن رسم له بإنعام أو نفقة كتب " وأن يصرف له كذا وكذا " ويكمل.

النوع الثالث

أوراق الطريق

قال فى التثقيف: وأوراق الطريق فى ثلاثة أوصال يكتب فى رأسها سطر صورته " ورقة طريق على يد فلان "، ويعنيه إن كان أميراً أو خاصكيا أو ردا أو بريدياً مصرياً أو شامياً أو قاصداً أو مقدماً أو هجاناً أو ساعياً أو نحو ذلك، ويذكر اسمه وشهرته، وللقصاد قاصد فلان، ثم يقول " بتمكينه من التوجه "، فإن كان عائداً قيل من العود أو من التوجه والعود، ويجعل آخر السطر آخر الورقة لعدم الإلحاق، ثم يبتدأ من سفل الوصل بسطر أوله " رسم بالأمر الشريف، العالى، المولوى، السلطانى، الملكى، الفلانى، أعلاه الله تعالى وشرفه، وأنفذه فى الآفاق وصرفة، أن يمكن فلان ــ ويذكره بمقامه ــ من التوجه إلى جهة قصده "، فإن كان عائداً كتب " بنظير ما حضر عليه "، وإن كان ذاهباً وعائداً كتب " من التوجه والعود "، وإن كان على خيل البريد على ما كان الأمر عليه قديماً كتب " ويحمل على فرس واحد أو أكثر من خيل البريد المنصور من مركز إلى مركز على العادة متوجهاً وعائداً "، ثم يكتب " وتسهيل طريقه وإزاحه أعذاره، فإن استحق المراعاة كتب، والوصية ورعايته "، ثم يقول " فليعتمد هذا المرسوم الشريف "، ويأتى إلى آخره، ويكتب المشيئة، والتاريخ، والحسبلة.

تنبيهات ثلاثة:

أحدها: إن كانت ورقة الطريق على يد من رسم بنفيه كتب " أن يمكن فلاناً من التوجه صحبة فلان البريدى ــ أو النقيب أو الأجاقى ــ بالأبواب الشريفة ليوصله إلى المكان الفلانى، ويمكن المتوجة صحبته من العود إلى الأبواب الشريفة.

الثانى: أن المستند فيها أحد ثلاث أمور، خط كاتم السر وهو الغالب ويكتب على الهامش، أو رسالة النائب الكافل إن كان ويكتب بالأمارة العالية، [٢٥١ ب] الكافلية، فلان، أعز الله أنصاره، أو إمارة الدوادار فيكتب على الهامش " حسب المرسوم الشريف "، وتحت التاريخ سطران " برسالة الجناب الكريم، العالى، الفلانى، أمير دوادار الفلانى " ويدعى له.

الثالث: إن كان المتوجه أحد المماليك السلطانية فمرجع أمره فى السفر إلى رأس نوبة النواب، فىأمر كاتب المماليك بتزيل اسمه فى المسافرين، وكذا مقدم المماليك، ثم يحضر ورقة كاتب المماليك إلى الديوان فيعينها كاتم السر. وإن كان المتوجه أحد مماليك أمراء الحضرة

فيحضر ورقة بخط كاتبه على يد رأس نوبته أو أحد خواصه فيعين. وبغير ذلك لا تكتب ورقة طريق لهؤلاء ولا يسد تاريخ ورقة الطريق حتى يشملها الخط الشريف.

[النوع] الرابع

أوراق البطائق

وأوراق البطائق قديمة، وورد فيها الحديث فى سنن ابن ماجه القزوينى من طريق أبى عبد الرحمن الجبلى، قال سمعت ابن عمر يقول: " قال رسول الله صلى الله علية وسلم يصاح برجل من أمتى يوم القيامة على رءوس الخلائق، فىنشر له تسعة وتسعون سجلاً كل سجل مد البصر، ثم يقول الله تبارك وتعالى: هل تنكر من هذا شيئاً؟ فيقول: لا يا رب، فيقول: أظلمك كتبتى الحافظون ؟ ثم يقول: ألك عذر؟ ألك حسنة؟ فيهاب الرجل فيقول: لا. فيقول: بلى إن لك عندنا حسنات، وإنه لا ظلم عليك اليوم. فيخرج له بطاقة فيها أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله. قال فيقول: يا رب ما هذه البطاقة مع هذه السجلات! فيقول إنك لا تظلم. فتوضع السجلات فى كفة، والبطاقة فى كفة، فطاشت السجلات وثقلت البطاقة ". انتهى.

وقد تقدم الكلام على ابتداء البطاقة فى النظر الثامن من القسم الخامس [1] فيما يتصرف فيه كاتم السر بنظره وتدبيره. ذكر القاضى محيى الدين بن عبد الظاهر فى " تمائم الحمائم ": أن الأوائل لم يكتبوا فى البطاقة بسملة، واختار القاضى علاء الدين بن فضل الله كتابتها فيها البركة وتورخ بالساعة واليوم والشهر لا بالسنة. وأختار القاضى علا الدين ابن فضل الله [٢٥٢ أ] توريخها بالسنة لحكاية حكاها قال: وينبغى أن لا تكثر نعوت المخاطب فيها، ولا يذكر فيها حشو الألفاظ، ويحسبل من غير حمدلة. وجرت العادة أن البطائق لا تعنون إلا إذا كانت منقولة مثل أن تسرح إلى السلطان من مكان بعيد فيكتب لها عنوان لطيف لأن لا يفتتح، وكل وال تصل إليه فيكتب فى ظهرها أنها وصلت إليه، وينقلها حتى تصل مختومة على حالها. وجرت العادة أن مثل ذلك إذا وصل إلى مركز عشيا فى وقت لا تسرح فيه البطائق أن تسير تلك البطاقة فى كتاب الوالى على البريد، ويقال إن هذه البطاقة وردت فى وقت لا تسرح فيه البطائق

---

(١) هو القسم الرابع.

لأن لا تتأخر المصلحة بتأخيرها إلى الصباح، وإن وصل أحد فى البريد أو قاصد فى الليل نُطِقَ فى صبيحة تلك الليلة بوصوله.

تنبيه: يتعين على الملك عدم الغفلة عن البطاقة حتى ولو كان على طعامه وشرابه، وربما يقطعها بيده من الحمام من غير واسطة وأن يصغى إلى ما تضمنته ويبدأ بقراءتها على غيرها فإنها من أهم أمور المملكة، وقد تقدم الكلام على ورق البطائق فى باب الورق.

وكتابة البطائق على ضربين:

الضرب الأول: أن تشمل البطاقة الخط الشريف، قال فى التثقيف: ويكون فى نحو ثلثى وصل من أوصال [1] ورق البطائق. وصورة كتابتها على ما استقر عليه الحال أن يكتب فى وسط رأس الورقة الاسم الشريف إن كانت لمتولى، وإن كانت لنائب كتب له الترجمة على العادة، وتحته ملصقاً به من غير بياض سطر واحد كامل من يمين الورقة بغير هامش " الله الهادى سرح الطائر الميمون ورفيقه هداهما الله تعالى فى الساعة الفلانية من [2] اليوم الفلانى من شهر كذاً "، ثم يخلى بيت العلامة، ويكتب مكاتبة مختصرة برتبة المكتوب إليه، ثم يذكر القصد بكلام موجز بليغ ويدعى له بنحو كلمتين والمشيئة ويحسبل.

الضرب الثانى: أن تكون البطاقة بغير علامة فيكتب فى رأس الورقة فى الوسط موضع الاسم " الله الهادى " [3]، ثم يأتى بأسطر متلاصقة من غير هامش ولا يخلى فيها بيت العلامة. [وصورة ما يكتب] [4] " المرسوم بالأمر[٢٥٢ ب] الشريف، العالى، المولوى، السلطانى، الملكى، الفلانى الفلانى، أعلاه الله تعالى وشرفه [5]، أن يسرح هذا الطائر الميمون ورفيقه هداهما الله تعالى فى وقت كذا وكذا على ما تقدم إلى بعلمه بكذا وكذا "، والدعاء والمشيئة، والمستند فيها" حسب المرسوم الشريف "، ويحسبل.

---

(١) ساقطة من التثقيف، ص١٢٤؛ صبح، ج٧، ص٢٣٤.

(٢) فى: التثقيف، نفسه؛ صبح، نفسه.

(٣) الله الهادى بكرمه: التثقيف، ص١٢٥؛ صبح، نفسه.

(٤) ما بين الحاصرتين من، التثقيف، ص١٢٥؛ صبح، ج٧، ص٢٣٤ – ٢٣٥.

(٥) يصرفه: صبح، ج٧، ص٢٣٥.

تنبيه: قال فى التثقيف: قد يقتضى الحال نقل البطاقة [١] من [٢] مكان إلى مكان فيكتب بعد ذلك المرسوم. وبه ما مثاله " ويتقدم بنقل هذه البطاقة إلى فلان الفلانى ليعتمد مضمونها ويعمل بحسبها "، فإن كانت منقولة إلى مكان ثالث كتب بعد ذلك " ثم ينقلها إلى فلان الفلانى ليعتمد مضمونها [أيضاً] [٣] ويعمل بحسبتها [٤]" فإن كان القصد أن تنقل إلى مملكة بعيدة كتب " وأن تنقل على أجنحة الطيور من برج إلى برج إلى المملكة الفلانية "، فإن نقلت من الأطراف من المخيمات الشريفة إلى الديار المصرية كتب " إلى أن تصل إلى الأبواب الشريفة "، وكذا إلى مكان قصدت.

---

(١) نقلها: التثقيف، نفسه.

(٢) أضاف صاحب التثقيف كلمة [ذلك]، التثقيف، نفسه.

(٣) ما بين الحاصرتين من، التثقيف، نفسه؛ صبح، نفسه.

(٤) بمقتضاها: التثقيف، نفسه، صبح، نفسه.

الباب الثامن

فى رسم المكاتبات الصادرة عن ملوك الديار المصرية إلى من هو خارج عن هذه المملكة من ملوك الأقطار وأتباعهم على ما كان الأمر عليه وما استقر علية الحال

وهو على أربعة أنواع:

النوع الأول

فى رسم المكاتبات الصادرة إلى ملوك الإسلام وحكام البلاد والأقاليم ومن يجرى مجراهم ممن جرت العادة بالمكاتبة إليه.

اعلم إن مملكة الديار المصرية كالقطب فى وسط الممالك والبلاد، وهى دائرة عليه من جهاتها الأربع الشرق والغرب والشمال والجنوب، وكل جهة منها عدة ممالك تصدر إليها المكاتبات عن الأبواب الشريفة.

الجهة الأولى

جهة الشرق عن الديار المصرية

وهى تشتمل على ثلاث ممالك عظام:

المملكة الأولى

مملكة إيران

سميت بإيران بن أشور بن يافث بن نوح عليه السلام، وهى مملكة الأكاسرة فى الزمن القديم الصائرة إلى بيت هولاكو من بنى جنكيزخان، ويقال فيه دنكزخان. قال فى التعريف: وهى من الفرات إلى نهر جيحون حيث بلخ [1]، ومن [٢٣٥أ] البحر الفارسي وما صاقبه من البحر الهندى إلى [بحر القلزم ببحر طبرستان] [2]. قال: وقد دخل فيها مملكة الهياطلة [3] وهى

---

(١) كانت من مدن خراسان، وتقع اليوم بأفغانستان. البلاذرى: فتوح، ق٣، ص٦٩٥.

(٢) البحر المسمى بالقلزم، بحر طبرستان: التعريف، ص٦٥.

(٣) الهياطلة نسبة إلى شعب أسيوى يحمل هذا الاسم قدمت بعض الجماعات منه إلى بلاد ما وراء النهر واستقرت بها فعرفت بها كما يشير بذلك ياقوت الحموى. معجم، ج٥، ص٤٥.

بلاد مازندران [وما يليها إلى آخر] (١) وكيلان "، " ومازندران آخذة مشرقاً (٢)، وكيلان آخذة مغرباً (٣). وتشتمل هذه المملكة على ثلاثة عشر إقليم من الأقاليم الشرقية منها بالجانب الجنوبى خمسة أقاليم، ومنها بالجانب الشمالى ثمانية أقاليم.

فأما الجانب الجنوبى فأوله من جهة الغرب مما يلى البلاد الشامية إقليم الجزيرة الفراتية وهى ما بين دجلة والفرات، وتشتمل على ديار بكر، وديار ربيعة، وديار مضر، ويليها من جهة الشرق العراق وتعرف بعراق العرب لقربها منهم، ويليها من جهة الشرق خوزستان، قال فى المشترك: ويقال فيها الخوز أيضاً. ويليه من جهة الشرق إقليم فارس وكرمان وهو صقع كبير بين فارس وسجستان (٤) وهو الإقليم الخامس بهذا الجانب.

وأما الجانب الشمالى منها فأوله من جهة الغرب قلعة من بلاد الروم التى هى شمالى بلاد الشام والبحر الشمالى، ويليه من شرقيه ثلاثة أقاليم متداخلة البلدان أحدها إقليم أرمينية (٥)، الثانى إقليم أران (٦)، الثالث إقليم أذربيجان (٧). ويلى ذلك من جهة الشرق بلاد الجبل وهى البلاد المعروفة بعراق العجم، ويليه من جهة الشرق إقليمان آخران متجاوران أحدهما بلاد الديلم، والثانى كيلان ويقال فيها بلاد الخيل والكيل. ويليه من جهة الشرق ثلاثة أقاليم أخر،

---

(١) ما بين الحاصرتين من، التعريف، ص٦٥. ومازندران هى ولاية طبرستان التى تقع شمال إيران حالياً. ياقوت: معجم، ج٧، ص٣٦٣؛ لى سترانج: بلدان، ص٤٠٩.

(٢) الآخذة شرقاً: التعريف، نفسه.

(٣) الآخذة غرباً: التعريف، نفسه.

(٤) سجستان هو الأقليم الواقع جنوب هراة. البلاذرى: فتوح، ق٣، ص٧٣٢؛ ياقوت: السابق، ج٣، ص١٨٩.

(٥) كان إقليم أرمينية فى ذلك الوقت حدوده تقع بين بحر الخزر شرقاً، ووادى الفرات غرباً. وهو موزع اليوم بين تركيا وإيران وأرمينية المستقلة عن الاتحاد السوفيتى السابق. البلاذرى: السابق، ص٦٨٥.

(٦) كان إقليم أران ولاية واسعة شمال أذربيجان وغرب أرمينية يفصل بينها وبين أذربيجان نهر أرس. البلاذرى: السابق، ص٦٨٣؛ ياقوت: السابق، ج١، ص١٣٦؛ لى سترانج: بلدان، ص٢١١.

(٧) وهو إقليم كبير يقع اليوم بعضه فى إيران، والآخر جمهورية مستقلة عن الاتحاد السوفيتى. البلاذرى: السابق، ص٦٨٢؛ لى سترانج: السابق، ص١٩٣.

أحدها طبرستان، الثاني مازندران وهو صقع كبير، الثالث قومس [1]، ويقال لها بالفارسية كومس [2] ويقال قرم [3] وهو الجارى على ألسنة الناس. قال فى المشترك: وهو صقع كبير بين خراسان وعراق العجم. ويلى ذلك من جهة الشرق خراسان وهو أعظم الأقاليم وأجلها وأوسعها وأكبرها بلاداً حتى إن أهل العراق يقولون أنه من الرى إلى مطلع الشمس.

وكان رسم المكاتبة إلى ملوك أهل تلك المملكة على ما كان يكتب إلى قاناها العظام على ما ذكره فى التعريف فى قطع البغدادى الكامل يبتدأ فيها بعد البسملة وسطر من الخطبة بالطغراة[4] المكتتبة بالذهب المزمك بألقاب سلطاننا على عادة الطغراوات ثم تكمل [٢٥٣ ب] الخطبة ويفتتح ببعدية إلى أن تساق الألقاب وهى " الحضرة الشريفة، العالية، السلطانية، الأعظمية، الشاهنشاهية، الأوحدية، الأخوية، القانية، الفلانية ". قال: ولا تضاف فيها الملكية لهوانها عندهم " [5] ثم يدعى له بالأدعية المفخمة المعظمة [6] الملوكية من " إعزاز السلطان، ونصر الأعوان، وخلود الأيام، ونشر الأعلام، وتأييد الجنود، وتكثير الوفود "، ونحو ذلك. ثم يقال ما فيه التصريح والتلويح [7] بدوام الوداد، وصفاء الاعتقاد، ووصف الأشواق وكثرة الأتواق، وما هو من هذه النسبة، ثم يؤتى بالمقاصد [8] ويختم بدعاء جليل واستعراض المراسيم[9] والخدم، ويوصف بالتطلع إليها، ويظهر التهافت عليها.

(١) قومن: العرف الناسم، ورقة ١٤ب. وهى كورة كبيرة فى ذيل جبل طبرستان بإيران. البلاذرى: السابق، ص٧٦٩.

(٢) كومن: العرف الناسم، نفسه.

(٣) قوم: العرف الناسم، نفسه.

(٤) ذكر محققو صبح الأعشى أن الطغراة المذكورة عند العمري هى تصحيف، ولكن يبدو أنهم لم يعرفوا مصطلح الطغراة. وهى جملة الأسماء والألقاب السلطانية الموجودة دائماً بديوان الإنشاء وتلصق على أي رسالة. انظر صبح، ج٧، ص٢٥٠، هـ١.

(٥) من غير أن يخلط فيها " الملكية " لهوانها عليهم وانحطاطها لديهم: التعريف؛ ص٦٧، صبح، نفسه.

(٦) المعظمة المفخمة: التعريف، نفسه؛ صبح، نفسه.

(٧) التلويح والتصريح: صبح، ج٧، ص٢٥٠.

(٨) على المقاصد: التعريف، نفسه؛ صبح، نفسه.

(٩) الحوائج: التعريف، نفسه.

وكان [١] هذا الكتاب تكتب خطبته وطغراه وعنوانه [٢] بالذهب المزمك وكذلك كل ما وقع فى أثنائه من اسم جليل، وكل ذى شان نبيل من اسم الله تعالى، أو لنبينا صلى الله عليه وسلم، أو لأحد من الأنبياء والملائكة عليهم السلام، أو ذكر دين [٣] الإسلام، أو [ذكر] [٤] سلطاننا، أو السلطان المكتوب إليه، أو ماهو متعلق بها من الضمائر مثل " لنا، ولكم "، " وعندنا وعندكم ". كل ذلك بالذهب المزمك وما سواه يكتب بالسواد ". وقد زاد فى التثقيف فى الألقاب السلطانية، العالمية، العادلية، الأكملية ". وقال على " القانية " القآنية "، ثم قال " الولدية العزية [٥] ". قال " وتكون الطرة ثلاثة أوصال والبسملة ذهب مزمك بألقاب طوال بالمسطرة [بخط المذهب] [٦]، ثم الخطبة وأولها " الحمد لله "، والسطر الثانى يلى البسملة [الشريفة] [٧] وثانيه يكتبا من أوائل الورق زائدان على [٨] بقية السطور التى من أول السطر الثالث إلى آخر الكتاب. قال: وبين هذين السطرين المذكورين وهو موضع بيت العلامة الشريفة طغراة [٩] ذهب بالألقاب الشريفة ـــ كما ستأتى ـــ، ثم بعد هذين السطرين الملاصقين للطغراة[١٠] المذكورة بقية السطور بهامش جيد فى يمين الورق على العادة وجميع السطور مكملة إلى آخر الورق. ثم قال: و[لا] [١١] يخلى فيها للطمغاة مكان. قال فى التعريف: والعلوان[١٢] لهذه المكاتبة الألقاب إلى أن ينتهى إلى اللقب الخاص، ثم يدعى ثلاث دعوات [١٣] [٢٥٤ أ]

---

(١) ساقطة من التعريف، نفسه.

(٢) ساقطة من صبح، وأكمله محققوه من التعريف. صبح، ج٧، ص٢٥١ هـــ٢.

(٣) لدين: التعريف، نفسه.

(٤) ما بين الحاصرتين من، التعريف، نفسه؛ صبح، نفسه.

(٥) العزيزية: التثقيف، ص١٠؛ صبح، ج٧، ص٢٥٢.

(٦) ما بين الحاصرتين من، نفسه؛ صبح، نفسه.

(٧) ما بين الحاصرتين من، التثقيف، نفسه؛ صبح، نفسه.

(٨) عن: التثقيف، نفسه.

(٩) طغرة: التثقيف، نفسه.

(١٠) للطرة: التثقيف، نفسه.

(١١) ما بين الحاصرتين من، التثقيف، نفسه.

(١٢) العنوان: التعريف، ص٦٧؛ العرف، ورقة ١٥ب.

(١٣) بدعوة: التعريف، نفسه.

أو دعوتين مثل " أعز الله تعالى سلطانها، وأعــلى شأنهــا ونحو ذلك، ثم يذكر [١] اسم السلطان المكتوب إليه، ثم يكتب بهادر [٢] خان، كما كان يكتب فى الأيام الناصرية بهادرخـــان فقــط ، ويطمغ بالذهب [بطمغات] [٣] عليها ألقاب سلطاننا على الأوصال، يبدأ بالطمغاة الأولى على اليمين فى أول وصل، ثم على اليسار من ثانى وصل إلى أن ينتهى فى الآخرى على الـــيمين، ولا تطمغ على الطرة البيضاء. قال: والكاتب يخلى [لمواضع الطمغة مواضع الكتابة][٤]، تـــارة يمنى[٥] وتارة يسرى [٦]. وذكر فى التثقيف نحوه. وأنه يدعى له فى أثناء المكاتبة بما مثاله " زيدت عظمته، ودامت معدلته، وأعلى الله مقامه "، ونحو ذلك، ولا يكتب له تعريف فى العنوان.

تنبيه: قال فى التثقيف: قلت[٧] وما ذكره فى التعريف ثلاث أمور زائـــدة أردت التنبيـــه عليها. أحدها، أنه يكتب [٨] تعريفه فى العنوان فيكتب له بعد ذكر الاسم خـــان فيقـــال أبـــو سعيد[٩] بها درخان. الثانى، لا تستعمل [١٠] الطمغاة على الأوصال. الثالث، لا يـــذكر [١١] فى ألقابه الملكية. وأما الترجمة فقال فى التثقيف: أنه يكتب على جانب يمين [١٢] الســـطرين الثـــانى

---

(١) يسمى: التعريف، نفسه.

(٢) ساقطة من التعريف، نفسه.

(٣) ما بين الحاصرتين من، التعريف، نفسه.

(٤) ما بين الحاصرتين من، التعريف، ص٦٨.

(٥) يمنة: التعريف، نفسه.

(٦) يسرة: التعريف، نفسه.

(٧) وقد ذكر الإمام القاضى المرحوم شهاب الدين ابن فضل الله قدس الله روحه فى كتابه المذكور ثلاثة أمور زائدة أرادت التنبيه عليها: التثقيف، ص١١.

(٨) يذكر: التثقيف، نفسه.

(٩) بو سعيد: التثقيف، نفسه. وهذا هو النطق الصحيح لاسم أبو سعيد، إذ أن ابن حجر نقلاً عن الصفدى قد ذكر أن اسمه قد حرفته العامة وجعلت فى أوله ألف، والصحيح الذى كان يذكر فى المكاتبات بدونها، والقان بو سعيد بن القان محمد بن خربندا ملك التتار فى بغداد وخراسان وبلاد ما وراء النهر، تولى الحكم عام ٧١٧ هـــ حتى وفاته عام ٧٣٦ هـــ. ابن تغرى بردى: النجوم، ج٩، ص٥٥، هـــ٢، ٣٠٩.

(١٠) لأنه يستعمل: التثقيف، نفسه.

(١١) يكتب: التثقيف، نفسه.

(١٢) بين: التثقيف، ص١٠.

والثالث مما يلى بيت العلامة " المشتاق فلان "، وفى بعض الدساتير أن ذلك كان بالمغرة العراقية. وهذه صورة مكاتبة عن الناصر محمد إلى القان أبو سعيد.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى جعلنا بنعمتة إخوانا، وجعلنا على طاعته أصولاً لا تتفرق وأغصانا

السلطان الأعظم الملك المؤيد

العالم المجاهد المرابط

المثاغر المنصور إلى آخر ألقابه

نحمده على ما أولانا ونشكره على ما والانا، ونرغب إليه فى مزيد ألطافه التى شملت أقصانا وأدنانا، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة كالشمس لا تدع فى الأرض مكانا ".

وهذا إلى آخر الكتاب والبعد بين السطور باعتبارعرض الورق، وخطابه بالحضرة الشريفة [٢٥٤ ب]، وختمه بالدعاء المفخم مثل " عظم الله شانه، وثبت أركان دولته "، ونحو ذلك والطمغاة على الوصل من الجهة اليمني مطبوعة بالذهب باسم السلطان مثالة، ومن الجهة اليسرى كذلك على الوصل الثانى كذا.

وفى بعض الدساتير أن الطغراة المكتوبة بالذهب كانت تكتب بالمغرة العراقية.

ولما مات أبو سعيد تفرقت مملكة إيران، فأما عراق العجم ونهر بغداد وبلادها وما يليها من ديار بكر وربيعة ومضر فأخذها الشيخ حسن بن أقبغا من طائفة النوارنيين (١)، وبقية ديار بكر فملكها إبراهيم شاه بن بارنبارى (٢) بن سوناى، وأما مملكة أذربيجان وهى قطب مملكة إيران ومقر كرسى ملوكها من بنى جنكزخان فكان ملكها القان سليمان شاه، وأما خراسان فكانت بيد القان طغيتمر، وأما بلاد الروم فقد أضيفت إلى إيران، منها قطعة صالحة وبلاد نازحة، وكانت بيد أرتنا، والذى قاله فى التعريف إن الذى ملك العراق وديار بكر وربيعة ومضر بعد أبى سعيد هو الشيخ حسن الكبير، والذى قاله فى التثقيف أنه ملك بعد أبى سعيد

---

(١) النورانيين. هم أحد فروع التتار ادعوا طبقاً لروايتهم أنهم من نسل إله النور، وطبقاً لذلك أطلقوا عليهم النورانيين. انظر: القلقشندي: صبح، ج٤، ص٣٠٦.

(٢) بارنباى: التعريف، ص٦٦.

أروا خان [١] ثم موسى خان، ثم طغاى تمرخان "، وفى بعض التواريخ أنه ملك بغداد وتوريز بعد أبي سعيد الشيخ حسن الكبير، ثم ابنه الشيخ أويس [٢]، ثم ابنه الشيخ حسين [٣]، ثم أخوه أحمد[٤]، ومنه انتزعها تمرلنك.

قال فى التثقيف إنه استقر رسم المكاتبة إلى الشيخ أويس صاحب تبريز[٥] وبغداد وابنه حسن بعده فى قطع النصف، ورسمها " أعز الله تعالى أنصار المقام الشريف، العالى، الكبيرى، السلطانى، العالمى، العادلى، [المجاهدى] [٦] المؤيدى، المرابطى، المنصور، الملكى، الفلانى ـــ بلقب السلطنة الفلانى باللقب الخاص ـــ "، والدعاء مثل " ولا زالت أعلام فضله على الأعناق مرفوعة، وكلام حكمته فى الآفاق مسموعة، وأيادى جوده بالارفاد والإرفاق لا مقطوعة ولا ممنوعة، أصدرناها إلى المقام الشريف، تهدى إليه سلاماً يضحك الروض سلامه، [٢٥٥ أ] وثناء يفتح عن أزاهر الحمد والشكر كمامه، ونبدي لعلمه الشريف كذا، والقصد من المقام الشريف كذا ". ومخاطبتة بالمقام الشريف، وختمه بدعاء نحو " أعز الله أنصاره "، والترجمة أخوه، والعنوان " المقام الشريف " إلى آخر الألقاب وتعريفه فلان باسمه بهادر خان [٧].

---

(١) أرفاخان: التثقيف، ص١١.

(٢) هو أويس بن الشيخ حسن بن حسين بن أقبغا، ملك البلاد بعد أبيه عام ٧٥٧ هـ، وتوفى عام ٧٧٦ هـ. ابن حجر: الدرر، ج٢، ص٩٥؛ ابن تغرى بردى: المنهل، ج٣، ص١١٦ ــ ١١٨، ت رقم ٥٦٤.

(٣) الحسين بن أويس بعد موت أبيه عام٧٧٦ هـ، وتوفى عام ٧٨٤ هـ. ابن تغرى بردى: السابق، ج٥، ص١٤٩ ــ ١٥٠، ت رقم ٩٤٠.

(٤) أحمد بن أويس، ملك بغداد بعد موت أبيه سنة ٧٨٤ هـ، واستمر يحكمها حتى عام ٧٩٥ هـ فاراً من تيمورلنك، وجاء إلى مصر ليستنجد بالظاهر برقوق، قتله قرا يوسف عام ٨١٣ هـ. ابن حجر: إنباء الغمر، ج٢، ص٤٥٩؛ ابن تغرى بردى: السابق، ج١، ص٢٤٨ ــ ٢٥٦، ت رقم ١٣٣؛ السخاوى: الضوء، ج١، ص٢٤٤ ــ ٢٤٥.

(٥) كانت تقع بإقليم أذربيجان، وتقع اليوم بإيران. البلاذرى: فتوح، ق٣، ص٧٠٠.

(٦) ما بين الحاصرتين من، التثقيف، ص٦١؛ صبح، ج٧، ص٢٦٠.

(٧) لم يورد فى التثقيف هذا الدعاء.

ثم أن تمرلنك خرج على الأقاليم والبلاد فملكها وأخذ مملكتى بغداد وتوريز من القـــان أحمد بن أويس، وسطا على العباد والبلاد وكتب إلى الظاهر برقوق كتاباً نسخته بعد البســملة الشريفة:

﴿ قُلِ اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ أَنتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِي مَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾[1] . اعلموا أنا نحن جند الله مخلوقون من سخطه مسلطون على من يحل عليه غضبة، لا نرثى لشاك، ولا نرحم عبرة باك، نزع الله الرحمة من قلوبنا، فالويل كل الويـل لمن لم يكن من جهتنا، قد حرقنا البلاد، ويتمنا الأولاد، وأظهرنا فى الأرض الفســاد، خيولنـا سوابق، وسيوفنا صواعق، وقلوبنا كالجبال، وعددنا كالرمال، ملكنا لا يرام، وجارنا لا يضام، من سلمنا سلم، ومن نال حربنا ندم، فإن أنتم قبلتهم شرطنا، وأصلحتم أمرنا، فلكـم مالنـا، وعليكم ما علينا، وإن أنتم خالفتم، وعلى بغيكم تماديتم، فلا تلوموا إلا أنفسكم، فالحصون منا لا تمنع، والعساكر لا ترد ولا تدفع، ودعائكم لا يسمع، لأنكم أكلتم الحرام، وضيعتم الجميع، فأبشروا بالمذلة والهوان، فاليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تستكبرون فى الأرض وبما كنـتم تفسقون، وقد غلب عندكم أننا كفرة، وثبت عندنا أنكم فجرة، وقد سلطنا عليكم إلـه لـه مقدرة وأحكام مدبرة، فعزيزكم عندنا ذليل، وكبيركم لدينا قليل، وقد أوضحنا لكم الخطـاب فأسرعوا برد الجواب قبل أن ينكشف الغطاء وترمى الحرب نارها، ولم تبق لكم باقية، وينـادى عليكم منادى الفناء هل يحس منهم من أحد أو يسمع لهـم ركـزاً، الآن قـد أنصـفناكم إذ راسلناكم [٢٥٥ب] فردوا رسلنا بجواب هذا الكلام، والسلام " [2].

(١) الزمر، الآية ٤٦.

(٢) لم يذكر القلقشندي نص هذه الرسالة وإنما ترك بياض مكانها، وقد أورد أحد نساخ صبح الرسالة التى رد بها الظاهر برقوق على تيمورلنك، ولكنها مختلفة عما لدى صاحب الثغر تحت عنوان " مما فات المؤلف رحمه الله تعالى ". صبح، ج٧، ص٣٠٨. والرسالة والرد عليها. انظر: المقريزى: السلوك، ج٣ق٢، ص٨٠٣ ــ ٨٠٧؛ ابن تغرى بردى: النجوم، ج١٢، ص٤٩ ــ ٥٢.

وكان الكتاب فى قطع كامل الشامى، وترجمته " تمور كوركـان ". ثم كتـب الجـواب الشريف لهم من إنشاء [بدر الدين] [١] ابن فضل الله تغمده الله برحمته فى قطع النصف بعـد البعدية والإصدار.

" حصل الوقوف على كتاب فخبرعن الحضرة السلطانية ما وقعنا عليه، فقـولكم إنـا مخلوقون من سخطه، مسلطون على من يحل عليه غضبه، وإنكم لا ترقوا لشاك ولا ترحموا عبرة باك، وقد نزع الله الرحمة من قلوبكم فهذا من أكبر عيوبكم، وهذه صفة الشـياطين لاصـفة السلاطين، ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴾[٢] ، ففى أى كتاب كريم ذكرتم، وعلى لسان أى رسول بعثتم، وبكل قبيح وصفكم، وعندنا خبركم من حين خلقتم، وزعمتم أنكـم كفرة، ألا لعنة الله على الكافرين، من يمسك بالأصول لن يبالى بالفروع، نحن المؤمنون حقـاً، القرآن على نبينا نزل، وهو بنا رحيم لم يزل، إنما النار خلقت لكم، ولجلودكم أضـرمت، إذا السماء انفطرت، ومن أعجب العجائب تهديد الديوث بالليوث، والسباع بالضباع، والكمـاء بالكراع، ونحن خيولنا برقية، وسهامنا يمانية، وسيوفنا شديد المضارب، ذكرهـا فى المشـارق والمغارب، إن قتلناكم فنعم البضاعة، وإن قتلنا فبيننا وبين الجنة ساعة، ﴿ وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّـذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ أَمْوَاتاً بَلْ أَحْيَاء عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ [٣] ، وقولكم قلوبنا كالجبال، وعـددنا كالرمال، فالقصاب لا يبالى بكثرة الغنم، وكثير من الحطب يكفيه قليل من الضرم، ﴿كَم مِّـن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللّهِ وَاللّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [٤] ، الفرار الفرار من الرزايا لا مـن المنايا، ونحن من الطمأنينة على غاية الأمنية، إن قتلنا فشهداء، وإن عشنا كنـا سـعداء، ألا إن حزب الله هم الغالبون، أبعد أمير المؤمنين وخليفة رب العالمين تطلبون منا طاعـة، لا سمـع ولا طاعة. وطلبتم أن نوضح لكم أمرنا قبل أن ينكشف الغطاء، هذا الكلام فى نظمه ركيـك، وفى سلكه تبكيك، لو كشف لبان بعد البنيان، أكفر بعد إيمان، أم اتخـذتم [٢٥٦ أ] رب ثـان،

---

(١) بياض فى الأصل، ما بين الحاصرتين من، ابن حجر: إنباء، ج٣، ص٢٠٧؛ ابن إياس: بدائع، ج١ق٢، ص٤٦٦.

(٢) الكافرون، الآية ١ ــ ٢.

(٣) آل عمران، الآية ١٦٩.

(٤) البقرة، الآية ٢٤٩.

﴿ لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئاً إِدّاً تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدّاً ﴾ (١) ، قل لكاتبك الذى وضع رسالته، ووصف مقالته، وصل كتاب كصرير باب، أو كطنين ذباب، فسنكتب ما يقول ﴿وَنَمُدُّ لَهُ مِنَ الْعَذَابِ مَدّاً﴾(٢) ".

قلت وهذا الجواب به ألفاظ سافلة ومقاصد متباينة لو نسبت لعامى لعتبت عليه، وكان الصواب أن يكون هذا الجواب مستهلاً على الألفاظ الجزلة العظيمة البليغة المفخمة وتكون معربة عن هذه المملكة تعظم شانها، وقوة سلطانها، وتأييد عساكرها، والظفر بأعدائها، وعناية الله تعالى بها، مديحاً بما يناسب ذلك من كلام الله عز وجل، وحديث رسوله صلى الله عليه وسلم، ليكون فى قلب العدو أرعب ولتصوره أهيب. قيل إن السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب سقى الله عهده حين فتح السواحل أعرض عساكره فاستكبروا أنفسهم فقال لهم " والله ما فتحت هذه السواحل، ولا أُخِذَت هذه البلاد بقوتكم ولا بكثرتكم، ولكن أخذها بلسان الفاضل وقلمه ".

وكان الجواب فى قطع النصف وكوتب بمكاتبات امراء الألوس بتلك الممالك لكونه لم يكن قان فحنق لذلك، وكان الجواب بخط القاضى شمس الدين العمري رحمه الله (٣)، فأرسل اللنك فى أيام الناصر فرج يسأل السلطان فى إرسال الكاتب إليه فعفى من ذلك. والحكاية مشهورة.

ثم بعد وفاة الظاهر برقوق وحضور اللنك إلى الشام فى أيام الناصر فرج كتب له مكاتبات مفتتحات بخطب مناسبة الحال وفيها " أصدرنا هذه المفاوضة إلى المقام الفلانى — بألقابه —، تهدى إليه من السلام كذا، ومن الثناء كذا، ونبدى لعلمه الشريف ". وقد وقع الاختلاف فى افتتاحها فتارة افتتحوها بـ " أما بعد "، وتارة افتتحوها بـ " الحمد لله ". فأما

---

(١) مريم، الآية ٨٩ — ٩٠.

(٢) مريم، الآية ٧٩.

(٣) هو محمد بن عبد الله بن محمد الشمس بن العمري، أحد أعيان موقعى الدست، ويعرف بابن كاتب السمسرة، توفى عام ٨٢٩ هـ. السخاوى: الضوء، ج٨، ص١١٣، ت رقم ٢٤٥.

الافتتاح بأما بعد فكتب به جواب كتابه الواصل بطلب جواب الأمير أطلمش[1] صحبة رسوله الخواجا مسعود الكججانى[2] فى جمادى الأولى سنة خمس وثمانمائة من إنشاء القاضى شمس الدين ابن الصاحب وهو:

" أما [٢٥٦ب] بعد حمد الله الذى جعل الأرواح أجناداً مجندة، وجعل [3] أسباب الرسل [4] للإصلاح [5] بمن افتتح باب الصلاح، ولم يخلف موعده ـ إلى آخرها ـ، فقد أصدرنا هذه المفاوضة إلى المقام الشريف، العالى، الكبيرى، العالمى، العادلى، المؤيدى، المظفرى، المجاهدى، الملاذى، الوالدى، المعظمى، نصرة الدين، ملجأ القاصدين، ملاذ العابدين، قطب الإسلام والمسلمين، تيمور كوركان دامت معادلته، نهدى إليه سلاماً تتلى سوره وآياته، وثناء تتوالى غدواته وروحاته، ولا تتناهى غاياته، ونبدى لعلمه الشريف كيت وكيت ".

وأما الافتتاح بالحمد لله فكتب عليه عند عقد الصلح مع رسوله وجهز معه الأمير منكلى بغا الحاجب وهو " الحمد لله الذى شيد قواعد الإصلاح، ومهد مواطن الرشد والنجاح "، إلى آخر الخطبة. " أما بعد فقد صدرت هذه المفاوضة إلى المقام الشريف، العالى " على نحو الألقاب السابقة إلى آخرها، ثم " ونبدى لعلمه الشريف كيت وكيت ".

فلما مات اللنك وقام بنظام أمر مملكته مرزا خليل [6] ولده كتب له فى قطع النصف:

---

(١) هو أحد أمراء تيمورلنك الذى تم أسره أيام الظاهر برقوق، وتم إرسال أطلمش إلى تيمور بعد هذه السفارة. القلقشندي: صبح، ج٧، ص٣١٩؛ المقريزى: السلوك، ج٣ق٣، ص١٠٩٨ ـ ١٠٩٩؛ ابن حجر: إنباء الغمر، ج٢، ص٢٢٩ ـ ٢٣٠.

(٢) هو مسعود بن محمد الكججانى، رسول تيمور لنك للناصر فرج، قال عنه ابن حجر كان مشهوراً بقبح السيرة. ابن حجر: السابق، ج٢، ص٢٢٨؛ ج٣، ص٢١٠؛ السخاوى: الضوء، ج١٠، ص٦٢٣.

(٣) ووصل: صبح، ج٧، ص٣٢٠.

(٤) الرشد: صبح، نفسه.

(٥) والفلاح: صبح، ج٧، ص٣٢٠.

(٦) هو حفيد تيمور لنك تولى الحكم من عام ٨٠٧ إلى عام ٨١٢ هـ. ابن عرب شاه: عجائب، ص٤٥٠؛ زمباور: معجم، ص٤٠١.

" أعز الله تعالى أنصار المقام العالى " فلما تغلب قرا يوسف [(١)] على أولاد اللنك وانتزع منهم بغداد وتوريز وصيرهما بين ولديه إسكندر [(٢)]، وشاه محمد ومات مرزا خليـــل بمملكتـــه مازندران قام بتدبير المملكة ولده شاه رخ وجعل محل إقامته خراســـان، وتنقـــل إلى سمرقنـــد وبخارى، استقر رسم المكاتبة إليه فى قطع النصف:

" أعز الله تعالى أنصار المقام الشريف، العالى، الكبيرى، العالمى، العادلى، المؤيدى، الملجاء، الملاذى، العينى، نصرة الدين، ملجأ القاصدين، ملاذ العارفين، ظهـــير الملـــوك والســـلاطين ". والدعاء مثل " ولازال الملك زاهياً زاهراً بشرف سلطانه، والفلك تجرى بإعزاز قومه، وإجـــرار نصره مدى زمانه، والمسلك منه بالإعداد يسر الأولياء من أهل مودته وإخوانه، وسلك جواهر عقد ولايته منتظماً [٢٥٧ أ] من الإخلاص بجنابه، ولا برح مقيداً بأنصار الإسلام وأعوانـــه، مجدداً سعده الذى بلغه جميل أوطاره فى جميع أوطانه، أصدرناها إلى المقام الشريف تصف ما لدينا من المحبة التى ظهر دليلها بواضح برهانه، وثبت إلينا مكنون المودة التى تغنى عن صريح القـــول وتبيانه، ونبدى لعلمه الشريف كيت وكيت ".

وخطابه بـــ " المقام الشريف "، والترجمة " أخوه "، وتعريفه شاه رخ بهادر.

قلت: ولو قيل " ملاذ العائذين " لكان أليق من " ملاذ العارفين "، لأن العارف فى نفسه ملاذ، وأقول أن تمرلنك لم يكن الملك نفسه وإنما كان نظاماً للسلطنة، والسلطنة إذ ذاك باســـم ولد ولده محمود [(٣)] لأن أمه من أولاد القانات وكان يعلم محمود سلطان خاقان، ثم قيل محمود

(١) هو قرا يوسف بن قرا محمد التركمانى، أشهر أمراء دولة الشاة السوداء التركمانية، ومؤسسها محمد تورمش بن بيرام خوجة عام ٧٨٠ هـــ، استولى على المنطقة الواقعة فيما بين أرمينية وأذربيجان، واتخذ تبريز عاصمة له، توفى عام ٨٢٣ هـــ. ابن حجر: إنباء الغمر، ج٣، ص٢٣٠؛ القرمانى: أخبار الدول، ص٣٣٦؛ السخاوى: الضوء، ج٦، ص٢١٦؛ Sykes,History of Persia,p.139-140 ;Malcolm,The History of Persia , p.316-318.

(٢) ملك إسكندر بعد موت أبيه واستمر فترة طويلة، قتله ابنه قوماط شاه عام ٨٤١ هـــ. المقريزى: درر العقود، ج٢ص٤٧٤_ ٤٧٨، ت رقم٢٧١؛ ابن تغرى بردى: المنهل، ج٢، ص٣٧٣ ـــ ٣٧٤، ت رقم ٤١٨؛ السخاوى: السابق، ج٦، ص٢٨٠، ت رقم ٨٨٥.

(٣) وقد كان اسمه فى الولاية من عام ٧٩٠ إلى ٨٠٠ هـــ. زمباور: معجم، ص٤٠١.

بالروم، وتولى السلطنة بعده ولده محمد جهنكر [١] فأقام إلى أن مات مرزا خليل واستقر شاه رخ المذكور نظاماً ثم مات محمد جهنكر واستقر بالسلطنة ولده ألوبك [٢] وهو بها إلى الآن.

ولما مات قرا يوسف واستقر فى توريز ولده اسكندر استقر رسم المكاتبة إليه فى قطع النصف " أعز الله تعالى أنصار المقر الكريم إلى آخره ". والدعاء مثل " ولازال ظله مستقر الرجاء، وموطن الأمر والالتجاء، ومثابة الأمن وحرم النجاء، ولا أخلاه الله من نعم يحيط بها سرادقها، وتبسم عن أمانيه مشارقها، أصدرناها إلى المقر الكريم تشتمل على سلام افترت مباسمه، وثناء يفوق عرف الرياض بواسمه، ونبدى لعلمه الكريم كيت وكيت، والقصد أن يتقدم أمره العالى بكيت وكيت ". ويختتم بتشوق ونحوه والدعاء له " بعز الأنصار "، والترجمة " أخوه"، وتعريفه " إسكندر الحاكم بتبريز ".

ورأيت فى بعض الدساتير أن رسم المكاتبة إلى الحاكم ببلاد توريز وتلك الجهة، وكان إذا ذاك القان مغيث الدين أحمد بن [٢٥٧ ب] القان أويس بن الشيخ حسن الكبير فى قطع النصف " أعز الله تعالى أنصار المقام العالى، الكبيرى، السلطانى، العالمى، العادلى، المجاهدى، المرابطى، المؤيدى، المنصورى، الملكى، المغيثى، الفلانى ". والدعاء " ولازال علم عدله مشهوراً، وسيف نصره بتأييد الله مشهوراً، وكلام حكمه بقلم الحكمة ترقم فى صفحات الدهر سطوراً، أصدرناها إلى المقام العالى وألوية شكرها منتشرة، وأثلة نشرها عطرة، وأنباء حمدها مشتهرة، ونبدى لعلمه الكريم كذا وكذا "، والدعاء " أعز الله أنصاره "، والترجمة " أخوه "، وكان تعريفه " القان أحمد بن القان أويس بهادرخان ".

(١) الصواب: جهانكير. ابن عرب شاه: عجائب المقدور، ص٨٢.

(٢) هو ألوغ بك بن ميرزا خليل وهو غير علاء الدولة ألوغ بك بن شاه رخ الذى تولى الحكم من عام ٨٥٠ إلى عام ٨٥٣ هـ. ابن عرب شاه: عجائب، ص٤٥٠، ٤٦٦؛ زمباور: معجم، ص٤٠١.

النوع الثانى

فى رسم المكاتبة إلى من انطوت عليه مملكة إيران ممن يكاتب غير القان ممن جرت العادة بمكاتبته

وهم على حالتين:

الحالة الأولى: ما كان الأمر عليه إلى آخر دولة أبي سعيد وهم بحضرة القان أو خارج عنه، فأما من هو بالحضرة فكما كان فى زمن القانات العظام إلى آخر دولة أبي سعيد، قال فى التعريف: إنه كان بها حينئذ أربعة أمراء يعبر عنهم بأمراء الألوس ويعبر عن كبيرهم بيكلار [1] بك بمعنى [2] أمير الأمراء وربما [٢٥٨ أ] أطلق عليه بأمير الألوس، وإن الوزير هو القائم بتدبير الأمور العامة وكلاً منهم يكاتب، وكان رسم المكاتبة إلى بيكلار [3] بك فى قطع النصف " أعز الله تعالى نصرة المقر الكريم "، والدعاء مثل " ولازالت نجوم السعود فى مطالعه تتلألأ، وسحائب الجود إلى مرابعه تتوالى، وحوزته محروسة بالله تعالى، أصدرنا هذه المكاتبة إلى المقر الكريم نهدى إليه سلاماً طاب وطالا، وشكراً حاز كمالاً، ونبدى لعلمه الكريم كيت وكيت "، والترجمة " أخوه " وتعريفه " فلان بيكلار بك ".

وإلى كل من الثلاثة أمراء الألوس فى قطع الثلث " أدام الله تعالى نصرة الجناب الكريم "، ويكمل، وقال فى التثقيف: إن المكاتبة كانت إلى الشيخ حسن الكبير حين كان أمير الألوس فى قطع الثلث " أعز الله تعالى أنصار [4] الجناب الكريم العالى "، ويزاد فى ألقابه " النوينى "، وهى عندهم بمعنى " الكافلى " فى بلادنا، وفى نعوته " كافى الدولة القانية [5]، كافل الممالك الشرقية، أمير[6] التوامين، أمير الألوس، ظهير الملوك والسلاطين، عضد أمير المؤمنين "، والدعاء مثل "ولازال علاه مؤيداً، ورأيه مسدداً، وعزه كل يوم مجدداً، صدرت هذه المكاتبة إلى الجناب

(١) بيكلاري: التعريف، ص٦٨.

(٢) وهو: التعريف، نفسه.

(٣) بيكلارى: التعريف، نفسه.

(٤) نصرة: التثقيف، ص٣٨؛ صبح كالثغر، ج٧، ص٢٦٣.

(٥) القانية: التثقيف، ص٣٩؛ صبح كالثغر، نفسه.

(٦) أمر: التثقيف، نفسه؛ صبح، نفسه.

الكريم، نهدى إليه من السلام أكمله، ومن الثناء أطيبه وأجمله ونبدى لعلمه الكريم كيت وكيت"، والعلامة " أخوه " وتعريفه " فلان أمير التوامين أو أمير الألوس بالدولة القانية " [١].

وإلى وزير القان فى قطع الثلث " ضاعف الله تعالى نعمة المجلس العالى الآمرى [٢] " فإن لم يكن له إمرة فيقتصر فيه على " الوزيرى "، ويأتى ببقية ألقاب الوزير، ولا يقال فيها "الصاحبى" لهوانها عندهم. والدعاء مثل " ولازال مشكور الهمم والعزائم، موصوفاً بحسن الشيم والمكارم، مذكوراً بالصفات الحسنى من الخير الدائم، صدرت هذه المكاتبة إلى المجلس العالى، نهدى إليه سلاماً رونقه وسيم، وخير مقيم، ونوضح لعلمه المبارك كيت وكيت ". العلامة " أخوه " وتعريفه " فلان وزير المملكة القانية "، ولم يتعرض فى التثقيف لرسم المكاتبة إلى هذا الوزير وإلى أحد من الأمراء الألوس الثلاثة. [٢٥٨ ب]

الحالة الثانية: ما كان الأمر عليه بعد دولة أبى سعيد وإلى حين طرق اللنك البلاد الشامية فى أيام الناصر فرج فى عام اثنين [٣] وثمانمائة كما تقدم. الأول ما كتب إلى بيكلار بك فى أيام الظاهر برقوق قطع النصف على ما رأيته فى بعض الدساتير وهو " أعز الله نصرة المقر الكريم " إلى آخره ويقال فيه الأتابكى التومينى الفلانى، وفى النعوت " أتابك العساكر، نصير التوامين، شرف الملوك والسلاطين، خليل أمير المؤمنين ". والدعاء مثل " ولازال أمره مطاعاً على الدوام، وجانبه مراعياً بين الأنام، وحكمه مشاعاً بالعدل فى القضايا والأحكام، أصدرناها إلى المقر الكريم نهدى إليه من السلام ما طاب نشره وعرفه، ومن الثناء ما حسن فعله ووصفه، ونبدى لعلمه الكريم كيت وكيت ". العلامة " أخوه " تعريفه " فلان بيكلار بك ".

الثانى: وزير القان ببلاد أزبك، وكان اسمه محمود كتب إليه فى أيام الظاهر برقوق فى قطع الثلث " أدام الله تعالى نعمة المجلس العالى "، ويكمل من ألقاب الوزراء، ويقال " صفى أمير المؤمنين ". والدعاء مثل " وأعلى مقداره وأجزل أنباره وبلغه من الخير أوطاره، صدرت هذه المكاتبة إلى المجلس العالى نهدى إليه من السلام أطيبه، ومن الثناء أعذبه، ونوضح لعلمه المبارك أن الأمر كيت وكيت ". والعلامة " أخوه "، تعريفه " فلان وزير المملكة القانية ".

---

(١) الشيخ حسن ألوس بك: صبح، نفسه.

(٢) الصواب: الأميرى، التعريف، ص٦٩؛ صبح، ج٧، ص٢٦٤.

(٣) الصواب: ثلاث.

النوع الثالث

مكاتبات صغار الملوك المتفردين

قال المؤيد صاحب حماة أن مملكة إيران قسمت على عشرة أقاليم:

[الإقليم الأول]

الجزيرة الفراتية

وهى ما بين الفرات ودجلة، والمكاتبون بها على أربعة أصناف:

الصنف الأول

صغار الملوك بها

وهما اثنان:

الأول: صاحب ماردين [١]، أما ماردين فإنها مدينة عظيمة بديار بكر، وبها قلعة حصينة من غرائب الدنيا، وكانت فى زمن الخلفاء بيد أرتق [٢] وصارت فى ذريته [٢٥٩ أ] إلى أن تغلب عليها اللنك فأخذ المدينة وخربها ولم يقدر على أخذ قلعتها لعلوها وحصانتها وكان بها إذ ذاك الملك الظاهر مجد الدين عيسى بن الملك المظفر فخر الدين داوود بن الملك الصالح شمس الدين صالح بن الملك المنصور غازي بن الملك المظفر زين الدين قرا أرسلان بن السعيد غازى بن أرتق أرسلان ابن المغازى بن الزيني عرباش بن المغازى بن أرتق المذكور أولاً، وكان رسم المكاتبة عليه على ما أورده فى التعريف فى قطع العادة " أعز الله تعالى نصرة المقر الكريم، الكبيرى، الملكى الفلانى ــ بلقب الملك واللقب الخاص ــ "، والدعاء مثل " ولازال ملكاً تاجه المدائح، ومناهجه المنائح، وطريقه إذا وصفت قبل هذه طريقة الملك الصالح، أصدرناها إليه

---

(١) وهى تقع اليوم بتركيا. البلاذرى: فتوح، ق٣، ص٧٧٥.

(٢) الأمير الكبير أرتق بن أكسب التركمانى استولى على منطقة الجبل بديار بكر، ثم رحل إلى الشام خائفاً من السلطان ملكشاه السلجوقى فأعطاه تتش السلجوقى حكم القدس توفى عام ٤٤٩ هـ، ثم استولى ولداه سقمان وأيلغازى على ماردين بعد أن طردهما بدر الجمالى من القدس. ابن خلكان: وفيات، ج١، ص١٩١، ت رقم ٨٠؛ الذهبى: سير أعلام النبلاء، ج١٩، ص٢٢٢، ٢٣٤؛ زمباور: معجم، ص٣٤٥.

وشكرها يسوق [١] إلى [٢] حداة الركائب، وتشوق منه لقاء الحبايب وتثني على مكارمه التي كلما أقلعت منها سحائب أعقبت بسحائب، ونبدى لعلمه الكريم كيت وكيت، والقصد من المقر الكريم كيت ". والترجمة " أخوه "، تعريفه " صاحب ماردين ".

تنبيه: قال فى التثقيف: ويتعين أن تكون ألقابه إلى آخر اللقب الملوكى فى سطرين سواء، وأن يكون لقبه الخاص [٣] أول السطر الثالث ".

أقول إن اللنك أسر الظاهر عيسى المذكور وأقام معه فى بلاده ثلاث سنين والملك الصالح ابن عمه فى ماردين ثم رضى اللنك عنه وأخلع عليه وأعاده إلى مملكة ماردين، فأقام بها إلى توجه " جكم " [٤] لقتال قرايلوك بآمد فتوجه الظاهر عيسى نصرة لجكم على قرايلوك فقتلهما قرايلوك معاً ثم عاد الصالح لمملكة ماردين فتسلط عليه قرايلوك فأسلمها الصالح لقرا يوسف ويعوض عنها الموصل[٥] واستمرت نواب قرا يوسف بالموصل إلى سنة خمس وثلاثين [٦] فاستولى عليها حمزة بن قرايلوك [٧] بالحيلة وهي بيده إلى الآن.

الثاني: صاحب حصن كيفا، والحصن مدينة من ديار بكر من بلاد الجزيرة بين دجلة والفرات، قال فى التعريف: وصاحبها من بقايا الملوك الأيوبية، وممن تنظر إليه ملوك مصر بعين

---

(١) تسوقه: الصبح، ج٧ص٢٦٦؛ وهي فى التعريف كالثغر، ولكن محقق التعريف صححها كما فى الصبح، انظر التعريف، ص٥١ هـ ١.

(٢) إليه: التعريف، نفسه؛ صبح، نفسه.

(٣) العادى وهو الفخرى: التثقيف، ص٢٠؛ صبح، نفسه.

(٤) هو جكم بن عبد الله أبو الفرج الظاهرى، من مماليك الظاهر برقوق، تولى عدة نيابات فى الشام مثل دمشق وحلب، ثم ثار على الناصر فرج وتسمى بالسلطنة، ولقب نفسه بالعادل، كان قتله على يد قرايلوك عام ٨٠٩ هـ. ابن حجر: إنباء الغمر، ج٢، ص٣٦٤ ـ ٣٦٦.

(٥) تصالح الصالح أحمد صاحب ماردين مع قرا يوسف على أن يزوجه ابنته ويعطيه الموصل إلا إنه لم يكد يصلها إلا وتوفى بعد ثلاثة أيام وذلك عام ٨١١ هـ، وبذلك انتهى حكم أسرة بنى أرتق بماردين. ابن تغرى بردى: المنهل، ج١، ص٢٣٩ ـ ٢٤٠، ت رقم ١٢٧؛ السخاوى: الضوء، ج١، ص٢٣١.

(٦) انظر ابن إياس: وفيه جاءت الأخبار بأن قرايلوك يوسف قد استولى على ماردين وقتل متملكها وبعث بمفاتيح قلعتها إلى السلطان، ج٢، ص١٤١.

(٧) حمزة بن قرايلوك استولى على ماردين وكان يصانع الأشرف برسباى، وظل يحكمها إلى أن توفى عام ٨٤٨ هـ. ابن تغرى بردى: النجوم، ج١٥، ص٥٠٨.

الأجلال لمكان ولائهم القديم، واستمرار الود فيهم. وأن القائم بالمملكة بها الآن الملك الكامل خليل بن الملك [٢٥٩ ب] الأشرف أحمد بن الملك العادل سليمان أخو الملك العادل داود بن الملك الصالح أبو بكر بن الملك العادل غازى بن الملك العادل مجير الدين محمد بن الملك الكامل أبو بكر بن الملك الموحد تقى الدين عبد الله بن الملك المعظم سيف الدين توران شاه ابن الملك الصالح نجم الدين أيوب سقى الله تعالى عهدهم. وأن هذا الملك الكامل تولى فى آمد سنة ست وثلاثين وثمانمائة [(١)] بعهد من أمير المؤمنين المعتضد بالله داود وكتب له تقليد ولبس تشريف من السلطان بذلك.

مهمة: أنكر فى التعريف [(٢)] شهاب الدين غازى وقال إنه لا حقيقة له لأن غازى لقب بالعادل، ووالده مجير الدين لقب بالعادل أيضاً، ولا يمكن أن يكون ملك يلقب بلقب والده الملوكى.

قلت: وفيما قاله رد من حيث أن غازى لم يكن أخذ عن والده، بل أخذ عن عمه العادل داود بن الصالح أبو بكر ابن العادل غازى المذكور، ولا امتناع فى أن يكون تلقب الولد بلقب والده الملوكى. فأن الناصر حسن تلقب بالناصر بلقب والده الناصر محمد، وأخيه أحمد لقب بالناصر أيضاً.

وملوك الحصن ذوى خير ودين وتعلق بصناعة الشعر، ورسم المكاتبة إلى القائم منهم بالملك على ما ذكره فى التعريف " أدام الله تعالى نعمة المجلس العالى، الملكى، الفلانى ـــ باللقب الملوكى ـــ [الأجلى] [(٣)]، العالمى، العادلى، المجاهدى، المؤيدى، المرابطى، المثاغرى، الأوحدى، الأصيلى، الفلانى، عز الإسلام والمسلمين، بقية الملوك والسلاطين، نصرة الغزاة والمجاهدين، زعيم جيوش الموحدين، شرف الدول، ذخر الممالك، خليل أمير المؤمنين ". وإذا صغر قيل " عضد أمير المؤمنين "، والدعاء مثل " واستعاد به من الدهر من عهود سلفه ما تسلف، وحاز له

---

(١) تولى الملك الكامل الحكم من عام ٨٣٦ هـ إلى عام ٨٥٦ هـ. السخاوى: الضوء، ج٣، ص١٩١ ــ ١٩٢، ت رقم ٧٣٤.

(٢) من أنكر هذا الاسم هو صاحب التثقيف ابن ناظر الحبيش وليس الشهاب العمري صاحب التعريف. انظر: التثقيف، ص١٧.

(٣) ما بين الحاصرين من، التعريف، ص٥٢؛ والصبح كالثغر، ج٧، ص٢٦٩.

من مواريث الملك أكثر ما [١] خلا له أوله وما خلف، وحط الرحال [٢] فى حصن كيفا به على ملك [٣]، أما المستجير به فى تحصن، وأما فضله فلا يكيف، وأعان السحاب الذى يكل [٤] عـن مجاراته ويجرى هو ولا يتكلف، أصدرت هذه المكاتبة [٢٦٠ أ] إليـه ونوؤهـا يصـوب، ولألأوها تشق بها[٥] الظلماء الجيوب، وثناؤها على حسن بلائة فى طاعة ربه يقول لـه صـبراً [صبراً] [٦] كما تعودتم يا آل أيوب [٧] ونوضح لعلمه المبارك كيت وكيت "، تعريفه " صاحب حصن كيفا ".

وعلى ما أورده فى التثقيف فى قطع العادة " أدام الله تعالى نعمة المجلس العالى، الكبيرى، [العالمى] [٨]، المجاهدى، المؤيدى، المرابطى، المثاغرى، الأوحدى، [الصالحى، السيفى] [٩]، الفلانى الفلانى، عز الإسلام والمسلمين، زعيم جيوش الموحدين، ذخر الملـة، سـليل الملـوك والسلاطين، عضد أمير المؤمنين ".

والدعاء [١٠] مثل " وشكر محبته القديمة، وحفظ مودته المستديمة، وضـاعف مكارمـه العميمة، صدرت هذه المكاتبة إلى المجلس العالى، تهدى إليه سلاماً حسن وصفه، وثناء طـاب عرفه، ونوضح لعلمه المبارك كيت وكيت، والقصد من المجلس العالى أن يتقدم أمره المبارك بكذا وكذا "، والترجمة " أخوه " وتعريفه" صاحب حصن كيفاً ".

---

(١) الصواب: مما، التعريف، نفسه؛ صبح، ج٧، ص٢٧٠.

(٢) للرحال: صبح، نفسه.

(٣) الملك: التعريف، ص٥٣؛ صبح، نفسه.

(٤) كل: صبح، ج٧ص٢٧٠.

(٥) به: التعريف، ص٥٣؛ صبح، نفسه.

(٦) ما بين الحاصرتين من، التعريف، نفسه؛ صبح، نفسه.

(٧) يعقوب: العرف الناسم، ١٩أ.

(٨) ما بين الحاصرتين من، التثقيف، ص١٧؛ صبح، ج٧، ص٢٦٩.

(٩) ما بين الحاصرتين من، التثقيف، نفسه؛ والصبح كالثغر، ج٧، ص٢٧٠.

(١٠) الدعاء ساقط من التثقيف، وصبح.

أقول: إن رسم المكاتبة استقرت لصاحب الحصن فى الأيام المؤيدية [١] " أعز الله تعالى أنصار المقر الكريم "، ثم عادت فى أوائل دولة الأشرف برسباى " أدام الله تعالى نعمة المجلس العالى "، ثم استقرت فى سنة أربعين " المقر الكريم " مع الألقاب الواردة فى التعريف.

الصنف الثانى

ممن يكتب له من حكام البلاد بالجزيرة الفراتية

[الأكراد]

وهم ثلاثة عشر حاكماً:

الأول: الحاكم بالموصل، والموصل قاعدة بلاد الجزيرة وتعرف مملكتها بمملكة الجرامقة، ورسم المكاتبة إلى حاكمها فيما ذكره فى التثقيف فى قطع العادة " صدرت والسامى "، وكان أستولى عليها قرا يوسف وأقام بها نائباً من جهته وكتب له " صدرت والعالى "، والعلامة " والده "، وتعريفه " النائب بالموصل ".

الثانى: الحاكم بشمشاط [٢]، وشمشاط بلدة من ديار بكر بين آمد وخرت برت ورسم المكاتبة إلى حاكمها على ما ذكره فى التثقيف [٣] " صدرت والسامى "، وتعريفه " الحاكم بشمشاط "، وهى الآن فى جملة مملكة مصر.

الثالث: الحاكم بميافارقين [٤]، قاعدة ديار بكر قال فى التثقيف إن رسم المكاتبة [٢٦٠ب] إليه " هذه المكاتبة " [٥]، وتعريفه " الحاكم بيما فارقين "، وهى الآن بيد الأكراد.

---

(١) يقصد به أيام المؤيد شيخ ٨١٥ ـــ ٨٢٤ هـ.

(٢) تقع اليوم فى تركيا، وهى غير البلد المعروفة بسميساط.البلاذرى: فتوح البلدان، ق٣، ص٧٤١؛ لستراج: بلدان الخلافة، ص١٤٩.

(٣) مذكور فى الزيادات التى كتبها محقق التثقيف من صبح الأعشى. ج٧، ص٢٧٤، ولكنها موجودة فى مخطوط التثقيف المعروف بعنوان " إجابة السائل "، انظر إلى مخطوط إجابة السائل، ورقة ٤٧ أ.

(٤) تقع اليوم فى تركيا. البلاذرى: السابق، ق٣، ص٧٨٤.

(٥) على ما أورده محقق التثقيف من صبح، ج٧، ص٢٧٤ أنها " السامى بغير ياء ".

الرابع: الحاكم بسنجار [١]، وسنجار مدينة من ديار بكر، قال فى التثقيف: وكان كتب لشيخو الحاكم بها " مرسوم شريف بأن يكون نائبها [٢] حسب سؤاله فى ذلك "، وكان رسم المكاتبة إلى الحاكم بها " السامى بغير ياء "، وتعريفه " الحاكم بسنجار "، وأن المستولى عليها الآن أسبهان [٣] بن قرا يوسف.

الخامس: الحاكم بتل أعفر [٤]، وهى قلعة بين سنجار والموصل، قال فى التثقيف إن رسم المكاتبة إليه " صدرت والسامى "، وتعريفه الحاكم " بتل أعفر "، والآن فقد استولى عليها أسبهان بن قرا يوسف وأقام بها نائباً من جهته.

السادس: الحاكم بالحديثة [٥]، وهى غير حديثة الموصل، وأنها تعطف فى الذكر على عانة فيقال عانة والحديثة، قال فى التثقيف إن رسم المكاتبة إليه " صدرت والسامى "، وفى بعض الدساتير " هذه المكاتبة "، وتعريفه " الحاكم بالحديثة "، وهى الآن بيد عرب نعير.

السابع: الحاكم بعانة [٦]، بلدة صغيرة على جزيرة فى وسط الفرات، قال فى التثقيف: ورسم المكاتبة إليه " السامى بالياء ". وفى بعض الدساتير بغير ياء وتعريفه " الحاكم بعانة "، والآن فالمستولى عليها عرب نعير.

الثامن: الحاكم بتكريت، وهى مدينة من آخر مدن الجزيرة بين دجلة والفرات ورسم المكاتبة إليه على ما أورده فى التثقيف " صدرت والسامى "، وتعريفه " الحاكم بتكريت "، ووقع فى التعريف " صاحب تكريت "، والمستولى عليها الآن أصبهان بن قرا يوسف.

---

(١) تقع اليوم فى العراق بالجزيرة الفراتية. البلاذرى: السابق، نفسه؛ لسترنج: السابق، ص١٢٨.

(٢) نائباً بها: التثقيف، ص٤٨.

(٣) أصبهان: العرف، ورقة ١٩ أ. وفيما يلى كتب السحماوي هذا الاسم " أصبهان "؛ وذكره زمباور " أسبان " معجم، ص٣٨٤. وقد قتل أصبهان عام ٨٤١ هـ. ابن تغرى بردى: النجوم، ج١٥، ص٢٢٤.

(٤) تقع اليوم تل أعفر بسوريا. مدن الجزيرة فى العصور الإسلامية-الحسـ)عروس الجزيرة(ـكة.htm

(٥) وهى بلدة على الفرات قديمة، أعاد بناءها مدلاج بن عمرو السلمى. البلاذرى: فتوح، ص٧١١.

(٦) ويقال لعدة قرى بالفرات والجزائر الموجودة بها اسم " عانات ". البلاذرى: السابق، ق٣، ص٧٤٩؛ لى سترانج: السابق، ص٧٠.

التاسع: الحاكم بقلعة كشاف، ووقع فى التثقيف " الكشاف "، وهى قلعة فى الجنوب عن الموصل بين الفرات والشط، وعدها فى تقويم البلدان مرة من بلاد الجزيرة، ومرة من عراق العجم، قال فى التثقيف: إن رسم المكاتبة إليه " صدرت والسامى "، وتعريفه " الحاكم بقلعة كشاف "، وهى الآن بيد أصبهان.

العاشر: صاحب قلعة فدك [١]، ويقال " فتك "، وهى مدينة بها قلعة حصينة فوق جزيرة ابن عمر بقدر فرسخ على جبل عظيم قريباً من الدجلة، ورسم المكاتبة إليه ---- [٢]. [٢٦١ أ]

الحادى عشر: صاحب أكمل [٣]، وهى على كفر [٤] ماردين، ورسم المكاتبة إليه "صدرت والعالى"، وتعريفه " صاحب أكمل]، والقائم بها الآن الأمير دولات شاه من الأكراد.

الثانى عشر: الحاكم بإسعرد، وتتبدل فيها غالباً العين بحاء، ويقال فيها سعرد وهى مدينة من ديار ربيعة، ورسم المكاتبة إليه " مجلس الأمير " وتعريفه " الحاكم بإسعرد "، وهى الآن مضافة إلى صاحب حصن كيفا.

الثالث عشر: صاحب حانى، على وزن داعى، قال السمعانى: يقال فيها " حنا "، وهى مدينة من ديار بكر، ورسم المكاتبة إلى صاحبها " هذه المكاتبة "، وتعريفه " صاحب حانى "، والمستولى عليها الأكراد فى زماننا.

أما حكام الأكراد غير هؤلا فثلاثة:

الأول: صاحب عقر شوش، قال فى التعريف: إن ملوكها كانوا من أولاد المبارزكك، مبارز الدين كك هذا رجلاً شجاعاً كريماً غلب [٥] عليه [غرائب من] [٦] الهوس فادعى [٧] أنه ولى من الأولياء يقبل النذر، فتأتى إليه النذور تقرباً لخاطره فى أخذها، ويضاف إليها مثلها

---

(١) موجودة عند القلقشندي فى صبح " فنك "، انظر ج٤، ص٣٢٦.

(٢) بياض فى الأصل، وفى العرف أيضاً، ورقة ٢٠ أ.

(٣) غير موجودة عند القلقشندي فى صبح، انظر ج٧، ص٢٧٤ - ٢٧٦.

(٤) الصواب: قريبة من، العرف، نفسه.

(٥) تغلب: التعريف، ص٥٨؛ صبح، ج٧، ص٢٨٤.

(٦) ما بين من، التعريف، نفسه؛ وصبح كالثغر، نفسه.

(٧) فيدعى: التعريف، نفسه؛ صبح، نفسه.

من ماله [١] ويتصدق بهما جميعاً. قال: وأهل هذا البيت يدعون عراقة الأصل فى الإمرة وقدم السؤدد فى الحشمة ". وموقع بلادهم من أطراف بلادنا قريب، والمدعو منهم من الرحبة وما جاورها يكاد يجيب. قال: وملوكنا تشكرهم إخلاص نصيحة، وصفاء سريرة صحيحة، وأن رسم المكاتبة إليه " أدام الله تعالى نعمة المجلس العالى ". وقال فى التثقيف: أن رسم المكاتبة إلى خضر " صدرت والعالى "، والعلامة " والده " [٢] وتعريفه " خضر بن المبارزكك ".

قلت: أن عقرشوش مدينتين اجتمع لفظهما معاً، أحدهما عقر وهى أمدها وبها حاكماً يسمى الأمير شمس الدين محمد من الأكراد، ورسم المكاتبة إليه " صدرت والسامى "، وتعريفه " شمس الدين محمد "، الثانية شوش دون عقر وحاكمها هو الحاكم على العمادية وهو الآن " شمس الدين محمد " ومكاتبتة مكاتبة صاحب العمادية.

الثانى: الحاكم بحيزان: وأصلها يقال حى بنى زان، وهى مدينة بديار بكر، ورسم المكاتبة إليه على ما أورده فى التعريف [٣] " السامى بالياء "، وتعريفه " الحاكم بحيزان ".[٢٦١ ب] وهى الآن بيد الأمير داود.

الثالث: الحاكم بجزيرة ابن عمر[٤] وهى مدينة صغيرة من جنوبى الجزيرة وقد استقر رسم المكاتبة إليه " أدام الله نعمة المجلس العالى "، والعلامة " والده "، وتعريفه " الحاكم بجزيرة ابن عمر "، والقائم بها الآن من الأكراد الأمير عبد الله.

---

(١) وكانت تنذر له النذور تقرباً إليه بما تنفق عليه لا اعتقاداً فيه فيسر بذلك، فإذا أتاه النذر أضاف إليه مثله من ماله، التعريف، ص٥٩.

(٢) أخوه: التثقيف، ص٧٤.

(٣) لم يورد فى التعريف ولكن فى التثقيف، ص٥٧.

(٤) ذكره القلقشندي فى حكام الجزيرة الفراتية. انظر: صبح، ج٧، ص٢٧٤. وهى اليوم تقع فى سوريا. انظر: مدن الجزيرة فى العصور الإسلامية–الحســ)عروس الجزيرة(ــكة.htm

الصنف الثالث

ممن يكاتب بالجزيرة الفراتية

العربان

والمكاتبون بها قبيلة واحدة تسمي عبادة، وهم بنوعبادة بن عقيل بن كعب بن عامر بن صعصعة. قال ابن سعيد: ومنازلهم بالجزيرة مما يلى العراق، ولهم عدد وكثرة، وكان لهم دولة ملكوا فيها حلب والموصل فى أوساط المائة الخامسة، فلما خرجت الدولة منهم عادوا إلى البادية. قال فى التعريف: ومن عبادة بنو عز وهم جماعة كبيرة. قال: وأصل من تكتب إليه منهم " هذه المكاتبة ". على أن صاحب التثقيف قال: أنه لم يطلع لهم على مكاتبة. وكذلك فى زماتنا لأنه لم يكن لهم مقرة وهم ينزلون ويرحلون فيما يختارونه من الأماكن.

الصنف الرابع

ممن يكاتب بالجزيرة الفراتية

التركمان

قال فى التثقيف: والأكابر بالبلاد بالبلاد الشرقية ممن [١] يكتب إليهم من هذه الطائفة مفرداً [لقليل منهم] [٢]، أما بقيتهم من عربان [٣] الطاعة [الشريفة] [٤] فقد يكتب لهم [٥] عند المهمات مطلقات [شريفة] [٦]. ثم ذكر جماعة ممن يكتب إليه عند انفرادة منهم، ولم يعين لأحد منهم مكاناً، وأعلى ما ذكره من رسم المكاتبة إليهم " صدرت والسامى "، ودونه " هذه المكاتبة ".

---

(١) الذين: التثقيف، ص٧١.

(٢) قليل: التثقيف، نفسه.

(٣) الصواب: تركمان، التثقيف، نفسه.

(٤) ما بين الحاصرتين من، التثقيف، نفسه.

(٥) إليهم: التثقيف، نفسه.

(٦) ما بين الحاصرتين من،التثقيف، نفسه.

[الإقليم الثانى]

عراق العجم

والمكاتبون بها إثنان:

الأول: الحاكم بهيت، وقد عبر عنه فى التعريف " بصاحب هيت [1] "، وهى مدينة بأعمال بغداد على ثلاثة مراحل منها، وهى بشاطئ الفرات، قال فى التثقيف: ورسم المكاتبة إليه " السامى" بالياء، وتعريفه " الحاكم بهيت "، وفى التعريف " صاحب هيت " وهى الآن بيد أصبهان.

الثانى: الحاكم بالقنيطرة، وهى مدينة بالقرب من مرسى الحلة، وتعرف بقنطرة على باشاه، ورسم المكاتبة إليه " السامى " بالياء، وتعريفه " الحاكم بالقنيطرة "، ويعبر عنه أيضاً " بصاحب القنيطرة ". [٢٦٢ أ] وهى الآن بيد أصبهان.

أما عربان العراق. فلم يكاتب منهم غير قبيلة واحدة وهى خفاجة، وهم من خفاجة بن عمر بن عقيل بن عامر بن صعصعة. قال المؤيد صاحب حماة: وهم أمراء العراق من قديم الزمان والى الآن. ورسم المكاتبة لهم " هذه المكاتبة " والعلامة الاسم، وتعريف أميرهم " فلان أمير خفاجة ".

الإقليم الثالث

بلاد فارس

وهى قاعدة بلاد الفرس، وكُتب إلى شاه شجاع أخو شاه ولى فى سنة ثلاث وستين وسبعمائة فى قطع الثلث " ضاعف الله تعالى نعمة الجناب العالى "، ويضاف إليها " النوينى "، والعلامة " أخوه "، وتعريفه اسمه، ولم تقع من أيام اللنك والى زماننا المكاتبة لمثله، فإن بلاد فارس دخلت تحت أمر اللنك وتنقلت فى بنيه بعده إلى زماننا.

---

(١) لم أجد له أثر فى التعريف، وإن ذُكر أيضاً فى صبح، ج٧، ص٢٧٧.

[الإقليم الرابع]

كرمان [١]

وهو صقع كبير بين فارس وسجستان، وكان المكاتب بها " صاحب هرمز "، فلما خرجت هرمز أنتقلوا أهلها عنها إلى جزيرة تسمى زمرون [٢] قريبة إلى البر غير هرمز العتيقة. وهذه الجزيرة هى قاعدة الملك بكرمان وهى تحت أمر شاه رخ، وكان رسم المكاتبة لصاحب كرمان " أعز الله تعالى نصرة الجناب الكريم " والترجمة " أخوه " وتعريفه " صاحب كرمان ".

[الإقليم الخامس]

أرمينية

شرقي بلاد الروم المتقدمة الذكر، والمكاتبون بها سبعة:

الأول: النائب بخلاط [٣]، قال فى تقويم البلاد [٤]: ويقال فيها أخلاط. وكانت فى القديم قاعدة بلاد الكرج. قال فى التثقيف: إن رسم المكاتبة إليه " صدرت والسامى "، تعريفه " النائب بخلاط "، والقائم بها الآن الأمير سيف الدين أبو بكر من الأكراد.

الثانى: الحاكم بحصن إرزن [٥]، وتعرف بارزن الروم وهى آخر حد الروم من الشرق، وفى شرقها وشمالها منبع الفرات، وهى غير إرزن القريبة من خلاط. قال فى التثقيف: ورسم المكاتبة إليه كرسم المكاتبة إلى صاحب حصن كيفا قديماً وتبدل " الملكى " بـ " الأميرى "، والترجمة " أخوه "، وتعريفه [٢٦٢ ب] " صاحب إرزن "، وهى الآن بيد أولاد قرايلوك والمكاتب منهم على بلك، ورسم المكاتبة إليه " صدرت والعالى "، والعلامة " والده ". تعريفه " على بلك بن قرايلوك ".

---

(١) وموضعها اليوم بين إيران وأفغانستان. لى سترانج: بلدان، ص٣٣٧.

(٢) وزرون: صبح، ج٧، ص٢٧٨؛ زندون: العرف، ٢٠ب؛ وقد أورد ياقوت اسم " وزوان " قائلاً: أحسبها من قرى أصبهان. معجم، ج٥، ص٣٧٥.

(٣) خلاط كانت عاصمة إقليم أرمينية هى بتركيا الآن. البلاذرى: فتوح، ق٣، ص٧٢٠؛ ياقوت: معجم، ج٢، ص٣٨٠؛ لى سترانج: بلدان، ص٢١٨.

(٤) الصواب: البلدان.

(٥) ياقوت: معجم، ج١، ص١٧٣.

الثالث: صاحب بدليس [١]، وهى مدينة مسورة بين ميافارقين وخلاط، ورسم المكاتبة إليه " صدرت والسامى "، تعريفه " صاحب بدليس "، وهى الآن بيد الأمير محمد من الأكراد.

الرابع: النائب بخرت برت، ويعرف بحصن زياد، قال فى التثقيف إنها فى جملة تركمان البلاد الشرقية، ورسم المكاتبة إلى نائبها " صدرت والسامى "، وقد دخلت فى الحوزة الشريفة فى عام أربعين وثمانمائة فى الأيام الأشرفية برسباى عز نصره، وقد تقدم ذكرها مع نواب المملكة الحلبية فى رسم المكاتبة.

الخامس: أرزنجان [٢]، ويقال أرزنكان، قال فى التعريف: إنه بلد صغير وصاحبه كبير، وإنه كان فى زمانه يلقب بالملك الظاهر، وإنه من أل سلجوق، وإنه يتهم بدين النصرانية. وقال: إن رسم المكاتبة له " صدرت هذه المكاتبة إلى المجلس السامي، الملكى، الفلانى، الأصلى، الكبيرى، العالمى، المجاهدى، المؤيدى، المرابطي، الأوحدى، الفلانى، عز الإسلام، شرف الملوك والسلاطين، نصره الغزاة والمجاهدين، ولى أمير المؤمنين ". والدعاء " أطال الله سعادته، وأجرى بالخير عادته "، والعلامة " أخوه "، وتعريفه " صاحب أرزنجان ". وقال فى التثقيف: أرزنكان. وهى الآن بيد يعقوب [٣] بن قرايلوك، ورسم المكاتبة إليه كما كتب لأخيه على بك " صدرت والعالى "، والعلامة " والده "، وتعريفه " يعقوب بك بن قرايلوك ".

السادس: صاحب آمد [٤]، وهى مدينة حصينة مسورة بالحجر الأسود، وشرب أهلها من الدجلة، توجه إليها السلطان الأشرف برسباى بعسكر عظيم فى سنة ست وثلاثين وثمان مايه

---

(١) ياقوت: السابق، ج١، ص٣٥٨.

(٢) ويطلق عليها ياقوت أرزنان، وأهلها يطلقون عليها أرزنكان. السابق، ج١، ص١٥٠.

(٣) الصواب: حمزة: العرف، ٢٢أ. وقد ظل يحكم من عام ٨٣٩ حتى عام ٨٤٨ هـ. زمباور: معجم، ص٣٨٤.

(٤) تقع هذه البلدة فى إقليم الجزيرة. ياقوت: السابق، ج١، ص٥٦؛ وتقع هذه المدينة اليوم فى تركيا. البلاذرى: فتوح، ص٦٨١.

فأقام عليها [ستة أشهر ونصف] (١) ولم يقدر على أخذها، وكانت بيد قرايلوك، فلما مات أخذها ولده على بك (٢) وهو بها إلى الآن ورسم المكاتبة إليه والتعريف على ما تقدم فى مكاتبته.

السابع: ارقتين، وهى قلعة حصينة على جبل عظيم على يوم من مدينة آمد [٢٦٣ أ] ولم يورداها فى التعريف ولا التثقيف، وهى الآن بيد أولاد قرايلوك.

[الإقليم السادس]

شاريق بلاد الروم

وقاعدته مدينة أرميال، وسيأتى الكلام عليها فى الجهة الثانية فى مكاتبة أمراء الأتراك. قال فى التثقيف إنه كان بها على بك بن محمد بن أرتنا، وكانت المكاتبة إليه فى قطع الثلث " ضاعف الله تعالى نعمة الجناب العالى " والترجمة " أخوه "، ثم استقرت " والده "، والآن فالمستولى على هذا الإقليم الأمير صارم الدين إبراهيم بن محمد علاء الدين بن خليل بن قرمان بن محمود بن قرمان (٣). ورسم المكاتبة إليه فى الثلث " ضاعف الله تعالى نعمة الجناب العالى "، والدعاء مثل " ولا زالت كفالته تجمع المصالح، وسعادته تفتح أبواب المناجح، ومقاصده الجميلة تثنى عليها كل غاد ورائح، صدرت هذه المكاتبة إلى الجناب العالى تبدى إليه سلاماً رونقه وسيم، وثناه من الخير مقيم، ونوضح لعلمه المبارك كذا وكذا "، والترجمة " أخوه "، تعريفه " إبراهيم بك بن قرمان ".

---

(١) ما بين الحاصرتين من، ابن إياس: بدائع الزهور، ج٢، ص١٥٢؛ وعن تفاصيل هذه الحملة. انظر: المقريزى: السلوك؛ ابن تغرى بردى: النجوم؛ ابن إياس: بدائع الزهور، فى حوادث عام ٨٣٦ هـ من شهر رجب إلى المحرم من عام ٨٣٧ هـ.

(٢) هو جلال الدين على، ظل ينافس أخاه حمزة من عام ٨٣٩ حتى عام ٨٤٢ هـ. انظر: زمباور: السابق، ص٣٨٤.

(٣) تولى الحكم فى الفترة من عام ٨٢٧ إلى عام ٨٦٨ هـ. زمباور: معجم، ص٢٣٦.

[الإقليم السابع]

كيلان [1]

ويقال فيها كيل، وقال فى المشترك: جيلان وجيل. قال: وهو اسم لصقع واسع مجـــاور لبلاد الديلم ليس فيه قرى كثيرة ولا مدينة عظيمة، وجميع بنيانها وفرش أرضها بالطين الآجـــر، وبها أربعة قواعد. الأولى بومن، الثانية تولم، الثالثة كسكر، الرابعة الأهجان، وهى أكبر مـــدن الإقليم وكرسى الحاكم بها الآن. قال فى التعريف: ورسم المكاتبة إلى ثلاثة منهم " أدام الله تعالى نعمة المجلس العالى، الملكى، الفلانى "، وتكمل كمكاتبة صاحب حصن كيفا، وتعريفه " الحاكم بفلانة ". والرابع صاحب بومن يكتب له " الجناب العالى "، وبقية الألقاب المتقدمة. ولم يذكر فى التثقيف مكاتبة كتبت لأحد منهم فى مباشرته.

[الإقليم الثامن]

خراسان [2]

وكان المكاتب به قبل استيلاء اللنك علية صاحب هراه [3]، والجارى على الألسن هرى بضم الهاء وكسرها وإسقاط الهاء الأخيرة. وكانت مدينة عظيمة خربتها [٢٦٣ ب] التتر، ثم استولى عليها اللنك وهى الآن مقرة ولده شاه رخ وموطن عسكره، وكان رســم المكاتبــة إلى صاحبها قديماً فى قطع العادة " أعز الله تعالى نصرة المقر الكريم " إلى آخره، ويكتب فى نعوته " شرف الملوك والسلاطين، خليل أمير المؤمنين "، والدعاء " وأيد عزائمه ونصرها، وأعلى أعلامه ونشرها، ودفق مقاتل الأعداء حين تشرف الأسنة نظرها، صدرت هذه المكاتبة إلى المقر الكريم تهدى إليه سلاماً طاب نشره، وثناء فاح عطره، ونبدى لعلمه الكريم كيت وكيت "، والترجمة " أخوه "، وتعريفه " صاحب هراة ".

---

(١) وهى جزء من بلاد أذربيجان والرى، تقع غرب طبرستان. ياقوت: معجم، ج٢، ص٢٠١؛ أبو الفداء: تقويم، ص٤٢٦.

(٢) إقليم خراسان المذكور المقصود به الإقليم الجغرافى الواقع فى شمال شرق إيران وجنوب روسيا وغرب أفغانستان. البلاذرى: فتوح، ق٣، ص٧١٨؛ لى سترانج: بلدان، ص٤٢٣.

(٣) تقع فى أفغانستان الحالية.

[الإقليم التاسع]

الدربند [١]

والمكاتبون به اثنان:

الأول: صاحب باب الأبواب، قال فى تقويم البلدان: وتعرف فى زماننا بباب الحديد، وهو على بحر طبرستان كالحد بين بيت بركة، وبيت هولاكو من بنى جنكز خان. قال فى التثقيف إن رسم المكاتبة إليه فى الثلث " أدام الله نعمة الجناب ". ورأيت فى بعض الدساتير " المجلس العالى "، والدعاء مثل " ولا زالت أقمار محاسنه على الخلائق طالعة، وسطوات همته على الطاغين قامعة، وبروق نواله على الواقدين لامعة، صدرت هذه المكاتبة إلى الجناب أو المجلس العالى تهدى إليه سلاماً مشرقاً، وثناء مستبقاً، ونوضح لعلمه المبارك كيت وكيت "، والترجمة " أخوه "، وتعريفه اسمه، وهى الآن بيد إسكندر بن إسفنديار.

الثانى: صاحب توفان، ويقال فيها توعان بإبدال الفاء عيناً وهى سرحات وأراض بين نهرين، وكانت مدينتها بيلقان [٢] فخربت وصارت مدينتها قرا باغ [٣] وهى مشتى ملوك توريز، قال فى التثقيف: ورسم المكاتبة إليه " هذه المكاتبة " وتعريفه " صاحب توعان "، وهى الآن تحت أمر شاه رخ وبها الأمير خليل من الترك.

---

(١) وهى المدينة الواقعة على بحر طبرستان، وهى المدخل لبلاد الخزر وما يليها. ياقوت: معجم، ج١، ص٣٠٣؛ القلقشندي: صبح، ج٤، ص٣٦٤. الدربند:هو(كلي علي بل) الوقع بين سلسلتي جبال كوره ك ونواخين انظر: www_amude_com-ewraq - Ewraq Kurdiye – أوراق كردية..htm.

(٢) هى إحدى المدن القريبة من الدربند، وعدها البعض من إقليم أرمينية الكبرى. ياقوت: السابق، ج١، ص٥٣٣.

(٣) هى مصيف يقع بين مدينة السلطانية وتبريز. ابن تغرى بردى: النجوم، ج١٢، ص٢٦٤ هـ٥.

[الإقليم العاشر]

بلاد الجبل

وتعرف بعراق العجم وتعرف بكوبى [٢٦٤ أ]، وهو بالفارسية الجبل، والمكاتبون بها ضربان:

الأول: حكام البلاد، وقد ذكر فى التثقيف منهم ثلاثة أولهم صاحب أربل وهى مدينة من بلاد الجبل قاعدة بلاد شهرزور [١]، قال فى المشترك إن بينها وبين الموصل يومان خفيفان، وكان رسم المكاتبة إلى صاحبها " هذه المكاتبة "، وتعريفه " صاحب أربل "، والمستولى عليها الآن أصبهان بن قرا يوسف. وثانيهم صاحب قاشان [٢] وسماها فى التثقيف قيشان وتعرف بكاشان، وكان رسم المكاتبة إلى صاحبها " هذه المكاتبة "، وتعريفه " صاحب قيشان "، والمستولى عليها الآن شاه رخ، وأقام بها نائبه. الثالث صاحب باب الحديد، وقد تقدم الكلام عليه فى بلاد الدربند.

الضرب الثانى: ممن يكاتب ببلاد الجبل الأكراد بجبال عراق العجم [٣]، قال فى التعريف: وهم خلائق لا يحصون، وأمثلهم صاحب جولمرك بلدة بجبال الأكراد، وبها قلعة عاصية، وكانت الإمرة فيها فى اسد الدين موسى وهى الآن بيد فيروز بك بن السلطان أحمد بن الملك عز الدين من ذرية أسد الدين المذكور، ورسم المكاتبة إلى صاحبها على ما أورده فى التعريف " أدام الله تعالى نعمة المجلس العالى " إلى آخر الألقاب. والدعاء مثل " ولا زال عالياً قدره، نافذاً فى المصالح بنهيه وأمره، جارياً على الألسنة حمده وشكره، صدرت هذه المكاتبة إلى المجلس العالى تهدى إليه سلاماً طاب نشره، وثناء حسن ذكره، ونوضح لعلمه المبارك كيت وكيت "، والورق فى قطع العادة، والترجمة " أخوه "، وتعريفه " صاحب جولمرك ".

---

(١) وهى كورة واسعة تقع بين أربل وهمذان، وتقع اليوم بالعراق وتسمى السليمانية. البلاذرى: فتوح، ق٣، ص٧٤١؛ ياقوت: معجم، ج٣، ص٣٧٥؛ لى سترانج: بلدان، ص٢٢٥. Iraqi Sites Guide – دليل المواقع العراقية.htm

(٢) هى مدينة كبيرة قرب أصبهان بإيران. البلاذرى: السابق، ق٣، ص٧٥٩؛ ياقوت: السابق، ج٤، ص٤٣٠؛ لى سترانج: السابق، ص٢٤٤.

(٣) وعن إمارات الأكراد ودولهم، انظر: محمد أمين زكى: تاريخ الدول والامارات الكردية، ترجمة محمد على عونى، القاهرة ١٩٤٥؛ زمباور: معجم، ص٣٩٥ ــ ٣٩٨.

مهمة: قال فى التثقيف إنه يُكَاتب من حكام هذه البلاد جماعة كثيرة، والمشهور من حكامها سبعة:

الأول: صاحب الدربنده، وهى مكان مضيق فى واد متسع، وبه نهر عظيم وأشجار وغالبها غير مثمر، والمستولى عليها الآن أسد الدين صاحب جولمرك، وكان رسم المكاتبة إلى الحاكم بها " هذه المكاتبة "، وتعريفه " الحاكم بالدربنده ".

الثانى: صاحب [٢٦٤ ب] كرم قيس، وشهرتها كرم ليس، وهى بلدة صغيرة من عمل الموصل، كثيرة الكروم، وغالب أهلها نصارى، وبها قلعة لطيفة، ورسم المكاتبة إلى صاحبها " صدرت والسامى "، وتعريفه " صاحب كرم قيس ".

الثالث: صاحب العمادية [١]، وهى بلدة لطيفة على ثلاث مراحل من الموصل، وهى والقلعة سواء على جبل من الصخر، كثيرة البساتين والمياه، ورسم المكاتبة إلى صاحبها " صدرت والسامى "، وتعريفه " صاحب العمادية "، والمستولى عليها الآن الأمير محمد من الأكراد المستولى على عقرشوش.

الرابع: صاحب مناز كرد [٢]، ويقال ملازكرد، وهى قلعة حصينة بوسط جبل مرتفع، ورسم المكاتبة إلى صاحبها " صدرت والسامى "، وتعريفه " صاحب مناز كرد "، والمستولى عليها الآن الأمير أسد الدين المذكور.

الخامس: صاحب جرذقيل [٣]، وهى قلعة حصينة من عمل جزيرة ابن عمر، والمستولى عليها الآن من الأكراد الأمير شمس الدين محمد ورسم المكاتبة إليه " صدرت والسامى "، وتعريفه " صاحب جرذ قيل ".

السادس: صاحب رندشت بجبال همذان وشهرزور، ورسم المكاتبة إليه " صدرت والسامى "، وتعريفه " صاحب رندشت ".

السابع: صاحب برجوا، ورسم المكاتبة إليه كذلك.

---

(١) كانت أولاً تعرف " بخرجة "، ثم استولى عليها عماد الدين زنكى من الأكراد فنسبت إليه باسم العمادية. ياقوت: معجم، ج٤، ص١٤٩.

(٢) ويقال لها مناز جرد، وهى بين خلاط وأرض الروم. ياقوت: السابق، ج٥، ص٢٠٢.

(٣) يذكر ياقوت أنها كانت كرسى مملكة الأكراد. السابق، ج٢، ص١٢٤.

الثامن: صاحب البلهتية، ورسم المكاتبة إليه كذلك، وتعريفه " صاحب البلهتية ".

التاسع: صاحب هرمان، وهي أرض فسيحة قريبة من خرت برت، وكان رسم المكاتبة إلى صاحبها " يعلم مجلس الأمير "، وقد استولى عليها على بك بن قرايلوك المذكور. واعلم أن صاحب التثقيف ذكر جماعة من الأكراد لقلاع [١] عديدة وبلاد غالبها وعر وهي سكراك، وشنكوش، وتيس، وأران. وقال إنه وقف على أسماء أماكن وصاحبها. لكن لم يقف لهم على مكاتبة وهي ايدهر أو خفتييان، وسونج، واكريسنا، أو براز كرد، زاب، والزيتية، والقرابلية، وقلعة الجبلين، وسيدكان، وهرور، ورمادان، والسياسة، ونمرية، وساج، والمحمدية [٢]، [٢٦٥ أ] وكزليك ونحوهم. ولا يزاد لأحد من أصحاب الأماكن المذكورة فى مكاتبته عن " يعلم مجلس الأمير "، ويعرف بجهته.

فائدة: حيث ما وقع التعريف فى المكاتبة " بصاحب فلانة " فيقتضى أنه أخذها عن أسلافه الذين ملكوها، فإن وقع فى التعريف " الحاكم بفلانة " فيقتضى أن يكون المكاتب حادث فى الاستيلاء على تلك الجهة ولم يأخذها عن سلفه، فإن وقع التعريف " بنائب فلانة " فى كون المكاتب نائباً فيها غير مستأهل لها.

المملكة الثانية

مملكة توران [٣]

قال فى التعريف: وهى من نهر بلخ إلى مطلع الشمس على سمط [٤] الوسط فما أخذ عنها جنوباً كان بلاد السند ثم الهند، وما أخذ عنها شمالاً كان بلاد [القفجاق ويقال القبجاق والخفجاق] [٥] وبلاد الصقلب وبلاد الجهاركس والروس والمجار ومن جاورهم من طوائف الأمم المختلفة سكان الشمال. قال: ويدخل فى هذه المملكة ممالك كثيرة وبلاد واسعة وأعمال

---

(١) انظر التثقيف، ص٧٦_ ٨١؛ صبح، ج٧، ص٢٨٦ – ٢٨٨.

(٢) المهمدية: التثقيف، ص٨١.

(٣) توران كما ذكر ياقوت الحموى هو اسم لبلاد ما وراء النهر بمجموعها الواردة فى وصفها الآتى بعد ذلك. معجم، ج٢، ص٥٧.

(٤) الصواب:سمت، التعريف، ص٦٥؛ صبح، ج٧، ص٢٩٣.

(٥) بلاد الخفجاج وهم طائفة القبجاق: التعريف، نفسه؛ صبح، نفسه.

شاسعة] [١] وأمم مختلفة لا تحصى. وإن هذه المملكة تمتد على بلاد غزنة [٢]، والباميـــان[٣]، والغور [٤]، وخوارزم، ودوشت [٥] القبجاق، وما ورا النهر نحو بخارى، وسمرقند، والصغد [٦]، وخوجند [٧]، وبلاد تركستان، وأشروسنة [٨]، وفرغانة [٩]، وبـــلاد صـــاغون [١٠]، وطـــراز وفرير[١١] وبلاد الخطا، نحو بشمالق والمالق إلى قراقرم وما وراء ذلك من بلاد الصين، وصـــين الصين. وهذه المملكة هى مملكة الترك فى القديم وتعرف بمملكة الخاقانية لأنهم يسمون ملكهـــم خاقان، وكانت فى القديم بيد أفر اسياب بن شنك بن رستم بن ترك ابن كومر بن سام [١٢] بن نوح عليه السلام على خلاف فى نسبه وهو ملك الترك فى زمن موسى عليه السلام. وهى الآن فى ولد طوجى بن جنكز خان وهذه المملكة صادرت بيد ثلاث قانات:

---

(١) ما بين الحاصرتين من، صبح، نفسه.

(٢) ويقال لها جزنة، ويطلق على مجموع بلادها زابلستان، والإقليم يقع بين خراسان والهند. ياقوت: السابق، ج٤، ص٢٠١.

(٣) إحدى المناطق الواقعة بين بست وكابل. ياقوت: السابق، ج٣، ص١٨٣.

(٤) الغور بلاد واسعة باردة المناخ بين هراة وغزنة، وقد عرفها ياقوت بأنها غرشستان. ياقوت: السابق، ج٣، ص٢٦٥، ج٤، ص٢١٨.

(٥) الصواب: دشت.

(٦) قيل هى كورة عاصمتها سمرقند، وقيل بل اثنتان والثانية عاصمتها بخارى. ياقوت: السابق، ج٣، ص٤٠٩.

(٧) إحدى بلاد ما وراء النهر من أعمال التركستان. ياقوت: السابق، ج٣، ص١٣٩.

(٨) بلدة كبيرة بين نهر سيحون وسمرقند. ياقوت: السابق، ج١، ص١٩٧؛ لى سترانج: السابق، ص٥١٧.

(٩) هى مدينة كبيرة تقع فيما وراء النهر متاخمة على حدود التركستان. البلاذرى: فتوح، ق٣، ص٧٥٦.

(١٠) هى بلدة كبيرة فيما وراء النهر. السابق، ص٤٨٣.

(١١) وصريوم: صبح، نفسه. وطراز يوجد منها مدينتان، إحداهما هى هذه الموجودة ببلاد الترك، والأخرى الموجودة بالقرب من أصبهان. ياقوت: السابق، ج٤، ص٢٧.

(١٢) الصواب: يافث، ومن المعروف أن الترك ينسبون إلى يافث بن نوح لا أخوه سام.

القان الأول

صاحب خوارزم [ودشت القبجاق] [١]

وتعرف فى القديم بمملكة صاحب السرير لسرير ذهب كان يجلس الملك [٢٦٥ ب] عليه، ثم عرفت فى الدولة الجنكزخانية ببيت بركه بن طوجى خان وهو أول من أسلم من ملوك بنى جنكز خان بهذه المملكة [٢]، وقاعدتها مدينة السراى وهى مدينة عظيمة على نهر أيل. قال فى التعريف: وكان فى الأيام الناصرية محمد بن قلاوون صاحبها أزبك خان، وما زال بينهم وبين ملوكنا قدم اتحاد وصدق وداد من أيام الظاهر بيبرس والى آخر وقت والمكاتبون بها على ضربين:

الضرب الأول: [فى رسم المكاتبة إلى قانها الأعظم] [٣]

قال فى التعريف: والأغلب أن يكتب إليه بالمغلية. قال: وذلك مما كان يتولاه أيتمش المحمدى [٤]، وتمربغا [٥] الناصرى، وأرغدلق الترجمان، ثم تولاه طوصون [٦] الساقى، وبذلك كتب عن الظاهر برقوق فى أوائل سلطنته الثانية بمباشرة القاضى بدر الدين الكلستانى وبذلك تولى كتابة السر عن القاضى بدر بن فضل الله.

---

(١) ما بين الحاصرتين من، العرف، ورقة ٢٦ أ.

(٢) زمباور: معجم، ص٣٦٣.

(٣) بياض فى الأصل، وما بين الحاصرتين من، العرف، ورقة ٢٦ب.

(٤) لعل العمري قصد به أيتمش أو أوتامش الأشرفى مملوك السلطان الأشرف خليل الذى قام الناصر محمد بإرساله إلى القان بو سعيد وكان يتقن اللغة المغولية، وتوفى عام ٧٣٦ هـ. ابن حجر: الدرر، ج١، ص٥٠٤، ت رقم ١١١٢.

(٥) طايربغا: التعريف، ص٧٠؛ صبح، ج٧ص٢٩٤. ويقال أيضاً طهربغا، أصله من المغول، ويقال إنه من أقرباء والدة الناصر محمد، ولاه خلاط ورقاه إلى أمير مائة عام ٧٢٧ هـ. ابن حجر: الدرر، ج٢، ص٣٩١، ت رقم ٢٠٤٩.

(٦) قوصون: التعريف، نفسه؛ صبح، نفسه.

أما إذا كتب إليه بالعربى فقال فى التثقيف إن المكاتبة إليه كالمكاتبة إلى صاحب إيران المتقدم ذكره، وقال إنه كان يكتب إلى أزبك (١) فى الأيام الناصرية محمد بن قلاوون (٢) فى عرض البغدادى الكامل وبعد البسملة الشريفة سطران هكذا:

بقوة الله تعالى

وميامين (٣) الملة المحمدية

ثم يخلى العلامة ويكتب الألقاب السلطانية وهى: [السلطان الأعظم، وبقية الألقاب إلى آخرها] (٤)، ثم بعد الحمد لله وخطبة مختصرة جداً، ثم يقول " صدرت هذه [المكاتبة] (٥) إلى الحضرة الشريفة، العالية، حضرة السلطان الكبير، الأخ الشقيق، [٢٦٦ أ]، العالم، العادل، القان المعظم (٦) الأوحد، شاهنشاه الملك أزبك [أل] (٧) الخان سلطان الإسلام والمسلمين أوحد الملوك والسلاطين عماد (٨) الملك سلطان المغل والقبجاق والترك، جمال ملوك الزمان ركن بيت جنكرخان، معز طمغاج (٩) صاحب التخت والتاج، غصن المتقين، ذخر المؤمنين، أعز الله سلطانه، ونصر جيوشه وأعوانه ".

---

(١) تولى أزبك غياث الدين محمد حكم القفجاق من عام ٧١٢ إلى عام ٧٤١. زمباور: السابق، نفسه.

(٢) فى حاشية المخطوط: لما وقع الصلح بين السلطان الناصر محمد بن قلاوون وبين القان أبو سعيد أقام القاضى علاء الدين بن الأثير مدة يفكر فى وضع رسم المكاتبة وقال للسلطان: إن كتبنا إليه " أخوه " قد لاهون عليه، وإن كتبنا " المملوك " ولم يكتب هو المملوك يكون ذلك عارا علينا ولا يمكن تغيير رسم المكاتبة، ولكن نضع المكاتبة على رسمها ونكتب فى بيت العلامة بالطومار الكبير الجائر بالذهب مثل ما نكتب ألقاب السلطان فى طغرة المناشير، ويكتب الاسم الشريف وهو محمد فوق الجميع. فاستحسن رأيه لذلك، وكتب إليه به، ومن ذاك وضعوا الطغراة فى كتب القانات.

(٣) ميامن: التثقيف، ص١٢؛ صبح، ج٧، ٢٩٥.

(٤) بياض فى الأصل، وما بين الحاصرتين من، العرف، ورقة ٢٦ ب.

(٥) ما بين الحاصرتين من، العرف، نفسه؛ وفى الصبح أضافها محققوه إلى النص، صبح، نفسه.

(٦) الأعظم: صبح، ج٧، ص٢٩٥.

(٧) ما بين الحاصرتين من، العرف، ورقة ٢٧ أ.

(٨) عمدة: صبح، نفسه.

(٩) طغاج: صبح، نفسه.

والدعاء [١] " ولا زالت عواملة تقرب آجال عداته، وأنامله تحيى آمال عفاته، ولا برحت يمينه بالمكارم باسطة، وفضله فى عقود المجد واسطة، أصدرناها لهدى إليه سلاماً تتلى آياته وسوره، وتتوالى آصاله وبكره، ونبدى لعلمة الشريف أننا نخصه بالسلام "، إلى غير ذلك من المقاصد، " ونفاوض علمه الشريف بكذا "، ويمشى على نسبة المكاتبة السابقة فى الألقاب والطمغاة وما يكتب بالذهب والسواد ونحو ذلك.

وكتب إلى قانها فى أيام الناصر فرج بن برقوق كتاب فى سنة اثنا عشر وثمانمائة [٢] من إنشاء الشيخ شهاب الدين القرقشندى رحمه الله فى قطع البغدادى الكامل ابتدأ فيه بعد خمسة أوصال بياضاً بالبسملة فى أعلى الوصل السادس ببياض من جانبيها عرض إصبعين من كل جهة، والسطر الثانى على سمته فى آخر الوصل بخلو بياض من الجانبين بقدر السطر الأول، والطغراة بينهما بألقاب سلطاننا [٣] على العادة مكتوبة بالذهب بالقلم المحقق مزملك بالسواد بأعلى الطغراة قدر ثلاثة أصابع بياضاً، ومثل ذلك من أسفلها، وباقى السطور بهامش من الجانب الأيمن على العادة، وبين كل سطرين قدر نصف ذراع بذراع القماش القاهرى والكتابة بالذهب والسواد على ما تقدم ذكره فى مكاتبة صاحب إيران وهذه نسخة الخطبة:

" الحمد لله مؤيد سلطاننا الناصر بعزيز نصره، ورافع قدر مقامنا الشريف بإعلاء مناره وأعلام [٤] ذكره، ومشيد أركان ملكنا الشامخ بإسعاد جده العالى والله غالب على أمره، نحمده على ما جنب من مواقع الحرج، وجعل [٢٦٦ ب] أمور رعايانا بمعرفتنا [٥] الشريفة بعد الضيق إلى فرج، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة يتوارثها عظماء الملوك كابراً عن كابر، ويتناقلها منهم الخلف بعد السلف فيسندها الناصر عن الظاهر، ونشهد أن

---

(١) لا يوجد فى صبح، نفسه وما بعدها.

(٢) لم أستطع الاهتداء إلى اسم هذا القان لكون هذه الفترة فترة اضطرابات فى الحكم، وبرز بها العديد من المتنافسين على الحكم. انظر: زمباور: معجم، ص٣٦٦.

(٣) أى الناصر فرج وهذه العبارة منقولة عن القلقسندي انظر صبح، ج٧، ص٢٩٩.

(٤) إعظام: صبح، نفسه.

(٥) بمعدلتنا: صبح، ج٧، ص٢٩٩.

سيدنا محمد عبده ورسوله أفضل من [١] جمع بين [٢] دعوته مفترق الأمم، ووقف بين حنيفـــى[٣] ملته بين أقيال العرب وأساورة العجم صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين آخى بينهم فسن لنا[٤] المؤاخاة، ونقى من نغل الضغائن صدورهم ففازوا بأكمل المصافاة وأتم الموافاة، صلاة تسير بفضلها الركائب وتترنم بفضلها [٥] الحداة، فتعم نفحاتها المشارق والمغارب وسلم. أما بعد "، إلى آخره بالمقصد.

وكُتِبَ لقان هذه المملكة فى الأيام المؤيدية بمثل ذلك من مقاصـــد الخطبـــة والطغـــراة والطمغاة والذهب والسواد، ونحو ذلك من إنشاء المرحوم الشيخ تقى الدين بن حجـــة رحمـــه الله[٦].

وكتب إلى قان هذه المملكة أيضاً وهو [دولات بردى الذى أخذ عن القـــان محمـــد، ومحمد أخذ عن أيدكى، وأيدكى أخذ عن طقتمش ولد أرخان، وطقتمش عن مانـــاى] [٧] فى الأيام الأشرفية برسباى خلد الله ملكه عدة مكاتبات على مثل مقاصد ذلك من الخطبة والطغراة والطمغاة والترميك والذهب والسواد وقطع الورق، آخرها من إنشاء القاضى شرف الدين ابن العجمى نائب كاتم السر بديوان الإنشاء الشريف. وقد تقدم أن ورق الذهب الذى يحل لمكانة كتب القانات، واللازورد والحق المجلد الذى يوضع فيه الكتاب على ديوان الخاص فيستدعى به منه.

---

(١) نبى: صبح، ج٧، ص٣٠٠.

(٢) بعموم: صبح، نفسه.

(٣) بحنيفى: صبح، نفسه.

(٤) ساقطة من، صبح، نفسه.

(٥) بذكرها: صبح، نفسه.

(٦) هو أبو بكر بن على بن عبد الله التقى الحنفى الأزرارى، المعروف بابن حجة، ولد عام ٧٦٧ هـ/١٣٧٤م بحماه، ارتحل إلى الشام ثم القاهرة فاستقر كاتباً بديوان الإنشاء في عصر المؤيد شيخ، ورجع إلى حماة عام ٨٣٠ هـ/١٤٢٦م ومات بها. السخاوى: السابق، ج١١، ص٥٣_٥٤، ت رقم ١٤٤.

(٧) بياض فى الأصل، وما بين الحاصرتين من، العرف الناسم، ورقة ٢٦ب. وهو رأس أسرة أل توقاتيمور الذى تولى الحكم عام ٨٣٠ هـ. زمباور: معجم، ص٣٦٦.

الضرب الثانى

فى المكاتبة إلى من عدا قانها الأعظم

وهم صنفان:

الصنف الأول: مكاتبة من بحضرة القانات [١] من كفال [٢] الممالك وغيرهم، وترتيب هذه المملكة فى أمراء الألوس والوزير نحو مملكة إيران، لكنه لم يكن لأمراء الألوس والوزير بهذه المملكة فى نفاد الأمر والتصرف مثل ما هنالك، وأن هؤلاء منحطين فى الرتبة عن أولئك. وأمراء الألوس بهذه المملكة [٢٦٧ أ] أربعة كما بمملكة إيران، وأكبرهم يسمى بكلار بك [٣] كما تقدم. قال فى التثقيف أنه كان منهم قطلو بغا إيناق، وكتب إليه فى قطع الثلث " ضاعف الله تعالى نعمة الجناب العالى "، والدعاء " وشكر محبته القديمة، وحفظ مودته المستديمة، وحرس مكارمه التى يعجز عن بلوغها كل دعة، صدرت هذه المكاتبة إلى الجناب العالى تهدى إليه سلاماً عبقاً، وثناء مستبقاً "، ويزاد فى ألقابه " الأتابكى النوينى " أيضاً، والعلامة " أخوه "، وتعريفه " قطلو بغا ايناق نائب القان جانى بك ".

أما الوزير فرسم المكاتبة إليه على ما ذكره فى التثقيف فى مكاتبة محمود الديوان فى قطع الثلث " أدام الله تعالى نعمة المجلس العالى "، ويكمل من ألقاب الوزراء، والدعاء " لا زالت أيامه للآمال بواسم، وأوامر على الأقدار عزائم، وأوقاته للطالبين مغانم، صدرت هذه المكاتبة إلى المجلس العالى تخصه بالسلام التام، والثناء الوافر الأقتام، ونوضح لعلمه المبارك كيت وكيت "، العلامة " والده "، تعريفه " خواجا محمود وزير القان بالمملكة الفلانية ".

الصنف الثانى: مما عدا القان بهذه المملكة الحكام بالبلاد، والمكتوب إليهم اثنان:

---

(١) القان: العرف، ٢٨أ.

(٢) كفلا: العرف، ٢٨أ.

(٣) بكلارى بك: صبح، ج٧، ص٣٠٢. وهذا اللقب كان يطلق على القائد العام للجيوش المغولية فى فارس، وهى كلمة تركية الأصل تعنى رتبة " فريق أول ". فؤاد الصياد: الشرق الإسلامي، ص٢٣٨، هـ٣؛ يلماز: تاريخ الدولة العثمانية، ص١٢٧.

الأول: الحاكم بالأزق (١)، والأزق مدينة على بحر مانيطش المعروف الآن ببحـــر الأزق. قال فى التثقيف: ورسم المكاتبة إليه فى قطع العادة " صدرت والعالى "، " أخوه "، وتعريفـــه " صاحب الأزق ".

الثانى: الحاكم بالقرم، وهو إقليم شمالى ببحر نيطش المعروف الآن ببحر القرم، وقاعدتـــه مدينة صلغات على نصف يوم من البحر، وقد غلب اسم الإقليم عليها فصار يقال لها القـــرم وهى عن الأزق فى جهة الشمال والغرب على نحو خمسة عشر مرحلة. قال فى التثقيف إن رسم المكاتبة إليه " صدرت والعالى "، والعلامة " أخوه ".

ورأيت (٢) فى بعض الدساتير أن رسم المكاتبة كانت له فى قطع الثلث " أدام الله تعـــالى نعمة المجلس العالى "، إلى آخر الألقاب، والعلامة " أخوه "، وتعريفه " الحاكم بالقرم ". [٢٦٧ ب]

القان الثانى

[من ملوك توران من بنى جنكزخان صاحب ما وراء النهر] (٣)

والمراد بهذا النهر نهر جيحون، وهو نهر بلخ، قال فى تقويم البلدان: والذى ظهر لنـــا فى تحديد ما وراء النهر أنه يحيط به من جهة الغرب حدود خوارزم، ومن الجنوب نهر جيحون من لدن تل حسان إلى أن يتصل بحدود خوارزم. ثم قال: أما حدود ما وراء النـــهر مـــن الشـــرق والشمال فلم يتضح لى، وكان قاعدة ما وراء النهر فى الزمن القديم بخارى وهى مدينة عظيمة. قال ابن حوقل: ويشتمل عليها وعلى مزارعها سور واحد نحو اثنا عشر فرسخاً فى مثلها، والآن فقد صارت القاعدة سمرقند، وهى مدينة عظيمة على جنوبى وادى الشعر، والماء يجرى فى نهر من جنباها. قال فى التعريف: وآخر ما استقرت هذه المملكة لترما شيرين، وكان حسن الإســـلام عادل السيرة. وقال إنه كتب إليه على رسم المكاتبة إلى القان بإيران بالذهب على ما تقدم، ثم استولى عليها اللنك ومن هذه المملكة انساب على بلاد إيران حتى استولى عليها واستأصلها، ثم صار إلى بلاد الهند فاستولى عليها ثم طاح إلى المملكة الشامية، ثم عاد إل بلاده حتى مات، وصار

(١) بأوزاق: صبح، ج٧، ٣٠٥.

(٢) والذى رأيته فى دستور يعزى فى الأصل للمقر العلائى بن فضل الله: صبح، ج٧، ص٣٠٥.

(٣) فى الأصل بياض، وما بين الحاصرتين من، العرف ورقة ٣٠ ب.

هذا الإقليم بيد أولاده ولم يبقى منهم غير شاه رخ وقد تقدم الكلام عليه فى رسم المكاتبة، وأنه لم يكاتب مكاتبة القانات فإنه لم يكن قان.

القان الثالث

من ملوك توران من بنى جنكزخان وهو القان الكبير صاحب التخت

قال فى التعريف: وهو أكبر الثلاثة، ووارث تخت دنكز [(١)] خان ولم يكاتبه ملكنا لترفعه وكبريائه بسمعة آبائه. قال: ثم تواترت الأخبار بأنه أسلم عنده جماعة كبيرة وهو إلى الآن لم يسلم مع إكرامه لمن أسلم، وأنه لم يقع لأحد من ملوك الديار المصرية مكاتبته، ولا ورد أحد من جهته إلى الأبواب الشريفة فإن أسلم كانت المكاتبة إليه نظير القانات المذكورين. [٢٦٨ أ]

صاحب الهند

قال فى تقويم البلدان: ويحيط به من جهة الشرق المفاوز الفاصلة بينه وبين الصين، ومن جهة الشمال بلاد الصين أيضاً، ومن جهة الغرب بحر فارس وعامة حدود السند وما يصاقبه، ويحيط به من جهة الجنوب البحر الهندى. وهذا الإقليم ذو بلاد متسعة وأعمال كثيرة بعضها مسلمون وبعضها كفار، وقاعدة بلاد الإسلام بها " دلى "، وهى مدينة عظيمة عليها سورين آجر، وسورها أكبر من سور حماة، ويمر على فرسخ منها نهر كبير دون الفرات، وبها منارة من حجر لم يعلم فى الدنيا بمثلها.

ومن مضافاته السند، قال ابن حوقل: وحده من الغرب حدود كرمان وتمام الحد مفازة سجستان [(٢)]، ومن الجنوب مفازة بين كرمان والبحر، ومن الشرق نهر فارس أيضاً، ومن الشمال قطعة من الهند. قال فى التعريف: إن صاحبه كان فى زمانه يسمى أبو المجاهد محمد بن طغلقشاه. ثم قال: وهو أعظم ملوك الأرض شرقاً وغرباً، وجنوباً وشمالاً، وبراً وبحراً، وسهلاً ووعراً [(٣)]، وأن

---

(١) جنكز خان: التعريف، ص٦٩؛ صبح، ج٧، ص٣٣١؛ وفى العرف كالثغر، ورقة ٣١ أ.

(٢) هو إقليم مقسم حالياً بين إيران وأفغانستان. البلاذرى: فتوح، ق٣، ص٧٣٢؛ ابن عرب شاه: عجائب، ص٤٨، هـ٣.

(٣) قفراً: صبح، ج٧، ص٣٧٢.

سمته فى بلاده الإسكندر الثانى، وأن أهل بلاده أمم لاتحصى، وطوائف لا تعد. ثم حكى عن ثقاة أن عسكره نحو من تسعمائة ألف فارس، وعنده زهاء ألفى فيل يقاتل عليها إلى غير ذلك.

قلت: ويؤيد ذلك ما حكاه ابن دقمان فى الدر [1] الثمين أن دهمى ملك الهند كتب إلى المأمون مع هدية نفيسة أهداها إليه:

" من دهمى ملك الهند، وعظيم أركان المشرق، وصاحب بيت الذهب وإيوان الياقوت وفرس الدر، الذى قصره مبنى بالعود الرطب الذى يختم عليه فيقبل الصورة قبول الشمع، والذى توجد رائحة مقره من عشر فراسخ، والذى يسجد له أمام البر الذى وزنه ألف ألف مثقال، عليه مائة ألف حجر من الياقوت الأحمر والدر الأبيض، الذى ركب فى ألف موكب، فى كل موكب ألف راية مكللة بالدر، تحت كل راية الف فارس، والذى فى إسطبله ألف فيل، والذى فى خزائنه ألف تاج لألف ملك من آبائه، والذى يأكل فى صحاف الذهب [٢٦٨ ب]، والذى يستحى من الله أن يراه خائناً فى رعيته ".

وكانت هديته صحناً من ياقوت أحمر فتحة شبر فى غلظ الأصبع، مملوءاً دراً مائة درة، وزن كل درة مثقال، وفراش من جلد حية تبتلع الفيل، ونقش جلدها نقط سود كدراهم فى أوساطها نقط بيض، لا يتخوف من جلس عليها مرض السل. ومائة ألف مثقال عود هندى، إذا ختم عليه يقبل الختم كالشمع، وجارية هندية طولها سبعة أذرع تسحب شعرها على الأرض، وشعر عينيها طول الأصبع إذا طرقت إلى الأرض يبلغ نصف حدها بكر ناهد فى غاية الحسن والبياض، وكان الكتاب مكتوباً فى لحاء شجر يعرف بالكادى لونه أصفر، والخيط لازورد مفتتح بالذهب.

فأجابه المأمون " من عبد الله عبد الله الإمام أمير المؤمنين، الذى وهب الله له ولأولاده الشرف بابن عمه محمد صلى الله عليه وسلم، والمصدق بالكتاب المنزل، إلى ملك الهند وعظيم من تحت يده من أركان المشرق، سلام عليك فإنى أحمد إليك الله الذى لا إله إلا هو، وأسألة أن يصلى على محمد عبده ورسوله وعلى أهل بيته. وصل كتابك فسررت لك بالنعمة التى ذكرت، ووقع إتحافك إلينا الموقع الذى أملت من قبول ذلك، ولولا أن السنة لنا جارية تترك تقديم من لم يكن لنا على شريعة موالينا، ما تركنا ما يحسن من منزلتك بالتقديم والاعتذار، فهذا أحد المقدمين ".

---

(١) الصواب: الجوهر.

وأرسل إليه هدية وهى فرس بفارس من عقيق وجميع آلاته، ومائدة جزع فيها خطوط سود وحمر على أرض بيضاء فتحها ثلاثة أشبار، وغلظها أصبعين قوائمها من الذهب، وثمانية أصناف من قماش مصر وخز السوس، ووشي اليمن، وملخم خراسان، والديباج الخسروانى، وفرش قرمز، ومائة طنفسة حبرية بوسائدها من كل صنف مائة قطعة، وصحن من زجاج فرعونى فتحة شبر فى وسطه صورة أسد بقوائمه، وأمامه رجل قد برك على ركبتيه، وفوق الأسد السهم فى القوس، وكانت المائدة والجام فيما أخذ من خزائن بنى أمية، وكان [٢٦٩ أ] الجواب بقلم الطومار فى غلظ الأصبع. انتهى.

قال فى التعريف: إن رسم المكاتبة إلى صاحب الهند كرسم المكاتبات إلى القانات الكبار المقدم ذكرهم فى هيئة الكتاب وما يكتب به من الطغراة، والخطبة والطمغاة والذهب والسواد. ثم قال: وأما ألقابه فهى:

" المقام الأشرف، العالى، المولوى، السلطانى، الأعظمى، الشاهنشاه العالمى، العادلى، المجاهدى، المثاغرى، المرابطى، المظفرى، المؤيدى، المنصورى، إسكندر الزمان، سلطان الوقت والأوان، منبع الكرم والإحسان، المعفى على ملوك آل ساسان، وبقايا إفراسياب، وخاقان ملك البسيطة، سلطان الإسلام، غياث الأنام، أوحد الملوك والسلاطين ".

ويدعى له. قال: ولم يكتب له فى ذلك لقب ينسب إلى الخلافة نحو " خليل أمير المؤمنين "، وما يجرى مجراه إذ كان يرقى [1] بنفسه إلى أن يدعى له بالخلافة ويرى له فضل الإنافة. وحيث ما ذكر أن مكاتبته مكاتبة القانات فتكون مفتتحة بخطبة. لكن قال صاحب التثقيف بعد أن قرر أن رسم المكاتبة إليه كرسم مكاتبات القانات: إن رسم المكاتبة إليه " أعز الله أنصار المقام العالى، السلطانى، العالمى، العادلى، الملكى الفلانى ". ثم قال: وهذه الألقاب سطران كاملان، وبينهما بيت العلامة على العادة، وبعد السطرين المذكورين فى الجانب الأيمن من غير بياض " أبو المجاهد محمد بن طغلقشاه زيدت عظمتهما "، ثم الدعاء والعلامة، وتعريفه " صاحب الهند ".

وفى بعض الدساتير أن يكتب الدعاء له فى الفقرات إلى آخرها بالذهب، وبقية الكتاب بالذهب والسواد كما تقدم، والعلامة له " أخوه "، وهذه صورة مكاتبته كما رتبه صاحب التثقيف:

(١) يربأ: التعريف، ص٧٤؛ صبح، ج٧، ص٣٧٣.

أعز الله تعالى أصحاب المقام العالى

بيت العلامة

أخوه [١]

السلطان العالى القانى الملكى الفلانى

أبو المجاهد محمود بن

طغلقشاه زيدت عظمتها

قال فى التثقيف: والعنوان بالذهب سطران. [٢٦٩ ب] والدعاء:

" ولازال سلطانه للأعداء مبيرا، وزمانه بما قضى [٢] به من خلود ملكه خبيراً، وشأنه وإن عظم يتدفق بحراً ويرسى ثبيراً، ومكانه وإن جل مجلسه [٣] مسكى الليل يملأ الأرجاء أرجاً والوجود عبيراً، ولمكانه [٤] فيستكين [٥] له الإسكندر خاضعاً وإن حاز نعيماً [جماً] [٦] وملكاً كبيرا، ولا برحت الملوك بولائه تتشرف، وبآلائه تتعرف، وبما تطبع مهابته من البيض ببيض الهند بالمهج [٧] تتصرف.

المملوك يخدم بدعاء يحلق إلى أفقه، [ويحل العلياء والمجرة فى طرقه] [٨]، ويهدى منه ما يعتدل به التاج فوق مفرقيه [٩]، ويعتد له النجم وهو [١٠] لا يثنيه إلا وسادة تحت مرفقه، ويسمو إلى مقام جلاله ولا يسأم من دعاء الخير، ولا يمل إذا ملت النجوم من [١١] السير، ولا

---

(١) ساقطة من، صبح، ج٧، ص٣٧٤.

(٢) يقضى: صبح، ج٧، ص٣٧٤.

(٣) أن يجلببه: التعريف، نفسه؛ صبح، نفسه.

(٤) وإمكانه: التعريف، نفسه؛ صبح، نفسه.

(٥) يستكن: التعريف، نفسه؛ صبح، نفسه.

(٦) ما بين الحاصرتين من، التعريف، نفسه؛ صبح، نفسه.

(٧) فى المهج: التعريف، نفسه؛ صبح، نفسه.

(٨) ساقطة من صبح، واستكمله محققوه من التعريف، ج٧، ص٣٧٤، هـ١.

(٩) الصواب: مفرقه، التعريف، نفسه؛ صبح، نفسه.

(١٠) ساقطة من صبح، نفسه.

(١١) عن: التعريف، نفسه؛ صبح، ج٧، ص٣٧٥.

يزال يصف ملكه المحمدى بأكثر مما وصف به الملك السليمانى، وقد قال " وأوتينا من كل شيء وعلمنا منطق الطير ".

قلت: إنه فى التعريف وصف صاحب الهند بالعظمة التى لا يقارنها شيء بأخبار موثوق بها، ثم قدم عليه غيره فى الترتيب من القانات وغيرهم. وجعله صاحب التثقيف خلف ملوك العرب وكان الأولى أن يفتتح به ملوك الشرق.

وأقول إنه قال فى التعريف فى ألقابه " المولوى "، وقد ذكر صاحب عرف التعريف: أنه لا يكتب بذلك لأحد عن السلطان وإن كتب به للخليفة فلا يقاس عليه. وأقول إنه أتى فى التثقيف فى ألقابه بالملكى وقد أنكر ذلك هو وصاحب التعريف حيث قالا فى مكاتبة القانات بإيران وتوران أنه لا يخلط فى ألقابهم الملكية لهوانها عليهم وانحطاطها لديهم. وأقول إنه قال فى التعريف فى صدر مكاتبته فى الدعاء " ولازال يصف ملكه بالمحمدى بأكبر مما يصف به الملك السليمانى "، وقد قال "وأوتينا من كل شيء وعلمنا منطق الطير "، وهذا الكلام لم يكن صائغ وإن قصد الاقتباس فإنه قدم وأخر فإن نص القرآن وقال ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَىْءٍ ﴾ (١).

وأقول إن صاحبى [٢٧٠ أ] التعريف والتثقيف أتيا فى كتابيهما برسم المكاتبة إلى أتباع القانات وغيرهم ووزرائهم، ولم يتعرضا لأحد من أتباع صاحب الهند فى رسم مكاتبة، ولا ذكر أحد من أقاربه.

واعلم أنه لما تغلب اللنك على مملكة الهند وأخذها واستأصلها جعلها ممالك وجعل بكل مملكة منها حاكماً من جهته مقيماً بها لا يتعدى منهم أحد على بلاد غيره. فلما هلك اللنك تخالفت الأمور بينهم فمن تغلب وقوى على الآخر أخذ منه.

وإقليم الهند الآن على خمس ممالك:

الأولى: دلى، وهى مدينة عظيمة مسورة ذات أبنية شاهقة، وزخرفات رائقة، وبساتين وأنهار وفواكه وثمار، طيبة الماء، صحيحة الهواء. قيل إنه لم يكن فى بلاد الإسلام بعد مصر أكبر من أهلها، وتحت أمر حاكمها فى زماننا أعمال ومدن وبلاد مجاورة لإقليم الفرس، وأن الحاكم بها الآن يصانع شاه رخ على إقامته بها، ويرسل إليه فى كل سنة قود يفهمه أنه تحت أمره، وكالنائب عنه، مع أن عهده من أبواب الخلافة.

(١) النمل، الآية ١٦.

ولم أطلع له على مكاتبة تصدر إليه من هذه المملكة، وهو دون غيره من الملــوك، وأن دلى خرب أكثرها وخلت من غالب أهلها، وإنما قدمتها على الخمسة لأنها أصل فى المملكة على غيرها.

الثانية: كنباية (١)، مملكة عظيمة وهى أعظم ممالك الهند فى زماننا، وصاحبها له الأمر على عدة أعمال وبلاد، ومحل إقامته كنباية، وهى مدينة عظيمة ذات أبنية عظيمة، وأشجار وفواكــه، وشرب أهلها من حوض يملأ من ماء المطر فيكفيهم سنتهم، ولم يصدر فى زماننا من هذه المملكــة لصاحبها مكاتبة.

الثالثة: بنكالا، والجارى على ألسنة الناس بنكالة بالهاء، كافها مشوبة بالقاف المعقودة، وهو اسم للمدينة وغلب على اسم الإقليم. وشرب غالب أهلها من نهر جيحون، وإقامة ملك ســكالا المذكورة غالباً " نبدوه "، ودالها مشوبة بالضاد، وهى ذات بساتين وأشجار وفواكه وثمار، شرب أهلها من ماء المطر وآبار، وصاحبها فى زماننا من أكابر ملوك الهند،(٢) [كتــب لــه فى الأيــام الأشرفية فى عام أربعين وثمانمائة فى قطع النصف:

" أعز الله تعالى أنصار المقام العالى، الكبيرى، الســلطانى، العــالمى، العــادلى، المؤيــدى، الأوحدى، النصيرى، الممهدى، المشيدى، الغياثى، المثاغرى، المرابطــى، العابــدى، الناســكى، الظهيرى، الملكى، المظفرى، الناصرى، معز الإسلام والمسلمين، غياث الموحدين، شرف الملوك فى العالمين، إسكندر الزمان، منبع الإكرام والإحسان، خليل الملوك والسلاطين، عضد أمير المؤمنين "، والدعاء " لا برحت محاسنه فى جبهات ـــــ للإسلام تأييداً وظفرا، وآثار اهتمامه يحسن علــى القرب البعد سماعاً وخيراً، أصدرناها إليه نخصه بالسلام الأوفى، والأبنية التى ظهرت آثارها فــلا

(١) وهى مدينة على سواحل الهند. ياقوت: معجم، ج٤، ص٣٠٠.

(٢) حدث انقطاع فى تسلسل الكلام فيما بين ورقة ٢٧٠ أ، ٢٧٠ ب. وفيما يلى بين الحاصرتين من العرف، ورقة ٣٢ أ _ ٣٣ ب يكمل هذا النقص حتى بداية ورقة ٢٧٠ ب من الثغر.

تختفي، ونبدى لعلمه الكريم كيت "، والترجمة " أخوه "، وتعريفه " صاحب بنجالة بالهند "، وهي الآن بيد السلطان جلال الدين [١].

المملكة الرابعة من ممالك الهند كالبركا [٢]، كافين معقودتين، مدينة عظيمة ذات أبنية ممكنة، وتراتيب حيدة، كُتب إلى صاحبها فى سنة ثمان وثلاثين [٣] فى قطع الثلث:

" أعز الله تعالى نصرة الجناب الكريم، العالى، الملكى، الأجلى، الكبيرى، العالمى، العادلى، المجاهدى، المؤيدى، الأوحدى، المثاغرى، المرابطى، الظهيرى، الزعيمى، الشهابى، سيف الإسلام والمسلمين، ناصر الغزاة والمجاهدين، زعيم الجيوش، مقدم العساكر، جمال الملوك والسلاطين، ذخر أمير المؤمنين "، والدعاء " ولا زالت مملكته معظمة قدرها، ورعيته تنهج بحسن رعايته برها، أمتة مطمئنة لعدله وإحسانه، يرغب كل وفد فى مزيد بره وإحسانه، ولا برحت محاسن صفاته يفوح عطرها فى كل إقليم، وجميل ــــ، تجلى على رءوس الأشهاد فيظهر ما لها من الفضل العميم، أصدرناها إلى الجناب الكريم نهدى إليه من السلام ما يتنوع فى الممالك بذكره، ومن الثناء العاطر ما يفوح فى الأقطار نشره، ونبدى "، والترجمة " أخوه "، وتعريفه " صاحب كالبركا.

المملكة الخامسة من ممالك الهند صنبوب، مدينة عظيمة على سيحون، من أكابر بلاد الهند، كثيرة الأشجار والفواكه، والقائم بها الآن السلطان إبراهيم.

المملكة السادسة: ما دوكن، مدينة عظيمة بسفح جبل، كثيرة الأشجار والفواكه، ويشرب أهلها من حوض يملأ من المطر فى سنتهم، والقائم فى مملكتها الآن السلطان محمود بن ---- [٢٧٠ ب]. والمكاتبة له فى جملة ملوك الكفر.

---

(١) هو السلطان جلال الدين محمد بن قندو، المعروف بكاس، راسل السلطان الأشرف برسباى عام ٨٣٢ هـ طالباً السماح بتوزيع الأموال فى مكة، وطالباً كتاباً من الخليفة العباسى تفويض بسلطنة الهند، توفى عام ٨٣٧ هـ، وتولى بعده ابنه الملك المظفر أحمد، ولعله صاحب المراسلة مع السلطان الأشرف برسباى عام ٨٤٠ هـ. المقريزى: درر العقود، ج٢، ص٥٠٨ ــ ٥١٠، ت رقم ٢٩٣؛ ابن حجر: إنباء، ج٤، ص١٥ ــ ١٦؛ ابن تغرى بردى: المنهل، ــ مخطوط ــ ج٥، ص١٩٧ ب ــ ١٩٨ أ.

(٢) ويقال لها كربرجة. ابن تغرى بردى: النجوم، ج١٥، ص١٩٤.

(٣) لم يذكر السحماوي اسم هذا الملك فى العرف الناسم أيضاً، وعلى ذلك فيكون الملك المشار إليه إما السلطان شهاب الدين أبو المغازى أحمد شاه المتوفى عام ٨٣٨ هـ، أو ابنه ظفر شاه علاء الدين المتولى بعده. ابن تغرى بردى: السابق، نفسه؛ زمباور: معجم، ص٤٣٧.

الجهة الثانية

جهة الشمال عن الديار المصرية وتسمى بلاد الدروب وهى بلاد الروم

قال فى التعريف: وتسمى الآن ببلاد الدروب. قال: وهى البلاد المنحصرة بين بحرى القلزم[١] والخليج القسطنطينى تنتهى فى شرقيها إلى بحر القرم المسمى ببحر نيطش، وتنتهى متشاملة إلى القسطنطينية وتسمى فى القديم اصطنبول[٢]، وينتهى جنوباً إلى بلاد لاون [٣] وهى بلاد الأرمن يحوزها [٤] البحر الشامى وهذه البلاد هى بلاد الروم. قال فى التعريف إنها بلاد متسعة، وهى مفرقة [لملوك] [٥] مجتمعة. وعبر فى التعريف عن حكام هذه البلاد بأمراء الأتراك، وقال: إنه لا يطلق عليهم اسم الإمارة، وعد منهم ستة عشر أميراً لستة عشر مدينة. وزاد صاحب التثقيف خمسة فصاروا إحدى وعشرين مدينة لأحد وعشرين أميراً، وعد فى التعريف قرا صار واحد وهما اثنين:

الأول: صاحب أرمناك، وهى مدينة فى وطاءة من الأرض بواد متسع كثير الفواكه والمياه ويقاربها لارندة وكونية، قالا فى التعريف والتثقيف أنها بيد أولاد قرمان وهم على ذلك إلى الآن، وقد تقدم رسم المكاتبة لهم فى الإقليم السادس من مملكة إيران.

الثانى: صاحب كرمينان، وربما يقال كرميان سميت على اسم نائبها قديماً، وهى مدينة صحيحة الهواء بوسط بلاد الروم، وشرب أهلها من ماء ينسحب إليها من واد بوسط إقليم لطيف يسمى بهادورة، حده من جهة الجنوب قيسارية وأقصراى وأنكورى، ومن الشمال كوهاتية، وإلى بلاد ابن عثمان، ومن الشرق من أنكورية إلى عامى، ومن الغرب بلاد ابن قرمان. قال فى التعريف: وصاحبها أكبر الجميع، ورسم المكاتبة إليه بـ " المقر " نظير صاحب ماردين لكن بأبسط ألقاب إذ هو أدعى لاستحسانهم لقلة معارفهم. قال: وعلى هذا التقدير يكون رسم المكاتبة فى العادة " أعز الله تعالى نصرة المقر الكريم، العالى، الملكى، الأجلى، العالمى، العادلى، المجاهدى، المؤيدى،

---

(١) الصواب: القرم، صبح، ج٨، ص١٢.

(٢) اسطنبول: العرف، ورقة ٣٣ ب.

(٣) ساقطة من صبح، نفسه.

(٤) يحدها: صبح، نفسه.

(٥) ما بين الحاصرتين من، التعريف، ص٦١؛ صبح، نفسه.

المرابطى، المثاغرى، المظفرى، المنصورى، الفلانى، عون الأمة، [٢٧١ أ] فخر الملوك والسلاطين، نصرة الغزاة والمجاهدين، زعيم الجيوش، مقدم العساكر، ظهير أمير المؤمنين ". ثم إنه قال: فـإن لم يسمح له بهذه المكاتبة، ولم يؤهل لنظيرها كتب له هذه الألقاب مع " الجناب الكريم "، وخوطـب بالإمارة إذ لم يسمح له بالمخاطبة بالملك. والدعاء " ولا برحت مودته ثابتة أركانها، ميمونة بغصون الصفاء أفنانها مستقراً، على أجمل قواعد الوفاء بنيانها، صدرت هذه المكاتبة إلى الجنـاب الكـريم تهدى إليه تحية عاطرة ونبدى محبة وافرة، ونصف مودة باطنة وظاهرة، ونوضح لعلمه الكريم كيت وكيت "، العلامة " أخوه " وتعريفه " صاحب كرمينان ".

وقال إنه كان فى زمانه أرخان بن عثمان [1] ويعرف بعثمان جق، ثم إن هذا أرخان اتسـع ملكه، ثم ملك بعده ابنه مراد بك وعظم أمره وجاوز فى الفتح ودخل أولاد قرمان وسائر أمـراء تلك البلاد فى الصلح معه، ولم يزل على ذلك حتى قصده اللنك فقبض عليه ومات فى يديه، وملك بعده ابنه سليمان ثم مات، وملك بعده أخوه محمد بن أبا يزيد بن مراد بك بن أرخان بن عثمان، ثم مات محمد وملك بعده ولده موسى بك، ثم إن موسى بك قتله أخوه محمد بك المعروف بسـلطان جلبى الملقب كرشجى، ثم توفى على فراشه بعد أن تولى مدة طويلة، ثم تولى بعده ولده الأمير مراد بك بن عثمان وهو القائم على هذه المدينة وعلى غيرها كما سيأتى.

ورسم المكاتبة إليه فى الثلث " أعز الله تعالى أنصار المقر الكريم العالى الأميرى" ويكمل مـن رسم المكاتبة نائب حلب خلا الكافى، والدعاء مثل " ولازالت رايته منصورة، وأسنة رماحه ممدودة إلى همم أعدائه المقصورة، وصكات عزائمه مشتهرة وهى بنصر الله مشهورة، أصدرناها وسلامها كالعبير، ولسان قلمها محبر عن أبنيتها ولا ينتهك مثل خبير، ونبدى لعلمه الكريم كيـت وكيـت والقصد كذا وكذا "، وتعريفه " الأمير مراد بك بن عثمان ".

الثالث: صاحب قراصار، وتعرف بقراحصار الصاحب، وهى قلعة [٢٧١ ب] منيعـة، وكان رسم المكاتب إليه " هذه المكاتبة "، ثم دخلت تحت أمر الأمير مراد بك بن عثمان المذكور.

---

(١) ما يقصده صاحب الثغر هنا ذكره العمري والقلقشندى أنه صاحب برسا، انظر التعريف ص٦٤؛ صبح، ج٨، ص١٥. وأرخان بن عثمان حق التركمانى، هو أول من حقق انتصاراً على الروم عام ٧٦٦ هـ وبدأت به شهرة العثمانيين. ابن حجر: الدرر، ج١، ص٤١٢، ت رقم ٨٦٠.

الرابع: صاحب مغنيسيا، وهى مدينة كبيرة كثيرة الفواكه والأعناب، وبها أعين نضاخة ونهر جارى، وكان رسم المكاتبة إلى صاحبها " صدرت والسامى "، والآن بيد الأمير مراد بك بن عثمان.

الخامس: صاحب طنغزلوا، وهى مدينة ذات أبنية وعمائر، وبوسطها نهر كبير، وهى كثيرة الفواكه، وكانت تحت مملكة إقليم كرمان ومتصلة بحده، وكان رسم المكاتبة إليه " صدرت والسامى "، وهى الآن تحت يد مراد بك المذكور.

السادس: صاحب نيف، مدينة كبيرة كثيرة الأشجار، وماؤها شديد الحلاوة، وكان رسم المكاتبة إليه " صدرت والعالى "، والمستولى عليها الآن الأمير مراد بك بن عثمان المذكور.

السابع: صاحب بركى، مدينة على رأس جبل، وغالب فواكهها الرمان يحمل منها إلى غالب بلاد الروم، وكان رسم المكاتبة إليه " أدام الله تعالى نعمة المجلس العالى "، والمستولى عليها الآن الأمير مراد بك بن عثمان المذكور.

الثامن: صاحب أياس [١]، وتعرف بأياس كر، مدينة كبيرة تنسحب إليها المياه من الجبل على قناطر، وبها قلعة كبيرة البناء، وكان رسم المكاتبة إلى صاحبها " صدرت والسامى "، والعلامة " والده "، والمستولى عليها الآن الأمير مراد بك بن عثمان المذكور.

التاسع: فاويا، مدينة قريبة من البحر المالح، كثيرة السمك، وبوسطها نهر يسمى مندرسين، وكان رسم المكاتبة إليه " أدام الله تعالى نعمة المجلس العالى "، وهى الآن تحت أمر الأمير مراد بك ابن عثمان [٢].

العاشر: صاحب فتكة، وربما يقال فوكة وهى على ساحل البحر الرومى بالقرب من أنطاليا، وكان رسم المكاتبة إليه " أدام الله تعالى نعمة المجلس العالى "، وهى الآن تحت أمر ابن عثمان.

---

(١) غير موجودة فى صبح، ج٨، ص١٣ – ١٩، ولكنها موجودة فى ج٥، ص٣٤٨ تحت اسم " أياس لوق".

(٢) ويعود صاحب الثغر مرة أخرى ويذكر هذه المدينة فيما بعد ويذكر أن صاحبها مراد الدين حمزة. انظر فيما بعد ص٨٦٧.

الحادى عشر: صاحب أنطاليا، [مدينة على البحر، بها أعين نابعة مسورة] [١]، قال فى التعريف إن رسم المكاتبة إليه " صدرت والعالى " والعلامة أخوه، وتعريفه [٢٧٢ أ] صاحب أنطاليا وهى الآن تحت أمر الأمير مراد بك بن عثمان.

الثانى عشر: صاحب قراصار، وتعرف بقراصارتكا، وهى غير قراصار الصاحب، وهى قلعة منيعة، وكان رسم المكاتبة إلى صاحبها " السامى " بغير ياء، والمستولى عليها الآن الأمير مراد بك بن عثمان.

الثالث عشر: صاحب أكردور، وهى مدينة على بحيرة ماء عذب، كثيرة الفواكه، وكان رسم المكاتبة إليه " صدرت والسامى "، والعلامة " والده "، والمستولى عليها الآن الأمير مراد بك بن عثمان.

الرابع عشر: صاحب كصطمونية، قال فى تقويم البلدان: وتبدل كافها قافاً فيقال قصطمونية. وهى مدينة عظيمة كثيرة الفواكه، بوسطها نهر جار، وهى على نصف يوم من معدن النحاس الأحمر، وبها قلعة حصينة على رأس جبل. قال فى التعريف، ورسم المكاتبة إليه " أدام الله تعالى نعمة المجلس العالى " والعلامة " أخوه ". والآن فهى بيد اسفنديار [٢] وهو يصانع ابن عثمان، واستقر رسم المكاتبة إليه " صدرت والعالى "، والعلامة " أخوه "، وتعريفه " صاحب كصطمونية".

الخامس عشر: صاحب العلايا، قال فى تقويم البلدان: إنها بلدة محتفظة [٣] بناها علاء الدين بعض ملوك الروم السلجوقية فنسبت إليه فقيل لها العلائية ثم خففها الناس فقالوا العلايا، وهى على دخلة فى بحر الروم، وفى الجنوب على مسيرة يومين من أنطاليا، والحاكم بها الآن الأمير قرمان، ورسم المكاتبة إلى صاحبها على ما ذكره فى التعريف [٤] فى العادة " أدام الله تعالى نعمة المجلس العالى "، والعلامة " أخوه "، وتعريفه " صاحب العلايا "، وربما يضاف إليها لارندة فيقال "صاحب العلايا ولارندة ".

---

(١) عن الوصف الجغرافى لها انظر صبح، ج٥، ص٣٤٥ – ٣٤٦؛ وما بين الحاصرتين من، العرف، ورقة ٣٥ أ.

(٢) هو مبارز الدين إسفنديار الذى تولى الحكم من عام ٨٠٥ إلى عام ٨٤٣ هـ. زمباور: معجم، ص٢٢٤.

(٣) محدثة: صبح، ج٥، ص٣٤٧.

(٤) لقد ذكر القلقشندي أن هذا الحاكم ممن ذكرهم صاحب التثقيف لا صاحب التعريف. انظر صبح، ج٨، ص١٨.

السادس عشر: صاحب عيدلى، فقال فى التعريف ما يدل على أن مكاتبته " صدرت والعالى "، وقال فى التثقيف: صاحب عدليوا. وذكر أنه لم يتعرض لذكره فى التعريف، ثم قال: وقد تكون عيدلى المقدم ذكرها وإنما تغيرت بتكرر الحروف. ورأيت فى بعض الدساتير صاحب عيدالى وكان صاحبها سيف الدين قيدار وهى الآن ----- [1]

[٢٧٢ ب] السابع عشر: صاحب برسا، والجارى على ألسنة الناس برصا بالصاد، وهى مقرة إقامة ابن عثمان.

الثامن عشر: صاحب توازا، قال فى التعريف: ورسم المكاتبة إليه نظير رسم المكاتبة إلى صاحب طنغزلوا.

التاسع عشر: صاحب مرمرا، سميت بذلك لأنها مقطع الرخام ويسام [2] الرخام بالرومية مرمر، قال فى التعريف إن رسم المكاتبة إليه " صدرت والعالى "، والآن فهى خراب وأمرها لصاحب اصطنبول.

العشرين: صاحب أكبرا، قال فى التعريف إنه كان فى زمانه دمر خان بن قراشي، وإن رسم المكاتبة إليه " صدرت والسامى "، وذكر فى التثقيف نحوه وهى الآن ----- [3].

الحادى والعشرين: صاحب فاويا، قال فى التعريف إنه كان فى زمانه مراد الدين حمزة، وإن رسم المكاتبة إليه " صدرت والسامى " ----- [4]

الثانى والعشرين: يلى شار، وقال فى التثقيف إن رسم المكاتبة إليه " هذه المكاتبة "، --[5]

---

(١) بياض فى الأصل.

(٢) الصواب: ويسمى.

(٣) بياض فى الأصل.

(٤) بياض فى الأصل.

(٥) بياض فى الأصل.

الجهة الثالثة

جهة الجنوب عن الديار المصرية

وهى على ثلاث نواحى:

[الناحية الأولى

جزيرة العرب] (١)

سوى بلاد الحجاز المضافة إلى مملكة الديار المصرية وتشمل على إقليمين:

الإقليم الأول

مملكة اليمن

وفيه مملكتان:

المملكة الأولى

إمام الزيدية

وهى مجرده عن اليمن وقاعدها مدينة صنعاء، قال فى تقويم البلدان: إنها من مدن اليمن وهى شبيهة بدمشق لكثرة مياهها وأشجارها، وهى شرقى [٢٧٣ أ] عدن بشمال فى الجبال. وكانت كرسى ملوك اليمن فى القديم وهى بيد أئمة الزيدية من قديم يتوارثونها إماماً بعد إمـــام. قـــال فى التعريف: وهم من بقايا الحسينيين القائمين بآمل الشط من بلاد طبرستان. قال: والإمامة الآن فيهم فى بنى المطهر، وأول من قام من هذه الأئمة باليمن الإمام يحيى الهادى بن الحسين ابن القاسم الزينى بن إبراهيم طباطبا بن إسماعيل الديباجة (٢) بن إبراهيم العمر بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنهم فى سنة ثمان ومائتين فى خلافة المأمون (٣).

---

(١) ما بين الحاصرتين من، العرف، ورقة ٣٦ ب.

(٢) الصواب: الديباج، صبح، ج٧، ص٣٣٣. وكان ذلك عام ٢٤٦ ـ ٢٨٠ هـ، ولقد توفى عام ٢٩٨ هـ. زمباور: معجم، ص١٨٧.

(٣) مذكور ذلك أيضاً فى صبح، وقد صححه محققوه إلى عام ٢٨٨ هـ ولعلهم قصدوا بذلك حكم الهادى لكل من صنعاء وجند وكان ذلك عام ٢٨٨ هـ. انظر صبح، ج٥، ص٤٧، ج٧، ص٣٣٣، هـ٢ ؛ أحمد السعيد سليمان: تاريخ الدول الإسلامية، ج١، ص١٩٨.

قال فى التعريف: وأمراء مكة تسر طاعته، ولا تفارق جماعته. قال: ويكون بين هذا الإمام وبين الملك الرسول (١) مهادنات ومفاسخات تارة وتارة. ثم قال: وهذا الإمام ومن كان قبله على طريقة ما غيروها، وهى إمارة أعرابية لا كبر فى صدورها، ولا شمم فى عرانينها، وهم على مسكة من التقوى وَتَرَدٍّ بشعار الزهد، يجلس فى ندى قومه كواحد منهم، ويتحدث فيهم ويحكم بينهم، [ويخطب ويغنى لهم] (٢) [سواء] (٣) عنده المشروف والشريف، والقوى والضعيف، وربما أشترى سلعته بيده، ومشى فى أسواق بلده لا يُغَلِّظ الحجاب، ولا يكل الأمور إلى الوزراء أو الحجاب، يأخذ من بيت المال بقدر بلغته من غير توسع، ولا تكثر غير مشبع، هكذا هو وكل من ملك (٤) قبله مع عذر (٥) شامل وفضل كامل.

قال فى مسالك الأبصار ولشيعته فيه خير اعتقاد (٦) حتى أنهم يستشفون به (٧) ويمرون بيده على جباههم (٨)، ويستسقون به المطر إذا أجدبوا، ويبالغون فى ذلك كل المبالغة. ثم قال فى التعريف: ولا يكبر لإمام هذه سيرته فى التواضع لله وحسن معاملته بخلقه، وهو من ذلك الأصل الطاهر، والعنصر الطيب، أن يجاب دعاؤه ويتقبل منه. قال: وزى هذا الإمام وأتباعه زى العرب فى لباسهم وعمائمهم، وينادى عليهم فى الأذان " حى على خير العمل " مكان " حى على الصلاة". وإمام الزيديه الآن الإمام أبى الحسن على (٩) ابن الأمام أبى محمد صلاح بن على بن المطهر بن حمزة بن الهادي بن يحيى المذكور. ورسم المكاتبة إليه فى قطع الثلث على ما ذكره فى [٢٧٣ ب] التعريف:

---

(١) الصواب: الرسولى، التعريف، ص٢٧؛ صبح، ج٧، ص٣٣٤.

(٢) ساقطة من، التعريف، ص٢٨؛ صبح، ج٧، ص٣٣٤.

(٣) ما بين الحاصرتين من، التعريف، نفسه؛ صبح، نفسه.

(٤) سلف: التعريف، نفسه؛ صبح، نفسه.

(٥) عدل: التعريف، نفسه؛ صبح، نفسه.

(٦) وشيعته لهم فى إمامهم حسن اعتقادهم: المسالك، ص١٦٦؛ ولشيعة هذا الإمام فيه حسن الاعتقاد: صبح، نفسه.

(٧) بدعائه: المسالك، نفسه؛ صبح، نفسه.

(٨) مرضاهم: المسالك، نفسه؛ صبح، نفسه.

(٩) المقريزى: السلوك، ج٤، ق٢، ص٩٩٣.

" أدام الله تعالى جلال الجانب الكريم العالى ـــ أو ضاعف الله تعالى جلال الجانب الكريم العالى ـــ السيدى، الإمامى، الشريف، الحسيبى، النسيبى، العلامى، العلائى، سليل الأطهار، جلال الإسلام، شرف الأنام، بقية البيت النبوى، فخر النسب العلوى، مؤيد أمور الدين، خليفة الأئمة، رأس العلماء [(١)] صالح الأولياء، علم الهداة، زعيم المؤمنين، ذخر المسلمين، منجد الملوك والسلاطين ".

والدعاء " ولا زال زمانه مربعاً، وغيله مسبعاً، وقراه مشبعاً، وكرمه بفيض نداه منبعاً، وهداه حيث أم بالصفوف متبعا، وملكه المجتمع باليمن، لو أدركه سيف بن ذى يزن لم يكن إلا لديه منتضياً، [وتبع إلا له تبعاً] [(٢)]، ولا فتئت معاقد شرفه بالجوزاء، وعقائد حبه تعد بحسن [(٣)] الجزاء، ومعاهد وطنه آهله بكثرة الأعزاء، ومياسم أهل ولائه تعز إليه بالاعتزاء، ومباسم ثغور أودائه ضاحكة السيوف فى وجوه الأرزاء، هذه النجوى إلى روضه الممرع وإلا فما تزم الركائب، والى حوضه المترع وإلا فما الحاجة إلى السحائب، والى حماه المخصب، وإلا ففيم يسرى الرائد، وإلى مرماه المطنب فوق السماء وإلا إلى أين يريد الصاعد، تسرى ولها من هدى [(٤)] وجهه دليل، ومن [(٥)] نادى كرمه مقيل، وإلى بادى حرمه وما فيه للعاكف، والى عالى ضرمه مالا ينكره العاكف، وفى آثار قدمه ما يحكم به كل عائف، وفى بدار خدمة ما يذرعداه، ﴿كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ﴾[(٦)] ، مبديه، وأول ما تبدأ بسلام تقدمه على قول كيت وكيت، وثناء ولا مثل قوله ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ﴾ [(٧)]".

قال فى التثقيف: قلت رأيت فى دستور منسوب للمقر العلائى ابن فضل الله أن الخطاب له بمولانا الإمام والطلب منه والمتسول وختم الكتاب بالإنهاء والعنوان بالألقاب والدعاء " أدام الله تعالى ـــ أوضاعف الله تعالى ـــ نعمته "، والترجمة " الخادم ".

---

(١) العلياء: التعريف، ص٢٨؛ صبح، ج٧، ص٣٣٤.

(٢) وتبع لم يكن له إلا تبعاً: التعريف، نفسه؛ صبح، ج٧، ص٣٣٥.

(٣) لحسن: التعريف، نفسه؛ صبح، نفسه.

(٤) هادى: التعريف، ص٢٩؛ صبح، نفسه.

(٥) وفى: التعريف، نفسه؛ صبح، نفسه.

(٦) إبراهيم، الآية ١٨.

(٧) الأحزاب، الآية ٣٣.

ورأيت فى بعض الدساتير " أخوه "، وتعريفه " إمام الزيدية باليمن "، وأن العنوان سطران

المملكة الثانية

بنى رسول

[٢٧٤ أ] وهى تهائم، ويقال تهامة، ثم اليمن مما يلى ساحل بحر الهند وقاعدة هذه المملكة حصن تعز بإضافة حصن إلى تعز، وهى حصن فى الجبال مطلة على التهائم. وأرض زبيد وقوفهـا مستترة تسمى صهلة، قد ساق إليه صاحب اليمن المياه ومن الجبال التى فوقها وبنى فيها أبنيـة عظيمة فى بستان هناك.

واعلم أن بنى رسول هؤلاء من أتباع بنى أيوب ملوك مصر، قال فى التعريـف إن سـبب مصير هذه المملكة إليهم أنه لما بعث الملك الكامل محمد بن العادل أبى بكر بن أيوب صاحب الديار المصرية ولده الملك المسعود أطيس وهو الذى تسميه العامة أقسيس بعث معه " رسولا " هو أمـير أخوره فى جملة من بعثه معه. قال: ثم تنقلت الأحوال حتى استقل رسول المذكور بملك اليمن وصار الملك فى عقبة إلى الآن.

والذى ذكره المؤيد صاحب حماة وقاضى القضاة ولى الدين ابن خلدون فى تاريخهما وهـو الصواب، أن أول من ملك اليمن منهم على بن رسول لا أبوه رسول وانتقل الملك فى عقبه بعـده إلى أن كان منهم المجاهد سيف الدين على بن داود، وهو الذى كان فى زمن صاحب التعريـف فى أيام الناصر محمد بن قلاون، ثم ابنه سيف الدين عباس وهو الذى ذكره فى التثقيف أنه كان فى زمن الأشرف شعبان، ثم ملك ابنه المنصور محمد ثم أخوه الأشرف إسماعيل وكان فى أيام الظاهر برقوق، ثم ملك ابنه الناصر أحمد [1]، ثم توفى وملك بعده ولده المنصور عبد الله فتوفـى عبد الله وملك

---

(١) يتوقف القلقشندي فى صبح الأعشى عند الأشرف إسماعيل وترك بياضاً أكمله محققوه من بغية المستفيد لابن الديبع ابنه الناصر أحمد، ج٧، ص٣٣٩، هـ١، وتوقف بعدها. وصاحب الثغر يكمل أسماء الملوك حتى عهده.

بعده الأشرف إسماعيل ---- [١]، ثم خلع حسين وكحل، وتولى أخوه الظاهر يحيى وهو القائم بها الآن [٢].

ورسم المكاتبة له على خمسة أساليب [٣]:

الأسلوب الأول: أن تفتتح المكاتبة بـ " أعز الله تعالى أنصار المقر الشريف، العالى، المولوى، السلطانى، الملكى، الفلانى الفلانى ـ بلقب الملك واللقب الخاص ـ، وأعلى مناره، وضاعف اقتداره، بعلمه كيت وكيت". وعلى ذلك كان الحال فى الدوله المظفرية قطز كما كتب فى البشائر بهزيمة التتار [٤].

[الإقليم الثانى

البحرين

تنبيه: وهى ناحية على شط بحر فارس، ولها قرى كثيرة، وإنما سميت بالبحرين لأن بها بحيرة عند الأحساء وبالبحر المالح، وتشتمل على عثمات، مدينة عظيمة تحف البحر تحت البصرة، والأحساء بلدة فى المرية والقطيف على شاطئ البحر على نحو مرحلتين من عمان، وهى بين الحجاز والعراق، وكانت هذه البلاد بيد القرامطة، ثم صارت إلى العرب، والمحكمة بينهم سبى [٥]، والجماعة متفرقة، وأعلاهم بنى عقيل، ثم من بنى عامر بن صعصعة.

قال فى التعريف إن مكاتبة كبارهم " صدرت والسامى "، والترجمة " أخوه "، ثم ما دون ذلك لمن دونهم. وأما صاحب التثقيف فإنه جمع بين عرب البحرين وبين عرب البصرة وما والاها، وجعل لأميرهم " السامى "] [٢٧٤ ب] بالياء، وتعريفه " فلان بن فلان "، ولمن دونه " هذه المكاتبة " ولمن دونه " يعلم " ولم يذكر ترجمة.

---

(١) بياض فى الأصل.

(٢) الظاهر يحيى بن إسماعيل بن الأفضل، تولى حكم اليمن عام ٨٣٠ حتى عام ٨٤٢ هـ. المقريزى: السلوك، ج٤، ق٢، ص١٣١٨؛ ابن تغرى بردى: النجوم، ج١٤، ص٣١٥، ج١٥، ص٤٧٤؛ السخاوى: الضوء، ج١٠، ص٢٢٢.

(٣) لم يذكر غير الأسلوب الأول فقط وحدث نقص فى المخطوط.

(٤) هنا حدث نقص فى المخطوط، وتم استكمال ما يلى فيما بين الحاصرتين من، العرف، ورقة ٣٨ ب _ ٣٩ أ.

(٥) يقصد بذلك الخوارج.

ورأيت فى بعض الدساتير أن جماعة بأعمال اليمن يكاتبوا من الأبواب الشريفة منهم صاحب صعدا، ورسم المكاتبة إليه " هذه المكاتبة "، وتعريفه " صاحب صعدا باليمن "، وصاحب حلى مثله، وتعريفه " صاحب حلى باليمن "، وصاحب اصطفان مثلهما، وتعريفه " صاحب اصطفان باليمن "، وصاحب حسارات مثلهم، وتعريفه " صاحب حسارات "، وشيخ الجبال، وقال أنه شريف من أقارب سيدى الشيخ عبد القادر نفع الله به، ورسم المكاتبة إليه مثلهم ويزاد فيه ألقاب الأشراف من مرتبته.

الناحية الثانية

من الجهة الجنوبية عن الديار المصرية بلاد السودان

وبها أربع ملوك:

الأول

ملك النوبة

والنوبة مما يلى صعيد مصر الأعلى، وقاعدتها مدينة دنقلة وسماها فى الروض المعطار دمقلة، وهى فى غربى النيل وعلى ضفته، وأهلها أحسن أجناس السودان وأجلهم صوراً مطبوعين فى النطق والحركة. قال فى التعريف: وصاحبها رعية من رعايا صاحب مصر، وعليه حمل مقرر يحمله إلى الأبواب الشريفة فى كل سنة. ثم قطع فى أيام الأشرف شعبان، ورسم المكاتبة إليه " هذه المكاتبة إلى المجلس، الجليل، الكبير، الغازى، المجاهد، الفريد [1]، الأوحد، فلان الدين، مجد الإسلام، زين الأنام، فخر المجاهدين، عمدة الملوك والسلاطين "، ولم يكتب له فى زماننا شيء.

وفى بعض الدساتير رأيت يكتب له فى قطع العادة والترجمة له أخوه وفى بعضها الاسم، وتعريفه " صاحب دنقلة ".

(١) المؤيد: التعريف، ص٤٨؛ صبح، ج٨، ص٦.

الثانى

ملك البرنو

وبلاده تحد بلاد [ملك] [(١)] التكرور فى الشرق، ثم يكون حدها من الشمال بلاد إفريقية، ومن الجنوب الهمج وقاعدة هذه المملكة مدينة " كاكا " وكان ملكها يزعم أنه من ذرية سيف بن ذى يزن أحد تبابعة اليمن، وبذلك ورد كتابه فى أيام الظاهر برقوق، إلا إنه وهم فزعم أنه قرشى ظناً أن سيف بن ذى يزن من قريش [٢٧٥ أ]، وإنما هو من حمير من القحطانية، والقائم بها الآن ____ [(٢)]

ورسم المكاتبة إليه فى قطع الثلث " أدام الله تعالى نصرة الجناب الكريم، العالى، الملك، الجليل، الكبير، العالم، العادلى، المغازى [(٣)]،المجاهد، الإمام[(٤)]، الأوحد، المظفر، المنصور، فلان الدين، عز الإسلام، شرف ملوك الأنام، ناصر الغزاة والمجاهدين، زعيم جيوش الموحدين، جمال الملوك والسلاطين، ظهير الإمامة [(٥)]، معز [(٦)] أمير المؤمنين "، والدعاء " ولا زالت همم سلطانه غير مقصرة، ووفود حجه غير محصرة، وسيفه فى سواد من جاوره من أعدائه الكفار يقول ﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً﴾ [(٧)]، صدرت ولها مثل مسك أفقه العبق [(٨)]، وعنبرة طينته سواد، إلا أنه من السواد اليقق، ويشبه [(٩)] ملكه الذى يفديه سواد الحدق، أوجبها ود أسكنه [مسكنه] [(١٠)] من سويداء القلب لا يريم، واراه غرة الصباح الوضاح تحت

---

(١) ما بين الحاصرتين من، التعريف، ص٤٦؛ وأضافها محقق صبح الأعشى نقلاً عن التعريف، ج٨، ص٧، هـ١.

(٢) بياض فى الأصل.

(٣) الغازى: التعريف، نفسه؛ صبح، ج٨، ص٧.

(٤) الهمام: التعريف، نفسه؛ صبح، نفسه.

(٥) الإمام: صبح، نفسه.

(٦) عضد: صبح، نفسه.

(٧) الإسراء، الآية ١٢.

(٨) عبق: التعريف، ص٢٩؛ صبح، ج٨، ص٨.

(٩) وشبيبة: التعريف، نفسه؛ صبح، نفسه.

(١٠) ما بين الحاصرتين من، التعريف، نفسه؛ وأضافها محقق صبح من التعريف، نفسه.

طره الليل البهيم، ويوضح لعلمه الكريم كيت وكيت "، والترجمة " أخوه "، وتعريفه " صاحب البرنو ".

ورأيت فى بعض الدساتير أن مكاتبته " أعز الله جانب الجناب الكريم " وبقية الألقاب، وقد أخبرنى مقبول الرواية أن فى زماننا تغلب صاحب الكانم على مملكة البرنو وأخذها.

الثالث

ملك الكانم

قال فى مسالك الأبصار: وتبدأ مملكته من حد مصر بلدة تسمى بلالة [١] وآخرها " كاكا " المذكورة، وبينهما نحو ثلاثة أشهر، وقاعدتها بلده تسمى " جيمى "، قال ابن سعيد: وفيها سلطان الكانم المشهور بالجهاد. وقال: وهو من ولد سيف بن ذى يزن. وقال فى التعريف: ملوكها من بيت قديم فى الإسلام، وجاء منهم من ادعى النسب العلوى فى بنى حسن، وهو متمذهب بمذهب الشافعى. قال فى مسالك الأبصار: وعسكرهم مسلمون [٢]، وملكهم على حقارة سلطانه وسوء بقعة مكانه، فى غاية لا تدرك من الكبر [٣] يمسح برأسه عنان السماء مع ضعف جنده [٤]، وقلة متحصل، محجوب لا يراه أحد إلا فى يومى العيدين بكرة وعند العصر، وفى طول [٥] السنة لا يكلمه أحد [٢٧٥ ب] [إلا من وراء حجاب ولو كان أمير] [٦] والقائم فيها الآن — — — [٧]

ورسم المكاتبة إليه كرسم المكاتبة إلى صاحب البرنو بدون " الكريم "، وقال فى التثقيف إنه أقل منه، ورأيت فى بعض الدساتير أنه يزاد فى ألقابه " الأشراف " وقطع الورق فى الثلث، والترجمة " أخوه "، وتعريفه " صاحب الكانم ".

---

(١) ذكرها القلقشندي على طريقتين فى صبحه، " دلا "، ج٥ص٢٨١، " زلا "، ج٨ص٨.

(٢) يتلثمون: صبح، ج٨، ص٩.

(٣) الكبرياء: صبح، نفسه.

(٤) أجناد: صبح، نفسه.

(٥) سائر: صبح، نفسه.

(٦) ما بين الحاصرتين من، نفسه.

(٧) بياض فى الأصل.

قلت: حيث ما كان البرنو والكانم جنسان لا يقتصر على التعريف بهما بل يقال صاحب مملكة الكانم أو البرنو.

الرابع

ملك مالى

وهو المعبر عنه بملك التكرور، قال فى التعريف: ومالى عبارة عن اسم إقليم، والتكرور مدينة من مدنها، وكذلك " كوكو ". قال: وحد مملكته فى الغرب البحر المحيط، وفى الشرق بلاد البرنو، والشمال جبال البربر، وفى الجنوب الهمج، وأما " غانة " بالغين فإنه لا يملكها وكأنه ما لكها يتركها عن قدرة عليها لأن بها وبما وراءها جنوباً منابت الذهب. قال: وقد جرت العادة أن بلاد منابت الذهب متى أخذت وفشا بها الإسلام والأذان، عدم نبات الذهب بها، فصاحب مالى يتركها كذلك لأنه مسلم وله عليها إتاوة كبيرة مقررة تحمل إليه فى كل سنه. قال: ونبات الذهب بهما فى شهر أغشت، وهو مركب من شهرى تموز وآب، حيث سلطان الشمس قاهر، وذلك عند أخذ النيل فى الارتفاع والزيادة، فإذا انحط النيل تتبع حيث ركب عليه من الأرض، فيؤخذ ما هو نبات يشبه النجيل فيتيبس [١] عليه قمن قراميه الذهب، ومنه ما يوجد كالحصى، والأول أفحل وأقوم فى العيار.

وقاعدة الملك بهذه المملكة " بنى "، قال فى التعريف: وملك التكرور هذا يدعى نسباً إلى عبد الله بن صالح بن الحسن بن على بن أبي طالب، واسم السلطان عندهم " منسى "، والقائم فيها الآن يوسف بن موسى بن على بن إبراهيم، ورسم المكاتبة إليه فى قطع الثلث:

" أدام الله تعالى نصر المقر العالى، السلطان، الجليل، الكبير، العالم، العادل، المجاهد، المؤيد، [٢٧٦ أ] الأوحد، عز الإسلام، شرف ملوك الأنام، ناصر الغزاة والمجاهدين، زعيم جيوش الموحدين، ظهير الملوك والسلاطين، سيف الخلافة، ظهير الإمامة، عضد أمير المؤمنين [٢] .

وعلى ما أورده فى التثقيف [٣] وقال إنه المتداول بين جماعة كتاب الإنشاء فى زمانه:

" أعز الله تعالى جانب الجناب الكريم، العالى، الملك، الجليل، [العالم] [١]، العادل، المجاهد،

---

(١) وليس به: التعريف، ص٤٥؛ صبح، ج٥ص٢٩٠.

(٢) جمال الملوك والسلاطين، سيف الجلالة، ظهير الإمامة، عضد أمير المؤمنين: صبح، ج٨، ص١٠.

(٣) لم يذكر هذا الكلام القلقشندي منسوباً للتثقيف، صبح، ج٨ص١٠.

المؤيد، المرابط، المثاغر، الخاشع [٢]، الناسك، العابد، الأوحد ــ فلان ــ ذخر الإسلام والمسلمين، نصرة الغزاة والمجاهدين، زعيم [٣] جيوش الموحدين، ركن الأمة، عماد الدولة [٤]، جمال الملـــوك والسلاطين، ولى أمير المؤمنين. والدعاء " ويسر له القيام بفرضه، وأحسن له المعاملة فى قرضـــه، وكثر سواده الأعظم وجعلهم بيض الوجوه يوم عرضه، ومتعه بملكه رب السماء الذى جعـــل[٥] الذهب نبات أرضه، صدرت هذه المفاوضة إلى الجناب الكريم، وصدرها به مملوءاً، وشكرها عليه مجلوءاً، ومن إباحته فى القلوب سر كل فؤاد، وسبب ما حلى به الطرف والقلب من السواد، تتزل به سفنها المسيرة فى البر [٦] وترسى، وتحل عند ملك ينقص به زائده، وينسى موسى منسى، وتقيم عليه والدهر لا يطرقه فيما ينوب، والفكر لا يشوقه إلا إذا جاءت [٧] صبا من أرضه أو جنوب ".

قال فى التعريف: لا يعرض له ولا يقر بشيء من الألقاب الدالة على النســب العلـــوى. والترجمة " أخوه "، وتعريفه " صاحب مالى وغانه ".

الناحية الثالثة

من الجهة الجنوبية من الديار المصرية الطراز [٨] الإسلامية

وهو من بلاد الحبشة إلى ساحل بحر القلزم مما يقابل اليمن. قال فى التعريف: إنه بـــه ســـبع ملوك مسلمون. قال فى مسالك الأبصار: أن لكل ملك منهم مملكـــة منفـــردة، بهـــا الجوامـــع، والمساجد، ينادى فيها بالأذان، وتقام بها الجمع والجماعات، وهم مع ذلك تحت أمر ملك " أمحرا " ملك ملوك الحبشة يولى منهم من شاء، ولا يردون ولا يصدرون إلا عن أمره. [٢٧٦ ب]

(١) ما بين الحاصرتين من، التثقيف، ص٢٥؛ صبح، نفسه.

(٢) ساقطة من صبح، نفسه.

(٣) عون: التثقيف، نفسه؛ صبح، ج٨، ص١١.

(٤) الملة: التثقيف، نفسه؛ صبح، نفسه.

(٥) بملك يجد الحديد سجف سمائه: صبح، ج٨، ص١٠.

(٦) الصواب: البحر، صبح، نفسه.

(٧) هبت: صبح، نفسه.

(٨) هى البلاد المقابلة لساحل اليمن على البحر الأحمر والمحيط الهندى، وقد عبر عنها بالطراز الإسلامي لأنها على جانب البحر كالطراز له. القلقشندي: صبح، ج٥، ص٣٢٤.

وأما السبع ممالك [١] فهى مملكة أوفات، والزيلع [٢]، ومملكة دوارو وأرابينى، ومملكة هدية، ومملكة شرحا، ومملكة بالى، ومملكة دارة، لم يرد من هذه الممالك كتاب ولا صدر إليهم خطـــاب. وقال فى التعريف: فإن صدر لأحد من ملوك هذه الممالك مكاتبة أجريت مثل مكاتبـــة صـــاحب الكانم أو البرنو كما تقدم.

(١) عن هذه الممالك انظر. القلقشندي: السابق، ج٥، ص٣٢٥ ــ ٣٢٩.

(٢) لقد ذكر القلقشندي أن زيلع من البلاد التابعة لمملكة أوفات ولم تكن مملكة مستقلة. السابق، ص٣٢٦.

الباب التاسع

فى رسم المكاتبات الصادرة إلى ملوك الإسلام فى جهة الغرب

ويقال فيها المغرب، قال فى تقويم البلدان، وحدها من جهة الشرق حدود ديار مصر من ظهور الواحات إلى بحر الروم، ومن جهة الشمالى بحر الروم من العقبة المذكورة إلى فم بحر الزقاق إلى صحراء لمتونة فى الجنوب، ومن الجنوب المفاوز الفاصلة بين بلاد السودان وبلاد المغرب. قال: وهذه المفاوز ممتدة غرباً بشرق من البحر المحيط إلى ظهر الواحات من حيث وقع الابتداء. ويشتمل على أربعة ممالك:

المملكة الأولى

إفريقية

قال فى تقويم البلدان [(١)]: إن قاعدتها مدينة تونس، وهى على بحيرة مالحة خارجية من البحر طولها عشرة أميال. قال فى العزيزى: وهى مدينة قديمة البناء كثيرة الخصب. قال فى التعريف: وحد هذه المملكة غرباً من جزائر بنى مزغنى إلى عقبة برقة الفاصلة [(٢)] بين طرابلس وبين برقة، وهى نهاية الحد الشرقى، ومن الشمال البحر ومن الجنوب آخر بلاد الخريد والأرض السواخة إلى مدينة النحاس على ما يقال.

ويضم إليها بجاية وكانت قاعدة الغرب الأوسط فى الزمن القديم، وهى تقابل طرطوشة من الأندلس، وقسنطينة مدينة على آخر مملكة بجاية من جهة الغرب، وصاحبها أحد ملوك العرب كما قاله فى التعريف. وتوزر مدينة عظيمة وبها طلسم يثير ريحاً عظيماً إذا دخلها كافر. ونقطة مدينة متوسطة دون توزر فى العمل وبها قلعة عظيمة، وجابية [٢٧٧ أ] ويقال الجابية مدينة عظيمة بها ثلاثمائة وستون عيناً نابعة، وقابس مدينة قديمة البناء بها قلعة عظيمة وقد خرب بعضها. والقيروان وهى مدينة عظيمة مركز العلماء والصلحاء ويجلب قوت أهلها من غيرها من القرى.

(١) ابن سعيد: صبح، ج٥، ص١٠٢.

(٢) الفارقة: التعريف، ص٤١.

وهؤلاء مدن كبار مسورة بكل منها حاكم من قبل صاحب تونس، وقد آل أمر هذه المملكة إلى الحفصيين من بقايا الموحدين أتباع بن تومر [١]، والقائم منهم فى زماننا مولاى السلطان أبو سعيد [٢] عثمان بن أبو عبد الله محمد، وكان تسلطن فى حياة والده ثم خلع فى حياة والده ابن مولاى السلطان الشهيد أبو فارس عبد العزيز عزوز، وكان شجاعاً كريماً مهاباً عادلاً عارفاً ديناً كثير الصدقة مبراً للعلماء والفقراء والأرامل والأيتام، ملات صدقاته المساجد الثلاث والديار المصرية. وغزا فى أعداء الله وجهز الجيوش وفتح البلاد وأشحنت السير والتواريخ بحسن صفاته وجميل أوصافه، من الله عليه بالرحمة أفضل ما من به على دارج وجعله من الذين يتبوءون فى أشرف المنازل، ويرقون إلى أعلى المدارج ابن مولاى السلطان أبو العباس أحمد بن محمد بن مولاى السلطان أبو بكر المذكور فى التعريف بن السلطان يحى بن السلطان إبراهيم بن السلطان يحى بن السلطان الشيخ عبد الواحد بن السلطان الشيخ أبي حفص.

وهم يدعون الخلافة والنسبة إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه. قال فى التعريف: ومن أهل النسب من ينكر ذلك ويجعلهم تارة منتسبين إلى عدى بن كعب سبط عمر بن الخطاب دون بنى عمر، ومنهم من ينسبهم إلى هنتاتة قبيلة من قبائل البربر بالمغرب، وهى قبيلة عظيمة مشهورة [٣].

ورسم المكاتبة إليه على ما أورده فى التعريف أن يكتب بعد البسملة:

---

(١) يقصد به المهدى بن تومرت مؤسس دولة الموحدين بالمغرب والأندلس، والذى قامت دولته على أساس إصلاحى تدعو إلى الوحدة الإسلامية. انظر: البيذق: أخبار المهدى بن تومرت وابتداء دولة الموحدين، ص٢١ وما بعدها. المراكشى: المعجب فى تلخيص أخبار المغرب، ص١٥٥ وما بعدها.

(٢) الصواب هو أبو عمرو عثمان بن محمد سلطان الحفصيين من عام ٨٣٩ إلى ٨٩٣ هـ / ١٤٣٥ ـ ١٤٨٧ م. انظر: زمباور: معجم، ص١١٦. وينسب الحفصيون إلى الشيخ أبي حفص يحى بن عمرو الهنتاتى المنسوبون إلى قبيلة هنتاتة من قبائل مصمودة البربرية، وهو من شيوخ الموحدين الذين قامت دولة الموحدين على أيديهم. انظر: الزركشى: تاريخ الدولتين، ص٢١ ـ ٢٣؛ السيد عبد العزيز سالم: المغرب الكبير، ص٨٧٥ ـ ٨٧٦.

(٣) عن هذه الأراء انظر. طاهر راغب حسين: الدولة الحفصية بالمغرب إلى آخر القرن الثامن، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية دار العلوم، القاهرة ١٩٧٧.

" أما بعد حمد الله " بخطبة مختصرة فى معنى الحال ثم يقول " فهذه المفاوضة ـــ أو النجوى أو التذكرة أو المطارحة أو ما يجرى مجرى ذلك تهدى من طيب السلام ومن هذا، ومثله ـــ إلى الحضرة الشريفة، العلية، السنية، السرية، العالمية، العادلية، [٢٧٧ ب] الكاملية، الأوحدية، حضرة الإمارة العدوية، ومكان الإمامة القرشية، وبقية السلاله الطاهرة الزكية، حضرة أمير المسلمين، وزعيم الموحدين، والقائم فى مصالح الدنيا والدين، السلطان، السيد، الكبير، المجاهد، المؤيد، المرابط، المثاغر، المظفر، المنصور، الأوحد [١]، المتوكل على ربه، والمجاهد فى حبه، والمناضل عن الإسلام بذبه فلان ". ويدعى له بما يناسب مختصراً ثم يقول " صدرت نهدى إليه من السلام ما ترق فى جانبه الغربى أصائله، ويروق فيما ينصب لديه من أنهار النهار جداوله، ويحمله لكل غاد ورائح، وتجرى به السفن كالمدن والركائب الطلائح، وتخص ملك الحضرة بثبات مسكه عن بيت لبعد الدار [٢]، ويستطلع ليل العراق به من فرق إفريقية النهار، وتتحامى [٣] مصر به عن جارتها الممنعة، وتفخر بجاريتها الشمس التى لا ترى فى أفقها إلا مبرقة [٤] ".

ولم يذكر فى التعريف قطع الورق ولا العنوان ولا الترجمة ولا التعريف، والذى أورده صاحب التثقيف أن رسم المكاتبة إليه فى قطع الثلث بنظر ما يكتب به لصاحب فاس، وهو أن يكتب بعد البسملة الشريفة بحيث يكون تحتها سواء فى الجناب الأيمن من غير بياض:

بسم الله الرحمن الرحيم

عبد الله ووليه

بيت العلامة على العادة

ثم يكتب الألقاب الشريفة أول السطر " السلطان الأعظم، المالك، الملك، الفلانى السيد، الأجل، العالم، العادل "، إلى آخر ألقاب السلطان، ثم يقال " أبو فلان فلان "، فإن كان من آبائه من ملك يقال " ابن السلطان الملك الفلانى الفلانى، فلان الدنيا والدين "، ويدبج فى نسبه إلى منتهاه " خلد الله سلطانه، ونصر جيوشه وأعوانه ". ثم يقال " يخص الحضرة العلية،

---

(١) ساقطة من صبح، ج٧، ص٣٧٨.

(٢) وتخص ذلك المقر منه بثناء يعز لأن ينيب لبعدة الدار: صبح، ج٧ص٣٧٨.

(٣) وتحامى: التعريف، ص٤٢؛ صبح، ج٧، ص٣٧٨.

(٤) مبرقعة: التعريف، ص٤٣؛ صبح، نفسه.

السنية، السرية [١] المظفرة، الميمونة، المنصورة، المصونة، [٢٧٨ أ] حضرة الأمـير، العـالم، المجاهد[٢]، المؤيد، الأوحد، ذخر الإسلام [والمسلمين] [٣]، عـدة الـدنيا والـدين، قـدوة الموحدين[٤]، ناصر الغزاة والمجاهدين، سيف جماعة الشاكرين، صلاح الدول ". والدعاء بإهداء السلام والشكر، ثم يأتي بعد حمد الله بخطبة مختصرة جداً، " فإنا نوضح لعلمه الكريم ". والترجمة " أخوه "، وتعريفه " صاحب تونس "، ولم يتعرض إليه فى مخاطبته فى أثناء الكلام.

وفى بعض الدساتير أن مخاطبته تكون بالإخاء، والعنوان " الحضرة العلية السرية، الشريفة، المظفرية، الميمونة، المنصورة، حضرة الملك العالم، العادل، المجاهد، المؤيد، الأوحد، فلان الـدين، ذخر الإسلام والمسلمين، عدة الدنيا والدين، قدوة الموحدين، صلاح الدول، أعز الله أنصـاره ". وتعريفه " صاحب تونس ".

وكتب لمولاى أبو فارس [٥] رحمه الله فى عام واحد وثلاثين بإشارة القاضى بدر الدين ابـن مزهر، بخط القاضى شرف الدين بن التاج [فى قطع الثلث] [٦] " المقام العالى، السلطان الملـك الأجل، الكبير، المجاهد، المرابط، المؤيد، المظفر، المعظم، المثاغر، المعان، فـاتح المغـارب، ومـانح المآرب "، والدعاء " جعل الله كلمته العليا "، وتعريفه " أبو فارس صاحب بلاد الغرب ".

ورأيت فى بعض الدساتير مكاتبة لصاحب تونس على قرب من ذلك ورأيت من ذكر أنـه يكتب له فى قطع النصف.

الصدر بسم الله الرحمن الرحيم

عبد الله ووليه

بيت العلامة كما تقدم.

---

(١) الشريفة: صبح، ج٧، ص٣٧٩.

(٢) العادل، العابد: صبح، نفسه.

(٣) ما بين الحاصرتين من، صبح، نفسه.

(٤) ساقطة من صبح، نفسه.

(٥) هو أبو فارس عبد العزيز، تولى ملك الحفصيين من عام ٧٩٦ ـ ٨٣٧ هـ / ١٣٩٣ ـ ١٤٣٣ م. زمباور: معجم، ص١١٦.

(٦) ما بين الحاصرتين من، العرف، ورقة٤٤ب.

" من السلطان المالك، الملك "، إلى آخر الألقاب، ثم يقول " إلى الحضرة العلية، السرية، الشريفة، المظفرة، الميمونة، المنصورة، حضرة الملك العالم، العادل "، إلى آخر الألقاب " فلان أبو فلان، ذخر الإسلام والمسلمين، عدة الدنيا والدين، قدوة الموحدين، صلاح الدول، وجعل العدل والإحسان شعاره، والتقوى دثاره، ولا زالت مملكته بقوته عامرة، ومهابته لنفوس الجبارين قاهرة، ومعدلته مؤصله إلى عرفات العز فى الدنيا والآخرة، يخصه بسلام صفا ورده [٢٧٨ ب] وثناء يسير ريح نده، أما بعد حمد الله الذى جعل القلوب أجناداً مجندة، ورسائل الملوك فى كل يوم مجدده، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الذى نصره الله بالرعب مسيرة شهر، وأعلى به بقاء الدين وشيده، وعلى آله وصحبه الذين اقتفوا طرائقه وسؤدده، صلاة دائمة مؤيدة، فإنا نوضح لعلمه الكريم كيت وكيت "

وخطابه " بالحضرة العلية "، وختمه " فيحيط علمه الكريم بذلك ". والورق فى قطع الثلث والعلامة " أخوه "، وتعريفه " صاحب تونس ".

أما وزيره فيقال فى التثقيف [(١)] إن رسم المكاتبة إليه:

" صدرت هذه المكاتبة إلى المجلس السامى، الشيخى، الكبيرى، العاملى، الفاضلى، الأوحدى، الأكملى، الأرشدى، الأمجدى، الأثيرى، البليغى، المتصرفى، الفلانى مجد الإسلام، بهاء الأنام، شرف الفضلاء، زين العلماء، نجل الأكابر، أوحد الأعيان، بركة الدولة، صفوة الملوك والسلاطين ". الترجمة الاسم، تعريفه " وزير تونس ".

---

(١) لقد نقل القلقشندي هذه المكاتبة عن دستور المقر العلائي بن فضل الله. انظر: صبح، ج٧، ص٣٨٤.

المملكة الثانية

من الممالك الإسلامية، مملكة الغرب الأوسط

وقاعدها مدينة تلمسان

وهي بيد بنى عبد الواد [١] من زناتة من البربر بعد الموحدين وهم الحفصيين، وكانوا ملوكها انتموا إلى مولاى أبو فارس، وأسندوا أمرهم له، فلما مات عادوا إلى ماكانوا عليه. وتلمسان مدينة عظيمة كثيرة الأنهار والأشجار والفواكه، وبها قصر عظيم لم يرى مثله مسكن الملك فى مقام القلعة، وفى مملكتها من المدن الكبار نَدرُومَه، وهي كثيرة الأنهار والأشجار والفواكه وبها قلعة حصينة. والبطحاء، مدينة عظيمة كثيرة الأشجار والفواكه والمياه. والمُدية، وهي مدينة وسط كثيرة الأشجار والفواكه. وغير هؤلاء من المدن، وقد تقدم الكلام عليهم فى سواحل الغرب.

والقائم فى هذه المملكة الآن مولاى السلطان أبو ذكرى يحيى بن أبو حمو [٢] محمد السلطان يوسف بن السلطان عبد الرحمن بن السلطان يحيى بن السلطان عمراسن بن السلطان [٢٧٩ أ] زيان بن السلطان ثابت بن السلطان محمد بن السلطان زكراد بن السلطان مندوكن بن السلطان طاع الله بن السلطان على بن السلطان القاسم بن السلطان الشيخ عبد الواد المذكور. قال فى التثقيف إن صاحبها كان فى زمانه فى أيام الأشرف شعبان أبو حفص عمر بن أبي عمران موسى المذكور، ولم يورد القاضى شهاب الدين ابن فضل الله فى التعريف ولا مسالك الأبصار لها مكاتبة لصاحبها لأنها كانت فى زمانه مضافة إلى أبى الحسن المرينى [٣]. وقال فى التثقيف إن رسم المكاتبة إليه كرسم المكاتبة إلى صاحب تونس سواء فى قطع الثلث.

---

(١) ينسب بنو عبد الواد إلى بنى عبد الواد من قبيلة زناتة البربرية، أسس دولتهم يغمراسن بن زيان عام ٦٣٣ هـ إلى عام ٦٨١ هـ. يحيى بن خلدون: بغية الرواد فى ذكر الملوك من بنى عبد الواد، الجزائر١٩٠٣، ج١، ص١٠٤ ـ ١٠٥؛ عبد الحميد حاجيات: أبو حمو موسى الزيانى، الجزائر، ١٩٧٤، ص١١ ـ ١٤.

(٢) تولى الحكم من ٨٣٣ ـ ٨٦٦ هـ. زمباور: معجم، ص١١٩.

(٣) هو السلطان أبو الحسن المرينى الذى تولى حكم المرينيين عام ٧٣٢ ـ ٧٤٩ هـ/ ١٣٣١ ـ ١٣٤٨ م، وقد سيطر المرينيون على مملكة بنى عبد الواد فترة من الزمن من عام ٧٣٧ إلى عام ٧٦٠ هـ. انظر: السيد عبد العزيز سالم: المغرب، ٨٧٤؛ محمد الحريرى: تاريخ المغرب فى عصر المرينيين، ص٢١٩ ـ ٢٢١.

ورأيت فى بعض الدساتير المنسوبة للقاضى علا الدين ابن فضل الله كذا فى القطع والترجمة والمكاتبة على السواء، وتعريفه " صاحب تلمسان "، ولم أقف له على مكاتبة وزير ولا أحد من أتباعه.

المملكة الثالثة

من الممالك الإسلامية مملكة المغرب الأقصى

وقاعدها مدينة فاس

وهى مملكة بر العدوة وهى من حدود تلمسان إلى البحر المحيط الغربى، ومن بحر الروم إلى البحر الفاصل بين بلاد الغرب وبلاد السودان، وقاعدها مدينة فاس. قال ابن سعيد: إنهم لما شرعوا فى حفر أساسها وجدوا فيه فأساً فسميت بذلك، وهى مدينتان يشق بينهما نهر واحد، ولها عدة بحور تجرى غيره. قال: وعلى أنهارها داخل المدينة ستمائة رحى تدور على الماء دائما، وأهلها مخصوصون برفاهية العيش.

وفى عملها مدن كبيرة منها " ساوة "، وهى مدينة عظيمة بسفح جبل وتنسحب إليها المياه عدة أعين من الجبل المشرف عليها كدمشق. و" مكناس "، وهى مدينة عظيمة كثيرة الفواكه والعسل والزيتون معتدلة الهواء نزهة المنظر. و" درعة " [1]، وهى مدينة عظيمة كثيرة النخيل والأشجار والثمر والفواكه. و" تاميلات " [2]، وهى مدينة تشتمل على سور عظيم به خمسة وعشرون باباً، طويلة المدى فيما بينهما، وكان لها سبعة أسوار فدثر غالبها، وغير ذلك من المدن وقد تقدم ذكر غالبها فى سواحل بلاد الغرب.

قال فى التعريف: وقد استقر ملكها فى بنى مرين زناتة من البربر. ورأيت فى بعض الدساتير من يعرف صاحب مملكة الغرب بصاحب مراكش. ومراكش [٢٧٩ ب] مدينة عظيمة ولها خمسة وعشرون باباً، وكانت مملكة عظيمة على فاس، وصاحبها يحكم على صاحب فاس، ثم وهت مراكش وصار صاحب فاس يحكم عليها وهى من بعض مدنه. والقائم فى مملكتها

---

(١) ويقال لها تيوميتين. البكرى: المغرب، ص١٥٥.

(٢) لعله يقصد مدينة تاملت. البكرى: المغرب، ص٨٨.

فى زماننا السلطان أبو عبد الله محمد [١] بن السلطان أبو سعيد عثمان بن السلطان أبى العباس أحمد بن السلطان أبو سالم إبراهيم بن السلطان أبى الحسن على بن السلطان أبو سعيد عثمان بن السلطان أبى يوسف يعقوب بن عبد الحق بن محمد [٢] بن أبى بكر بن حمامة بن محمد بن ورصف[٣] بن فكوس بن كرماط بن مرين. قال فى التعريف: إن السلطنة كانت فى زمنه فى الدولة الناصرية محمد فى السلطان أبى الحسن [على] [٤] ابن أبى سعيد [٥] المقدم ذكره. ثم قال: وورث هذا السلطان ملك العزفيين بسبتة، وملك بنى عبد الواد بتلمسان، وأطاعه ملك الأندلس، ودان له ملك إفريقية، وزوجة ابنته وساقها له سوق الأمة [٦]. ثم قال: وهو اليوم ملك ملوك الغرب وموقد نار الحرب، وبنوه يطرون بهذه النسبة والسمعة إلى الآن.

ورسم المكاتبة إليه على ما أورده فى التعريف بعد البسملة " من السلطان الأعظم الملك الفلانى " إلى آخر الألقاب والدعاء لسلطاننا [٧] " أجرى الله الأقدار برفعة قدرة، وأدار الأفلاك بتأييده ونصره، وأذل رقاب الأعداء بسطوته وقهره، وشحن الأقطار بسمعته وملأ الآفاق بذكره ". ثم يقول " تحية يفتتح بها الخطاب ويقدم منها ما زكا وطاب "، وتقال سجعات مختصرة نحو " وتثنى إليه أعنة ثناء أسرى من وفد الريح إلى حرمه، وأعطر من سكر الروض الندى لمواقع ديمه، ثناء لو تجسد لم ترضى درره سلوك السلوك، ولم تسمه إلى الاتسام بمفاخره إلا ما علا أسنى المفارق من تيجان الملوك "، ثم يقول:

---

(١) لقد كان هذا السلطان هو آخر سلاطين بنى مرين ٨٣١ — ٨٦٩ هـ، واختلف هل كان خليفة السلطان أبو سعيد عثمان أخوه عبد الله أم ابنه عبد الحق، وعن ذلك انظر: السلاوى: الاستقصا فى أخبار المغرب الأقصى، ج١، ص١٤٨ — ١٤٩؛ محمد الحريرى: تاريخ المغرب، ص١٨٣ — ١٨٥.

(٢) محبو: صبح، ج٧، ص٣٨٦.

(٣) ذكر القلقشندي الاسم بطريقتين، ورصيص: صبح، ج٧، ص٣٨٦؛ ورزيز: ج٥، ص١٤٤.

(٤) ما بين الحاصرتين من، صبح، ج٧ ص٣٨٦.

(٥) عثمان: صبح، نفسه. تولى أبى الحسن على بن أبى سعيد عثمان الحكم من عام ٧٣٢ — إلى عام ٧٤٩ هـ. زمباور: معجم، ص١٢٢.

(٦) وعرض عليه ابنته فتزوجها، فساقها إليه سوق الأمة: صبح، نفسه.

(٧) هذا الدعاء من إنشاء القلقشندي كما ذكر هو، ج٧، ص٤٠٧. فى نسخة الجواب المرسلة إلى صاحب فاس كتب بذلك عن السلطان الملك الناصر فرج بن برقوق.

" يخص بها الحضرة الشريفة، العلية، الطاهرة الزكية، حضرة المقام العالى، السلطانى [١]، السيد، الأجل، العالم، المجاهد، المرابط، المثاغر، المؤيد، المظفر، المنصـــور، الأســـرى، الأســـنى، الزكى، الأتقى، المجاهد فى الله [٢]، الغالب بنصر الله [٣]، المؤيد على أعداء الله، أمير المســـلمين، [٢٨٠أ] قائد الموحدين، مجهز الغزاة والمجاهدين، مجند الجنود، عاقد البنود، مـــالىء صـــدور البرارى والبحار، مزعزع أسرة الكفار، مؤيد السنة، معز الملة، شرف الملوك والسلاطين، بقيـــة البيت [٤] الكريم، والحسب [٥] الصميم وبيت الملك القديم أبى فلان بن فلان ابن فلان "، ويرفع نسبه إلى عبد الحق وهو أول نسبه.

ويقال فى كل منهم " أمير المسلمين أبى فلان فلان "، ثم يدعى له نحو " أعز الله أنصـــاره وسلطانه " أو غير ذلك بدعاء مفخم من الأدعية الملوكية المطولة ثم يقال " أما بعد حمـــد الله "، ويخطب خطبة مختصرة نحو:

" أما بعد حمد الله على نعمه الظاهرة والظافرة، ومننه الجزيلة الوافية الواقرة، وعـــوارف فضائله الباهرة، التى هى أعظم من البحار الزاخرة، والصلاة والسلام على ســـيدنا محمـــد ذى المعجزات المتكاثرة، والسجايا الظافرة، والمناقب الطاهرة، وعلى آله ذوى العصـــابة الزاهـــرة، وأصحابه أولى المفاخر الفاخرة، أصدرت إليه وسيرت، لتعرض عليه، نهدى إليه مـــن الســـلام أكمله، ومن الثناء أجمله، ونبدى لعلمه الكريم كيت وكيت "، وخطابة بـــ" الحضرة الشريفة"، والطلب منه والقصد.

ورأيت فى بعض الدساتير " والمستمد "، ويختم بدعاء مطول مثل " والله تعـــالى يجمـــع بسعادته كلمة الإسلام والمسلمين، وينصره على الأعداء، ويسد عن حوزته الشـــريفة أبـــواب الردى، وأتباع الحق الواضح إلى طرق الهدى، فالحضرة الشريفة تتحف بمكاتباته وبمهماته حفظه الله من بين يديه ومن خلفه بمعقباته ". والورق فى قطع النصف، والترجمة " أخوه ".

---

(١) السلطان: التعريف، ص٤٠؛ صبح، ج٧، ص٣٨٧.

(٢) ساقطة من صبح، وأضافها محققوه من التعريف، ج٧ص٣٨٧، هـ١.

(٣) ساقطة من صبح، نفسه.

(٤) السلف: التعريف، نفسه؛ صبح، نفسه.

(٥) النسب: التعريف، نفسه.

ورأيت فى بعض الدساتير أن السلطان الملك الصالح إسماعيل بن السلطان الناصر محمد سقى الله عهدهما ترجم له تحت عبد الله ووليه " ولده إسماعيل "، وكان والده الشهيد الناصر يكتب " محمد بن قلاوون "، وكان صاحب مراكش إذا ذاك السلطان أبى الحسن على بن السلطان عثمان المرينى وتعريفة " صاحب مراكش "، ورأيت فى بعض الدساتير تعريفة " ملك الغرب "، والعنوان " الحضرة الشريفة العالية، الطاهرة، الزكية، حضرة المقام العالى السلطانى "، إلى عند " ربيب الملك القديم "، ثم يقول " أيد [٢٨٠ ب] الله سلطانه أو أعز الله أنصاره "، ولم أطلع على مكاتبة لوزيره، أو لأحد من أتباعه.

المملكة الرابعة

من الممالك الإسلامية الغربية مملكة الأندلس

وقاعدها مدينة غرناطة

وهى تقابل بلاد الغرب وبينهما بحر الزقاق والمسافة بينهما نحو ثمانية عشر ميلاً. واعلم أن إقليم الأندلس كان فتح فى خلافة الوليد بن عبد الملك، وتوالى الفتح فى بلاده إلى أن استولى المسلمون على جميعه، ثم استرجع النصارى معظمه بعد الستمائة وبقى مع المسلمون منه قطعة لطيفة من شرقية على ساحل البحر الرومى طول عشرة أيام فى عرض ثلاثة أيام وقاعدة هذه المملكة مدينة غرناطة، وربما يقال أغرناطة. قال فى تقويم البلدان: وهى غاية فى النزاهة شبيهة مدينة دمشق، وتفضل عليها من حيث أن مدينتها مشرفة على غوطتها، وهى مكشوفة من الشمال، والأنهار تبحر فيها وتدور عليها إلا رحى داخل المدينة.

وهى فى غاية الحصانة ومملكتها فى الجنوب والشرق عن مملكة قرطبة وبينها وبين قرطبة نحو خمسة أيام، وهى بيد بنى الأحمر وجدهم اسمه نصر، وهم من ولد قيس بن سعد بن عبادة سيد الخزرج صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى قتلته الجن كما ورد بذلك الحديث المشهور.

أما المدن التى بإقليم الأندلس فكثيرة، وقد تقدم أسماء المدن التى على ساحل البحر منه فى سواحل الغرب، وأما ما هو مشهور من مدنها التى لم تكن بساحل البحر فهى " البيرا " [1]، وهى

---

(١) يقصد بها البيرة، ويقال لها بلبيرة أو لبيرة، وهى من كور الأندلس الكبرى، وكانت عاصمة لإقليم غرناطة. ياقوت: معجم، ج١، ص٢٨؛ الحميرى: الروض، ص٢٨.

مدينة عظيمة ذات قلعة حصينة على ثلاثة عشر ميلاً من غرناطة، وهى كثيرة الأشجار والمياه والخصب، و" رندا " [١] مدينة بسفح جبل وبها قلعة حصينة مانعة، و" دكوين " [٢] وهى مدينة عظيمة فى وطأة من الأرض وبها معادن كثيرة وأشجار وثمار، و" لوشا " [٣] مدينة عظيمة كثيرة الأشجار والمياه، و" الحما " [٤] مدينة عظيمة بها حمامين للرجال والنساء بهما ماء نابع من أعين فى شدة الحرارة [وات بنا] [٥] للسبيل، فحكرت فامتنع نبع الماء فأطلقت فعاد الماء، و"ديش"[٦] مدينة كثيرة الأشجار والأنهار والفواكه، و" بسطة " [٢٨١ أ] مدينة عظيمة وبها بيت الزعفران، و" بليش " [٧] وهى مدينة عظيمة بسفح جبل، وغير ذلك.

والقائم فى هذه المملكة فى زماننا السلطان أبي عبد الله محمد [٨] بن السلطان نصر بن السلطان محمد بن السلطان أبو الحجاج بن السلطان يوسف بن السلطان نصر، ورأيت فى بعض الكتب أن اسمه محمد بن يوسف بن محمد بن يوسف بن إسماعيل بن يوسف بن نصر. ورسم المكاتبة إليه على ما أورده فى التعريف بعد البسملة أما بعد بخطبة مختصرة:

" فهذه المفاوضة إلى الحضرة العلية، السنية السرية، العالمية، العادلية، المجاهدية، المؤيدية، المرابطية، المثاغرية، المظفرية، المنصورية، بقية شجرة الفخار، وخالصة سلف الأنصار، والمجاهد عن الدين، والذاب عن حوزة المسلمين، وناصر الغزاة والمجاهدين، وزعيم جيوش الموحدين خالصة [٩] الخلافة المعظمة، وأثير الإمامة المكرمة، ظهير أمير المؤمنين، أبى فلان فلان ".

---

(١) يقصد بها رندة. ياقوت: السابق، ج٣، ص٧٣.

(٢) كذا بالأصل، ولم أهتد لمكانها ومعناها.

(٣) يقصد بها لوشة. الزهرى: الجغرافية، ص٩٥.

(٤) يقصد بها الحمة أو الحامة. الإدريسى: نزهة، ج٢، ص٥٦١.

(٥) كذا بالأصل، ولم أهتد لمعناها.

(٦) لعله يقصد بها وادى أرش الموضع القديم لمدينة بجانة. انظر: الحميرى: السابق، ص٣٧؛ عبد العزيز سالم: المرية، ص٢١.

(٧) يقصد بها بلش. ياقوت: السابق، ج٥، ص١٢٠.

(٨) تولى السلطان أبي عبد الله محمد حكم غرناطة ثلاث مرات أخرها من عام ٨٣٥ إلى ٨٤٨ هـ. زمباور: معجم، ص٩٤.

(٩) خلاصة: التعريف، ص٤٣؛ صبح، ج٧، ص٤١٢.

صدر. " صدرت هذه المكاتبة إليه متكفلة بالنصر على بعد الدار، مجردة النصر [١] إلا إنه الذى لا يؤخره البدار مسعده بالهمم، ولولا الاشتغال " بخدمته أعزه] [٢] الله تعالى فيمن قرب لما تقدمت سرعات [٣] الخيل، ولا أقبل [٤] إلا وفى [أوائل] [٥] طلائعها للأعداء الويـــل، ولا كتبت إلا والعجاج يترب السطور، والفجاج تقذف ما فيها على ظهور الصـــواهل إلى بطـــون البحور، مبدية ذكر ما عندنا بسببها لمجاورة الكفار، ومحاورة السيوف التى لابد [٦] من النفـــار، مع العلم بما لها فى ذلك من فضيلة الجهاد ومزية الجلد على طول الجلاد، ومصـــابرة الســـهر لأوقات منيمة، ومكابدة [٧] هذا العدو بالصبر ليكون لها غنيمة، ونحن على إمدادها أيـــدها الله بالنصر بالدعاء [٨] الذى هو أخف عليها [٩] من العساكر وأخفى مسيراً إذا قدر حقه الشاكر، ثقة بأن الله سينصر حزبه الغالب، ويكف عدوه المغالب، ويصل بإمداد الملائكة لجنده، ويـــأتى بالفتح أو أمر[١٠] من عنده لتجرى بالطاعة [١١] على ما عودت، وتأخذ [١٢] الأعداء بـــالجريرة ولينصرن الله من ينصره، وينظر إلى أهل هذه الجزيرة ".

وما أورده فى التثقيف ورأيته فى بعض الدســـاتير [٢٨١ ب] أن مكاتبتـــه كمكاتبـــة صاحب تونس فى القطع والخطاب والاختتام والترجمة، وتعريفـــه " صـــاحب غرناطـــة "، أو " صاحب الأندلس "، أما وزيره فرأيت فى بعض الدساتير مكاتبته كمكاتبة وزير صاحب تـــونس على السواء.

---

(١) النصل: التعريف، ص٤٤. صبح، ج٧، ص٤١٣.

(٢) بجهاد أعداء: التعريف، نفسه؛ صبح، نفسه.

(٣) سرعان: التعريف، نفسه، صبح، نفسه.

(٤) أقبلت: صبح، نفسه؛ وفي أصل التعريف كالثغر قبل أن يغيرها محققه كما فى الصبح.

(٥) ما بين الحاصرتين من، التعريف، نفسه؛ صبح، ج٧، ص٤١٣. وقد زادها محققوه عن التعريف، هـــ١.

(٦) لا تمل: التعريف، نفسه؛ صبح، نفسه.

(٧) مكاثرة: التعريف، نفسه، صبح، نفسه.

(٨) والدعاء: التعريف، نفسه؛ وبالدعاء: صبح، نفسه.

(٩) إليها: التعريف، نفسه؛ صبح، نفسه.

(١٠) بأمر: التعريف، نفسه؛ صبح، نفسه.

(١١) ألطافه: التعريف؛ صبح، نفسه.

(١٢) ويؤخذ: التعريف، نفسه؛ صبح، نفسه.

الباب العاشر

فى رسم المكاتبات الصادرة إلى ملوك النصارى

اعلم أن جميع من يكتب إليه من عندنا كلهم من ملوك الكفر، وكلهم من ملوك دين النصرانية، فإن اليهود لم تبق لهم مملكة فى الدنيا، بل أينما كانوا فهم تحت الجزية ضربت عليهم الذلة أينما ثقفوا إلا بحبل من الله وحبل من الناس.

وطريقة الكتابة إليهم غير طريقة الكتابة إلى غيرهم، ولا يشمل الخط الشريف شيء منها قيل للسحر فإنهم يجعلون خط السلطان كالأبر، فيخشى أن يسحرونه فيه، وقيل لعدم رتبتهم، فإن الكفار لا يتميز بعضهم على بعض فى الترجمة، وقيل ــ وهو الصحيح ــ أن الأمر جار فى عدم شمول الخط الشريف لمكاتباتهم لأن هذا هو المعلوم من حين الفتح الإسلامي وإلى زماننا لم يغير.

وصورة ترتيبها فى الوضع كما رتبه فى التعريف، وهو أن يكتب فوق البسملة بخط الكتاب عوض العلامة الشريفة أسطر قصيرة ببياض من الجانبين، والأحسن أن تكون الأسطر مزوجة غير منفردة، وأن تكون مشمولة على الألقاب السلطانية وهى " من السلطان الأعظم، الملك، الفلانى، العالم، العادل " إلى آخر الألقاب المفردة والمركبة، وإن كان من آبائه من ملك ذكره ثم يدعو ويقول " خلد الله سلطانه، ونصر جيوشه وجنوده وأعوانه "، وقد أوضح ذلك فى التثقيف فقال: ويكون فى الطرة بعد وصلين بياضاً من أول الكتاب بهامش جيد من الجانبين يمنة ويسرة يكونان فى قدر بياضهما سواء بعد أربعة أصابع فأكثر من كل جانب فى الورق العريض، وفى قطع العادة دون ذلك وتكون الأسطر متقاربة ما بينها من البياض تقدير عرض إبهام، وإذا انتهت الألقاب يترك وصلاً أبيض، ثم يكتب البسملة الشريفة، وبعدها رسم المكاتبة للمكتوب إليه، فإن قيل كيف يصوغ أن يكتب اسم [٢٨٢ أ] السلطان فوق البسملة الشريفة؟ فالجواب أن يقاس على أن سليمان عليه السلام حين كتب إلى بلقيس كتب أنه من سليمان وأنه بسم الله الرحمن الرحيم فقدم اسمه فى الذكر على البسملة على قول من قال إن أول الكتاب إنه من سليمان وإنه إنما فعل ذلك وقاية لاسم الله تعالى باسمه، إذ كان من عادة ملوك الكفر أنه إذا أُلقى لأحد منهم كتاباً فى معنى ذلك ربما تفل فيه أو مزقه، فكان ذلك مذهباً

فى مكاتبة ملوك الكفر على هذه الصورة. واعلم أن ملوك الكفر منبثون فى أرجاء الجهات الأربع المقدمة الذكر، ففى كل جهة منها من يكاتب عن الأبواب الشريفة.

الأولى

الجهة الشرقية

وهى مشتملة على ثلاث ممالك:

الأولى

مملكة الكرج [1]

وهم من النصارى الملكية، وموقعها بين بلاد الروم وبين بلاد أرمينية، وهى بلاد جليلة، ومملكة مفخمة، وكأنها مقتطعة من بلاد الأرمن [2]، وبها ملك قائم ولها ملك دائم، وقاعدتها مدينة تفليس [3] مدينة قديمة البناء، وعليها سوران ولها ثلاثة أبواب، وبها حمامات مثل حمام طبرية، ماؤها ينبع سخناً، وكان المسلمون فتحوها وسكنوها مدة طويلة، وخرج منها علماء وفقهاء، ثم استرجعها النصارى فى سنة أربع وعشرون وستمائة، ومن إذ ذاك وهى بأيديهم، والقائم فى ملكها---- [4]

ورسم المكاتبة إليه على ما ذكره فى التعريف:

" أدام الله تعالى بهجة الحضرة العلية، حضرة الملك، الجليل، الهمام، الباسل، الضرغام، السميدع، الكرار، الغضنفر، المتخت، المتوج، العالم فى ملته، العادل فى رعيته، بقية الملوك الإغريقية، سلطان الكرج، ذخر ملك البحار والخليج، حامى الفرسان، وارث آبائه فى الأسرة والتيجان، سياج بلاد الروم وإيران، سليل اليونان، خلاصة ملوك الزمان[5] بقية أبناء التخوت والتيجان، معز النصرانية، مؤيد العيسوية، مسيح الأبطال المسيحية، معظم البيت المقدس بعقد

---

(١) هى المعروفة باسم جورجيا، وقد اتحدت هى وأرمينية فى مملكة واحدة فى أوقات عدة، وعن ذلك انظر:
Cambridge Medieval History ; V.IV,P.I,p.593-628.

(٢) الصواب: البلاذَيْن، التعريف، ص٧٨؛ صبح، ج٨، ص٢٧.

(٣) وهى تقع فى دولة أرمينية الحالية. البلاذرى: السابق، ق٣، ص٧٠٠.

(٤) بياض فى الأصل. وملكها فى تلك الفترة هو الكسندر الأول من عام ١٤١٢ ـــ ١٤٤٢ م. **Op.Cit ,p.783.**

(٥) السريان: صبح، ج٨، ص٢٨.

النية، عماد بنى المعمودية، ظهير [٢٨٢ ب] الباب بابا رومية، مواد المسلمين، [خالص الأصدقة] [١] المقربين، صديق الملوك والسلاطين "، وربما قيل مصافى المسلمين بدل مراد المسلمين.

وعلى ما أورده فى التثقيف أن المكاتبة إليه فى قطع النصف:

" أطال الله تعالى بهاء حضرة الملك الجليل، المكرم، الخطير، الباسل، [الهمام] [٢] القديس [٣]، الروحانى، فلان، عز الملة المسيحية، كبير [٤] الطائفة الصليبية، فخر دين النصرانية، ملك ابخاس [٥] والكرج والجرجان، صديق الملوك والسلاطين "، والدعاء مثل " حمى ملكه بوده لا بجنده، وبوفائه بعهده لا بجيشه ومد بنده، وبما عندنا من سجايا الإحسان لا بما يظن أنه من عنده، وبما فى رأينا المورى لا بما يقدح النار من زنده، صدرت هذه المكاتبة تهدى السلام لمن اتبع السنن القويم فى دين الملك العلام، ونوضح لعلمه كيت وكيت "، وخطابه بـ " حضرة الملك "، وختمه " والله تعالى يهديه لأوضح المسالك "، وتعريفة " صاحب الكرج ".

وقال [٦] إن للكرج ملك آخر غير هذا، وهو الحاكم بسخوم، وهى بلدة على الجانب الشرقى الجنوبى من بحر القرم، قال: وأهلها مسلمون، وبأبخاس وهى مدينة فى جبل على شط بحر القرم فى جنوبى داخل البحر، وهى شرقى سخوم المقدمة الذكر بميلة إلى الشمال. ورسم المكاتبة إليه فى قطع الورق كما تقدم فى مكاتبة الحاكم بتفليس، وتعريفه " الحاكم بابخاس وسخوم "، والقائم ـــ [٧]

---

(١) خالصة الأصدقاء: التعريف، نفسه؛ صبح، نفسه؛ خالصة الأصدقة: العرف، ورقة ٥١ ب.

(٢) ما بين الحاصرتين من، التثقيف، ص٢٩؛ صبح، نفسه.

(٣) المقدس: صبح، ج٨، ص٢٩.

(٤) كبز: صبح، نفسه؛ وفى إحدى نسخ التثقيف المخطوط كالثغر، ص٢٩ هـ٤.

(٥) أبخاز: التثقيف، نفسه؛ الجبال: صبح، نفسه.

(٦) يقصد بذلك العمري فى كتابه التعريف.

(٧) بياض فى الأصل.

الثانية

مملكة الأرمن

وهم طائفة من النصارى، ومعتقدهم معتقد اليعاقبة أو ما يقاربه، وهذه البلاد فيما بين بلاد الشام وبلاد الروم، وكانت فى أيام الخلفاء تسمى بلاد الثغور، لمتاخمتها بلاد الروم، وكانت بأيدى المسلمين، وأهلها نصارى وعليهم جزية مقررة يؤدونها فى كل سنة إلى أن كان آخر طاعتهم لبقية الملوك السلاجقة، فلما ضعفت دولتهم وثب كبير النصارى هؤلاء واسمه قليج بن لاوى [١] على هذه البلاد وملكها.

قال فى التعريف وكل من [٢٨٣ أ] ملك منهم يسمى التكفور، سمة كانت عليهم منذ كانوا وإلى الأن " ثم رد الله الكرة للمسلمين عليهم فانتزعوا منهم فى أخريات الأيام الناصرية محمد بن قلاون ما وراء نهر جاهان، وهو أياس وما معها، وبقى بأيديهم سيس وما معها، وضرب على الأرمن جزية مقررة فى كل سنة بلغت ألف ومايتى ألف درهم، ثم حط عنهم من ذلك، ثم صاروا بين طاعة وعصيان.

وكان رسم المكاتبة إلى ملكها على ما أورده فى التثقيف إلى حين فتحت فى قطع العادة " صدرت هذه المكاتبة إلى حضرة الملك الجليل، المكرم، المبجل، المعزز، الهمام، الباسل، فلان بن فلان، عز دين النصرانية، كبير الطائفة الصليبية، عماد بنى المعمودية، صديق الملوك والسلاطين، أدام الله يمنه [٢] وحرس بهجته نعلمه كذا وكذاً ". وكان تعريفه " متملك سيس ".

ولم يزل الأمر على ذلك إلى أن كانت الدولة الأشرفية شعبان عام ست وسبعين وسبعمائة فتحت على يد الأمير قشتمر المنصورى نائب حلب، كان واستؤصلت شافة الأرمن من تلك البلاد، استقرت سيس نيابة، ورتبتها كرتبة نيابة غزة [٣]، إلا أن تعريف نائبها " مقدم العسكر "، وقد تقدم رسم مكاتبتها فى نيابة حلب.

---

(١) لاون: صبح، ج٨، ص٣٠.

(٢) نعمته: صبح، ج٨، ص٣٢.

(٣) يقول القلقشندي " واستقرت نيابة فى رتبة نيابة طرابلس وما فى معناها "، ج٨، ص٣٣.

الثالثة

مملكة صاحب الأبواب

كما أصله فى التثقيف، وكان المراد به " باب الأبواب " الذى على بحر طبرستان المتقدم الذكر فى الإقليم السابع من مملكة إيران. قال فى التثقيف: والمكاتبة إليه مثل رسم المكاتبة إلى متملك سيس لكنه لا يخاطب بالملك بل بالباب [١] الجليل، المبجل، الموقر، القديس، الروحانى، المدركى [٢] "، ولم يزد على ذلك، وحينئذ فتكون المكاتبة إليه فى قطع العادة " صدرت هذه المكاتبة إلى الباب الجليل "، إلى آخر الألقاب المذكورة، وتعريفه " صاحب باب الأبواب أو النائب بالأبواب ".

الثانية

الجهة الغربية

والمكاتب فيها ثلاث ملوك:

الأول

الأذفونش

وعامة بلاد الغرب يقولون " الفنش "، وقاعدة ملكه طليطلة، وهى مدينة أزلية على جبل عال من أمنع البلاد وأحصنها، وبها نهر يمر بأكثرها ومنها إلى نهاية الأندلس [٢٨٣ ب] من الشرق نحو خمسة عشر يوماً، وكذلك إلى نهايته فى الجهة الغربية حيث البحر المحيط، والأشجار محدقة بها من كل جهة ويكون فيها الشجرة بها أنواع من الثمر والزهرة الجلنار بقدر الرمانة من غيرها، والنهر ينحدر إليها من جبل هناك.

فائدة، قال صاحب التعريف: حدثنى رسول الأذفونش بتعريف ترجمان موثوق به من أهل العدالة يسمى صلاح الدين الترجمان الناصرى أن الأذفونش من ولد هرقل المنتزع [٣] منه ملك الشام، وأن الكتاب الشريف النبوى الوارد على هرقل متوارث عندهم [محفوظ] [٤] يلف

---

(١) النائب: التثقيف، ولكنها فى إحدى نسخه المخطوط كما فى الثغر، ص٣٣، هـ٥.

(٢) الموركى: التثقيف، ص٣٣.

(٣) المفتتح: التعريف، ص٩١؛ صبح، ج٨، ص٣٤.

(٤) ما بين الحاصرتين من التعريف، نفسه؛ وصبح كالثغر، ج٨، ص٣٤.

بالديباج الأصفر[١] الأطلس، ويدخر أكثر من ادخار الجوهر [والأعلاق] [٢]، وهـو إلى الآن عندهم لا يخرج ولا يسمح بإخراجه، ينظر فيه بعين الإجلال ويكرمونه غاية الكرامة بوصية يتوارثها [٣] منهم كابراً عن كابر وخلف عن سلف ". ويقولون إن بقاء الملك بيدهم بوجود الكتاب الشريف النبوى عندهم.

ورسم المكاتبة إليه فى قطع النصف:

" أطال الله بقاء الحضرة السامية، [حضرة] [٤] الملك، الجليل، الهمام، الأسد، الباسل، الضرغام، الغضنفر، بقية سلم [٥] وقيصر، حامى حماة بنى الأصفر، الممنع السلوك، وارث لذريق وذرارى الملوك، فارس البر والبحر، ملك طليطلة وما يليها، بطل النصرانية، عماد بنى المعمودية، حامل راية المسيحية، وارث التيجان، شبيه مريحنا المعمدان، محب المسلمين، صديق الملوك والسلاطين "، والدعاء " ووقاه بتوفيقه تلاف [٦] المهج، وكفاه بأس كل أسد لم يهج، وحماه من شر فتنة لا يبل البحر الذى تحصن به ما انعقد [٧] غبارها من الرهج، أصدرناها وأسنتنا لا ترد عن نحر، وأعنتنا لا تصد بصُور [٨] ولو ضرب من وراء البحر "، وتعريفه "صاحب طليطلة ".

قلت: إن هذا الصدر يغير مقصده بضعف مملكة الأذفونش بعد أن كانت نفس الأذفونش باقية فى الشر طالبة للحرب. أهدى مرة إلى السلطان سيفاً طويلاً وثوباً بندقياً وطارقة طويلة رقيقة تشبه النعش، وكأنه يقول أقتلك بهذا السيف وأكفنك فى هذا الثوب وأحملك على هذا النعش. وكان الجواب أن أرسل إليه حبل أسود وحجر أى إنه كلب إن ربط [٢٨٤ أ]

---

(١) ساقطة من التعريف، نفسه؛ صبح، نفسه.

(٢) ما بين الحاصرتين من، التعريف، نفسه؛ صبح، نفسه.

(٣) توارثها: التعريف، نفسه؛ صبح، ج٨، ص٣٥.

(٤) ما بين الحاصرتين من، صبح، نفسه.

(٥) فى التعريف كما فى الثغر، وصححها محقق التعريف من صبح الأعشى إلى " سلف "، التعريف، ص٩٤، هـ١. صبح، ج٨، ص٣٥.

(٦) {تلاف: التعريف، ص٩٤.

(٧) يعقده: التعريف، نفسه؛ ساقطة من صبح، ج٨، ص٣٥.

(٨) بسور: التعريف، ص٩٤؛ صبح، ج٨ص٣٥.

بالحبل وإلا رمى بالحجر. ثم هلك ذلك الملك السيئ السريرة ووقعت الفتنة فى ملكـــه، وقتـــل بعضهم بعضاً، ووقع رعب الإسلام فى قلوبهم، والقائم فى هذه المملكة ------ (١)

الثانى

صاحب برشلونة

وربما كتبت بالجيم والنون فيقال برجونة، وهى مدينة من مدن الفـــرنج خارجـــة عـــن الأندلس، ولكنها مضافة له، قريبة من طرطوشة، وهى مما كان افتتحتها المسلمون ثم ارتجعتـــها النصارى. قال القاضى ولى الدين بن خلدون: إنها من بعض الأندلس وملكها يسمى البرجلونى، وهو ملك على جنس من الفرنج يسمى الكتلان، وتكتب بالطاء عوض التاء. وقدوهم فيـــه فى التعريف (٢) فجعله الأذفونش المقدم ذكره، وقال إنه يلقب أتفونش دون حاكم، والقـــائم بهـــا الآن---- (٣)

ورسم المكاتبة إليه على ما أورده فى التثقيف فى قطع النصـــف " أدام الله تعـــالى بهجـــة الحضرة الموقرة، الملك الجليل الكريم (٤) المبجل، الخطير، البطل، الباسل، الهمام، الضرغام، الريد ارجون فلان، نصرة (٥) النصرانية، فخر الأمة العيسوية، ذخر الملة المسيحية، حـــامى الثغـــور، متملك السواحل والبحور، عماد [بنى] (٦) المعمودية، زعيم (٧) بابا رومية، ملاذ الفرســـان، جمال التخوت والتيجان، صديق الملوك والسلاطين، صاحب برشلونة (٨) وما معها من الـــبلاد التى جمعها، والممالك التى منعها "، والدعاء " حرس مهجته ونفسه، وسر فى ملكه يومه كما سر أمسه، وأطلع على بقاء أيامه كما يحب ويختار شمسه، صدرت هذه المكاتبة تهدى الســـلام لمـــن صدق فى وده، وتبع الطريق القويم فى قصده، ونوضح لعلمه كيت وكيت "، وتعريفه " صاحب

(١) بياض فى الأصل.

(٢) يذكر القلقشندي أن من ذكر ذلك هو صاحب التثقيف. صبح، ج٨، ص٣٦.

(٣) بياض فى الأصل.

(٤) المكرم: التثقيف، ص٢٩؛ صبح، نفسه.

(٥) نصير: التثقيف، نفسه؛ صبح، نفسه.

(٦) ما بين الحاصرتين من التثقيف، ص٣٠. وصبح كالثغر، ج٨، ص٣٦.

(٧) ظهير: التثقيف، نفسه؛ صبح، نفسه.

(٨) برحلونة: التثقيف، نفسه؛ صبح، نفسه.

برشلونة "، وكتب له فى عام ثلاثين وثمانمائة فى الأيام الأشـرفية فى قطـع الثلـث بالألقـاب المذكورة.

الثالث

الريدافرنس(١)

ومعنى الريد بلغتهم الملك، ومعنى إفرنس أى فرنج فقلبت الجيم فيه سيناً، والعامة تسميه الفرنسيس، وقاعدة ملكة إفرنسة، وقد ساق له فى التعريف حكاية [٢٨٤ب] ولم يورد لـه مكاتبة، واختار الشيخ شهاب الدين القرقشندى رحمه الله أن تكون مكاتبتـه نظـير صـاحب الأذفونش أو أعلى منها بيسير، والقائم---- (٢)

الثالثة

الجهة الشمالية

والمكاتب فيها من الأبواب الشريفة اثنا عشر حاكماً:

الأول

الباب

بالتفخيم، ويقال فيه البابا، ومعناه أبو الأباء كما تقدم، وقد وهـم المقـر الشـهابى فى التعريف (٣) بأن جعله مقام القان عند التتار، وهذا غلط فإن القان هو الملك الأكبر، والبـاب ليس بملك فإنهم يزعمون أن الباب خليفة بطرس الحوارى، وعندهم أن إليه أمر الديانات، وإليه مناط التحليل والتحريم. قال فى الروض المعطار: ومن عادته أنه إذا اجتمع عليه أحد ملـوكهم أكب على رجليه قبلها، ولا يرفع رأسه حتى يكون الباب هو الذى يرفعها، ثم لما غلبت الروم على الملكية (٤) وغلبت كلمتهم على اليعاقبة خصوا الباب ببطركهم فصار ذلك علماً عليه.

---

(١) الريدفرنس: التعريف، ص٩٤؛ صبح، ج٨ص٣٨.

(٢) بياض فى الأصل.

(٣) الصواب: فى التثقيف، صبح، ج٨ص٤٢، ولم يذكر صاحب التعريف له مكاتبة كما ذكر صاحب التثقيف. انظر: التثقيف، ص٢٧.

(٤) المملكة: صبح، ج٨، ص٤٢.

ومقرة الباب مدينة رومية، وهي مدينة على جانبى نهر الصفرعلى جنوبى جون البنادقــة، ودور صورها [(١)] أربعة وعشرين ميلاً، والبحر فى شمالها والجبال محيطة بها مـــن جهـــة الغـــرب والجنوب، وشرقيها سهل، وبها كنيسة عظيمة ليس فى كنائسهم ما يضاهيها، قيل بها مائة سبعة وسبعين باباً من جهة مشرق الشمس، ففى كل يوم من نصف السنة تَشرق الشمس تجاه باب، وما تشرق منه إلا بعد نصف السنة فى جميع الأبواب، والقائم فى ذلك ------ [(٢)]

ورسم المكاتبة إليه على ما ذكره فى التثقيف فى قطع النصف " ضاعف الله تعالى بهجـــة الحضرة السامية الباب [الجليل] [(٣)]، القديس، الروحانى، الخاشع، العامل، بابا رومية، عظـــيم الملة المسيحية، قدوة الطائفة [(٤)] العيسوية، مملك [٢٨٥ أ] ملك [(٥)] النصرانية، حافظ البحور والخلجان [(٦)]، ملاذ البطارقة والأساقفة والقسوس والرهبان، تالى الإنجيل، معلـــم [(٧)] طائفتـــه التحريم والتحليل، صديق الملوك والسلاطين، فلان بن فلان "، والدعاء " وجعل له مع السلامة يداً لا تزعزعه عن أوطانه ولا يتزعه من سلطانه، ولا يوجب له إلا الاستقرار لتيجانه، واستمرار ملكه على ما دارت على حصونه مناطق خلجانه، ولا برحت ثمار الود تدنو من أفنانه، ومواثيق العهد تتولى له ما يسر به من إشارة معالم سلفه، وشد بناء يونانه، أصدرناها وشكره [كجارة][(٨)] البحر لا يوقف له على آخر، ولا مثل عقده الفاخر، موضحة لعلمه كيت وكيت "، وخطابـــه بـــ " الحضرة "، وختم الكتاب " فيحيط علماً بذلك، والله تعالى يهديه لأوضح المسالك ". ولم أقف له على تعريفه، والظاهر بأن يعرف بـــ " أبي الآباء برومية ".

---

(١) الصواب: سورها.

(٢) بياض فى الأصل.

(٣) ما بين الحاصرتين من، التثقيف، نفسه؛ صبح، ج٨، ص٤٣.

(٤) الطوائف: تثقيف، ص٢٧؛ صبح كالثغر، ج٨، ص٤٣.

(٥) الملوك: التثقيف، نفسه؛ ملوك: صبح، نفسه.

(٦) التخوت والتيجان: التثقيف، نفسه؛ الجسور والخلجان: صبح، نفسه.

(٧) معرف: التثقيف، نفسه؛ صبح، نفسه.

(٨) بياض فى الأصل، وما بين الحاصرتين من ، صبح، ج٨،ص٤٤.

الثانى

صاحب القسطنطينية

نسبة إلى بانيها قسطنطين ملك الروم فى القديم، وهى مدينة عظيمة مسورة، وارتفاع سورها أحد وعشرون ذراعاً، وداخل سورها مزدرع وبساتين، وهى كرسى أحد البطاركة الأربعة على ما تقدم، وبها كنيسة عظيمة مستطيلة، وهى قاعدة ملك الروم، وملكها يسمى الاشكرى سمة عليه. قال فى التعريف: وقد كان قبل غلبة الفرنج عليه [1] ملكاً جليلاً يرجع إليه من عباد الصليب سائر الملوك، ويفتقر إليه منهم الغنى والصعلوك. والقائم ---- [2]

ورسم المكاتبة إليه على ما أورده فى التثقيف فى قطع النصف " ضاعف الله تعالى حضرة الملك الجليل، المكرم، المبجل، الأسد، الخطير، البطل، الباسل، الهمام، الضرغام، فلان، القائم [3] فى ملته، العادل فى أهل مملكته، عز الأمة المسيحية، كبير الطائفة الصليبية، جمال بنى المعمودية، صمصام الملوك اليونانية، حسام المملكة الماكضونية، مالك البرغلية والأماخية [4][٢٨٥ ب]، صاحب أمصار الروس والألوان [5]، معز اعتقاد الكرج والسريان، وارث الأسرة والتيجان، الحاكم على الثغور والبحور والخلجان، الضوقس [6]، الأنجالوس[7] المكينوس [8]، البلالوغس[9]، صديق الملوك والسلاطين "، والدعاء " وأدام له السرور والابتهاج، وحرس مهجته عن الغير والاعوجاج، ولا زال مخصوصاً فى ملته بالملك والتاج، صدرت هذه المكاتبة

---

(١) ساقطة من، التعريف، ص٧٦؛ صبح، نفسه.

(٢) بياض فى الأصل.

(٣) العالم: التثقيف، ص٢٨؛ صبح، ج٨، ص٤٥.

(٤) الإملاخية: التثقيف، نفسه، وذكر محقق التثقيف أن صحتها على الرغم من ورودها هكذا فى جميع النسخ، " الافلاخية "، ص٢٨، هـ١. وفى صبح " الاملاحية "، ج٨، ص٤٥.

(٥) والعلان: التثقيف، نفسه؛ صبح، نفسه.

(٦) الضوقس أو الدوقس لفظ يونانى أصله دقستين بمعنى المشكور. القلقشندي: صبح، ج٦، ص٨١.

(٧) الأنجالوس لفظ يونانى بمعنى المَلَك وجمعها الملائكة. السابق، ج٦، ص٨٠.

(٨) الصواب: الكمينيوس، التثقيف، نفسه؛ صبح، نفسه.

(٩) البالالوغس: لفظ يونانى أصلها البالى لوغس، بمعنى الكلمة القديمة. القلقشندي: صبح، ج٦، ص٨٠.

تهدى السلام لمن اتبع الهدى، وخشى عواقب الردى، ونوضح لعلمه كيت وكيت "، وتعريفه " ضابط مملكه الروم ".

الثالث

حكام جنوة

وهى قاعدة بلاد الجنويين على بحرى جون عظيم من بحر الروم، والبحر بينهما وبين الأندلس، وبها عيون ماء منها شربهم وشرب بساتينهم، وليس لها ملك منفرد بل حكام، وهم جماعة متفاوتون المراتب وهم البودشطا ----[١] والكبطان ----[٢] والمشايخ ----[٣]

ورسم المكاتبة إليهم على ما أورده فى التثقيف فى قطع الثلث " صدرت هذه المكاتبة إلى حضرة البودشطا والكبطان الجليلين، الكبيرين[٤]، الموقرين، المبجلين، الخطيرين، فلان وفلان، والمشايخ الأكابر المحترمين، أصحاب الرأى والمشورة، الكمنونى[٥] بجنوة، فخار[٦] الأمة المسيحية، أكابر دين النصرانية، أصدقاء الملوك والسلاطين "، والدعاء " ألهمهم الله رشدهم، وقرن بالخير قصدهم، وجعل النصيحة عندهم، تتضمن إعلامهم كيت وكيت "، وتعريفهم " الحكام بجنوة ".

قال فى التثقيف: والذى استقر عليه الحال آخراً فى عام سبع وستين وسبعمائة إبطال المكاتبة إلى البودشطا والكبطان بحكم إنهما أبطلا واستقر الدوك بجيم معقودة بين الكاف والجيم، ورسم المكاتبة إليه " صدرت هذه المكاتبة إلى [حضرة][٧] الدوك الجليل، الكريم، المبجل، الموقر، الخطير، فلان، والمشايخ الأكابر "، والباقى على ما تقدم والورق [٢٨٦ أ] ---[٨].

---

(١) بياض فى الأصل.

(٢) بياض فى الأصل.

(٣) بياض فى الأصل.

(٤) المكرمين: التثقيف، ص٣١؛ صبح، ج٨، ص٤٦.

(٥) الكمنون: التثقيف، نفسه؛ صبح، نفسه.

(٦) أمجاد: التثقيف، نفسه؛ صبح، نفسه.

(٧) ما بين الحاصرتين من، التثقيف، نفسه. وصبح كالثغر، نفسه.

(٨) بياض فى الأصل.

الرابع

صاحب البندقية

وهى مدينة على شرقى بلاد الأيبرديه على طرف الخليج المعروف بجون البنادقة، وعمارتها فى البحر، وتخترق المراكب أكثرها تتردد بين الدور ويركب الآدمى فيها من على باب بيته ليس لهم مكان يمشون فيه، إلا الشاباط الذى عنده سوق الصرف إذا أرادوا التمشى، وملكهم من أنفسهم يقال له الدوك.

ورسم المكاتبة إليه على ما استقر عليه الحال فى قطع الثلث " وردت مكاتبة حضرة الدوك الجليل، المكرم، الخطير، الباسل، الموقر، المفخم، فلان الملة المسيحية، جمال الطائفة الصليبية، دوك البندقية والمانسية، دوك كراك [١] زين [٢] بنى المعمودية، صديق الملوك والسلاطين "، والدعاء " أدام الله تعالى ابتهاجه، وحرس مهجته وقوم منهاجه، وجعل فيما يؤمل من صديق المودة معاجه، تتضمن عليه كيت "، وخطابه بالدوك، وتعريفه ---- [٣].

أما إذا كانت المكاتبة ابتداء فرسمها " هذه المكاتبة إلى حضرة المحتشم، الجليل، المبجل، الموقر، المكرم، المفخم، الباسل، الضرغام، فلان، عز الأمة المسيحية، جمال الطائفة العيسوية، ذخر الملة الصليبية، صديق الملوك والسلاطين "، والآن فالقائم فيهم ---- [٤].

قلت: وينبغى أن يكون رسم المكاتبة إليه فى قطع الثلث " أدام الله تعالى بهجة الحضرة السامية " فإنه من أكابر ملوك الفرنج وروسائهم.

الخامس

صاحب سنوب

ويقال صنوب بالصاد [١]، وهى ببلاد الروم على ساحل بحر نيطش المعروف ببحر القرم من الجانب الشرقى على دخلة فى البحر إلى جهة الغرب. قال فى التعريف إن ملكها رومياً من

---

(١) كرال: صبح، ج٨، ص٤٧.

(٢) دين: صبح، نفسه.

(٣) بياض فى الأصل.

(٤) بياض فى الأصل.

بيت الملك القديم من أقارب صاحب القسطنطينية، ويقال إن أباه أعرق من آبائه فى السلطنة، ولم يكن ملكه بكبير ولاعدده بكثير.

قال: إن رسم المكاتبة إليه " هذه المكاتبة إلى حضرة الملك، الجليل، البطل، الباسل، الهمام، السميدع، الضرغام، [الغضنفر] [٢] فخر الملة [٢٨٦ ب] المسيحية، ذخر الأمة النصرانية، عماد بنى المعمودية، صديق الملوك والسلاطين "، والدعاء " وكفاه شر ما ينوب، وروح خاطره فى الشمال بريا ما يهب من الجنوب، ووقاه شر [٣] سوء فعل يورث الندم، وأول ما يقرع الشر [٤] سنوب "، والقائم ---- [٥]، وتعريفه " صاحب سنوب ".

قلت: إن صاحب التثقيف ذكر أنه لم يقف فى التعريف على رسم مكاتبة صاحب سنوب مع ملوك الكفار، وإنما هو مذكور مع المسلمين وفيما قاله رد وكأنه لم يطلع عليه، وقد أورده صاحب التعريف فى مكاتبة ملوك الكفار بين مكاتبتى صاحب سيس قبل فتحها وردوس [٦].

السادس

صاحب البلغار والسرب

والبلغار فى نهاية العمارة الشمالية، وليس بها شىء من الفواكه لشده بردها، وكانت بيد المسلمين، وتقدم رسم مكاتبة صاحبها فى ملوك المسلمين، وهى الآن بيد ملوك الكفر، وعليه اقتصر فى مسالك الأبصار وصاحب التثقيف، والقائم ---- [٧]

ورسم المكاتبة إليه فى قطع الثلث، ورأيته فى بعض الدساتير فى قطع النصف:

---

(١) ويقال سينوب، وهى الآن ميناء تركى على البحر الأسود. ابن عرب شاه: عجائب، ص٣٤٢ هـ٢.

(٢) ما بين الحاصرتين من، التعريف، ص٨٣؛ صبح، ج٨، ص٤٨.

(٣) ساقطة من، التعريف، ص٨٤؛ صبح، ج٨، ص٤٩.

(٤) السن: التعريف، نفسه؛ صبح، نفسه.

(٥) بياض فى الأصل.

(٦) التعريف، ص٨٤.

(٧) بياض فى الأصل. وصاحب مملكة الصرب فى ذلك العصر هو جورج برانكوفيتش من عام ١٤٢٧ — ١٤٥٦ م. John V.A.Fine,JR;The Late Medieval Balkans; U.S.A,1991, p.617.

" أطال الله [تعالى] (١) بقاء حضرة الملك الجليل، المكرم، المبجل، الهمام، الضرغام، الباسل، الدوقسى، الأنجالوس، الكمنينوس، فلان، عماد الملة (٢) النصرانية، مالك (٣) السرب والبلغار، فخر الأمة العيسوية، ذخر الملة المسيحية، فارس البحور، حامى الحصون والثغور ". والدعاء " وأراه ما يستدفع به من مواضى السيوف البلاء إذا نزل، والسمهرى الذى لا يرويه البحر إذا انهل، والسيف الذى لا يقف فى طريقه شيء ولا يمشى على مهل. أصدرنا هذه المكاتبة تهدى السلام على من اتبع الهدى، وخشى عواقب الردى، ونوضح لعلمه كيت وكيت"، وتعريفه " صاحب البلغار والسرب ".

السابع

متملك رودس

وهى جزيرة ببحر الروم، وامتدادها من الجنوب [٢٨٧ أ] إلى الشمال بانحراف نحو خمسين ميلا وعرضها نصف ذلك، وهى إلى الغرب عن جزيرة قبرس بانحراف إلى الشمال، وموقعها بين جزيرة المصطكى وبين جزيرة إقريطش، وبينها وبين ذنب إقريطش بحراً واحداً، وبعضها للفرنج وبعضها لصاحب القسطنطينية. قال فى تقويم البلدان: وكان المسلمون فتحوها فى خلافة معاوية. وقال فى التعريف: إنها مقابل شطوط البلاد الرومية. قال: وأهلها حرامية البحر إذا ظفروا بالمسلمين أخذوا مالهم واستخدموهم، وإذا ظفروا بالفرنجى قتلوه وأخذوا ماله. والقائم ــ (٤)

ورسم المكاتبة إليه فى العادة " صدرت هذه المكاتبة إلى حضرة الملك الجليل، البطل، الباسل، [الهمام] (٥)، السميدع، فلان، فخر الملة المسيحية، ذخر الأمة النصرانية، صديق الملوك والسلاطين "، والدعاء " قدم الله له الأعذار، وكفاه قوامع الإنذار، وبصره (٦) عاقبة البغى قبل أن لا ينفع الحذار، يتضمن عمله كيت وكيت "، وتعريفه " متملك رودس ".

---

(١) ما بين الحاصرتين من، التثقيف، ص٣٠؛ صبح، نفسه.

(٢) ساقطة من،التثقف، نفسه؛ صبح، نفسه.

(٣) الصواب: ملك.

(٤) بياض فى الأصل.

(٥) ما بين الحاصرتين من التعريف، ص٨٣. صبح كالثغر، ج٨، ص٥٠.

(٦) وحذره: صبح، ج٨، ص٥١.

الثامن

صاحب جزيرة المصطكا [١]

قال فى التعريف: وهى جزيرة صغيرة لا تبعد عن الإسكندرية، وصاحبها صغير لا فى مال ولا فى رجال، وجزيرته ذات قحط لا يطر شارها بزرع ولا يدر حالبها بضرع، إلا إنها تنبت هذه الشجرة فتجلب، وترسى السفن بسببها وتطلب، وفى ملكها خدمة لرسلنا فى التوجه والعود ". والقائم ---- [٢]

ورسم المكاتبة إليه على ما ذكره فى التعريف فى قطع العادة " صدرت هذه المكاتبة إلى حضرة الملك الجليل "، ويكمل كمكاتبة متملك رودس، وتعريفه " صاحب جزيرة المصطكا ".

التاسع

متملك قبرص

وربما كتبت بالسين، وهى جزيرة بالقرب من ساحل الشام، قال فى تقويم البلدان: وطولها مائتى ميل من الغرب إلى الشرق، ولها ذنب رقيق فى شرقها نحو مائة ميل. وقال الإدريسى: طولها مائتى وخمسون ميلاً، وكانت فتحت فى زمن معاوية وفى زمن هرون، ثم استعادها النصارى، ولأجل [٢٨٧ ب] ذلك عرف صاحبها بتملك قبرص كما عرف متملك رودس، وفى عام ---- [٣]

والقائم فى مملكتها الآن جوان بن الملك كاش المتقدم ذكره فيه، ورسم المكاتبة إليه فى العادة " صدرت هذه المكاتبة إلى حضرة الملك الباسل، الخطير، المبجل، الموقر، الهمام، الضرغام، فلان، جمال الطائفة المسيحية، فخر الملة العيسوية، كبير دين النصرانية، صديق الملوك والسلاطين "، والدعاء " لازال إلى الطاعة مبادر، وعلى الخدمة أنهض قادر، ومكانه ترم إليه وكانت السفن بكل وارد وصادر، يتضمن عمله كيت وكيت "، وتعريفه فى زماننا " النائب بقبرص ".

---

(١) المقصود بجزيرة المصطكا جزيرة خيوس المشهورة بزراعة شجر المصطكا وهو ثمر يميل طعمه إلى المرارة. بنيامين: رحلة، ص٨٤.

(٢) بياض فى الأصل.

(٣) بياض فى الأصل.

العاشر

صاحب الماغوصة

[مدينة على طرف جزيرة قبرص، وكانت بيد النصارى، ثم أخذها المسلمون منهم، وأقاموا بها إلى بعد وقعة الإسكندرية لنحو سنتين استولى عليها الفرنج، واستمرت فى أيديهم إلى الآن] (١)

وقد استقر رسم المكاتبة إليه فى الأيام الأشرفية فى قطع العادة " صدرت هذه المكاتبة إلى الحضرة السامية، الملك، الجليل "، ويكمل على ما تقدم، وتعريفه " صاحب الماغوصة ".

مهمة: قال فى التثقيف: ويكاتب المطران بالأفقسية، وهى مملكة قبرص، وهو نائب الباب بها بنحو ألقاب بطرك اليعاقبة فيكتب إليه " المطران الجليل، القديس، الروحانى، المتنسك، الخاشع، قدوة النصرانية، ذخر الملة المسيحية، ناصح الملوك والسلاطين "، والورق العادة، وتعريفه " فلان المطران بقبرص ".

الحادى عشر

ملك مونفراد

قال فى التثقيف إنه كان بها ابن ملك اصطنبول ---- (٢) [٢٨٨ أ] ورسم المكاتبة إليه فى العادة " أصدرناها إلى حضرة الملك الجليل، المكرم، البطل، الهمام، الأسد، الضرغام، فلان، مجد النصرانية، فخر العيسوية، عماد بنى المعمودية، جمال الطائفتين الرومية والفرنجية، ملك مونفراد، وارث التاج، معز الباب "، والدعاء " أطال الله بقاءه، وأدام وفاءه، وأورثه من أبيه تخته وتاجه، وولاه، يوضحه لعلمه كيت وكيت " وتعريفه " صاحب مونفراد ".

الثانية عشر

صاحب نابل

وقد ذكر فى التثقيف إنه كان اسم صاحبتها فى أيامه جوانا ----- (٣)

---

(١) بياض فى الأصل، وما بين الحاصرتين من، العرف، ورقة ٥٩ أ.

(٢) بياض فى الأصل.

(٣) بياض فى الأصل.

الرابعة

الجهة الجنوبية

والمكاتبون من ملوك الكفر بهذه الجهة ملكان:

الأول

ملك أمحرا [١]

وهو جنس من الحبشة كالتيجرت، ولقبه فى بلاده الحطى، ويقال حطى منكراً، قال فى تقويم البلدان: وقاعدة ملكة مدينة جرمى [ويقال جومه بالهاء، مبنية بالحجر الصوان، كثيرة المياه والأشجار والفواكه، ودكوا، وكافها مشوبة بالقاف، وهى على ثلاثة أشهر من جرمى، ومدينة شوا، وهى على تسعة أشهر من دكوا. ويتنقل ملك أمحرا فى طول الأيام فى هذه الثلاث مدن] [٢]، وملكها ملك جليل. قال فى التعريف: وهو يحكم على تسعة وتسعين ملكاً وهو تمام المائة. ومنهم السبعة المسلمون المقدم ذكرهم فى المكاتبة إلى ملوك الجهة الجنوبية الإسلامية، وهو كبير العدد وافر المدد متسع البلاد ولولا [٢٨٨ ب] أن معتقد دين النصرانية لطائفة اليعاقبة بأنه لا يصح تملك معمودى إلا باتصال من البطرك وأن كرسى البطركية كنيسة الإسكندرية فيحتاج إلى أخذ مطران بعد مطران من عنده وإن لا كان شمخ بأنفه على المكاتبة، لكنه مضطر إلى ذلك.

والقائم فى مملكة الحبشة الحطى درع يعقوب بن داود بن سيف أرغد، ورسم المكاتبة إليه على ما ذكره فى التعريف:

" أطال الله بقاء الحضرة العالية، الملك، الجليل، الهمام، الضرغام، الأسد، الغضنفر، الخطير، الباسل، السميدع، العالم فى ملته، العادل فى مملكته، المنصف لرعيته، المتبع [٣] لما يجب فى أقضيته، عز الملة النصرانية، ناصر الملة المسيحية، ركن الأمة العيسوية، عماد بنى المعمودية،

---

(١) أمجرة: التعريف، ص٤٨؛ أمحرة: التثقيف، ص٣٠؛ وصبح كالثغر، ج٨، ص٣٩. وهم أحد أجناس أهل الحبشة. القلقشندي: السابق، ج٥، ص٣٠٣.

(٢) بياض فى الأصل، وما بين الحاصرتين من، العرف، ورقة ٦٠ أ.

(٣) المستمع: صبح، ج٨، ص٣٩.

حافظ البلاد الجنوبية، متبع الحواريين والأحبار[1] الربانيين، والبطاركة [2] القديسين، معظم كنيسة صهيون، أوحد ملوك اليعقوبية، صديق الملوك والسلاطين ".

وعلى ما أورده فى التثقيف أنه يكتب إليه فى قطع الثلث:

" أطال الله تعالى بقاء الملك الجليل، [المبجل] [3]، المكرم، الخطير، الأسد، الضرغام، الهمام، الباسل، فلان بن فلان، العالم فى ملته، العادل فى رعيته [4]، حطى ملك أمحرا، أكبر ملوك الحبشان، نجاشى عصره، سند الملة المسيحية، عضد دين النصرانية، عماد بنى المعمودية، صديق الملوك والسلاطين "، والدعاء مثل " وأظهر على ملوك ملته فضل حضرته، ورفع تاجه على هام علاء أسرته فوق أسِرتِه، ووقفه لطاعة تجرى بالسلامة فى نفسه بين ذويه، لتحديد بهجته ومسرته، صدرت هذه المفاوضة إلى حضرته العلية، ومن حضرة القدس مسراها، ومن أسرة الملك القديم سراها، والى ذلك الصديق الصدوق مجراها، تهدى السلام إلى من اتبع الهدى، والسير القديم وخشع لطاعة ديان يوم الدين الرءوف الرحيم، ونوضح لعلم الخطير كيت وكيت"، وخطابة بـ " الحضرة العلية "، وتعريفه " ملك ملوك الحبشة ".

تنبيه: إذا صدر كتاب إلى ملك الحبشة لابد من مقارنته بكتاب البطرك [٢٨٩أ] بمعناه. قال فى التعريف: ولأوامر البطريرك عنده ما لشريعته من الحرمة، وإذا كتب كتاباً فأتى ذلك الكتاب أول مملكته خرج عميد تلك الأرض ووضع الكتاب على رأس عَلَم، ولا يزال يحمله بيده حتى يخرجه من أرضه وأرباب الديانات فى تلك الأرض كالرهبان والقسوس والشمامسة حوله مشاة بالأدخنة، فإذا خرجوا من حد أرضهم تلقاهم من يليهم أبداً فى كل أرض حتى يصلوا إلى أمحرة، فيخرج صاحبها بنفسه ويفعل مثل ذلك الفعل الأول، إلا أن المطران هو الذى يحمل الكتاب لعظمته لا لتأبى الملك، ثم لا يتصرف الملك فى أمر ولا فى نهى، ولا قليل ولا كثير حتى ينادى الكتاب ويجتمع له يوم الأحد [فى الكنيسة] [5]، ويقرأ والملك واقف ثم لا يجلس مجلسه حتى ينفذ ما أمره به.

---

(١) ساقطة من التعريف، ص٤٩؛ وصبح كالثغر، ج٨ص٣٩.

(٢) ساقطة من التعريف، نفسه؛ وصبح كالثغر، نفسه.

(٣) ما بين الحاصرتين من، التثقيف، ص٣٠؛ صبح كالثغر، ج٨، ص٤٠.

(٤) مملكته: التثقيف، نفسه؛ صبح، نفسه.

(٥) ما بين الحاصرتين من، التعريف، ص٤٩؛ صبح، ج٨ص٤١.

الثانى

صاحب دنقلة

وقد تقدم فى بلاد السودان أن صاحبها ملك النوبة وكان فى زمن صـــاحب التعريـــف مسلماً وأورد مكاتبتة مع المسلمين ثم صار ملكها كافراً، وكان أصل ملكها قديماً كافراً. قال فى التثقيف: ورسم المكاتبة إليه حينئذ " هذه المكاتبة إلى النائب الجليل، المبجل، المـــوقر، الأســـد، الباسل، فلان، مجد الملة المسيحية، كبير الطائفة الصليبية، غرس الملوك والسلاطين "، والدعاء.



القسم الثانى عشر

فى الإقطاعات والمسامحات والإطلاقات والطرخانيات وتحويل السنين



[٢٨٩ أ]

وهو يشتمل على ثلاثة أبواب:

الباب الأول

فى الإقطاعات

والأصل فيها ما روى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه أقطع تميماً الدارى أرضاً بالشام وكتب له كتاباً بها، ونسخته "بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ذكر ما وهب محمد رسول الله للداريين، إذا أعطاه الله الأرض، وهب لهم عين، وجبرون، وبيت إبراهيم بحق، فهى لهم أبداً. شهد عباس بن عبد المطلب، وجهيم بن قيس، وشرحبيل بن حسنة ". وذلك فى قطعة [٢٨٩ ب] جلد من أديم، وغشاه بشيء لا يعرف، وعقده من خارج بسير عقدتين وافتتحه بالمدينة حين هاجر، وسألوه أن يجدد لهم كتاباً فكتب " بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما أنْطَى [١] رسول الله صلى الله عليه وسلم لتميم الدارى وأصحابه، إنى أنطيتكم عين، وجبرون، والرطوم، وبيت إبراهيم، بذمتهم وجميع ما فيهم نطية بت[بذمتهم] [٢]. ونفذت وسلمت ذلك لهم ولأعقابهم من بعدهم أبد الآبدين، من آذاهم فيها آذاه الله. شهدها أبو بكر وعثمان وعلى ومعاوية ".

فلما قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم وولى الخلافة أبو بكر وجه الجنود [إلى] الشام وكتب كتاباً بسم الله الرحمن الرحيم من أبى بكر الصديق إلى أبى عبيدة بن الجراح، سلام عليك فإنى أحمد إليك الله الذى لا إله إلا هو، أما بعد امنع من كان يؤمن بالله واليوم الآخر من الفساد فى قرى الداريين، وإن كان أهلها رحلوا عنها وأرادوا الداريون أن يزرعوها فَلْيزرعوها، فإذا رجع أهلها إليها فهى لهم وأحق بهم والسلام عليك. ثم فتحها عمر بن الخطاب فى زمانه فأتاه تميم فقال إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أعطانى أرضاً من كذا إلى كذا، فجعل عمر ثلثها لأبناء السبيل، وثلثاً لعمارها، وثلثاً لتميم.

---

(١) بمعنى " أعطى " و" أعطيتكم " بلغة تميم والتى كتب بها رسول الله هذا الإقطاع لهم. العمري: مسالك — أحمد زكى — ص١٧٤.

(٢) ما بين الحاصرتين من، مسالك، نفسه؛ صبح، ج١٣، ص١٢٠.

وذكر صاحب الأحكام السلطانية: أن أبا ثعلبة الخشنى سأل النبى صلى الله عليه وسلم أن يقطعه أرضاً كانت ببلد [١] الروم فأعجبه ذلك وقال: ألا تسمعون ما يقول؟ فقال: والـــذى بعثك بالحق ليفتحن عليك. فكتب له بذلك. وأقطع صلى الله عليه وسلم أراضى كثيرة لجماعة من الصحابة رضى الله عنهم.

وذكر العسكرى أن أول من اقتطع القطائع عثمان رضى الله عنه، وقال: إن أول مـــن وضع ديوان الجيش عمر رضى الله عنه حين قدم عليه أبو هريرة بمال من البحرين فقال عمر: ما جئت به؟ قال: خمسمائة ألف درهم. فاستكثرها [٢] عمر. فوضعه واستنبط الإقطـــاع ووضـــع ديوان الجيش.

أما صورة كتابة الإقطاع من ديوان الإنشاء ــ وكانت قليلة ــ وهى [٢٩٠ أ] على خمس طرق:

الأولى: ما كان يُكتب فى زمن الخلفاء العباسيين وكانت قليلة وكان ما يسمى مقاطعـــة. وكان طريقتهم ببغداد أن يُكتب " هذا كتاب من فلان _ بلقب الخلافة [٣] _ إنك ذكرت من أمر ضيعتك الفلانية بكذا وكذا، وسألت أمير المؤمنين إلى سؤالك فى ذلك ".

الثانية: ما كان يُكتب فى زمن الفاطميين، قال فى المواد عن الفاطميين إن رسمهم كان أن يُكتب " أمير المؤمنين بما وهبه الله تعالى من شرف الأعراق وكرم الأخلاق وميزه [٤] من علـــو الشأن وارتفاع السلطان " ونحو ذلك سجعات كثيرة، ثم يقول " ولما كان فلان ممن غرس أمير المؤمنين [إحسانه لديه] [٥] فأثمر، فأولاه طوله فشكر "، ويصف الرجل بما يقتضـــيه ميزاتـــه بسجعات أُخر ثم يقال " رأى أمير المؤمنين مضاعفة أياديه لديه، ومواصلة إنعامه إليـــه وإجابـــة سؤاله وإنالته [أقاصى آماله] [٦] " ثم سجعات أُخر ثم يقول " وإسعافه بما رغـــب فيـــه مـــن إقطاعه الناحية الفلانية أو الدار أو الأرض، أو تسويغه ما يجب عليه من خراج ملكه " ونحوه "

(١) الصواب: بيد، الأحكام، ص٢١٨؛ صبح، ج١٣، ص١٠٥.

(٢) فاستكثره: صبح، ج١٣، ص١٠٦.

(٣) الخليفة: صبح، ج١٣، ص١٢٣.

(٤) ومنحه: صبح، ج١٣، ص١٣١.

(٥) ما بين الحاصرتين من، صبح، نفسه.

(٦) ما بين الحاصرتين من، صبح، ج١٣، ص١٣٢.

وخرج أمره بإنشاء هذا المنشور وبأنه قد أُقطع كذا [(١)] لاستقبال سنة كذا بحقوقها وحدودها وأرضها العامرة ووجوه جباياتها ". وينص على كل حق من حقوقها وحد من حدودها، ثم يقال " إنعاماً عليه وبسطاً لأمله، وإبانة عن خطره، فليعلم ذلك كافة الولاة والنظار المستخدمين من أمير المؤمنين ورسمه ليعملوا عليه وبحسبه، وليحذروا من تجاوزه وتعديه، وليبقه [(٢)] بيده بعد العمل بما نص فيه ". وكان يسمى ما يُكتب عنهم سجلات، وكان غالبها من إنشاء القاضى الفاضل [(٣)].

الثالثة: ما كان يُكتب عن ملوك الشرق القائمين عن خلفاء بنى العباس أن يُكتب فى الابتداء " هذا كتاب من فلان " كالخلفاء العباسيين ثم يذكر عرض أمره على الخليفة واستكتاب[(٤)] خبر ما تقع عليه المقاطعة من الدواوين، وموافقة قولهم بما ذكره فى رقعته، ويذكر أن أمير المؤمنين وكذلك [(٥)] السلطان أمضيا أمر [٢٩٠ب] تلك المقاطعة وقراره ويكمل.

الرابعة: ما كان يُكتب عن الملوك الأيوبية بمصر، وكان يسمى ما يُكتب عنهم تواقيع [(٦)]. فتارة يفتتحون بـ " الحمد لله " والصلاة والبعدية وذكر ما سنح من حال السلطان، ثم يوصف صاحب السلطان [(٧)] بما يقتضيه حاله [من صفات المدح] [(٨)] ويرتب على ذلك استحقاقه للإقطاع. [وقد كان من عادتهم أنهم] [(٩)] يأتون بوصية على ذلك فى آخره.

---

(١) أقطعه الناحية الفلانية: صبح، نفسه.

(٢) وليقر: صبح، نفسه.

(٣) أورد القلقشندي العديد من نماذج هذه المراسلات من إنشاء القاضى الفاضل، وذلك ما دعا صاحب الثغر إلى ذكر أن غالب ما كُتب من السجلات من إنشاء القاضى الفاضل. انظر: صبح، ج١٣، ص١٣٢ وما بعدها.

(٤) واستكشاف: صبح، صبح، ج١٣، ص١٣٩.

(٥) وذلك: صبح، نفسه.

(٦) أورد القلقشندي هذه التواقيع على عدة أساليب تبدأ بالافتتاح " بالحمد لله " ثم " أما بعد " ثم " بما فيه معنى الشجاعة ". ولكن صاحب الثغر اختصر ذلك فى إرجاع إلى مبهم العدد بقوله " فتارة يفتتحون ". انظر: صبح، ج١٣، ص١٤٤ وما بعدها.

(٧) الصواب: الإقطاع، صبح، ج١٣، ص١٤٤.

(٨) ما بين الحاصرتين من، صبح، نفسه.

(٩) ما بين الحاصرتين من، صبح، نفسه.

وتارة يفتتحون بـ " أما بعد "، ويذكر من أمر السلطان ما سنح أو أمر الإقطاع أو صاحبه، ثم يتعرض إلى ذكر الإقطاع وهو دون ما قبله رتبة.

وتارة يفتتحون " بما فيه معنى الشجاعة أو القتال " نحو السيف والرمح ونحو ذلك.

الخامسة: ما يُكتب فى زماننا، وفيه جملتان:

الأولى: فى متعلقات ذلك. اعلم أن مظنة الإقطاعات ديوان الجيش، وما يُكتب فيه من ديوان الإنشاء فرع عنه. وما يُكتب من ديوان الجيش من أمر الإقطاع لا يتعدى ثلاث أمور[1]. إما مثال، وإما نزول، وإما قصة.

فأما المثال فإنه يكتب ناظر الجيش فى نصف قائمة من الطومار الشامى بعد ترك الثلث [2] من أعلاها بياضاً فى الجدول الأول [3] منها ما صورته: خبز سطر. وتحته " فلان المنتقل إلى رحمة الله تعالى "، أو " المرسوم ارتجاعه "، أو " المنتقل لغيره " سطر. وتحت ذلك " عبرة كذا كذا دينار " بالقبطى.

وفى الجدول الأيسر ما صورته باسم فلان الفلانى، وإن كان زيادة عما بيده وشمله الخط الشريف بـ "يكتب"، ثم يكتب ناظر الجيش تحته" يمتثل المرسوم الشريف " ويعينه على من يختاره من كتّاب الجيش، ثم يُترك بعد ذلك بديوان النظر ويُنَزل [4] تاريخه بخط كاتب ناظر الجيش بذيل المثال، ويخلده الكاتب المعين عليه عنده ويكتب بذلك مربعة.

وأما النزول فتارة بالمال، وتارة بالمقايضة أو الشركة، وذلك بإشهاد فى ربع طومار البلدى على التربيع، فيكتب ناظر الجيش على ظاهره بالكيف ثم يكتب " ويعمل فيه بما تقدم من أخذ الخط الشريف " والتعيين. ثم يكتب مربعة فى نصف طومار [٢٩١ أ] البلدى مكسورة " مثال شريف شرفه الله وعظمه بما رُسم به الآن من الإقطاع ــ باسم من عين فيه من الأمراء أو المماليك بالمملكة الفلانية أو من الحلقة الفلانية ــ على ما شرح فيه حسب الأمر الشريف شرفه

---

(١) طبقاً لما أورده السحماوي فى العرف فإنه عددها أربعة أمور بإضافة المربعة الشامية الموجودة فى الثغر أيضاً ولكنه نسى أن يضيفها إلى الأمور الثلاثة السالفة الذكر. العرف، ورقة ٦٣ أ. وأنظر فيما يلى.

(٢) الثلثين: صبح، ج١٣، ص١٥٣.

(٣) الأيمن: صبح، نفسه. ويقصد بالجدول أن ورقة المثال كانت تقسم بجدولين أحدهما أيمن والآخر أيسر. صبح، نفسه.

(٤) ويكتب: صبح، نفسه.

الله تعالى وعظمه "، وتحت ذلك كله ما صورته " يحتاج المثال [١] الشريف أعلاه الله تعالى "، ثم يُكتب داخل الورقة البسملة وتحتها فى سطر ملاصق لها " المرسوم بالأمر الشريف، العالى، المولوى، السلطانى "، ثم يترل إلى ثلثى الصفحة ويكتب مسامتاً للسطر الأول " الملكى الفلانى الفلانى، أعلاه الله تعالى، وشرفه، وأنفذه، وصرفه، أن يقطع باسم ـــ من يذكر من رجال ـــ الحلقة المنصورة بالديار المصرية أو المملكة الشامية ما رُسم لهم به الآن فى الإقطاع حسب المرسوم الشريف، شرفه الله وعظمه ".

ثم يكتب فى الصفحة الثانية مقابل البسملة " فلان الدين فلان الفلانى المرسوم إثباته فى جملة رجال الحلقة الفلانية بمقتضى المثال الشريف ـــ أو الإشهاد أو القصة أو المربعة الشريفة ـــ المشمولة بالخط الشريف ". ثم يكتب تحت السطر الأخير فى الوسط ما صورته " فى السنة دريستا [٢] " إن كان جميع البلد أو البلاد المقتطعة لا يستثنى منها بشىء، أو يكتب " خارجاً عن الملك أو الوقف أو نحوه " على ما يقتضيه الحال [٣] ". ثم يكتب تحت ذلك على مثال [٤] السطور ممتد من أول السطر إلى آخره " خبز "، وتحته " فلان بن فلان الفلانى بحكم وفاته أو نزوله برضاه ونحوه على عادته ناحية كذا. وإن كان فيه نقد ونحوه ذكره إلى آخره " بعد الخط الشريف شرفه الله وعظمه " والمشيئة والتاريخ فى سطرين قصيرين، ثم يكتب ناظر الجيش على ظاهرها من الجهة اليمنى بالثبوت، وتُحضر إلى ديوان الإنشاء فيعينها كاتم السر. وجميع ما يُكتب فيه من الإقطاعات يسمى منشور ولا يُكتب إلا عن السلطان مشمولة بالخط الشريف.

وأما المربعات المحضرة من الممالك الشامية وصورة كتابتها كما تقدم فى المربعة المصرية [٢٩١ب] ويقيد فيها بأن الأمر مغدوقاً على ما يؤمر به من الباب الشريف، ثم يكتب عليها

---

(١) فى صبح بياض وقد ظن محققوه أن الواجب أن يُكتب فيه " إلى الخط الشريف ". انظر: ج١٣، ص١٥٥هـ١.

(٢) كربستا: صبح، ج١٣، ص١٥٦؛ ودريستا هى الصواب لكونها تعنى فى اللغة الفارسية كلمة كاملاً. المقريزى: السلوك، ج١، ق٢، ص٨٤٤، هـ١؛ إبراهيم طراخان: النظم، ص٤٨٢.

(٣) الحق: صبح، نفسه.

(٤) حيال: صبح، نفسه.

ناظر الجيش " بالمقابلة بالكشف "[١] فإن صح الكشف قرأت، فإن رُسم بما تضمنه من الإقطاع شملها الخط الشريف.

وأما القصص، فتارة ينهى فيها وفاة من كان بيده إقطاعاً، وتارة انتقاله عنه لقضية ما، وتارة ارتجاعه، تارة طلب إعادة ما خرج عنه، وتارة طلب تجديد فيكتب عليها " الكشف " والسؤال ثم يشملها الخط الشريف. وباقى الأمر كالمثال.

واعلم أن المناشير لا تتعدى أربعة أقسام:

الأول: الثلثين، وهو أعلاها رتبة، قال فى التعريف: ومن كان يؤهل أن يُكتب له تقليد، كان منشوره من نوعه، ومن دون ذلك إلى أدنى المراتب[٢]. وقال فى التثقيف: وفى قطع الثلثين يُكتب لمقدمي الألوف بالديار المصرية سواء كان من أولاد السلاطين[٣] أو [الخاصكية][٤] غيرهم وكذلك جميع النواب الأكابر والمقدمين بدمشق.

الثانى: النصف، وهو لأمراء الطبلخاناه بمصر والشام وللأمراء المقدمين من نواب القلاع الشامية، أما أمراء الأشراف وأمراء عربان الشام فإن قطع الورق فى مناشيرهم تابعاً لتقاليدهم.

الثالث: الثلث، وفيه يُكتب لأمراء العشرات مطلقاً، وللطبلخاناه من أمراء التركمان والأكراد.

الرابع: العادة، وفيه يُكتب للمماليك السلطانية ومقدمى الحلقة ورجالها إلا أنه يختلف الحال فيه فيترك فى طرة مناشير المماليك السلطانية ثلاثة أوصال بياضاً، ويترك فى مناشير رجال الحلقة وصلان. قال فى التثقيف[٥]: إن كان المنشور فى قطع الثلثين كُتب فى طرته بغير هامش منشور شريف بأن يجرى فى إقطاعات المقر أو الجناب الكريم أو العالى _ فإن كان نائباً زيد بعدها الكفيلى أو الكافلى _ الفلانى فلان الفلانى، والدعاء واحدة من رتبته ما رُسم له به الآن

---

(١) أى بالمقابلة بالكشف الخاص بالإقطاعات الموجود بديوان الجيش.

(٢) الرتب: التعريف، ص١٢٥؛ صبح، ج١٣، ص١٥٨.

(٣) السلطان: التثقيف، ص١٥٠؛ صبح، نفسه.

(٤) ما بين الحاصرتين من، التثقيف، السابق؛ صبح، نفسه.

(٥) لقد نقل صاحب الثغر ما قاله ابن ناظر الجيش بتصرف وإن كان فى مجمله لم يختلف إلا فى تقديم أو تأخير بعض الكلمات. انظر: التثقيف، ص١٥٠ ــ ١٥١.

[٢٩٢ أ] من الإقطاع ويشرح ما تضمنته المربعة إلى آخره فى [١] ذلك جميعه سطران بقلم الثلث، والأحسن أن يكون آخر السطر الثانى الدعاء والتتمة بقلم الرقاع أسطر قصار بهامش من الجانبين، ثم يكتب [فى الوسط] [٢] سطراً بالقلم الغليظ " والعدة "، وتحته بالقلم الدقيق " خاصته " ومائة طواشياً [٣] أو تسعون أو ثمانون طواشياً بحسب كما فى المربعة، ويترك وصلان والوصل المكتتب فيه ثم يبسمل فى أول الوصل الرباع، ثم يأتى بخطبة مفتتحة بالحمد لله ويأتى بما يناسبه ثم يقال " أما بعد " على ما تقدم فى التقاليد إلى بلوغ القصد من المدح [ثم] يقول "فلذلك خرج الأمر الشريف لا زال كذا أن يجرى فى إقطاعات المشار إليه " ويعيد ما فى المربعة، ثم يذكر البلاد ولا يخرج عن المربعة ويكمل ومستنده من المربعة وتاريخها ثم يقال بعد العلامة الشريفة " أعلاه ".

وإن كان فى قطع النصف كتب كذلك إلا أنه لا يقال " أن يجرى فى إقطاعات ". بل إن كان مقدماً بحلب أو غيرها أو طبلخاناه خاصكياً أو من أولاد الملوك كُتب " أن يجرى فى إقطاع المجلس العالى أو السامى "، وإن كان طبلخاناه غير هؤلاء كُتب " منشور شريف بما رُسم به من الإقطاع للمجلس السامى ". والباقى على ما تقدم.

وإن كان فى قطع الثلث كُتب " منشور شريف بما رُسم به من الإقطاع للمجلس السامى أو مجلس الأمير فلان الدين فلان أدام الله علوه "، ثم يكتب بقلم الرقاع " بخاصته ولمن يستمر معه من أصحاب من تقدمه " أو غير ذلك مما يُكتب فى المربعة، ثم يكتب بالقلم الكبير " والعدة"، ثم يُكتب بعد ثلاثة أوصال البسملة ثم " أما بعد حمد الله " إلى إنهاء خاصة كذا طواشى [ثم] الخطبة وما بعدها من تتمة المدح والكلام، ثم يقال " فلذلك خرج الأمر الشريف العالى " إلى آخره، ثم يُكتب بالقلم المكتوب به على هذه الصورة " أن يجرى "، ثم تحته بقلم الرقاع " فى إقطاع المشار إليه عندما رُسم باستقراره أو المرسوم باستقراره فى جملة أمراء كذا بالبلد الفلانى " إما ابتداء أو عوضاً بما رُسم له به الآن من الإقطاع [٢٩٢ ب] ثم يُكتب " والعدة " كما كُتب فى الطرة إلى قوله " بمقتضى المثال الشريف "، ثم يُكتب " خبز " وتحته " فلان " وينقل ما

---

(١) فمن: التثقيف، ص١٥٠.

(٢) ما بين الحاصرتين من، التثقيف، نفسه؛ صبح، ج١٣، ص١٥٩.

(٣) طواشى: فى متن التثقيف المحقق، ولكن فى إحدى نسخ التثقيف المخطوط كما فى الثغر. انظر: ص١٥٠ هـ ١٣.

فى المربعة، فإن كان بيده شيء كتب " والمستقر بيده " يُكتب بعد قوله " وذلك لاستقبال كذا ويوضع كما وضع "، ثم يُكتب " والخدمة سباقة " أو غير ذلك على قدر ما يُكتب فى المربعة نقلاً ويكمل كما تقدم.

وأما التجديدات فيُكتب فى طرتها " منشور شريف، بما [1] رُسم بتجديده باسم فلان الفلانى بما هو مستقر بيده من الإقطاع الشاهد به الديوان المعمور إلى آخر وقت "، ويشرح ما تضمنته المربعة، ثم يقال " على ما شُرح فيه "، ثم يُكتب الصدر والتتمة من نسبة أصله على ما تقدم.

وأما الزيادات والتعويضات، فإن كان من النواب الأكابر أو مقدمي الألوف بمصر والشام كُتب له فى قطع الثلث وكتابته كالمناشير الصغار يُكتب فى الطرة " منشور شريف بأن يجرى فى إقطاعات الجناب الفلانى ضاعف الله تعالى نعمته كذا وكذا "، ثم يبدأ بعد البسملة الشريفة على العادة " خرج الأمر الشريف العالى المولوى " ويكمل على عادته " أن تجرى فى إقطاعات الجناب الفلانى " فإن كان نائب الشام أو الأمير الكبير كُتب له " المقر "، ولا يخرج عن قطع الورق ولا الرسم المتقدم. ويلحق بذلك أمراء مكة والمدينة وآل فضل. وقال فى التعريف: أنه يكتب فى ذلك لمقدمي الألوف ومن قاربهم " أما بعد "، ومن كان من أمراء الطبلخاناه فمن دونهم حتى جندى الحلقة كُتب له فى قطع العادة " خرج الأمر الشريف "، فإذا أنتقل الأمير من إقطاع إلى غيره فإنه يُكتب له كأنه مبتدأ على ما تقدم.

مهمة مناشير الخلفاء فى قطع الثلثين طرته " منشور شريف أن يجرى فى الديوان العزيز المتوكلي _ مثلاً _ مولانا الفلانى أمير المؤمنين أبى فلان فلان أدام الله أيامه ناحية فلانة أجراً مستمراً _ أو تقريراً ثابتاً مستقراً _ "، ويأتى بخطبة بليغة، ثم يذكر بما يجب من القيام بأعباء أمور الخلافة إلى آخره.

والصدر " وأن يجرى _ أو أن يستقر _ فى الديوان العزيز، المولوى، النبوى، الإمامى، المتوكلي، _ مثلاً _ الفلانى أمير المؤمنين " المشار إليه، فإذا أعيد يقال " أن تعاد على الديوان العزيز ". [٢٩٣ أ]

---

(١) ساقطة من، صبح، ج١٣، ص١٦٠.

تنبيه: لم تجرى العادة بأن يُكتب فى أعلى الطرة إشارة إلى العلامة السلطانية كما يُكتب فى الولايات وغيرها. وقد جرت العادة أن تكون العلامة الشريفة " الله أملى " أو " الله وليِّى " أو "الله حسبى " أو " حسبى الله " أو " المنة لله " ونحو ذلك لا يختلف فيها أعلى ولا أدنى.

فائدة: قال فى التعريف: وجرت العادة أن تُكتب المناشير الكبار لمقدمى الألوف والطبلخاناه طغراة بالألقاب السلطانية، ولها رجل مفرد بعملها فإذا كتب الكاتب منشوراً أخذ من تلك الطغراوات واحدة فألصقها فيما يكتب به. وتكون فوق وصل بياض فوق البسملة، ولم تزل مستعملة إلى آخر دولة الأشرف شعبان فتُركت وما أخذت الطغراة لمكاتبات القانات إلا منها كما ثبت ذلك فى هامش الطغراة المتقدمة.

الثانية فى نسخ المناشير المكتتبة فى زماننا، اعلم أن الأحسن بالمناشير أن تكون مبتكرة الإنشاء ليراعى فيها حال المكتوب له فى براعة الاستهلال وغيرها من المناسبات والمطابقات، فإن تعذر فتكون منقولة فى الاسم والكنية واللقب، فإن تعذر فتكون براعة الاستهلال قاصرة على مقتضى الإقطاع وما ينجر من ذكر كرم السلطان [ومنه] [١] وإحسانه إلى أخصائه ونحو ذلك. ثم نسخ المناشير لا تتعدى ثلاثة أنواع:

الأول: ما يفتتح " بالحمدلة "، وهو ما يُكتب فى الثلثين والنصف للخلفاء [٢] وأولادهم ولأولاد السلاطين والملوك والأمراء المقدمين مصراً وشاماً ولأميرى مكة والمدينة وأمير آل فضل على ما تقدم.

الثانى: ما يفتتح بـ " أما بعد " وهو ما يُكتب فى الثلث، ويختص بـأمراء العشرينات والعشرات مصراً وشاماً وأمراء الطبلخاناه من أمراء التركمان والأكراد وبقية أمراء عربان الشام ونحوهم.

الثالث: ما يفتتح بـ " خرج الأمر الشريف "، وحكمها حكم أواخر المناشير المتقدمة، ثم يدعو له بما يناسب، وصورتها " خرج الأمر الشريف العالى، المولوى، السلطانى، الملكى،

---

(١) ما بين الحاصرتين من، صبح، ج١٣، ص١٦٧.

(٢) لم يذكر القلقشندي أن للخلفاء مناشير، ولكن تفرد بها صاحب الثغر. انظر: صبح، ج١٣، ص١٦٧.

الفلانى الفلانى، أعلاه الله [تعالى] [1] وشرفه، وأنفذه فى الآفاق وصـــرفه، [٢٩٣ ب] أن يقطع باسم فلان "، ثم يذكر ما اشتملت عليه المربعة الشريفة [2] ويكمل على ما تقدم.

أما الزيادات والتعويضات فإنها إن افتتحت بالحمدلة فعلى ما تقدم فى أمراء الطبلخاناه، وإن افتتحت بـــ " أما بعد " فعلى ما تقدم فى أمراء العشرات إلا أنه يقول [3] " أن يجـــرى فى إقطاعات " على الجميع. وإن افتتحت بـــ " خرج الأمر الشريف " فعلى نحو ما تقدم فى أمراء العشرات إلا أنه يقال " أن يجرى فى إقطاعات " على الجميع. وإن افتتحت بـــ " خرج الأمـــر الشريف " فعلى نحو ما تقدم فى إقطاعات الأجناد إلا أنه يقال " أن يجـــرى " ولا يقـــال " أن يقطع".

مهمة إذا كُتب منشور لأحد من أولاد السلاطين أو الملوك فيُكتب " أن يجرى فى الديوان السعيد العالى الفلانى ".

---

(١) ما بين الحاصرتين من، صبح، ج١٣، ص١٩٨.

(٢) الجيشية: صبح، نفسه.

(٣) الصواب: يقال، صبح، ج١٣، ص١٩٩.

الباب الثانى

فى المسامحات والإطلاقات

وهو على نوعين:

النوع الأول

المسامحات

اعلم أن المسامحات لا تُكتب إلا بقصة مشمولة بالخط الشريف، ولا يكفى فيها القول ولو من السلطان. وقد جرت العادة فى المسامحات العظام من الأموال السلطانية أنه إذا سمح بشيء منها كُتِب به مرسوم شريف إن كان فى الديار المصرية أو المملكة الشامية أو الحلبية فتكون فى قطع النصف بالسواد يفتتح " بالحمدلة "، وطرته " الاسم الشريف "، ثم من أول عرض الورق إلى آخره " مرسوم شريف بأن يسامح فلان [1] بالجهة الفلانية أو إبطال المكوس بالجهة الفلانية أو أن يسامح بالباقى بالجهة الفلانية أو أن يسامح أهل ناحية أو قرية فلانية بكذا وكذا " ونحو ذلك، ثم يقول " ابتغاء لوجه الله تعالى ورجاء لنواله الجسيم على ما شرح فيه ". ثم يترك وصلان بياضاً غير وصل الطرة، ثم فى الوصل الرابع البسملة ويفتتح بالحمدلة ويخلى بيت العلامة ويكمل الخطبة وتكون فى المعنى ثم يقال " وبعد " ويُؤتى بمقدمة المسامحة من شكر النعم[2] والتوفية بحقها ومقابلتها بالإحسان إلى الخلق وعمل مصالح الرعية وعمارة البلاد، ونحو ذلك. ثم يقال " ولما كان كذا اقتضت آراؤنا الشريفة أن يسامح بكذا "، ثم يقال " فلتستقر هذه المسامحة " ويُؤتى فيها بما يناسب، ثم يقال [٢٩٤ أ] " وسبيل كل واقف على هذا المرسوم الشريف يعمل بمقتضاه [3] " ويختم بدعاء بما يناسب. وإن كان فى الممالك الشامية غير دمشق وحلب كُتب فى قطع الثلث على منهاج ما تقدم.

أما مسامحات التجار الخواجكية [4] فإنها على ثلاثة ضروب:

---

(١) ساقطة من صبح، ج١٣، ص٢٣.

(٢) النعمة: صبح، ج١٣، ص٢٤.

(٣) العمل بمضمونه: صبح، نفسه.

(٤) لقد قسم القلقشندي المسامحات إلى مسامحات عظام وتكتب فى قطع الثلث، ومسامحات تكتب فى قطع العادة وغالباً تكون للتجار الخواجكية. انظر: صبح ج١٣، ص٢٣ ـــ ٣٨.

الضرب الأول: ما يُكتب فى قطع النصف وهو لكبار الخواجكية كالخواجا عثمان المتقدم ذكره أو من يكون فى مقامه ممن يلقب بـ " المجلس العالى "، ويكون مسموحه بما يزيد عن عشرة آلاف دينار، فيُكتب بالذهب طرته الاسم الشريف، ثم من أول عرض الورق " توقيع شريف بأن يسامح المجلس العالى الخواجكى الكبيرى الفلانى تاجر المماليك السلطانية أدام الله نعمته بما يتوجب عليه من الحقوق الديوانية "، ثم بقلم الرقاع بالذهب من أول السطر الثالث بعد خلو بياض من الجانبين:

" بالديار المصرية وثغورها الإسلامية الإسكندرية ودمياط المحروستان، ومدينة فوة المعمورة وقطيا والبلاد الشامية وغزة والرملة والدارون وصفد وعكا وصيدا وبيروت ودمشق وبعلبك والقصير وطرابلس وحماة والمعرة ومصياف وشيزر وحلب وعين تاب والبيرة وبهسنى وقلعة المسلمين والأبلستين وكختيا وكركر وملطية وبلاد الأوزورية والرسلية وأنطاكيا وباب الملك وبغراص والراوندان وأذنة وأياس والمصيصة وطرسوس ودرندة والشغر وبكاس واليرساك، وسائر الممالك الإسلامية المحروسات فيما يبيعه ويبتاعه ويتعوضه من سائر الأصناف والبضائع خلا الممنوعات على ما قيمة كذاكذا دينار صادراً وواردًا مسامحة [باقية] [١] مستمرة على الدوام ما دامت الدهور والأعوام وتحفيزه ومن فى خدمته وما معهم فى المنازل والطرقات على العادة فى ذلك ومقابلته بالإكرام والاحترام والرعاية الوافرة الأقسام ".

ثم يقال بعد خلو بياض " على ما شرح فيه "، ثم بعد ثلاثة أوصال البسملة والافتتاح بالحمدلة، ويترك بيت العلامة ويكمل الخطبة، ثم يقول " وأما بعد [٢٩٤ ب] فإن من شيمنا الشريفة كذا وكذا، وكان فلانا ممن صفته كذا، اقتضى رأينا الشريف كذا، فلذلك رُسم بالأمر الشريف " إلى آخره، ثم يأتى بما ورد فى الصدر ويختمه كما تقدم.

الضرب الثانى: ما يُكتب فى قطع الثلث وهو لما تزيد قيمته عن ثلاثة آلاف دينار إلى تسعة آلاف دينار، ويُكتب بالذهب أيضاً لمن مرتبته " السامى " بالياء وبغير ياء، ويفتتح تارة بالحمدلة، وتارة بـ " أما بعد " ويأتى فيه على المنوال المتقدم وهو أكثر تواقيع المسامحة فى زماننا، وربما كُتب لما قيمته ألفى دينار وهو نادر ويُكتب بالذهب.

---

(١) ما بين الحاصرتين من، صبح، ج١٣، ص٤٠.

الضرب الثالث: ما يُكتب فى قطع العادة لما قيمته ثلاثة آلاف دينار فما دونها ويكتب بالسواد، وربما كتب بالذهب مع العتامة، ويفتتح بـ " أما بعد " أو " رُسم ". وإذا كُتب بالسواد افتتح برسم ويأتى ببراعة الاستهلال ويكمل قريباً مما تقدم.

تنبيه: لم يكن قطع الورق والألقاب تابعة لقيمة الذهب بل تابعة لمقام التاجر وعظمته عند الملك. فلو كُتب لوضيع أو نصرانى لا يتعدى " رُسم "، وإن كُتب قيمة ما يوجب عليه ولا يتوقف على قيمة الذهب بل مطلق القيمة بجميع النقود.

النوع الثانى

الإطلاقات

وهى إما تقرير عدل لما قرره أحد الملوك السالفة، أو ابتداء فى معروف أو زيادة فى إحسان على ما كان مقرراً، وهى على ثلاث مراتب:

الأولى: ما يُكتب فى قطع الثلث وهى أعلاها، ويفتتح فيه بـ " الحمدلة " كما كتب به الشهابى ابن فضل الله فى أيام الناصر محمد بن قلاوون باستقرار ما أطلقه السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب سقى الله عهده وهى ناحية شباس الملح بالغربية [1] وما معها على العمريين من أعقاب عمر بن الخطاب رضى الله عنه المقيمين بالحرمين الشريفين.

الثانية: ما يُكتب فى قطع الثلث ويفتتح بـ " أما بعد " وهى قريبة فى براعة الاستهلال وغيرها من مقاصد الأولى. [٢٩٥ أ]

الثالثة: ما يُكتب فى قطع العادة ويفتتح بـ " أما بعد " أو بـ " رُسم "، ويأتى فيه ببراعة الاستهلال على فرب المرتبة الثانية، على أنه قلت الكتابة فى مثل ذلك فى زماننا.

---

(١) ظلت وقفاً للإشراف حتى نهاية عصر المماليك. ابن الجيعان: التحفة، ص٨١.

الباب الثالث

فى الطرخانيات وتحويل السنين

وهو على نوعين:ـ

النوع الأول

الطرخانيات

والمراد بها أن يصير الشخص مسموحاً له بالخدمة السلطانية يقيم ويرتحل حيث شاء بإقطاع أو معلوم، وربما كان بغير معلوم، ويُكتب للأمراء والجند غالباً، وأكثر ما يُكتب إلى كبر سنه وعجز عن الخدمة، أو بطلت حركته بعارض أو عاهة، ويسمى ما يُكتب لها مراسيم، وهى على ثلاث مراتب:

الأولى: النصف، وهو يكتب فيه لمن كان رتبته المقر أو الجناب الكريم بالمجلس العالى ولا يتعداه طراخان، وطرته:

" طرخان شريف بأن يكون المجلس العالى، الأميرى، الفلانى أدام الله نعمته، طراخاناً، ويكون إقطاعه أو رزقه مستمر عليه وما له من الراتب، وإقامته حيث اختار وأراد السكنى إن شاء بأرض حجازية بها حرم شريف يحل به العاكف والباد، أو حرم شريف فيه نبى خصه الله بالشفاعة فى العباد، أو أرض مقدسة بها أولى العزم من الرسل المكرمين، أو يقيم بالشام أو بمصر على أحسن يقين، وأن يحل بها ويرحل منها إن شاء، وإن عاد يتلو ﴿ادْخُلُواْ مِصْرَ إِن شَاء اللّهُ آمِنِينَ﴾[1] ، وأن يفتتح له فى الورود والصدور، وليكن سعيه فى ذلك السعى المشكور، ولا يحكم عليه بمقدم ولا نقيب، ولا يلزم بالخدمة الشريفة ولا يجعل عليه رقيب، ولا يطلبه كاتب ولا حاسب على مدى الدهور والأيام والساعات والأعوام ما دام حياً لا يعارضه أحد فى ذلك بكلام، ولا يكلفه أحد من الأمراء والحجاب والحكام، وليكن مستمر على ما بيده حيث طاب له المقام، ويستكثر الدعاء للسلطان الذى أمده بهذا الإنعام ورفع عنه ملازمة الخدمة الشريفة والقعود والقيام على ما شُرح فيه ".

---

(١) يوسف، الآية ٩٩.

ثم يأتى بالخطبة بعد [٢٩٥ ب] ثلاثة أوصال ما شبه معنى ذلك، ثم يأتى على المقصد ويكمل.

مهمة: كُتِب للأمير منجك رحمه الله طرخان فى قطع الثلثين جميعه بالذهب طرته " برسم شريف بأن يكون المجلس العالى الفلانى السيفى منجك الناصرى [1] أدام الله نعمته طرخاناً يقيم حيث شاء، وأين أراد من البلاد الإسلامية المحروسة معاملاً بمزيد الإكرام والاحترام والرعاية حسب ما اقتضته المراسيم الشريفة من ذلك عندما شملته الصدقات الشريفة والمراحم الشاملة بالعفو الشريف والحكم المنيف والإقبال والرضى والصفح عما مضى "، ثم بعد ثلاثة أوصال البسملة، ويفتتح بالحمدلة، ثم خطبة عظيمة فى المعنى ويكمل.

المرتبة الثانية: ما يُكتب فى قطع الثلث، وهى على طريقتين:

الأولى: ما يفتتح بـ " الحمدلة "، ويلقب المكتوب له فيه بـ " المجلس العالى "، ويُكتب ذلك لمن مرتبته " الجناب العالى " من الأمراء المقدمين كان، وطرته على نحو ما تقدم، ويستوفى الخطبة إلى آخرها، ثم يقال " وبعد "، ثم يقال " ولما كان فلان اقتضى المرسوم فلذلك رُسم " إلى آخره، ثم يقال " أن يستقر فلاناً طرخاناً يتصرف على اختياره، يسير ويقيم فى أى مكان اختاره من بلاد المملكة " ونحو ذلك ويكمل.

الثانية: ما يفتتح بـ " أما بعد "، ويلقب المكتوب له فيه بـ " المجلس السامى " بالياء، وهى لمن كانت مرتبته " المجلس العالى " من الأمراء الطبلخاناه وأولاد الملوك، وتكون طرته وصدره قريباً مما تقدم ويكمل.

المرتبة الثالثة: ما يُكتب فى قطع العادة، ويفتتح بـ " أما بعد "، ويلقب صاحبه بـ " المجلس السامى " بغير ياء أو " مجلس الأمير "، ويُكتب ذلك لمن كان رتبته " المجلس السامى " بالياء، وتكون طرته وصدرته قريباً من ما تقدم، وما يفتتح برسم، وهو لمن عدا ذلك من الناس من الأمراء الخمسات، والخاصكية، ومقدمين الحلقة وأجنادها، والمماليك السلطانية، والخدام ونحوهم. وتولى فيه براعة الاستهلال وبعض سجعات قريباً مما تقدم ويكمل.

تنبيه: لا يكتفى الكاتب فى المستند بالطرخانيات إلا بقصة مشمولة بالخط الشريف. [٢٩٦ أ]

---

(١) هو الأمير منجك اليوسفى، انظر القسم الثانى، ص٢٤٨.

النوع الثانى

ما يُكتب فى تحويل السنة الشمسية إلى القمرية والتوفيق بين السنين الشمسية والقمرية

اعلم أن استحقاق الخراج وجبايته منوطان بالزروع والثمار من حيث أن الخراج من متحصل ذلك يؤخذ، والزروع والثمار منوطان بالشهور والسنين الشمسية من حيث أن كل نوع منها يظهر فى وقت من أوقاتها ملازم إنه [١] لا يتحول عنه للزوم كل شهر منها وقتاً بعينه من شتاء أوصيف أو خريف أو ربيع.

واستخراج الخراج فى الملة الإسلامية منوط بتاريخ الهجرة، قال فى مواد البيان: السبب فى انفراج ما بين الشمسية والهلالية أن أيام السنة الشمسية هى المدة التى تقطع الشمس الفلك فيها دفعة واحدة وهى ثلاثمائة وخمسة وستون يوماً وربع يوم بالتقريب. وأيام الهلالية هى المدة التى يقطع القمر الفلك فيها اثنى عشر دفعة وهى ثلاثمائة وأربعة وخمسون يوماً وسدس يوم. فالتفاوت بينهما أحد عشر يوماً وسدس يوم. فتكون زيادة الشمسية على الهلالية كل ثلاث سنين شهراً وثلاثة أيام ونصف يوم تقريباً، وفى كل ثلاث وثلاثين سنة سنة تقريباً.

فإذا تمادى الزمان تفاوت ما بين السنين تفاوتاً قبيحاً فيرى السلطان عند ذلك أن تنقل السنة الشمسية إلى الهلالية بالاسم دون الحقيقة توفيقاً بينهما وإزالة الشبهة فى أمرهما، ومتى أوعز بذلك لم يقف على الغرض فيه إلا الخاصة دون العامة، وأسرع إلى ظن المعَاملين وأرباب الخراج والأملاك أن ذلك عائداً عليهم بظلم وحيف، وإلى ظن مستحقى الإقطاع أنه منتقص لهم ونسبوا الجور إلى السلطان بسبب ذلك وشنعوا عليه. فرسم بلغاء الكتاب فى هذا رسوماً توصل المعنى المراد إلى كافة الناس [٢] ليتساوون فى تصديقه وتيقنه ولا يتوجه عليهم شبهة ولا شك فيه.

---

(١) الصواب: له، صبح، ج١٣، ص٥٤.

(٢) عبر عن ذلك القلقشندي بقوله " تعود بتفهيم الغبى وتبصير العمى ". صبح، ج١٣، ص٥٥.

قال العسكرى: إن أول من أخر النيروز [١] المتوكل على الله أحد خلفاء بنى العباس، وكُتبت [٢٩٦ ب] المراسيم بذلك وأُثبتت فى الدواوين، ومشى الأمر على ذلك من حينئذ، وصار التحويل يُكتب من ديوان الإنشاء نسختان فى قطع [الثلث] [٢]، فالنسخة الأولى تترك بالدواوين الشريفة بالديار المصرية، ثم تخلد بالخزانة الشريفة، والثانية تُجَهَّز إلى الممالك الشامية فتترك بدواوينها ثم تخلد بقلعة الشام.

ووقع التحويل فى زماننا فى سنة [٣] التاسع فى سنة اثنين وثمانمائة إلى سنة ثلاث وثمانمائة، وفى سنة خمس وثلاثين وثمانمائة إلى سنة ست وثلاثين، ويقع فى سنة سبع وستين إلى ثمان وستين[٤].

وكتابة تحويل السنين على ثلاثة أساليب:

الأول: ما كان يُكتب فى زمن الخلفاء العباسيين، وكان الافتتاح فيها " من فلان أمير المؤمنين إلى أهل الدولة، أن كذا وكذا ".

---

(١) عيد النيروز هو أحد أعياد الفرس وأصله الفارسى نوروز، وهو عيد رأس السنة الفارسية، وقد قيل فى سببه عدة روايات مجملها أن الملك الفارسى جم شاد أراد أن ينقى الدين من الظلم والفساد، وعندما اتخذ هذه الخطوة أطلق على هذا اليوم اليوم الجديد، ومنها أنه اليوم الذى خلق فيه الله تعالى النور. القلقشندي: صبح، ج٢، ص٤٤٥.

(٢) بياض فى الأصل، وما بين الحاصرتين من، صبح، ج١٣، ص٧٧.

(٣) الصواب: القرن، العرف الناسم، ورقة ٧٠ ب.

(٤) ذكر القلقشندي أن تحويل السنين بدأ فى مصر عام ٤٩٩ هـ فى عهد الفاطميين، وكان حسابه الصحيح عام ٥٠٥ هـ أى أنه تم تقديمه ست سنوات. وذكر أن التحويل تم فى القرن الثامن الهجرى فحولت سنة ٧٤٩ إلى عام ٧٥١ هـ فى غير ميعادها، ولذلك كان آخر تحويل شهده القلقشندي عام ٧٩٦ إلى عام ٧٩٨ هـ. وذكر أن التحويل القادم فى عام ٨٢٩ إلى عام ٨٣١ هـ. وهو يخالف صاحب الثغر والمؤرخين المعاصرين أمثال المقريزى وابن حجر وابن تغرى بردى وابن إياس، وكلهم قد اتفقوا على ما ذكره السحماوي وعن ذلك انظر: القلقشندي: صبح، ج١٣، ص٦٣؛ المقريزى: السلوك، ج٤ق٢، ص٨٧٥؛ ابن حجر: إنباء الغمر، ج٣، ص٤٩٠؛ ابن تغرى بردى: النجوم، ج١٣، ص٢٦؛ ج١٤، ص٣٦٣؛ ج١٥، ص١٧٧؛ ج١٦، ص٢٩٠؛ ابن إياس: بدائع، ج٢، ص١٤٣.

الثانى: ما كان يفتتح به فى أيام الفاطميين بـــ " أما بعد "، وعليه مشى القاضى الفاضل، وربما كتب فى دولة بنى أيوب حيث الأوامر الشريفة الفلانية يُكتب هذا المنشور، وكُتب بذلك عن الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب.

الثالث: ما عليه العمل من ابتداء الدولة التركية وإلى آخر وقت، وطرته " توقيع شريف، بما رُسم به من تحويل سنة كذا وكذا الخراجية فى الشمسية إلى سنة كذا وكذا القمرية القـــائم مثلها الآن والمدرك فى سنة كذا الهلالية منسوباً إلى سنة كذا على ما شُرح فيه ". ثم بعد ثلاثـــة أوصال يُفتتح بخطبة بمعنى ذلك، ثم يقال " وبعد فإن كذا وكذا، ولما كان الزمن مقسوماً ما بين سنين كذا، اقتضى رأينا الشريف أن تُحول هذه السنة إلى سنة كذا، فلذلك رُســـم [بـــالأمر الشريف الفلانى] (١) أن يُحَوَّل مغل سنة كذا بالديار المصرية إلى مغل سنة كذا "، ويوســـع فى الألفاظ ويكمل.

تنبيه: تُكتب مقاصد تحويل السنة فى دفتر الديوان بخط كاتب التوقيع للكشف منه عنـــد الحاجة.

---

(١) بياض فى الأصل، وما بين الحاصرتين من، صبح، ج١٣ص٧٥.

القسم الثالث عشر

فى الأيمان والأمانات والدفن وعقد الذمة والهدن الموافق بين ملوك الإسلام وملوك النصارى والصلح بين ملكين مسلمين والفتوح الواردة على العقود السابقة

[٢٩٧ أ] وفيه سبعة أبواب:

الباب الأول

فى الأيمان

وفيه ثلاثة ضروب:

الضرب الأول

فى نسخ الأيمان الإسلامية

وفيه مهيعان:

الأول: فى نسخ الأيمان الملوكية

اعلم أن أهل كل ملة يحلفون بما هو عظيم عندهم فى دينهم، ولا خفاء فى أن كل معترف به بالربوبية من أهل الديانات يحلف به سواء كان من أهل الكتاب أو مشركاً. وقد أخبر الله عن الكفار غير مرة بقوله " وأقسموا بالله جهد أيمانهم "، والحلف منه صريح وكناية. فالصريح مع الإتيان بلفظة الحلف أو القسم، والأيمان بحرف القسم فينعقد اليمين بما نوى أو لم ينو. وأما الاسم الذى يسمى به الله تعالى ويسمى به غيره مجازاً، وعند الإطلاق يُطلق على الله تعالى كالرحيم والعليم والحكيم والحليم والخالق والرازق والجبار والحق والرب، فإن قصد به الله تعالى انعقد وإلا فلا. وأما صفات الله تعالى فإن كانت صفة ذات كقوله " وعظمة الله وجلاله، وقدرته، وعونه، وكبريائه، وعلمه، وقدره، ومشيئته " انعقدت به اليمين وإلا فلا. وأما " والقرآن " فينعقد به اليمين خلافاً لأبى حنيفة.

واليمين الشرعية التى يحلف بها الحكام، فإن كان " أحلف بالله الذى لا إله إلا هو عالم الغيب والشهادة الذى أنزل القرآن على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم "، وإن كان يهودياً " أحلف بالله الذى أنزل التوراة على موسى ونجاه من الغرق "، وإن كان نصرانياً " أحلف بالله الذى أنزل الإنجيل على عيسى بن مريم ".

[٢٩٧ ب] وقال الشافعى: اليمين الغموس هى أن يكون الحالف فى خبره كاذباً نحو كذا. وقال غيره: هو أن يحلف على ماض ولم يكن دائماً. سميت غموساً لأنها تغمس صاحبها فى الإثم، وأوجب الشافعى الكفارة فيها، وذهب أبو حنيفة ومالك وأحمد أنه لا كفارة فيها احتجاجاً بأنها أعظم من ذلك، وأنها من الكبائر العظام.

أما الأيمان التى يحلف بها الخلفاء، فقل من يعرض لقلتها إذ الخليفة قل ما يحلف، ومدار تحليفهم بعد القسم بالله تعالى على التعليق بوقوع المحذور عليهم ولزومه لهم مثل البراءة من الخلافة والانخلاع منها وما يجرى مجرى ذلك. وقد ذكر أبو أسحق الصابئ فى ترسله نسخة من ذلك.

وأما الأيمان للخلفاء فأول من رتبها الحجاج بن يوسف الثقفى حين أخذه البيعة لعبد الملك بن مروان على أهل العراق، ثم زيد فيها بعد ذلك وتنقحت فى الدولة العباسية، وهذه نسخة يمين أوردها ابن حمدون فى تذكرته وهى:

" نبايع الإمام أمير المؤمنين فلان بيعة طوع وإيثار ورضى واختيار واعتقاد وإضمار وإعلان وإسرار وإخلاص من طويتك وصدق نيتك وصدق [1] صدرك وصحة عزيمتك طائعاً غير مكره ومنقاداً غير مجبر، مقرا بفضلها مذعناً بحقها معترفاً ببركتها، ومعتدا بحسن عائدها وعالماً بما فيها وفى توكيدها من صلاح الكافة واجتماع الكلمة الخاصة والعامة ولم الشعث وأمن العواقب وسكون الدماء [2] وعز الأولياء وقمع الأعداء على أن فلاناً عبد الله وخليفته المفترض عليك طاعته والواجب على الأمة إقامته وولايته، الملازم [3] لهم القيام بحقه والوفاء بعهده ولا تشك فيه ولا ترتاب به ولا تداهن فى أمره ولا تميل وإنك وليك إلى [4] وليه وعدو عدوه من خاص وعام وقريب وبعيد وحاضر وغائب، متمسك فى بيعته بوفاء العهد وذمة العقد، سريرتك [٢٩٨ أ] من [5] علانيتك، وظاهرك فيه مثل باطنك [وباطنك فيه وفق ظاهرك] [6] على أن أعطاك الله تعالى هذه البيعة من نفسك، وتوكيدك إياها فى عنقك لفلان أمير المؤمنين عن سلامة من قلبك واستقامة من عزمك واستمرار من هواك ورأيك على أن لا تتأول عليه فيها ولا تسعى فى نقض شيء منها ولا تقعد عن نصرته فى الرخاء والشدة، ولا تدع النصر له فى كل

---

(١) وانشراح: صبح، ج١٣، ص٢١٤.

(٢) الدهماء: صبح، نفسه.

(٣) الصواب: اللازم، صبح، نفسه.

(٤) وإنك لى: صبح، نفسه.

(٥) الصواب: مثل، صبح، نفسه.

(٦) ما بين الحاصرتين من، صبح، نفسه.

حال راهنة وحادثة حتى تلقاه [١] الله تعالى يوفَى [٢] بها، ومؤدياً للأمانة فيها إذا [٣] كان الذى يبايعون ولاة الأمر من خلفاء الله فى الأرض ﴿ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوقَ أَيدِيهِم فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفسِه ﴾[٤] ، عليك بهذه البيعة التى طوقت [٥] عنقك، وبسطت لها يدك، وأعطيت فيها [٦] صفقتك وما شرط عليك [٧] فيها من وفاء وموالاة ونصح وأصح بمشايعة [٨] وطاعة وموافقة واجتهاد ومبالغة عهد الله، إن العهد [٩] كان عنه مسئولا، وما أخذ الله على أنبيائه ورسله عليهم السلام، وعلى من أخذ من [١٠] عباده، وأكيدات [١١] مواثيقه، ومحكمات عهوده، وعلى أن يتمسك بها فلا يبدل، وتستقيم فلا [١٢] تميل، وإن نكثت هذه البيعة أو بدلت شرطاً من شروطها، أو عفيت رسماً من رسومها، أو غيرت حكماً من أحكامها معلناً أو مسرا أو محتالاً أو متأولها [١٣]، أو زغت عن السبيل التى يسلكها من لا يخفر الأمانة ولا يستحل الغدر والخيانة، ولا يستجيز حل العقود، فكل ما تملكه من عين أو ورق أو آنية أو عقار أو زرع أو ضرع أو غير ذلك من صنوف الأملاك المعتقدة والأموال [١٤] المدخرة صدقة على المساكين محرمة عليك أن ترجع من ذلك إلى شىء من ملك بحيلة من الحيل على وجه من الوجوه وسبب

---

(١) الصواب: تلقى، صبح، ج١٣، ص٢١٤.

(٢) الصواب: موفياً، صبح، نفسه.

(٣) إذ: صبح، نفسه.

(٤) الفتح، الآية ١٠.

(٥) طوقتها: صبح، نفسه.

(٦) بها: صبح، نفسه.

(٧) ساقطة من صبح، نفسه.

(٨) الصواب: مشايعة، صبح، نفسه.

(٩) عهد الله: صبح، نفسه.

(١٠) وأخذ على عباده: صبح، ج١٣، ص٢١٥.

(١١) من وكيدات: صبح، نفسه.

(١٢) لا: صبح، نفسه.

(١٣) متأولاً: صبح، نفسه.

(١٤) الأمور: صبح، ج١٣، ص٢١٥.

من الأسباب ويخرج مخارجاً من الأيمان [١] لكل [٢] ما تفيده فى بقية عمرك من مال يقل خطره أو يجل، فتلك سبيله إلى أن تتوفاك منيتك ويأتيك [٢٩٨ ب] أجلك، وكل مملوك [لك][٣] إلى اليوم أو ما [٤] تملكه إلى آخر أيامك أحرار سائبون لوجه الله تعالى، ونساؤك يـوم يلزمـك الحنث ومن تتزوج بعد بهن [٥] مدة بقائك طوالق طلاقاً [٦] بناثاً [٧] طلاق الحـرج والسـنة لا غيوبة [٨] فيها ولا رجعة، وعليك المشى إلى بيت الله الحرام ثلاثين حجة حافياً حاسراً راجلاً لا يرضى الله تعالى [٩] منك إلا بالوفاء بها، ولا يقبل الله منك صرفاً ولا عدلاً، وكذلك [١٠] يـوم تحتاج إليه وبرأك الله من حوله وقوته وألجأك إلى حولك وقوتك، والله تعالى بذلك شهيد، وكفى به [١١] شهيداً [١٢]، وهذه اليمين قولك عليها قولاً صحيحاً، وسردها سرداً صريحاً وأخلصت بها سرك إخلاصاً مبيناً، وطوقت بها عزمك صدقاً يقيناً، والنية فيها نية فلان أمـير المـؤمنين دون نيتك، والطوية دون طويتك ".

ومن هذه اليمين استنبطت الأيمان التى يحلف بها الأمراء للسلاطين، وقد خالف صاحب التثقيف فيها فى بعض الألفاظ الواردة فى التعريف وزيادة ونقص يسير، وجميع ذلـك بلفـظ التكلم، واكتفى فى التثقيف بهذه النسخة [١٣] وهى:

---

(١) أو مخرج من مخارج الأيمان: صبح، نفسه.

(٢) وكل: صبح، نفسه.

(٣) ما بين الحاصرتين من، صبح، نفسه.

(٤) ساقطة من صبح، نفسه.

(٥) بعدهن: صبح، نفسه.

(٦) ساقطة من صبح، نفسه.

(٧) الصواب: بائناً.

(٨) الصواب: مثنوية، صبح، نفسه.

(٩) ساقطة من، صبح، نفسه.

(١٠) الصواب: وخذلك، صبح، نفسه.

(١١) بالله: صبح، نفسه.

(١٢) إلى هنا ينتهى ذكر اليمين عند القلقشندي، وبقيته أتى به صاحب الثغر من أصله.

(١٣) أورد القلقشندي نسخة هذه اليمين من التعريف لا التثقيف. انظر: صبح، ج١٣، ص٢١٦ ــ ٢١٨.

" أقول وأنا فلان بن فلان والله والله والله، وبالله وبالله وبالله، وتالله وتـالله وتـالله، والله [العظيم] (١) الذى لا إله إلا هو، البارئ الرحمن الرحيم، عالم الغيب والشهادة والسر والعلانية وما تخفى الصدور، القائم على كل نفس بما كسبت، والمجازى لها بما أخفيت (٢)، وحق جـلال الله، [وعظمة الله وقدرة الله] (٣) وكبرياء الله وسائر أسماء الله الحسنى وصفاته العليا، وحـق هذا القرآن العظيم ومن أنزله ومن أُنزل عليه، إننى من وقتى هذا ومن ساعتى هذه وما مد الله فى عمرى قد أخلصت نيتى ولا أزال مجتهداً فى [إخلاصها] (٤)، وأصفيت طويتى ولا أزال مجتهداً فى [إصفائها] (٥)، فى طاعة [مولانا] (٦) السلطان المالك الملك الفلانى، فلان الدنيا والدين، فلان خلد الله [٢٩٩ أ] [تعالى] (٧) ملكه، وفى خدمته ومحبته ونصيحته، وأكون ولياً لمـن والاه، عدواً لمن عاداه، مسالماً (٨) لمن سالمه، حرباً لمن حاربه من سائر الناس أجمعين، لا أضمر له سوءاً ولا مكراً ولا خديعة ولا خيانة من (٩) نفس ولا مال ولا ملك ولا (١٠) سلطنة ولا عساكر ولا جند ولا عربان ولا تركمان ولا أكراد ولا غير ذلك، ولا أسعى فى تفريق كلمة أحد منهم عن طاعته الشريفة، وأننى والله العظيم أبذل جهدى وطاقتى فى طاعة مولانا السـلطان الملـك الفلانى فلان الدنيا والدين المشار إليه، وأن كاتبنى أحد من سائر الناس أجمعين بما فيه مضرة على ملكه، لا أوافق على ذلك بقول ولا بفعل ولا عمل ولا نية، وإن قدرت على إمسـاك الـذى جاءنى بالكتاب أمسكته وأحضرته لمولانا السلطان الملك الفلانى المشار إليه لهذه اليمين من أولها إلى آخرها ولا أستثنى فيها ولا فى شئ منها ولا أستفتى فيها ولا فى شيء منها، وإن خالفتها أو

---

(١) ما بين الحاصرتين من، التثقيف، ص١٥٧.

(٢) اكتسبت: التثقيف، ص١٥٧. وفى بعض نسخ مخطوط التثقيف استبدلت بـ " أخفيت "، " أحسنت "، انظر التثقيف، ص١٥٧ هـ٣؛ عملت: صبح، ج١٣، ص٢١٧.

(٣) وقدرة الله، وعظمة الله: صبح، نفسه.

(٤) بياض فى الأصل، وما بين الحاصرتين من، التثقيف، نفسه.

(٥) بياض فى الأصل، وما بين الحاصرتين من، التثقيف، نفسه.

(٦) ما بين الحاصرتين من، التثقيف، نفسه.

(٧) ما بين الحاصرتين من، التثقيف، نفسه.

(٨) سلماً: التثقيف، ص١٥٨؛ صبح، ج١٣، ص٢١٩.

(٩) فى: التثقيف، نفسه؛ صبح، نفسه.

(١٠) ساقطة من التثقيف، نفسه.

شيء[١] منها أو استثنيت منها واستفتيت طلباً لنقضها أو نقص شيء منها فيكون كل ما أملكه [من صامت أو ناطق] [٢] صدقة على الفقراء والمساكين و[من] [٣] المسلمين، وتكون كل[٤] زوجة فى عقد نكاحي أو أتزوجها فى المستقبل طالق ثلاثاً بتاتاً على سائر المذاهب، ويكون كل مملوك أو أمة فى ملكى الآن أو أملكه فى المستقبل أحراراً لوجه الله تعالى، ويلزمنى ثلاثون حجة متواليات متتابعات حافياً حاسراً، وعلى صوم الدهر بجملته [٥] إلا الأيام المنهى عنها [٦]، وهذه اليمين يمينى وأنا فلان بن فلان، والنية فى هذه اليمين بأسرها نية مولانا [٧] السلطان الملك الفلانى المشار إليه، ونية مستحلفى له بها لا نية لى فى [٨] غيرها، ولا قصد لى فى باطنى وظاهرى سواها، أُشهد الله على بذلك وكفى بالله شهيداً، والله على ما أقول وكيل ".

تنبيه: ربما كان للسلطان ولى عهد بالسلطنة فيقع التحليف للسلطان ولولى العهد [٩] جميعاً، وهى على نحو ما تقدم لا يتغير [٢٩٩ ب] فيها إلا نقل الضمير من الإفراد إلى التثنية.

مهمة: يتعين إن كان كاتم السر يعظ المَحلف ويحذره من اليمين الفاجرة وما يقع لصاحبها من الوبال والشؤم دنيا وأخرى، وأن يستوفى اليمين بشرطها الشرعى ويكون بمعزل عن الجميع وعلى طهارة كاملة، وأن يكون على المصحف من سورة التوبة أو الطور، ويكتب بيده اسمه فى ورقة اليمين.

---

(١) شيئاً: التثقيف، نفسه؛ صبح، ج١٣، ص٢٢٠.

(٢) ما بين الحاصرتين من، التثقيف، ص١٥٨؛ صبح، ج١٣، ص٢٢٠.

(٣) ما بين الحاصرتين من، التثقيف، نفسه؛ صبح، نفسه.

(٤) ساقطة من التثقيف، نفسه.

(٥) كله: التثقيف، نفسه.

(٦) عن صومها: التثقيف، نفسه؛ صبح، نفسه.

(٧) ساقطة من التثقيف، نفسه.

(٨) ساقطة من بعض نسخ التثقيف ومثبته فى إحداها، ص١٥٨ هـ١١.

(٩) ولولده: صبح، نفسه.

المهيع الثانى: فى الأيمان التى يُحَلف بها المسلمون أهل البدع

ومنهم بهذه المملكة ثلاث طوائف.

الطائفة الأولى: الخوارج [١]

وهم قوم كانوا مع أمير المؤمنين على بن أبى طالب كرم الله وجهه، وخرجوا عنه فسموا الخوارج، ثم فارقوه وذهبوا إلى النهروان فأقاموا هناك، وكانوا أربعة آلاف، فذهب إليهم على فقتلهم ولم يفلت منهم غير تسعة نفر ذهب اثنان إلى عُمان، واثنـــان إلى كرمـــان، واثنـــان إلى سجستان، واثنان إلى الجزيرة، وواحد إلى اليمن، وظهرت بدعتهم هناك وهم الذين يقولون إن سورة يوسف ليست بقرآن، ويقولون عن معاوية وأصحابه أنهم استباحوا الأموال والفروج بغير حق، ويُكَفرون بالكبائر والإصرار على الصغائر، ويصوبون فعل عبد الرحمن بن ملجم لعنه الله فى قتل على. وكيفية معتقدهم تظهر فى اليمين، قال فى التعريف: وهم طوائـــف ومنـــهم الآن الواهبية [٢]. ببلاد الغرب، أيمانهم أيمان أهل السنة ويزاد فيها:

" وألا أجزت التحكيم، وصوبت قول الفريقين فى صفين [٣]، وأطعت بالرضى منى حكم أهل الجور، وقلت فى كتاب الله بالتأويل، وأدخلت فى القرآن[٤] ما ليس منه، وقلت إن إمـــارة بنى أمية عدل، وإن قضاءهم حق، وإن عمرو بن العاص أصاب، وإن أبا موســـى مـــا أخطـــأ، واستبحت الأموال والفروج بغير حق، واجترحت الكبائر والصغائر ولقيت الله مثقلاً بالأوزار،

(١) ما ذكره صاحب الثغر منقول بتصرف عن صبح الأعشى للقلقشندى، انظر: صبح ج١٣، ص٢٢٢_٢٢٣.

(٢) الصواب: الوَهَبِيَّة، التعريف، ص٢٠٥، ويبدو أن المقصود بهم الخوارج المحكمة الذين خرجوا على الإمام على رضى الله عنه وذلك لأن أول أمير على الخوارج كان عبد الله بن وهب الراسبى الذى قتل فى النهروان عام ٣٨ هـ، وهذه الفرقة كان لهم بجزيرة " زيزوا " القريبة من جزيرة جربة القريبة من سواحل تونس مركز فى القرن السادس الهجرى كما يذكر ذلك الإدريسى بأن سكانها قوم من نكار الخوارج الوهبية. انظر: البغدادى: الفرق بين الفرق، تحقيق طه عبد الرءوف سعد، ص٤٦؛ الإدريسى: نزهة، ج١، ص٣٠٦.

(٣) موضع بالقرب من الرقة بسوريا اليوم على نهر الفرات. البلاذرى: فتوح، ق٣، ص٧٤٤؛ ياقوت: معجم، ج٣، ص٤١٤.

(٤) الدين: التعريف، ص٢٠٥.

وقلت إن فعلة عبد الرحمن بن ملجم كفر [وإن قتل [١] خارجة [٢] إثم، وبرئـت مـن فعلـة قطام[٣]] [٤]، وخلعت طاعة الرءوس، وأنكرت أن تكون الخلافة إلا فى قريش، وأن لا مما رويت [٥] سيفى ورمحى من دماء [٣٠٠ أ] المخطئين ".

ثم هم طوائف ينبغى أن تعرف حتى يميز يمين كل طائفة، ثم يختص بها ملتهم.

" المحكمة " الذين منعوا التحكيم.

و " الأزارقة " أتباع نافع بن الأزرق [٦] يكفرون علياً وجماعة من الصحابة ويصـوبون فعل ابن ملجم، ويبيحون قتل أطفال المخالفين ونساءهم، ويسقطون الرجم عن المحصن، وحـد القذف عن قاذف الرجل دون المحصنة.

و " النجدانية " أصحاب نجدة بن عامر [٧]، ويكفرون بالإصرار على الصغائر دون فعل الكبائر من غير إصرار، ويستحلون دماء أهل العهد والذمة وأموالهم ويتبرءون ممن حرمها.

و " البيهسية " أصحاب أبي بيهس بن خالد [٨]، لا يحرمون إلا ما وقع عليه النص بقوله ﴿قُل لاَّ أَجِدُ فِي مَا أُوْحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّماً﴾[٩] . الآية، ويكفرون الرعية بكفر الإمام.

---

(١) قاتل: التعريف، نفسه.

(٢) هو خارجة بن حذافة صاحب شرطة مصر فى ولاية عمرو بن العاص، قتله عمرو بن بكر الخارجى على اعتبار أنه عمرو بن العاص. انظر: ابن قتيبة: الإمامة والسياسة، ج١، ص١٦٤،١٦٢؛ الطبرى: تاريخ الأمم، ج٥، ص١٥٩.

(٣) هى قطام بنت علقمة التى اشترطت على عبد الرحمن بن ملجم حين خطبها ثلاثة آلاف دينار وعبدا وقينة وقتل على بن أبي طالب. ابن قتيبة: الإمامة والسياسة، ج١ص١٦٢؛ الطبرى: السابق، ج٥، ص١٥٥.

(٤) ما بين الحاصرتين ذكر محققو صبح أنه ساقط فى أصول صبح الأعشى، وأنهم أكملوه من التعريف. انظر: صبح ن ج١٣، ص٢٢٦ هـ١.

(٥) وإلا فلا رويت: التعريف، ص٢٠٥؛ صبح، نفسه.

(٦) أحد كبار زعماء الخوارج مات عام ٦٥ هـ. الطبرى: تاريخ الرسل، ج٥، ص٦١٤.

(٧) أحد كبار زعماء الخوارج، قتل عام ٧٢ هـ. السابق، ج٦، ص١٧٤.

(٨) فى الملل والنحل للشهرستانى " أبي بيهس الهيصم بن جابر "، ج١، ص١٢٥.

(٩) الأنعام، الآية ١٤٥.

و " العجاردة " [(١)] ينكرون كون سورة يوسف من القرآن، ويوجبون التبرى من الطفل فإذا بلغ دُعى للإسلام.

و " الميمونية " [(٢)] يقولون إن الله تعالى يريد الخير دون الشر، ويجوزون نكــاح بنــات البنات وبنات أولاد الإخوة والأخوات.

و " الإبضية [(٣)] " يقولون إن دار مخالفهم من المسلمين دار توحيد، ودار السلطان منـــهم دار بغى.

و " الثعالبة " [(٤)] يرون ولاية الطفل حتى يظهر عليه إنكار الحق فيتبرءون منه.

و " الصفرية " [(٥)] يرون أن ما كان من الكبائر فيه حد كالزنا فلا يكفر فيه، وما كان لا حد فيه كترك الصلاة كفر به. وكان الذى ذكره فى التعريف هو قول أكثرهم فاكتفى به.

الطائفة الثانية: الشيعة

الذين شايعوا علياً رضى الله عنه وقالوا بإمامته وخلافته، وإن الإمامة لا تخرج عنه وعن بنيه إلا بظلم [من غير ذلك الإمام أو بتقية منه لغيره] [(٦)]. قال الشهرستانى: ويجمعهم القول بوجوب التعيين للإمام والتنصيص عليه ممن قبله. وثبوت عصمة الأئمة وجوبــاً عــن الكبــائر والصغائر، والقول بالتولى للأئمة والتبرى من غيرهم.

والموجود من الشيعة فى هذه المملكة خمس فرق:

الأولى: الزيدية، القائلون بإمامة زيد بن على بن الحسين بن على الذى رأســه مــدفون بالمشهد المعروف بمشهد الرأس جنوبى الجامع الطولونى. قال فى التعريف [٣٠٠ ب]: ولهــم

---

(١) هم أصحاب عبد الكريم بن عجرد، وقيل إنه كان من أصحاب أبى بيهس. الشهرستانى: الملل، ج١، ص١٢٨.

(٢) هم أصحاب ميمون بن خالد، كان من العجاردة ثم تفرد عنهم فى مسألة القدر خيره وشره. السابق، ج١، ص١٢٨.

(٣) الصواب: الإباضية. وهم منسوبون إلى عبد الرحمن بن إباض. السابق، ج١، ص١٣٢.

(٤) أصحاب ثعلبة بن عامر، وكان من أصحاب عبد الكريم بن عجرد. السابق، ج١، ص١٣١.

(٥) هم أصحاب زياد بن الأصفر، من إحدى أكبر فرق الخوارج بالإضافة إلى الأزارقة والنجدات والإباضية. السابق، ج١، ص١٣٧.

(٦) ما بين الحاصرتين من، صبح، ج١٣، ص٢٢٦.

إمام باق باليمن إلى الآن ـــ وقد تقدمت مكاتبته ـــ، وأمراء مكة منهم لا يدينون إلا بطاعتـــه، ويرون أنهم نوابه وإنما يتقون صاحب مصر لخوفهم منه. وكانت لهم دولة قديمة بطبرســـتان [١] فزالت وبقى منهم هذه البقية.

ومن مذهبهم جواز إمامة المفضول مع وجود الفاضل [٢] ويعنون بالفاضل علياً، وهـــم يسوقون الإمامة فى أولاد على من فاطمة، ولا يجوزون ثبوت الإمامة فى غير بنيها، ويقولون فى نص الأذان " حى على خير العمل " بدل " الحيعلتين "، وربما قالوا قبل ذلك " ومحمد وعلـــى خير البشر وعترهما خير العتر ".

وأيمانهم كأيمان أهل السنة، ويزادون مما يعتقدونه:

" وإلا برئت من معتقد زيد بن على، ورأيت أن قولى فى الأذان " حى على خير العمل " بدعة، وخلعت طاعة الإمام المعصوم الواجب الطاعة، ادعيت أن المهدى المنتظر ليس من ولـــد الحسين بن على، وقلت بتفضيل الشيخين على أمير المؤمنين على وبنيه، وطعنت فى رأى ابنـــه الحسن لما [٣] اقتضته المصلحة فطعنت [٤] عليه فيه ".

الثانية: الإمامية، القائلون بإمامة اثنا عشر إماماً أولهم على المرتضى، ثم ابنه الحسن المجتبى، ثم ابنه الحسين شهيد كربلاء، ثم ابنه على زين العابدين، ثم ابنه محمد البـــاقر، ثم ابنـــه جعفـــر الصادق، ثم ابنه موسى الكاظم، ثم ابنه على الرضى الذى عهد إليه المأمون بالخلافة ومات قبل موت المأمون، ثم ابنه محمد التقى، ثم ابنه على النقى، ثم ابنه الحسن الزكى المعروف بالعسكرى، ثم ابنه محمد الحجة وهو المهدى المنتظر عندهم، يقولون إنه دخل مع أبيه وهو صـــغير ســـرداباً بالحلة على القرب من بغداد ففقد ولم يعد، فهم يقفون كل ليلة عند باب الســـــرداب ببغـــلة

---

(١) لقد أقام العلويون دولة لهم فى طبرستان فى الفترة من ٢٥٠ إلى ٣١٦ هـــ. أحمد السعيد سليمان: تاريخ الدولة الإسلامية، ج١، ص٢٦٨.

(٢) الأفضل: صبح، ج١٣، ص٢٢٧.

(٣) على ما: التعريف، ص٢٠٤.

(٤) وطعنت: التعريف، نفسه؛ صبح، نفسه.

مسروجة [١] ملجومة [٢] من الغروب إلى مغيب الشفق ينادون " أيها الإمام قد كثر الظلم وظهر الجور فاخرج إلينا " ثم يرجعون إلى الليلة الآخرى.

وتلقب هذه الفرقة بالأثنى عشرية، وبالموسوية نسبة إلى موسى الكاظم دون أخيه إسماعيل الآتى ذكره، وبالقطعية لقولهم بموت إسماعيل فى أيام أبيه الصادق والقطع بانتقال [٣٠١ أ] الإمامة إلى موسى. واعتقادهم يظهر من اليمين وهى:

" إننى والله والله العظيم الرب الأحد الواحد [٣] الفرد الصمد، وما أعتقده من صدق محمد صلى الله عليه وسلم ونصه على إمامة ابن عمه ووارث علمه على بن أبى طالب رضى الله عنه يوم غدير خُمّ [٤] وقوله " من كنت مولاه فعلى مولاه، اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه، وأدر الحق على لسانه كيفما دار "، وأن لا [٥] كنت أول قائم يوم السقيفة [٦] وآخر متأخر يوم الدار [٧]، ولم أقل بجواز التقية خوفاً على النفس، وأعنت ابن الخطاب [واضطهدت] [٨] فاطمة الزهراء ومنعتها حقها من الإرث [٩]، وساعدت فى تقديم تيم وعدى

(١) مشدودة: صبح، ج١٣، ص٢٢٩.

(٢) ملجمة: صبح، نفسه.

(٣) الواحد الأحد: صبح، ج١٣، ص٢٣٤.

(٤) فى الحاشية: قولهم فى نصه على إمامة ابن عمه ووارث علمه فهو من الموضوعات فلم يصح فيه شئ. ويوم غدير خم هو يوم الثامن عشر من ذى الحجة من العام العاشر للهجرة بعد حجة الوداع، وخم موضع بين مكة والمدينة به غدير وشجر كثير، وقد قام رسول الله بالإخاء بينه وبين الإمام على بن أبى طالب، ويعتبر عند الشيعة إشارة من رسول الله للنص على بيعة الإمام على بالخلافة من بعده. ابن ميسر: أخبار، ص١٦٢، هـ٥٤٨. المقريزى: الخطط، ج١، ص٣٨٨ ـ ٣٩٠.

(٥) وإلا: التعريف، ص٢٠١؛ صبح، نفسه.

(٦) فى الحاشية: وأما يوم السقيفة هو يوم بيعة أبى بكر رضى الله عنه.

(٧) فى الحاشية: أما يوم الدار فهو حين حصروا عثمان فى الدار وقتلوه.

(٨) بياض فى الأصل، وما بين الحاصرتين من، التعريف، نفسه؛ صبح، نفسه.

(٩) وذلك إشارة إلى إرث فاطمة رضى الله عنها فى أرض فدك التى ردها الصديق إلى بيت المال وذلك استناداً إلى حديث الرسول صلى الله عليه وسلم " الأنبياء لا تورث ". ابن قتيبة: الإمامة، ج١، ص١٧.

وأمية [١]، ورضيت بحكم الشورى، وكذبت حسان بن ثابت يوم عائشة [٢]، وقمت معها يوم الجمل، وشهرت السيف [مع معاوية] [٣] فى صفين، وصدقت دعوة زياد ونزلت على حكم ابن مرجانة [٤]، وكنت مع عمر بن سعد فى قتال الحسين، وقلت أن الأمر لم يصل [٥] بعد الحسن إلى الحسين، وساعدت شمر [بن ذى] [٦] الجوشن [٧] على أهل [٨] تلك البلية، وسبيت أهل البيت وسقتهم بالعصا إلى دمشق ورضيت بإمارة يزيد، وأطعت المغيرة بن شعبة[٩] وكنت ظهيراً لعمرو بن العاص ثم لبسر بن أرطاة [١٠]، وفعلت فعل عقبة بن عبد الله المرى [١١] وصدقت رأى الخوارج وقلت إن الأمر لم ينتقل بعد الحسين بن على فى أبنائه إلى تمام الأئمة إلى الإمام المهدى المنتظر، ودللت على مقاتل أهل البيت بنى أمية وبنى العباس، وأبطلت حكم

---

(١) يعنى قبائل كل من أبى بكر الصديق، وعمر بن الخطاب، وعثمان بن عفان رضى الله عنهم على الترتيب.

(٢) المقصود به حديث الإفك.

(٣) بياض فى الأصل، وما بين الحاصرتين من، التعريف، ص٢٠٢؛ صبح، ج١٣ص٢٣٥.

(٤) يقصد به عبيد الله بن زياد بن أبيه والى العراق الذى أدار مأساة كربلاء. انظر عنه: ابن قتيبة: السابق، ج٢، ص٥ ــ ٧؛ الطبرى: تاريخ الرسل، فى مواضع متفرقة من الجزء الخامس والسادس.

(٥) يصير: التعريف، نفسه؛ صبح، نفسه.

(٦) ساقطة من صبح وأضافها محققوه، نفسه.

(٧) فى الحاشية: وأما شمر فهو الذى اجتز رأس الحسين، ويقال إنه سنان بن أنس النخعى. وشمر هو شمر بن ذى الجوشن العامرى الضبابى. الطبرى: السابق، ج٥، ص٤١٤، وما بعدها. وسنان هو سنان بن أنس بن عمرو النخعى الأصبحى. الطبرى: السابق، ج٤، ص٤٥٠.

(٨) الصواب: فعل، التعريف، نفسه.

(٩) هو الذى أشار على معاوية بأخذ البيعة ليزيد. ابن قتيبة: السابق، ج١، ص١٦٧ ــ ١٦٨.

(١٠) فى الحاشية: وبسر دعا إلى بيعة معاوية فى الحجاز واليمن. وبسر بن أبى أرطاة من شيعة معاوية بن أبى سفيان فى مصر، ثم بعثه معاوية لأخذ البيعة له من أهل المدينة واليمن بالقوة، وقد قتل فى اليمن صبيين لعبيد الله بن العباس عامل الإمام على على اليمن. الطبرى: السابق، ج٤، ص٥٥٣، ج٥، ص١٦٧ ــ ١٦٩.

(١١) ساقطة من صبح وأضافها محققوه، نفسه.

التمتع وزدت فى حد الخمر [١] ما لم يكن، وحرمت بيع أمهات الأولاد، وقلت برأيي فى الدين، وبرئت من شيعة أمير المؤمنين، وكنت مع هوى أهل الشام والغوغاء القائمة بالنهروان [٢] وأتبعت خطأ أبي موسى الأشعرى، وأدخلت فى القرآن ما لم يكن [٣] يثبته ابن مسعود، وشرِكْتُ ابن ملجم وأسعفته [٤] فى صداق قطام، وبرئت من محلة همدان [٥]، ولم أقل باشتراط العصمة فى الإمام، ودخلت مع أهل النّصب الظلام ".

الثالثة: الإسماعيلية، [٣٠١ ب] القائلون بإمامة إسماعيل بن جعفر الصادق دون أخيه موسى بوصية من أبيه، ويقولون إنه مات بعد أبيه، ويقولون إن صح أنه مات قبل أبيه ففائدة الوصية ثبوتها فى بنيه كما تقدم، ويقولون إنما انتقلت من إسماعيل إلى ابنه محمد المكتوم ثم ابنه جعفر الصادق [٦] ثم ابنه محمد الحبيب ثم ابنه عبيد الله المهدى أول خلفاء الفاطميين بالمغرب وهو جد الفاطميين بمصر، ثم إلى ابنه القائم بأمر الله أبي القاسم محمد ثم إلى ابنه المنصور بالله أبي الطاهر إسماعيل ثم إلى ابنه المعز لدين الله أبي تميم معد أول الفاطميين بمصر بعد إقامته بالغرب وهو بانى القاهرة، ثم إلى ابنه العزيز بالله أبي المنصور نزار، ثم إلى ابنه الحاكم بأمر الله أبي على المنصور، ثم إلى ابنه الظاهر لإعزاز دين الله أبي الحسن على، ثم إلى ابنه المستنصر بالله أبي تميم معد، ومن هنا افترقوا فرقتين مستعلوية ونزارية. فالمستعلوية يقولون إن الإمامة انتقلت بعد المستنصر بالله إلى ابنه المستعلى بالله أبي القاسم أحمد سادس الخلفاء بمصر، ثم إلى ابنه الآمر بأحكام الله أبي على المنصور ثم إلى ابنه [٧] الحافظ لدين الله أبي الميمون عبد المجيد بن أبي القاسم،

---

(١) لقد قامت فرقة الخوارج النجدات وزعيمها نجدة بن عامر الحنفى الخارجى بزيادة حد الخمر عما هو مقرر شرعاً. الشهرستانى: الملل، ج١، ص١٢٢.

(٢) يعنى بهم الخوارج.

(٣) ساقطة من التعريف، ص٢٠٢؛ صبح، نفسه.

(٤) وأسعدته: التعريف، نفسه؛ صبح، نفسه.

(٥) فى الحاشية: وأما همدان فهم قال فيهم على رضى الله عنه: لو كنت بواباً على باب جنة لقلت لهمدان ادخلوا بسلام

(٦) صدق: صبح، ج١٣، ص٢٣٦، وقد ذكر محققوه أنها كذلك فى الأصول وأن ابن خلدون فى العبر ذكرها " الصادق " كالثغر.

(٧) لم يكن ابنه ولكن ابن عمه، انظر القسم الثانى؛ وقد وقع صاحب الثغر فى هذا الخطأ لنقله عن القلقشندي الذى ذكر ذلك أيضاً. انظر: صبح، ج١٣، ص٢٣٧ هـ١.

ثم إلى ابنه الظافر بأمر الله أبي المنصور إسماعيل، ثم إلى ابنه الفائز بنصر الله أبي القاسم يحيى، ثم إلى العاضد لدين الله أبي محمد بن عبد الله بن يوسف بن الحافظ وهو آخر ملوكهم. وأما النزارية، فيقولون إن الإمامة انتقلت بعد المستنصر بالله إلى ابنه نزار بالنص من أبيه دون المستعلى.

قال فى التعريف: وهم وإن أظهروا الإسلام وقالوا بقول الإمامية ثم خالفوهم فى موسى [الكاظم وقالوا بأنها لم تصر إلا إلى أخيه إسماعيل] (١) فإنهم طائفة كافرة يعتقدون التناسخ والحلول. قال فى العبر: ومنهم من يدعى ألوهية الإمام بنوع الحلول، ومنهم من يدعى رجعة من مات من الأئمة بنوع التناسخ والرجعة، ومنهم من ينتظر مجيء من يقطع بموته، ومنهم من ينتظر عود الأمر إلى هذا البيت.

وأما أيمانهم، قال فى التعريف: إن الأيمان [٣٠٢ أ] الجامعة لهم:

" إننى والله والله الواحد الأحد الفرد الصمد القادر القاهر الذى لا إله إلا هو، وحق أئمة الحق وهداة الخلق على وبنيه أئمة الظهور والخفاء، وإلا برئت من صحيح الولاء وصدق أهل الأباطيل (٢)، وقمت مع فرقة الضلال، وانتصبت مع النواصب فى تقرير المحال، ولم أقل بانتقال الإمامة إلى [السيد] (٣) الحسين ثم إلى بنيه بالنص الجلى موصولة إلى جعفر الصادق ثم

---

(١) ما بين الحاصرتين من، التعريف، ص١٩٨؛ صبح، ج١٣، ص٢٣٨.

(٢) وصدقت أهل الباطل: هكذا كتبها ناشر التعريف على الرغم من أنها فى صبح الأعشى كما فى الثغر، بل إنها هكذا فى نسخة التعريف المخطوط، وبذلك فقد صحف المعنى. انظر: التعريف، ص١٩٩؛ صبح، ج١٣، ص٢٤٦.

(٣) ما بين الحاصرتين من، صبح، نفسه.

إلى ابنه إسماعيل صاحب الدعوة الهادية والأَثَرة الباقية، وإلا قدحت فى القداح [١] وأثمت الداعى الأول، وسعيت فى اختلاف الناس عليه ومالأت على السيد المهدى، وخذلت الناس عن القائم، ونقضت الدولة على المعز، وأنكرت أن يوم غدير خم [٢] لا يعد فى الأعياد، وقلت أن لا علـم للأئمة بما يكون، وخالفت من أدعى لهم العلم بالحدثان [٣]، ورميت آل [بيـت] [٤] محمـد بالعظائم، وقلت فيهم بالكبائر، وواليت أعداءهم، وعاديت أولياءهم ".

قال فى التعريف: ويزاد [عند] المستعلوية:

" وإلا قلت إن الأمر صار إلى نزار، وصدقت القائلين إنه خرج حملاً فى بطـن جاريـة وأنكرت ميتته الظاهرة بالإسكندرية [٥] وادعيت أنه لم ينازع الحق أهله ويجاذب الخلافة ربهـا،

---

(١) فى الحاشية: أما قولهم القداح فيما اشتهر من أمر الدعاة لأئمتهم المستورين أنه كان ممن ينسب إلى التشيع رجل يقال له دنصان [يذكره القلقشندي " رمضان ": صبح، ج١٣، ص٢٤٠] ويقال إنه صاحب كتاب الميزان فى نصرة الزندقة، فولد له ولد يقال له ميمون مشى على مذهبه فى التشيع، ثم نشأ لميمون ولد يقال له عبد الله كان يعالج العيون ويقدحها بالقداح، وصار إلى نواحى كرخ وأصبهان إلى الأهواز والبصرة وسلمية يدعو لأهل البيت. ثم نشأ له ولد يسمى أحمد كذلك فصحبه شخص يسمى رستم بن الحسين بن حوشب النجار من الكوفة فأرسله إلى اليمن دعا إلى عبد الله بن الهادى فأجابوه، وصحبه أبو عبد الله الشيعى الصنعانى فمضى عنده وبعثه إلى الغرب. ولدعاة الأمة المستورين عندهم من الرتبة العظمى لا سيما الداعى الأول وهو الداعى إلى محمد المكتوم أول الأئمة المستورين. وعن الآراء التى قيلت فى نسب الفاطميين انظر القسم الثانى، ص١٩٥ وما بعدها.

(٢) فى الحاشية: من أعيادهم يوم غدير خم حين قال النبى صلى الله عليه وسلم " اللهم من كنت مولاه فعلى مولاه " إلى آخره، وكان للفاطميين بهذا العيد اهتمام عظيم، ويكتبون بالبشارة فيه إلى الأعمال. وعن غدير خم انظر فيما سبق، ص٨٦٤.

(٣) علم الحدثان، هو قراءة الغيب والمستقبل.

(٤) ما بين الحاصرتين من، صبح، ج١٣ص٢٤٦.

(٥) يقصد بذلك ما تناقلته النزارية من إنه وُلدَ لنزار ولد من جارية له عند خروجه من الإسكندرية بعد أن أمنه الأفضل بن أمير الجيوش ثم قام بقتله بعد ذلك. وعن ذلك انظر: ابن ميسر: أخبار، ص٦٠ ــ ٦٣؛ المقريزى: اتعاظ، ج٣، ص١١٢ ــ ١١٣؛ الخطط، ج١، ص٤٢٣.

ووافقت شيعته وتبعت الحسن بن صباح [١]، وكنت فى النزارية آخر الأدوار ". قال: ثم يجمعهم آخر اليمين " وإلا قلت مقالة ابن السلار [٢] فى النفاق، وسددت رأى ابن أيوب[٣]، وألقيت بيدى الراية الصفراء ورفعت السوداء، وفعلت فى أهل القصر تلك الفعال وتمحلت مثل ذلك المحال ". ويزاد النزارية [٤] " وإلا فجحدت أن يكون الأمر صار إلى نزار، وأنه أتى حملاً فى بطن جارية لخوفه خوض بلاد الأعداء [وأن الاسم لم يغير كتغيير الصورة][٥] ولا طعنت على الحسن بن الصباح، وبرئت من المولى علاء الدين صاحب الآلموت [٦] ومن ناصر الدين

---

(١) الحسن بن الصباح هو مؤسس طائفة الحشاشين فى آلموت فى أواخر القرن الخامس الهجرى، وكان من المتشيعين لإمامة نزار بن المستنصر. وعن هذه الطائفة انظر: العمري: مسالك ــ أيمن ــ، ص٧٧ ــ ٧٨؛ برنارد لويس: الدعوة الإسماعيلية الجديدة، ترجمة سهيل زكار، بيروت ١٩٧١.

(٢) هو وزير الخليفة الفاطمي الظافر، تولى الوزارة عام ٥٤٤ هـ إلى عام ٥٤٨ هـ، وكان سنى المذهب، وكان يعمل على إحياء المذهب السنى فى مصر. ابن خلكان: وفيات، ج٣، ص٤١٦ ــ ٤١٩، ت رقم ٤٨٥؛ المقريزى: اتعاظ، ج٣، ص١٩٦؛ محمد المناوى: الوزارة، ص١٤٠.

(٣) يقصد بذلك صلاح الدين الأيوبى.

(٤) لقد كتب صاحب الثغر هذه اليمين متأخراً عن تصنيف العمري مما جعل هناك ارتباكا فى النص لكون اليمين السابقة عليه هى المتممة لكل من المستعلوية والنزارية والتى سبقها بقوله: ثم يجمعهم آخر اليمين. ص ١٩٩ ــ ٢٠٠.

(٥) عدلها محقق التعريف " وأن الاسم لم يغير الصورة "، ولكن العبارة فى نسخة مخطوط التعريف، وفى صبح الأعشى كما كتبها صاحب الثغر. انظر: التعريف، ص٢٠٠ هـ١؛ صبح، ج١٣ص٢٤٦.

(٦) فى الحاشية: وأما علاء الدين فهو ابن جلال الدين الحسن من عقب الحسن بن الصباح الداعى إلى نزار، وكان جلال الدين قد أظهر شعائر الإسلام مسلماً صالحاً توفى بألموت عام ثمان عشرة وستمائة. وقد تولى جلال الدين حكم ألموت من ٦٠٧ إلى ٦١٨ هـ، وعلاء الدين من ٦١٨ إلى ٦٥٣ هـ. زمباور: معجم، ص٣٢٩؛ أحمد السعيد سليمان: تاريخ الدول، ج١، ص٣٠٤.

سنان [١] الملقب براشد الدين [٢] وكنت أول المعتدين، وقلت إنما رووه كان من الأباطيل، ودخلت فى أهل الفرية والأضاليل ".

الرابعة: الدرزية، أتباع أبي عبد الله الدرزى [٣٠٢ ب]، وكان من أهل مولاه الحاكم أبي على المنصور بن العزيز، وكانوا أولاً من الإسماعيلية ثم خرجوا عن ذلك جميعه، ويقولون برجعة الحاكم وألوهيته وتدبر ناسوته، وأنه يغيب ويظهر بهيئته ويقتل أعداءه، وينكرون المعاد، ويقولون " دهر دائم، وعالم قائم، وأرحام تدفع، وأرض تبلع "، ويستبيحون الفروج. وأهل هذه الطائفة هم الذين زادوا فى البسملة أيام الحاكم فقالوا " بسم الحاكم الله الرحمن الرحيم "، فلما أنكر عليهم كتبوا " بسم الله الحاكم الرحمن الرحيم " [٣]، وهؤلاء أيمانهم:

" إننى والله وحق الحق [٤] الحاكم وما أعتقده من موالاة [٥] الحق الحاكم، وما اعتقده أبو عبد الله [٦] الدرزى الحجة الواضحة وراء الدريزى [٧] مثل الشمس اللائحة، وإذا [٨] قلت إن مولاى الحاكم مات وبلى وتفرقت أوصاله وفنى، واعتقدت تبديل الأرض والسماء، وعود الرمم بعد الفناء، وتبعت كل جاهل، وحظرت على نفسى ما أبيح لى، وعملت بيدى على ما فيه فساد بدنى، وكفرت بالبيعة المأخوذة وألقيتها ورائى منبوذة ".

(١) يرى القلقشندي أن الشهاب العمري قد وهم فى أنه أتى بناصر الدين سنان على اعتبار أنه من شيعة النزارية على الرغم من أنه من شيعة المستعلوية. ويبدو أن ذلك راجع إلى الفرق بين " لا وإلا " الآتية فى أول العبارة، ويبدو أن صاحب الثغر قد تدارك ذلك فكتبها كما ينبغى أن تكتب. انظر: صبح، نفسه.

(٢) فى الحاشية: وأما ناصر الدين الملقب براشد الدين كان بقلاع الدعوة وانتهت رئاستهم إليه فى أيام صلاح الدين يوسف بن أيوب. هو راشد الدين سنان بن سلمان بن محمد صاحب قلعة آلموت. ابن خلكان: وفيات، ج٥، ص١٨٥ ــ ١٨٧؛ Lewis, B.,: Saladin and the Assassins, BSOAS xv,1954,p.225 – 267.

(٣) لقد كان ظهور هذه الجماعة المنحرفة عن الدين منذ أيام الحاكم نفسه بل وحدثت بسببها بعض الحوادث نتيجة عدم تقبل المصريين لآراء هذه الفرقة الضالة، وعن ذلك انظر: المقريزى: اتعاظ، ج٢، ص١١٣.

(٤) ساقطة من، التعريف، ص٢٠٥؛ صبح، ج١٣ص٢٤٩.

(٥) فى مولاى: التعريف، نفسه؛ صبح، نفسه.

(٦) أبو محمد: التعريف، نفسه؛ صبح، نفسه.

(٧) الصواب: ورآه الدرزى، التعريف، نفسه؛ صبح، نفسه.

(٨) الصواب: إلا، التعريف، نفسه؛ صبح، نفسه.

الخامسة: النصيرية، أتباع نصير غلام على رضى الله عنه، ويدعون ألوهية على، وكذلك غيره من أهل البيت، وبينهم خلاف فى كيفية إطلاق الألوهية على الأئمة. واختلافهم راجع [إلى أنه يجوز ظهور الروحانى بالجسد الجثمانى، فيقولون إن الله تعالى ظهر بصورة الخاص، ولما لم يكن بعد النبى صلى الله عليه وسلم أفضل من على ثم أولاده ظهر الحق بصورهم ونطق بلسانهم وأخذ بأيديهم] (١)، ويزعمون أن مسكن على فى السحاب، وإذا مر بهم السحاب قالوا " السلام عليك يا أبا الحسن "، ويزعمون أن الرعد صوته، والبرق ضحكه، ويقولون إن سلمان الفارسى رسوله، وأن كشف الحجاب عما يقوله من الخطاب، ويحبون ابن ملجم ويقولون إنه خلص اللاهوت (٢) من الناسوت (٣)، ويخطئون من لعنه [قال فى التعريف] (٤): ولهم خطاب من بينهم من خاطبوه به لا يعود يرجع عنهم ولا يذيعه ولو ضربت عنقه. [٣٠٣ أ] قال: وقد جرب هذا مراراً (٥). ويعظمون الخمر ويقولون إنها من النور، ولهم فى تعظيم النور كالمجوس فى النار [ويقولون إن الخلفاء الثلاثة تعدوا على علىّ كقابيل على هابيل والنمرود على إبراهيم] (٦). قال: وهم طائفة ملعونة رزيلة (٧) مجوسية [المعتقد] (٨)، لا تحرم البنات ولا الأخوات ولا الأمهات. وأيمانهم:

" إننى وحق العلى الأعلى، وما أعتقده فى المظهر الأسنى، وحق النور وما نشأ منه، والسحاب وساكنه، وإلا برئت من مولاى على العلى العظيم وولائى له، ومظاهر الحق، وكشفت حجاب سلمان بغير إذن، وبرئت من دعوة الحُجة [نصير] (٩)، وخضت مع الخائضين فى لعنة ابن ملجم، وكفرت بالخطاب، وأذعت السر المصون، وأنكرت دعوى أهل

---

(١) ما بين الحاصرتين ناقص من صبح الأعشى، وهو بياض فى الأصول كما ذكر محققوه، ثم يستكمل النص بعدها كما فى الثغر. صبح، ج١٣، ص٢٤٩ هـ٢.

(٢) اللاهوت اسم مشتق من اسم الله تعالى بمعنى الإلهى. الخوارزمى: مفاتيح، ص٥٢.

(٣) الناسوت اسم مشتق من الناس بمعنى البشرى. السابق، نفسه.

(٤) ما بين الحاصرتين من، صبح، ج١٣، ص٢٥٠.

(٥) كثيراً: التعريف، ص١٩٧.

(٦) ما بين الحاصرتين ساقط من، التعريف، نفسه.

(٧) مرزولة: التعريف، نفسه.

(٨) ما بين الحاصرتين من، صبح، نفسه.

(٩) بياض فى الأصل، وما بين الحاصرتين من، التعريف، ص١٩٧؛ صبح، ج١٣، ص٢٥١.

التحقيق، وإلا قلعت أصل شجرة العنب من الأرض بيدى حتى أجتث أصولها وأمنع سبيلها، وكنت مع قابيل على هابيل ومع النمرود على إبراهيم، وهكذا مع كل فرعون قام على صاحبه إلى أن ألقى العلى العظيم وهو على ساخط، وأبرأ من قول قنبر [١] [وأقول] [٢] إنه بالنار وما تطهر ".

الطائفة الثالثة: القدرية.

القائلون بأن لا قدر [سابق] [٣] وأن الأمر أنف بغير مستأنف [٤]، فلما سمعوا [قول النبى صلى الله عليه وسلم] [٥] " القدرية مجوس هذه الأمة " قالوا القدرية اسم لمن يقول "يسبق القدر ". وسُموا معتزلة لأن واصل بن عطاء [٦] أحد أئمتهم كان يقرأ على الحسن البصرى فاعتزله لمسألة خالف فيها، ويسمون أهل التوحيد والعدل، ويعنون بالتوحيد نفى الصفات القديمة عن الله تعالى وهى الحياة والعلم والإرادة والقدرة إلى أخرها، ويعنون بالعدل أن العبد إنما يستحق الثواب بفعله وكذلك العذاب لأنه يخلق أفعال نفسه، وإذا كان العبد يخلق أفعال نفسه فليس قدر سابق. وأيمانهم:

" والله، والله، والله العظيم ذو الأمر الأنف، خالق الأفعال والمشيئة، وإن لا[٣٠٣ ب] قلت بأن العبد [غير] [٧] مكتسب، وأن الجعد بن درهم [٨] محتقب، وقلت إن هشام بن عبد الملك [أصاب] [٩] دماً حلالاً منه، وأن مروان بن محمد كان ضالاً فى اتباعه، وآمنت بالقدر

(١) هو خادم الإمام على بن أبى طالب.

(٢) ما بين الحاصرتين من، التعريف، ص١٩٨.

(٣) ما بين الحاصرتين من، صبح، نفسه.

(٤) يعنى مستأنفاً: صبح، نفسه.

(٥) ما بين الحاصرتين من، صبح، نفسه.

(٦) واصل بن عطاء رأس الاعتزال، اختلف مع الحسن البصرى فى منزلة الفاسق، فقام باعتزاله فسمى أصحابه الذين تبعوه بالمعتزلة. توفى عام ١٣١ هـ. الذهبى: سير أعلام النبلاء، ج٥، ص٤٦٤.

(٧) ما بين الحاصرتين من، صبح، ج١٣ص٢٥٢.

(٨) الجعد بن درهم مولى سويد بن غفلة، أحد أقطاب المعتزلة. انظر: الطبرى: تاريخ الأمم، ج٦، ص٥٩١ هـ٣؛ العمري: التعريف، ص٢٠٦ هـ٣.

(٩) ما بين الحاصرتين من، التعريف، ص٢٠٦؛ صبح، ج١٣، ص٢٥٢.

خيره وشره، وقلت إن ما أصابنى لم يكن ليخطئنى، وما أخطأنى لم يكن ليصيبنى، ولم أقل أنه إذا كان أمر قد فرغ منه ففيم أسدد وأقارب، ولم أطعن فى رواة الحديث " اعملوا فكل ميسر لما خلق له "، ولم أتأول فى[١] قوله تعالى ﴿وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾ [٢]، وبرئت مما أعتقد، ولقيت الله وأنا أقول إن الأمر غير أنف ".

(١) معنى: التعريف، نفسه؛ صبح، ج١٣، ص٢٥٣.

(٢) الزخرف، الآية ٤.

الضرب الثانى

فى الأيمان التى يحلف بها أهل الكفر

وفيه مهيعان

المهيع الأول

أيمان المشرعة

وهم من زعم التمسك بشريعة وهم ثلاث ملل:

الملة الأولى: اليهودية.

مأخوذ من هاد إذا رجع، ولزومهم هذا الاسم من قول موسى عليه السلام ﴿إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ﴾ [١]، وقد تقدم الكلام عليهم فى القسم [الخامس] فى ترتيب أرباب الوظائف، وهم افترقوا على طوائف، والمشهور منهم طائفتان.

الأولى: القراءون والربانيون، وهم كالفرقة الواحدة لآن توراهم واحدة ولا خلاف بينهم فى أصل اليهودية، وقد تقدم الكلام عليهم، ويمينهم:

" إننى والله والله العظيم [القديم] [٢] الأزلى الفرد الصمد [القديم][٣] الواحد الأحد المدرك المهلك، باعث موسى بالحق وشاد [عضده] [٤] وآزره بأخيه هارون، وحق التوراة المكرمة وما فيها وما تضمنته، وحق العشر كلمات التى أنزلت على موسى فى الصحف الجوهر، وما حوته قبة الزمان [٥]، وأن لا يعبدون [٦] فرعون وهامان، وبرئت من إسرائيل [٧]، ودنت بدين النصرانية، وصدقت مريم فى دعواها، وبرأت يوسف النجار، وأنكرت الخطاب،

---

(١) الأعراف، الآية ١٥٦.

(٢) ما بين الحاصرتين من، التعريف، ص١٩٠؛ صبح، ج١٣، ص٢٦٥.

(٣) ما بين الحاصرتين من، التعريف، نفسه.

(٤) ما بين الحاصرتين من، التعريف، ص١٩١.

(٥) فى الحاشية: قبة الزمان هى القبة التى كان يترل فيها الوحى. ويقال لها قبة العهد. ابن كثير: تفسير، ج٢، ص٤١.

(٦) الصواب: وإلا تعبدت، التعريف، نفسه؛ صبح، نفسه.

(٧) بنى إسرائيل: صبح، نفسه.

وتعمدت الطور بالقاذورات، وأرميت [١] الصخرة بالنجاسة، وشركت بختنصر[٢] فى هدم بيت المقدس وقتل بنى إسرائيل، وألقيت العذرة فى [٣] مظان الأسفار، وكنت ممن شرب من النــــهر [٣٠٤ أ] ومال إلى جالوت [٤]، وفارقت شيعة طالوت [٥]، وأنكرت الأنبياء، ودللـــت علـــى دانيال [٦]، واعلمت جبار مصر بمكان ارميا [٧]، وكنت مع البغى والفواجر يوم يحيى [٨]، وقلت إن النار المضيئة من شجرة العوسج [٩] نار إفك، وأخذت الطرق على مدين، وقلت بالعظائم فى بنات شعيب [١٠]، وأجلبت مع السحرة على موسى ثم برئت ممن آمن منهم وكنت مع من قال اللحاق [اللحاق] [١١] لندرك من فر، وأشرت بتخليف تابوت يوسف [١٢] فى مصر، وسلمت إلى السامرى [١٣]، ونزلت أريحا مدينة الجبارين، ورضيت بفعل سكنة ســـدوم [١٤]، وخالفـــت

---

(١) الصواب: ورميت، التعريف، نفسه؛ صبح، نفسه.

(٢) بختنصر هو الملك البابلى الذى قام بسبى اليهود وتدمير بيت المقدس، وعرفت الفترة التى كان فيها اليهود فى بابل تحت الأسر بالسبى البابلى. القرطبى: تفسير، ج٣، ص٢٨٩.

(٣) على: التعريف، نفسه؛ صبح، نفسه.

(٤) هو ملك الجبارين الذى قتله نبى الله داود. القرطبى: السابق، ج٣، ص٢٤٧.

(٥) هو الملك الذى أرسله الله تعالى لبنى إسرائيل لقيادهم لكى يتغلبوا على الجبارين وهو من سبط بنيامين بن يعقوب. القرطبى: السابق، ج٣، ٢٤٥.

(٦) أحد أنبياء بنى إسرائيل الذين كانوا بفارس بعد السبى البابلى. الطبرى: تفسير، ج٢، ص٦٠٩؛ القرطبى: السابق، ج٩، ص١٢٤.

(٧) أحد أنبياء بنى إسرائيل الذين عاصروا تخريب بختنصر لبيت المقدس، فذهب إلى مصر ثم رجع إلى بيت المقدس. الطبرى: السابق، ج٣، ص٣٨.

(٨) هو يحيى بن زكريا عليه السلام المعروف بيوحنا.

(٩) العوسج شجر من شجر الشوك وله ثمر أحمر مدور كأنه خرز العقيق. لسان العرب، ج٢ص٣٢٤.

(١٠) هو نبى الله شعيب الذى استضاف نبى الله موسى عليهما السلام.

(١١) ما بين الحاصرتين من، صبح، ج١٣، ص٢٦٥.

(١٢) يقصد بذلك جثمان يوسف عليه السلام الذى أخذه اليهود معهم من مصر بعد الخروج. ابن حجر: فتح البارى، ج٦، ص٢٢١.

(١٣) هو موسى السامرى الذى صنع لبنى إسرائيل عجلاً له خوار لكى يعبدوه.

(١٤) هم قوم لوط عليه السلام. الطبرى: تفسيره، ج٨، ص٢٣٤؛ القرطبى: تفسيره، ج٧، ص٢٤٣.

أحكام التوراة، واستبحت السبت وعدوت فيه، وقلت إن المضلة ضلال، وإن الحنكة [١] محال، وقلت بالبداء[٢] على الله [تعالى][٣] فى الأحكام، وأجزت نسخ الشرائع واعتقدت أن عيسى ابن مريم المسيح الموعود به على لسان [موسى] [٤] بن عمران، وانتقلت عن اليهودية إلى سواها من الأديان، واستبحت لحم الجمل والشحم والحوايا وما أختلط بعظم وتأولت أن أكل ثمنه غير أكله [٥]، وقلت مقالة أهل بابل فى إبراهيم، وأن لا أكون محرماً حرمة تجمع عليها الأحبار وتقلب عليها حصر الكنائس، ورددت إلى التيه [٦]، وحرمت المن والسلوى، وبرئت من كل الأسباط، وقعدت عن حرب الجبارين [٧] مع القدرة والنشاط ".

قلت وينبغى أن يورد فى الأيمان المتأكدة عليهم إفطار عيد " صوماريا "، ويسمونه "الكيبور" [٨] وهو عندهم اليوم العظيم يقولون إن الله فرض عليهم صومه ومن لم يصمه منهم استحق القتل ومدته خمسة وعشرون ساعة أولها قبل غروب الشمس فى اليوم التاسع من شهر تشرين أول شهورهم، وآخرها ساعة غروبها فى اليوم العاشر منه، وربما يسمونه " العاشور "،

---

(١) يعنى هذا الاسم بالعبرية " التنظيف "، وهو خاص بعيد من أعياد اليهود، قام فيه اليهود بالثورة على البطالمة، الذين أجبروهم على وضع الأصنام فى الهيكل، فثاروا عليهم بقيادة أحد أحبارهم وذلك عام ١٦٥ ق.م، وقاموا بتطهير وتنظيف الهيكل من الأصنام، فسمى عيد الحنكة أو الحانوكة أى التنظيف أو التدشين. قاسم عبده: أهل الذمة، ص١٢٧.

(٢) بالبداءة: التعريف، ص١٩١.

(٣) ما بين الحاصرتين من، صبح، ج١٣، ص٢٦٦.

(٤) ما بين الحاصرتين من، التعريف، نفسه؛ صبح، نفسه.

(٥) أى أن اليهود حرم عليهم أكل لحم الجمل، وشحوم الغنم والبقر إلا ما حوت ظهور الأنعام وما اختلط بالعظم، وقد احتال اليهود على ذلك بتجميع الشحوم وبيعها وأكل ثمنها تحايلاً على أمر الله تعالى. الطبرى: تفسير الطبرى، ج٨، ص٧٤؛ ابن كثير: تفسير ابن كثير، ج٢، ص١٨٦.

(٦) أى تيه بنى إسرائيل فى شبه جزيرة سيناء لمدة أربعين عاماً. ابن كثير: تفسير، ج٢، ص٤٠.

(٧) يقصد بذلك عدم إطاعة أمر نبى الله موسى بقيام بنى إسرائيل بقتال الجبارين، بل قالوا له اذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون. السابق، نفسه.

(٨) ويسمى يوم الغفران أو الكفارة، ويعتقدون أن هذا الصوم هو تمام الأربعين الثالثة التى صامها موسى عليه السلام. قاسم عبده: السابق، ص١٢٤.

ولا يجوز عندهم أن يكون فى يوم الأحد ولا الثلاثاء ولا الجمعة، ويزعمون أن الله تعالى يغفر لهم فيه جميع ذنوبهم إلا الزنا بالمحصنة، وظلم الرجل أخاه وجحد ربوبية الله [٣٠٤ ب] تعالى.

فائدة: اعلم أن أول من استحدث هذه الأيمان لأهل اليهودية الفضل بن الربيع وزيـر الرشيد أحدثها له كاتب كان عنده ومنها استنبطت هذه الألفاظ.

الطائفة الثانية: السامرة. وقد تقدم الكلام عليهم فى القسم [الخامس]، ويمينهم:

" إننى والله والله العظيم البارئ القادر القاهر القديم الأزلى رب موسـى وهـارون، منزل التوراة والألواح الجوهر، ومنقذ بنى إسرائيل وناصب الطور قبلة للمتعبدين، وإلا كفرت بما فى التوراة، وبرئت من نبوءة موسى، وقلت إن الإمامة فى غير بنى هارون، ودكيت الطـور [وقلعت بيدى][1] أثر البيت المعمور، واستبحت حرمة السبت، وقلت بالتأويـل فى الـدين وأقررت بصحة توراة اليهود، وأنكرت القول بأن لا مساس، ولم أتجنب شيئاً مـن الـذبائح، وأكلت [لحم] [2] الجدى بلبن أمه، وسعيت فى الخروج إلى الأرض المحظور عليّ ملكها [3] ـــ وهى مدينة أريحا ـــ [4]، وأتيت النساء الحيض فى زمن [5] الطمث مستبيحاً لهن، وبت معهن فى المضاجع، وكنت أول كافر بخلافة هارون وأنفت منها أن تكون ".

الملة الثانية: النصراوية.

من قول عيسى ﴿مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللّهِ﴾ [6]، وقيل من نزوله هو وأمه بعد عودها به من مصر بالناصرة قرية من قرى فلسطين، وقد تقدم الكلام عليهم فى القسم [الخـامس] وقـد افترق النصارى فرق كثيرة، والمشهور منهم ثلاث فـرق، " الملكانيـة "، و" اليعقوبيـة "، و" النسطورية ".

وأيمانهم على ثلاثة أساليب.

(١) ما بين الحاصرتين من، التعريف، ص١٩٤؛ صبح، نفسه.

(٢) ساقطة من التعريف، ص١٩٥؛ صبح، ج١٣، ص٢٧٠.

(٣) سكنها: التعريف، نفسه؛ صبح، نفسه.

(٤) جملة توضيحية من صاحب الثغر.

(٥) زمان: التعريف، نفسه؛ صبح، نفسه.

(٦) آل عمران، الآية ٥٢.

الأسلوب الأول: أيمان ملوكهم، وهذه يمين حلف بها ...... [1] بعض ملوكهم، وهي:

" والله والله، وحق المسيح، وحق الصليب، وحق الإنجيل، وحق الأب والابن وروح القدس إله واحد ...... [2] الستمائة [3] أم النور، وحق الأناجيل الأربعة التى نقلها متى ومرقص ولوقا ويوحنا، وحق الصوت الذى نزل على هذا الأردن فزجره، وحق دينى ومعبودى واعتقادى إننى من وقتى هذا وساعتى هذه ما مد الله فى عمرى قد أخلصت نيتى، وأصفيت طويتى وسريرتى، وساويت بين [٣٠٥ أ] ظاهرى وباطنى فى مصادقة مولانا السلطان الملك فلان الفلانى خلد الله تعالى سلطانه ونصر جيوشه وأعوانه، وبمصادقة ولى عهده ـــ إن كان له ولى عهد فيذكره ـــ أولاداً وإخوة ـــ ملوك فيذكرهم ـــ ومودتهم والاستمرار على محلتهم، وأن مملكتهم ومملكتى تكون شيئاً واحداً فى الحفظ والصداقة والمودة، وقلباً واحداً، وإننى والله العظيم، وحق المسيح، وحق الصليب، وحق الإنجيل، صديق أصدقاء السلطان الملك فلان خلد الله سلطانه وأصدقاء أولاده، وأعادى من عاداهم، وأحارب من يقصد بلادهم من سائر الفرنج وأجناس النصارى كائن من كان وقبائلهم، وأشغلهم فى نفوسهم عن قصد بلاد السلطان الملك فلان خلد الله تعالى سلطانه بحرب أو نصره، وأعتمد فى ذلك كله لمقتضى شروط المهادنة والصداقة المؤرخة بيوم كذا من سنة كذا للهجرة النبوية المحمدية الموافقة كذا وكذا من شهر كذا وكذا الذى انتظمت بين يدى السلطان الملك فلان وبين يدى أولاده فلان أو إخوته فلان، وبينى وبين أولادى وإخوتى فلان وفلان الحكام بفلانة وفلانة ـــ وتكتب أسماؤهم ـــ، وآمر رسلى أن يكتبوا عنى وعن أولادى وإخوتى بجميع ما فيها من الأحكام والشروط ما دامت الليالى والأيام والشهور والأعوام بمقتضى كتابى إلى السلطان فلان خلد الله سلطانه وحمى عليه بذلك، ولا ينقض شيئاً من شروطها أنا وأخوتى وأولادى، ومملكتى ما دامت الأيام والليالى بمملكة السلطان الملك فلان خلد الله سلطانه وأطلب من غير تغيير ولا تبديل، وإنى والله العظيم أحفظ رعية بلاد المسلمين كأنهم فى بلادى، أتوصى بهم وأفعل معهم بشروط المهادنة المذكورة، ومتى خالفت شرطاً منها أكون محروماً من دينى، مخالفاً لاعتقادى واعتقاد أهل ملتى، والنية فيها نية السلطان الملك فلان ونية ولى عهده وأولاده مستخلفهم بها والإله على ذلك وكيل ".

---

(١) كلمة غير واضحة فى الأصل.

(٢) بياض فى الأصل.

(٣) الصواب: الست مارية.

وهذه نسخة يمين حلف بها حكام صيدا وعكا وبلادها [٣٠٥ ب] من الفرنج حين وقعت المهادنة [بينهم] وبين السلطان الشهيد المنصور قلاوون فى ربيع الأول سنة اثنين وثمانين وستمائة[١] هو ووليه الصالح على فى مباشرة القاضى فتح الدين بن عبد الظاهر على ما أورده ابن المكرم فى تذكرته وهى:

" والله والله، وبالله وبالله، وتالله وتالله، وحق المسيح [وحق المسيح] [٢] وحق الصليب [وحق الصليب] [٣]، وحق الأقانيم الثلاثة من جوهر واحد المكنى بها عن الأب والابن والروح القدس إله واحد، وحق الصليب الكريم [٤] الحال فى الناسوت المعظم [٥]، وحق الإنجيل المطهر وما فيه، وحق الأناجيل الأربعة [التى نقلها متى ومرقس ولوقا ويوحنا] [٦]، وحق صلواتهم ومقدساتهم [٧]، وحق التلامذة الأثنى عشر والاثنين وسبعين والثلاثمائة وثمانية عشر [٨] المختصين بالبيعة، وحق الصوت الذى نزل من السماء [على الأرض فى كن] [٩]، وحق الله منزل الإنجيل على عيسى [بن مريم] [١٠] روح الله وكلمته، وحق السيدة مارية أم النور ـــ مارية مريم ـــ ويوحنا المعمودى ومرتمان ومرتمانى، وحق الصوم الكبير، وحق دينى

(١) لقد كانت الهدنة بين المنصور قلاوون وفرنج عكا والمرقب عام ٦٨٠ هـ. انظر ابن كثير: البداية، ج١٣، ص٢٩٣؛ ابن تغرى بردى: النجوم، ج٧، ص٣٠٠.

(٢) ما بين الحاصرتين من، صبح، ج١٣، ص٣١٣.

(٣) ما بين الحاصرتين من، صبح، نفسه.

(٤) المكرم: صبح، نفسه.

(٥) ساقطة من صبح، نفسه.

(٦) ما بين الحاصرتين من، صبح، نفسه.

(٧) وتقديساتهم: صبح، نفسه.

(٨) يقصد بالتلاميذ الاثنى عشر الحواريين المعاصرين للسيد المسيح، والاثنين وسبعين تلاميذ هؤلاء الحواريين الذين انتشروا فى البلاد لنشر المسيحية، والثلاثمائة وثمانية عشر هم الأساقفة المجتمعون لتقرير طبيعة المسيح، وهم يمثلون كنائس الإمبراطورية البيزنطية فى مجمع نيقية عام ٣٢٥م المقرر لتلك الطبيعة التى تمخض عنها المجمع، وهو أن الابن " المسيح " مساو للأب فى الجوهر، وأنه مولود غير مخلوق. المقريزى: الخطط، ج٢، ص٤٨٣ ـــ ٤٨٦؛ هسى: العالم البيزنطى، ص٩٢، هـ٥.

(٩) على نهر الأردن فزجره: صبح، نفسه.

(١٠) ما بين الحاصرتين من، صبح، نفسه.

ومعبودى وما أعتقده من دين [١] النصرانية، وما تلقيته من الآباء والأقسة [٢] المعمودية، إننى من وقتى هذا، وساعتى هذه، قد أخلصت نيتى وأصفيت طويتى فى الوفاء للسلطان الملك المنصـــور ولولده الملك الصالح ولأولادهما بجميع ما تضمنته هذه الهدنة المباركة التى انعقد الصلح عليهـــا على مملكة عكا وصيدا [وعثليث] [٣] وبلادها الداخلة فى هذه الهدنة المسماة فيها التى مدتها عشر سنين [كوامل] [٤] وعشر شهور [٥] وعشرة أيام وعشرة ساعات، أولها يوم الخمـــيس ثالث حزيران سنة ألف وخمسمائة وأربعة وتسعين للإسكندر [بن فيلبس] [٦] اليونانى، وأعمل بجميع شروطها شرطاً شرطاً، وألتزم الوفاء بكل فصل فى هذه الهدنة المذكورة إلى انقضاء مدتها، وإننى والله [والله] [٧] وحق المسيح، وحق الصليب، وحق دينى لا أتعرض إلى بلاد مولانا [٨] السلطان وولده ولا إلى ما حوته وتحويه من سائر الناس أجمعين ولا إلى من [٣٠٦ أ] يتـــردد إلى البلاد الداخلة فى هذه الهدنة بأذية ولا ضرر فى نفس ولا مال فى نفس ولا مال، وإننى والله [والله والله] [٩] وحق دينى ومعبودى أسلك فى المعاهدة والمهادنة والمصافاة والمصادقة وحفـــظ الرعية الإسلامية والمترددين من [١٠] البلاد السلطانية والصادرين منها وإليها طريق المعاهـــدين المصادقين الملتزمين كف الأذية والعدوان عن النفوس والأموال، وألتزم [١١] الوفاء بجميع شروط هذه الهدنة إلى انقضائها ما دام الملك المنصور وافياً باليمين التى حلف بها على الهدنة، ولا أنقض هذه اليمين ولا شىء منها ولا أستفتى فيها ولا فى شئ منها طلباً لنقضها، ومن [١٢] خالفتها أو

---

(١) ساقطة من، صبح، ج١٣ص٣١٣.
(٢) الأقساء: صبح، نفسه.
(٣) ما بين الحاصرتين من، صبح، نفسه.
(٤) ما بين الحاصرتين من، صبح، نفسه.
(٥) أشهر: صبح، نفسه.
(٦) ما بين الحاصرتين من، صبح، نفسه.
(٧) ما بين الحاصرتين من، صبح، نفسه.
(٨) ساقطة من، صبح، ج١٣، ص٣١٤.
(٩) ساقطة من، صبح، نفسه.
(١٠) فى: صبح، نفسه.
(١١) ألزم: صبح، نفسه.
(١٢) الصواب: متى.

نقضتها فأكون بريئاً من ديني واعتقادي ومعبودي، أكون مخالفاً للكنيسة، ويكون على الحج للقدس [١] الشريف ثلاثين حجة حافياً حاسراً، ويكون على فك ألف أسير مسلم من أسر الفرنج وإطلاقهم، وأكون بريئاً من اللاهوت الحال في الناسوت، واليمين يميني وأنا فلان، والنية فيها بأسرها نية [مولانا السلطان] [٢] الملك المنصور ونية ولده الملك الصالح على [٣] ونية مستحلفي لهما بها على الإنجيل المكرم [٤] لا نية غيرها والله والمسيح على ما أقول [٥] وكيل ".

قلت: بمقتضى كلام ابن المكرم في هذه الأيمان أن نسخة اليمين تكون منفصلة عن نسخة الهدنة كما في غيرها من الأيمان، إلا أن صاحب مواد البيان ذكر أنها تكون متصلة بالهدنة. وأقول الذي يتجه أنه إذا تيسر الحلف عقب الهدنة لوجود المتحالفين كتبت متصلة وإلا أفرد كل يمين بمفرده، وربما جردت الهدنة عن الأيمان كما وقع في الهدنة بين الظاهر وبين دون حاكم الريدأرغون صاحب برشلونة من الأندلس في شهر رمضان سنة سبع وستين وستمائة على ما ذكره ابن المكرم أيضاً.

[٣٠٦ ب] وهذه نسخة يمين حلف بها ملك النوبة للمنصور قلاوون وهي:

" والله، والله، والله، وحق [الثالوث] [٦] المقدسين [٧]، والإنجيل الطاهر، والسيدة الطاهرة [٨] والعذراء أم النور، والمعمودية والأنبياء والرسل والحواريين والقدسيين، والشهداء الأبرار، وأن لا أجحد المسيح [كما جحده] [٩] بودس، وأقول فيه ما يقول اليهود، وأعتقد

---

(١) إلى القدس: صبح، ج١٣، ص٣١٤.

(٢) ساقطة من، صبح، نفسه.

(٣) ساقطة من، صبح، نفسه.

(٤) الكريم: صبح، نفسه.

(٥) نقول: صبح، نفسه.

(٦) بياض في الأصل وما بين الحاصرتين من، صبح، ج١٣، ص٢٩٠.

(٧) المقدس: صبح، نفسه.

(٨) ساقطة من، صبح، نفسه.

(٩) ما بين الحاصرتين من، صبح، ج١٣، ص٢٩١.

كما [١] يعتقلونه وأن لا [٢] أكون بودس الذى طعن المسيح بالحربة، إننى أخلصت نيتى وطويتى من وقتى هذا وساعتى هذه للسلطان [الملك] [٣] فلان، وإننى [٤] أبذل جهدى وطاقتى فى تحصيل مرضاته، وإننى ما دمت نائبه لا أقطع المقرر على فى كل سنة تمضى من تاريخه كذا[٥] وإننى أقرر على كل نفر من الرعية الذين تحت كلمتى [٦] فى البلاد من العقلاء البالغين ديناراً عيناً، [وإننى لا أترك شيئاً من السلاح ولا أخفيه، ولا أمكن أحداً من إخفائه] [٧]، ومتى خرجت عن شيء من هذا المقرر [٨]، كنت بريئاً من الله تعالى، ومن المسيح، ومن السيدة الطاهرة، وأخسر دين النصرانية، وأصلى إلى غير الشرق، وأكسر الصليب، وأعتقد ما يعتقده اليهود، وإننى مهما سمعت من الأخبار الضارة والنافعة، طالعت بها مولانا السلطان من وقته وساعته، ولا أنفرد بشيء من الأشياء إذا لم يكن مصلحة، وإننى ولى من والى السلطان، وعدو من عاداه، والله على ما أقول وكيل ".

الأسلوب الثانى: أيمان الفرنج بحضرة ملوكهم وأكابرهم.

وهذه نسخة يمين حلف عليها بعض الفرنج بحضرة حكامهم وهى[٩]:

" والله والله والله العظيم إله إبراهيم ماسك [١٠] الكل خالق ما يُرى وما لا يُرى، صانع

---

(١) ما: صبح، نفسه.

(٢) إلا: صبح، نفسه.

(٣) ما بين الحاصرتين من، صبح، نفسه.

(٤) إنى: صبح، نفسه.

(٥) فصل القلقشندي كلمة كذا كالآتى " وهو ما يفضل من مشاطرة البلاد على ما يتحصل لمن تقدم من ملوك النوبة، وأن يكون النصف من المتحصل للسلطان مخلصاً من كل حق، والنصف الآخر مرصداً لعمارة البلاد وحفظها من عدو يطرقها، وأن يكون على فى كل سنة كذا وكذا "، نفسه.

(٦) يدى: صبح، نفسه.

(٧) ما بين الحاصرتين من، صبح، نفسه.

(٨) عن جميع ما قررته أو عن شيء من هذا المذكور أعلاه كله: صبح، نفسه.

(٩) ذكر ابن ناظر الجيش هذه اليمين وإنها من ترتيبه عند عقد الصلح مع الفرنج عام ٧٧٢ هـ. التثقيف، ص١٧٠_١٧١.

(١٠) مالك: صبح، ج١٣، ص٣١٥.

كل شئ ومتقنه [الرب] [١] الذى لايعبد سواه، وحق المسيح، وحق المسيح [وحق المسيح][٢] عيسى بن مريم [٣] وأمه السيدة مريم، وحق الصليب، وحق الصليب، [وحق الصليب] [٤]، وحق الإنجيل، وحق الإنجيل، [وحق الإنجيل] [٥]، وحق الأب والابن وروح[٦] القدس إله وجهه [٧] من جوهر واحد، وحق الإنجيل [٨] المكرم الحال فى الناسوت العظيم [٩]، وحق الأناجيل الأربعة التى نقلها متى ولوقا ومرقص ويوحنا، وحق اللاهوت والناسوت وصليب الصلبوت، وحق التلاميذ الاثنا عشر، والمائتين [١٠] وسبعين، والثلاثمائة وثمانية عشر المجتمعين على البيعة، وهو [١١] الصوت [٣٠٧ أ] الذى نزل [١٢] على نهر الأردن فزجره، وحق الستماية [١٣] أم النور [وحق البيعة وقديس وثالوث، وما يقوله فى صلاته كل معمدانى][١٤]، وحق ما أعتقده من دين النصرانية والملة المسيحية [١٥]، وحق معبودى إنى أحضر جميع ما فى بلادنا من أسرى المسلمين من أسر سائر البلاد الإسلامية ولا أؤخر منهم شخصاً واحداً ولا أخفيه ولا أمتنع من إحضاره ولا أنكره ولا من إخفائه، وأنه من قصد أحد من طوائف الفرنج الجنوية والبندقية والكتلان وأهل جزيرة رودس وإقريطش وقبرص من السواحل

---

(١) ما بين الحاصرتين من، التثقيف، ص١٧١؛ صبح، نفسه.

(٢) ما بين الحاصرتين من، التثقيف، نفسه؛ صبح، نفسه.

(٣) ساقطة من، صبح، نفسه.

(٤) ما بين الحاصرتين من، التثقيف، نفسه؛ صبح، نفسه.

(٥) ما بين الحاصرتين من، التثقيف، نفسه؛ صبح، نفسه.

(٦) الروح: التثقيف، نفسه.

(٧) الصواب: واحد، التثقيف، نفسه؛ صبح، نفسه.

(٨) اللاهوت: صبح، نفسه.

(٩) المعظم: التثقيف، نفسه.

(١٠) الاثنين: التثقيف، نفسه؛ صبح، نفسه.

(١١) الصواب: وحق، التثقيف، ص١٧١؛ صبح، ج١٣، ص٣١٥.

(١٢) أنزل: التثقيف، ص١٧١.

(١٣) الصواب: الست مارية، التثقيف، نفسه؛ صبح، نفسه.

(١٤) ما بين الحاصرتين من، التثقيف، نفسه؛ صبح، نفسه.

(١٥) إلى هنا انقطع تسلسل ما كتبه صاحب الثغر عن التثقيف، وصبح الأعشى.

الإسلامية سوء أو نهب أو قطع طريق أو التحريم أو عزم على ذلك أجتهد من منعهم من ذلك لا أمدهم بنجدة ولا بمراكب ولا بمدد وفرسان ولا برجال ولا بزاد ولا غير ذلك، ومتى عجزت عن ذلك طالعت به العلوم الشريفة السلطانية سلطان مصر فلان فى وقته ولا أخفى شيئاً مما يتفق والعياذ بالله تعالى من ذلك، وإننى رضيت أن يكون ما أخذه من أموال الفرنج التجار وغيرهم بثغر الإسكندرية والممالك الشامية المحروسة فى نظير ما أخذ من ثغر الإسكندرية عند حضور متملك قبرص والجنوية والبنادقة إليها.

ومتى [1] خالفت هذه اليمين التى فى عنقى أو [بعضها أو كلها] [2] أو سعيت فى إبطالها بوجه من الوجوه أو طريق من الطرق، برئت من المعمودية وقلت أن ماءها نجس، وأن القرابين رجس، وبرئت من يوحنا[3] المعمدانى، والأناجيل الأربعة، وقلت إن متى كذوب، وإن مريم المجدلانية باطلة الدعوى عن إخبارها عن السيد أيسوع [4] المسيح، وقلت فى السيدة مريم قول اليهود، ودنت بدينهم فى الجحود، وبرئت من الثالوث، وجحدت الأب، وكذبت الابن، وكفرت بروح القدس، وحولت [5] دين النصرانية، ولزمت دين الحنيفية، وضمخت [6] الهيكل بحيضة يهودية، ورفضت مريم وقلت إنها زنت [7] مع الأسخربوطى فى جهنم، وأنكرت اتحاد اللاهوت بالناسوت [8]، وكذبت القسوس، وشاركت فى ذبح الشمامس، وهدمت الديارات والكنائس، وكنت مع من [9] مال على قسطنطين ابن هيلانة [10] وتعمد أمه بالعظائم، وخالفت

---

(١) يرجع تسلسل ما أخذه صاحب الثغر من يمين التثقيف.

(٢) نقضتها أو نكثتها: التثقيف، نفسه؛ صبح، ج١٣، ص٣١٦.

(٣) مريحنا: التثقيف، نفسه؛ صبح، نفسه.

(٤) اليسوع: صبح، ج١٣، ص٣١٦.

(٥) خلعت: التثقيف، ص١٧١؛ صبح، نفسه.

(٦) لطخت: صبح، نفسه.

(٧) قرنت: التثقيف، ص١٧٢؛ صبح، نفسه. وقد ذُكر لفظ المتن كما هو فى إحدى نسخ مخطوط التثقيف، انظر ص١٧٢ هـ١

(٨) مع الناسوت: التثقيف، نفسه؛ والناسوت: صبح، نفسه.

(٩) ممن: صبح، نفسه.

(١٠) هالانى: التثقيف، نفسه؛ هيلانى: صبح، نفسه. ويقصد به الإمبراطور البيزنطى قسطنطين، وأمه الإمبراطورة هيلانة.

[٣٠٧ ب] المجامع التى اجتمعت عليها الأساقف برومية وقسطنطونية [١]، وجحدت مذهب الملكانية، وسفهت رأى الرهبان، وأنكرت وقوع الصلب [٢] على السيد أيسوع [٣]، وكنت مع اليهود حين صلبوه، وخرجت على [٤] الحواريين، واستبحت دماء الديرانيين [٥]، وجذبت رداء الكبرياء على [٦] البطريك، وخرجت عن طاعة الناس [٧]، وصمت يوم الفصح الأكبر، وقعدت عن أهل الشعانين [٨]، وأبيت عيد الصليب والغطاس [ولم أحفل بعيد السيدة] [٩]، وأكلت لحم الجمل، ودنت بدين اليهود وأبحت حرمة الطلاق، وهدمت بيدى كنيسة قمامة، وخنت المسيح فى وديعته، وتزوجت فى قرن بامرأتين، وقلت إن المسيح كآدم خلقه الله من تراب، و[كذبت يوحنا العازب] [١٠] ومجيء البارقليط الأحمر [١١] وما نزلت [١٢] من التلاميذ الاثنا عشر، وحرم على الثلاثمائة وثمانية عشر، وكسرت الصلبان، ودست أجل [١٣] القربان

---

(١) الصواب: قسطنطينية. ويقصد بالمجامع المجامع الكنسية التى عقدت لتقرير أصول العقيدة ومنها تقرير طبيعة المسيح، وقد عقدت سبع مجامع اتفق عليها رؤساء الكنائس. ومن بعد القرن التاسع لم تعقد مجامع كنسية على مستوى عام ولكن على مستوى إقليمى لكل كنيسة. هيسي: العالم البيزنطي، ص٢٥٤ — ٢٥٥.

(٢) الصليب: التثقيف، نفسه.

(٣) اليسوع: صبح، نفسه.

(٤) جرت على: التثقيف، نفسه؛ وحدت عن: صبح، نفسه.

(٥) الديرانيين هم الرهبان المقيمون فى أديرهم وينسبون إليها " الديرانى ". هيسي: السابق، ص٢٧٥ وما بعدها.

(٦) عن: التثقيف، نفسه؛ صبح، نفسه.

(٧) الصواب: الباب، التثقيف، نفسه؛ صبح، نفسه.

(٨) الشعانين هم المسبحون بين يدى المسيح حين خروجه لعظة الناس وهم يحملون سعف النخيل. القلقشندي: صبح، ج٢، ص٤١٥.

(٩) ما بين الحاصرتين من، التثقيف، ص١٧٢؛ صبح، ج١٣، ص٣١٦.

(١٠) وكفرت بإحياء لعازر: التثقيف، نفسه؛ وكفرت بإحياء العيازرة: صبح، نفسه.

(١١) البارقليط الآخر: التثقيف، نفسه؛ صبح، نفسه. وهى كلمة تعنى روح القدس " جبريل عليه السلام ".القلقشندي: السابق، ج٢، ص٤١٦.

(١٢) برئت: التثقيف، نفسه؛ صبح، نفسه.

(١٣) برجلى: التثقيف، نفسه؛ صبح، نفسه.

[وبصقت فى وجوه الرهبان عند قولهم كيراليصون] [١]، واعتقـدت أن بـيعهم [٢] كفـر وفجور، وأن يوسف النجار ولى [٣] بأم يسوع [وعهر] [٤] وعطلت الناقوس، وملت إلى ملة اليهود [٥] والمجوس، وكسرت صليب الصلبوت، و [تضمخت بشحم الجمل] [٦] وأكلتـه فى أول يوم [من] [٧] الصوم الكبير تحت الهيكل بحضرة الأباء، وقلت فى النبوة مقال قطورس [٨]، ووجهت إلى الصخرة وجهى، وصديت عن الشرق المنير حيث كان المظهر الكريم، وإلا برئت من النورانيين والشعشعانيين، وأنكرت أن السيد أيوسع أحيا الموتى وأبرأ الأكمـه والأبـرص، وقلت أنه مربوب، وأنه ما رؤى وهو مصلوب، وأنكرت أن القربان المقدس على المذابح [٩] ما صار لحم المسيح ودمه حقيقة، وخرجت عن [١٠] النصرانية من لا حب الطريقة، ودنت[١١] بدين التوحيد [وتعبدت غير الأرباب] [١٢] وقصـدت بالمظانيـات [غـير] [١٣] طريـق الإخلاص، وقلت إن الموتى [١٤] غير روحانى، وإن نبى المعمـودية [لا تسـيح فى فسيـح

---

(١) ما بين الحاصرتين من، التثقيف، فنسه؛ صبح، نفسه.

(٢) يقنية: التثقيف، نفسه؛ وفى الصبح " واعتقدت أن معينه كفر الجون "، كتبها هكذا محققوه وتبعوها بعلامة إستفهام، انظر ج١٣، ص٣١٦.

(٣) زنى: التثقيف، نفسه؛ صبح، ج١٣، ص٣١٧.

(٤) بياض فى الأصل، وما بين الحاصرتين من، التثقيف، نفسه؛ صبح، نفسه.

(٥) ساقطة من التثقيف، وصبح.

(٦) ولطخته بلحم: التثقيف، نفسه؛ وطبخت به: صبح، نفسه.

(٧) ما بين الحاصرتين من، التثقيف، نفسه؛ صبح، نفسه.

(٨) الصواب: نسطورس: التثقيف، نفسه؛ صبح، نفسه. وهو ما تنسب إليه الطائفة الثالثة من المسيحية. انظر فيما قبل.

(٩) المذبح: التثقيف، ص١٧٢؛ صبح، ج١٣، ص٣١٧.

(١٠) فى: التثقيف، نفسه؛ صبح، نفسه.

(١١) وإلا قلت: التثقيف، نفسه؛ صبح، نفسه.

(١٢) ما بين الحاصرتين من، التثقيف، نفسه؛ صبح، نفسه.

(١٣) ما بين الحاصرتين من، التثقيف، نفسه؛ صبح، نفسه.

(١٤) المعاد: التثقيف، ص١٧٣؛ صبح، نفسه.

السماء][1]، وأثبت وجود الحور العين [من العذران فى] [2] الدار الآخرة، والتلذات الجسمانية، وخرجت خروج الشعرة من العجين من دين النصرانية، وأكون من دينى محروماً، وقلت[3] إن جرجس لم [٣٠٨ أ] يقتل مظلوماً [ونزعت حفارة أم الرب] [4] وشاركت الشرط [5] وسلبت [6] ثيابه وأحدثت تحت صليبه، وتجمرت [7] بخشبته، وصفعت الجاثليق. وهذه اليمين يمينى، وأنا فلان بن فلان الفلانى، والله على ما أقول وكيل ".

تنبيه: ينبغي حين التماس اليمين من أحدهم أن يكون فى كنيسة لهم بحضرة حكامهم وأكابرهم، وشاهدى عدل وترجمان يُعرفهم بما وقع عليهم من تغليظ اليمين.

الأسلوب الثالث: الأيمان التى يحلف بها عامة النصارى.

وهذه نسخة يمين يحلف بها الملكانية أتباع ملكان الذى ظهر بالروم، وقيل منسوبون إلى مركان قيصر أحد قياصرة الروم فقيل مركانية، ثم عرب إلى ملكانية وهى:

" إننى والله، والله العظيم، وحق المسيح عيسى بن مريم [وأمه السيدة مريم] [8] وما أعتقده من دين النصرانية والملة المسيحية، وإلا أبرأ من المعمودية وأقول إن ماءها نجس، وإن القرابين رجس، وبرئت من مريحنا [9] المعمدانى [10] والأناجيل الأربعة، وقلت إن متى كذوب، وإن مريم المجدلانية باطلة الدعوى فى أخبارها عن السيد أيسوع [11] المسيح، وقلت فى السيدة مريم قول اليهود، ودنت بدينهم فى الجحود، وأنكرت اتحاد اللاهوت بالناسوت، وبرئت من

---

(١) بياض فى الأصل: وما بين الحاصرتين من، التثقيف، نفسه؛ صبح، نفسه.

(٢) فى المعاد، وأن فى: التثقيف، نفسه؛ صبح، نفسه.

(٣) وأقول: التثقيف، نفسه؛ صبح، نفسه.

(٤) فرعت غفارة ابن الرب: التثقيف، نفسه؛ وخرقت غفارة الرب: صبح، نفسه.

(٥) الشرطى: التثقيف، نفسه؛ الشرير: صبح، نفسه.

(٦) فى سلب: التثقيف، نفسه؛ صبح،نفسه.

(٧) كتبها محقق التثقيف " تجمرت "، بناء على ما ورد عند القلقشندي فى صبح، ولكنها فى صبح كما فى الثغر. انظر: التثقيف، ص١٧٣ هـ٤؛ صبح، نفسه.

(٨) ما بين الحاصرتين من، التعريف، ص١٩٢؛ التثقيف، ص١٦٨؛ صبح، ج١٣، ص٢٨٩.

(٩) مر يوحنا: التعريف، نفسه.

(١٠) المعمدان: التعريف، نفسه؛ التثقيف، ص١٦٩؛ صبح، نفسه.

(١١) اليسوع: التعريف، نفسه؛ صبح، نفسه.

الأب والابن وروح القدس، وكذبت القسوس، وشاركت فى ذبح الشمامس، وهدمت الديارات والكنائس، وكنت مع من [١] مال على قسطنطين ابن هيلانة [٢]، وتعمد أمه بالعظائم، وخالفت المجامع التى اجتمع [٣] عليها [٤] الأساقفة برومية والقسطنطينية، ووافقت البرذعانى بأنطاكية، وجحدت مذهب الملكانية، وسفهت رأى الرهبان، وأنكرت وقوع الصلب على السيد أيسوع [٥]، وكنت مع اليهود حين صلبوه، وحدت على الحواريين، واستبحت دماء الديرانيين، وجذبت رداء الكبرياء عند [٦] البطريرك، وخرجت عن طاعة الباب، وصمت يوم الفصح الأكبر، وقعدت عن أهل الشعانين، وأبيت عيد الصليب والغطاس، ولم أحفل بعيد السيدة، واكلت لحم الجمل، ودنت بدين اليهود، وأبحت حرمة الطلاق، وخنت المسيح [٣٠٨ب] فى وديعته، وتزوجت فى قرن بامرأتين، وهدمت بيدى كنيسة قمامة، وكسرت صليب الصلبوت، وقلت فى النبوة مقولة نسطورس، ووجهت إلى الصخرة وجهى، وصديت عن الشرق المنير حيث كان المظهر الكريم.

وإلا برئت من القرائين [٧] والشعانين، ودنت غير دين النصرانية [٨] وأنكرت أن السيد أيسوع أحيا الموتى، وابرأ الأكمه والأبرص، وقلت إنه مربوب، وإنه ما رؤى وهو مصلوب، وأنكرت أن القربان المقدس على المذبح ما صار لحم المسيح ودمه حقيقة، وخرجت عن [٩] النصرانية عن واحب [١٠] الطريقة، وإلا قلت بدين التوحيد، وتعبدت غير الأرباب، وقصدت بالمظانيات غير طريق الإخلاص، وقلت إن المعاد غير روحانى، وإن نبى المعمودية [لا يسبح فى

---

(١) ممن: صبح، نفسه.

(٢) هالانى: التعريف، نفسه؛ التثقيف، نفسه؛ هيلانى: صبح، نفسه.

(٣) اجتمعت: التعريف، نفسه؛ التثقيف، نفسه؛ صبح، نفسه.

(٤) ساقطة من، صبح، نفسه.

(٥) اليسوع: التعريف، ص١٩٣؛ صبح، نفسه.

(٦) عن: التعريف، ص١٩٣؛ التثقيف، ١٦٩؛ صبح، ج١٣ص٢٨٩.

(٧) النورانيين: صبح، نفسه.

(٨) النصارى: التعريف، نفسه؛ التثقيف، نفسه؛ صبح، نفسه.

(٩) فى: التعريف، نفسه؛ التثقيف، نفسه؛ صبح، نفسه.

(١٠) لاحب: التعريف، ص١٩٣؛ صبح، ج١٣ص٢٩٠؛ وفى بعض نسخ التثقيف المخطوط كما فى الثغر، التثقيف، ص١٦٩ هـ١٨.

السماء] [(١)]، وأثبت وجود الحور العين فى المعاد، وأن فى الدار الآخرة التلذذات الجسمانية، وخرجت خروج الشعرة من العجين من دين النصرانية، وأكون من دينى محروماً، وقلت إن جرجس لم يقتل مظلوماً " [(٢)]. [٣٠٩ أ]

فائدة: اعلم أن أول من رتب هذه الأيمان التى يحلف بها النصارى على هذه الطريقة فى زمن الفضل بن الربيع وزير الرشيد حين أراد أن يستحلف كاتبه عون النصرانى فاستحلفه بعض كتاب العراق بهذه الأيمان على ما ذكره المدائنى.

الملة الثالثة: المجوسية.

وهم ثلاث فرق:

الأولى: الكيومرتية، نسبة إلى كيومرت، ويقال جيومرت، وهو مهد النسل عندهم كآدم عليه السلام عندنا، وربما قيل إنه هو آدم. وهؤلاء أثبتوا إلهاً قديماً سموه يزدان، ومعناه النور يعنون به الله تعالى، وإلهاً مخلوقاً سموه هرمن[(٣)] ومعناه الظلمة يعنون به إبليس، ويزعمون أن سبب وجود هرمن أن يزدان فكر فى نفسه أنه لو كان منازع كيف يكون، فحدث من هذه الفكرة الرديئة هرمن مطبوعاً على الشر والغيبة والفساد والضرر، فخرج على يزدان وخالف طريقته وطبيعته، فجرت بينهما محاربة كان آخرها أن اصطلحا على أن يكون العالم السفلى لا بد له من [(٤)] سبعة آلاف سنة، ثم يخلى العالم ويسلمه ليزدان، ثم إنه أباد الذين كانوا فى الدنيا قبل الصلح وأهلكهم وبدأ برجل يقال له كيومرت، وحيوان يقال له الثور، فكان من كيومرت البشر، ومن الثور سائر الحيوان. وقاعدة مذهبهم تعظيم النور والتحرز من الظلمة، ومن هنا عبدوا النار لما اشتملت عليه من النور، ولما كان الثور هو أصل الحيوان عندهم عظموا البقر حتى تعبدوا بأبوالها.

---

(١) تسبح فى فسيح السماء: التعريف؛ لا تسبح فى فسيح السماء: التثقيف، نفسه؛ صبح، نفسه.

(٢) بقية ورقة ٣٠٨ ب بياض، ولكن اليمين وبداية ورقة ٣٠٩ أ يتفقان مع كتاب العرف الناسم، انظر ورقة ٨٢ أ، ٨٢ ب.

(٣) أهرمن: صبح، ج١٣، ص٢٩٢.

(٤) الصواب: لأهرمن، صبح، نفسه.

الثانية: الثنوية، وهم على رأيهم أيضاً فيما تقدم، إلا أنهم يقولون إن النـــور والظلمـــة قديمان.

الثالثة: الزرادشتية، أتباع زرادشت الذى ظهر زمن ميستاسف الســـابع مـــن ملـــوك الكيانية[١]، وادعى النبوة، وقال بوحدانية الله تعالى، وقال إنه واحد لا شريك له ولا ضـــد ولا ند، وأنه خالق النور والظلمة ومبدعهما، وإن الخير والشر والصلاح والفساد إنما حصـــل مـــن أدراجهما[٢]، وإن الله هو الذى مزجهما بحكمة فى التركيب، وإنهما لو لم يمتزجا لما كان وجـــود العالم، وإنه لا يزال الامتزاج حتى يغلب النور الظلمة ثم يخلص الخير فى عالمه، وينحط الشر إلى عالمه، وحينئذ تكون العتمة [٣] ولهم أحوال [٣٠٩ ب] واسعة أصرفنا عنها، ويمينهم:

" إننى [٤] والله، والله [٥] الرب العظيم، القديم، النور، الأول، رب الأرباب، وإله الآلهـــة، ماحى آية الظلم، والموجد من العدم، مقدر الأفلاك ومسيرها، ومنور الشهب ومصورها، خالق الشمس والقمر، ومنبت النجوم [٦] [والشجر] [٧] والنار والنور والظـــل والحـــرور، وحـــق جيومرت وما أولده من كرائم النسل، وزرادشت وما جاء به من القول الفصل، والزند ومـــا تضمن [٨] والخط المستدير [وما بين] [٩]. وإلا أنكرت أن زرادشت لم يأت بالدائرة الصحيحة بغير آلة، وأن مملكة أفريدون كانت ضلالة، وأكون قد شـــركت [١٠] بهراســـف [١١] فيمـــا [

(١) هم الطبقة الثانية من ملوك فارس، وهذا الملك يسمى كبشتاسب، أو كيستاسف، ولقبه الهربذ أى عابد النار وسمى بذلك لاتباعه زرادشت وديانته المجوسية.الخوارزمى: مفاتيح العلوم، ص١٢٢.

(٢) امتزاجهما: صبح، ج١٣، ص٢٩٣.

(٣) القيامة: صبح، نفسه.

(٤) ساقطة من، التثقيف، ص١٧٣.

(٥) ساقطة من، صبح، ج١٣، ص٢٩٧.

(٦) النجم: التعريف، ص١٩٥؛ التثقيف، نفسه.

(٧) ما بين الحاصرتين من، التعريف، نفسه؛ التثقيف، نفسه؛ صبح، نفسه.

(٨) تضمنه: صبح، نفسه.

(٩) بياض فى الأصل، وما بين الحاصرتين من، التعريف، نفسه؛ التثقيف، نفسه؛ صبح، نفسه.

(١٠) شاركت: صبح، ج١٣، ص٢٩٨.

(١١) بيوارسب: صبح، نفسه.

سفك] [١] طعماً لحيته، وقلت إن كابيان لم يسلط عليه وحرقت بيدى الرفس، وأنكرت ما عليه من الوضع الذى أشرقت به أنوار [٢] الكواكب، وتمازجت فيه [القوى] [٣] الأرضية بالقوى السمائية [٤]، وكذبت مانى [٥]، وصدقت مزدك [٦]، واستبحت فضول الفروج والأموال، وقلت بإنكار الترتيب فى طبقات العالم، وأنه لا [٧] مرجع فى الأبوة إلا إلى آدم، وفضلت العرب على العجم، وجعلت الفرس كسائر الأمم، ومسحت بيدى خطوط الفهلوية، وجحدت السياسة الساسانية، وكنت ممن غزا الفرس مع الروم، وممن خطأ سابور فى خلع أكتاف العرب [٨]، وجلبت البلاء إلى بابل، ودنت بغير دين الأوائل، وإلا أطفأت النار، وأنكرت فعل الفلك الدوار، ومالئت فاعل الليل [على فاعل] [٩] النهار، وأبطلت حكم النيروز والمهرجان، وأطفأت ليلة الصدق مصابيح النيران، وإلا أكون ممن حرم فروج الأمهات، وقال إنه لا يجوز الجمع بين الأخوات، وأكون ممن [أنكر] [١٠] صواب فعل أزدشير، وكنت لقومى بئس المولى وبئس النصير [١١] ".

---

(١) ما بين الحاصرتين من، التعريف، نفسه؛ التثقيف، نفسه؛ صبح، نفسه.

(٢) أشرقت أجرام: التعريف، ص١٩٥ ــ ١٩٦؛ عليه أجرام: التثقيف، نفسه؛ صبح، نفسه.

(٣) بياض فى الأصل، وما بين الحاصرتين من، التعريف، ص١٩٦؛ صبح، نفسه.

(٤) الصواب: السماوية، التثقيف، نفسه؛ صبح، نفسه.

(٥) هو مانى بن فاتن أحد أنبياء المجوس، ادعى النبوة بعد عيسى عليه السلام، وحاول التوفيق بين المجوسية والنصرانية وقال إن النور والظلمة هما صانعا العالم. القلقشندي: صبح، ج١٣، ص٢٩٧.

(٦) هو أحد الزنادقة فى نظر المجوس، ادعى النبوة ونهى عن المخالفة والمباغضة. السابق، نفسه.

(٧) وألا: التعريف، نفسه.

(٨) وهو أحد أكاسرة الفرس قام بتتبع العرب من الجزيرة الفراتية حتى البحرين قتلاً، ثم قام بخلع أكتاف بقيتهم، ولذلك سمى بذى الأكتاف. القلقشندي: صبح، ج١٣، ص٢٩٧.

(٩) ما بين الحاصرتين من، صبح، ج١٣، ص٢٩٨.

(١٠) ما بين الحاصرتين من، التعريف، نفسه؛ صبح، نفسه.

(١١) العشير: التعريف، نفسه؛ صبح، نفسه.

المهيع الثانى

فى الأيمان التى يحلف بها الحكماء المعبر عنهم بالفلاسفة

وهم ثلاث طوائف: [٣١٠ أ]

الأولى: حكماء الهند، وهم لا يقرون بالنبوءات أصلاً.

الثانية: حكماء العرب، وهم قليل وأكثر حِكمهم انفلات [(١)] الطبع، وخطرات الفكر، وربما قالوا بالنبوات.

الثالثة: حكماء الروم، وهم نوعان:

الأول: القدماء الذين هم أساطين الحكمة، وهم سبعة ومذاهبهم مختلفة [(٢)].

الثانى: المتأخرون أصحاب أرسطاطاليس، وهم ثلاث فرق:

الأولى فرقة تعرف بالمشائين، الذين كانوا يمشون فى ركابه يقرءون عليه فى الطريق وهو راكب.

الثانية فرقة تعرف بالرواقيين الذين كان يعلمهم بالرواق.

الثالثة فرقة تسمى فلاسفة الإسلام وهم حكماء العجم. أما قبل الإسلام فلم ينقل عن العجم مقالة فى الفلسفة بل حكمها [(٣)] كلها كانت مستفادة من النبوءات إما من الملة القديمة أو غيرها. ومعتقدهم أن الله تعالى واجب الوجود لذاته،[إنه] [(٤)] ليس بجوهر ولا عرض، وكل ما[(٥)] سواه صادر عنه، [وأنه تعالى] [(٦)] واحد فرد، باق ليس له شريك ولا ظهير أبدى سرمدى أزلى، أوجد الأشياء وكونها، قادر يفعل إن شاء، ولا يفعل إذا لم يشأ، فعال [(٧)] بالذات

---

(١) فلتات: صبح، ج١٣، ص٢٩٩.

(٢) عددهم القلقشندي وهم: ثاليس الملطى، وأنكساغورس، وأنباديقلس، وفيثاغورس، وسقراط، وأفلاطون. انظر: صبح، ج١٣، ص٢٩٩.

(٣) حكمهم: صبح، نفسه.

(٤) ما بين الحاصرتين من، صبح، ج١٣، ص٣٠٠.

(٥) أن ما: صبح، نفسه.

(٦) ما بين الحاصرتين من، صبح، نفسه.

(٧) فاعل: صبح، نفسه.

ليس له صفة زائدة على ذاته، أول لا بداية له، آخر لا نهاية له، لم يستحيل أن يتغير مترهاً [(١)] أن يكون حادثاً أو عرضاً للحوادث، حى متصف بصفات البقاء السرمدية، حكيم، عليم، جـامع لكل كمال، خالق الأفلاك بقدرته ومدبرها بحكمته.

ويقولون إن الأرض ثابتة لا تتحرك، والماء محيط بها من سائر جهاتها إلا ما اقتضته الحكمة الإلهية من [(٢)] كشف بعض أعلاها لسكنى الخلق فيه، فهى كبطيخة فلا بركة ماء، ويحيط بالمـاء الهواء، وبالنور [(٣)] النار، وبالنار فلك القمر وهو الأول، ثم فلك عطارد، ثم فلـك الزهـرة، ثم فلك الشمس، ثم فلك المريخ، ثم فلك المشترى، ثم فلك زحل، ثم فلك المكوكـب [(٤)] وفيـه النجوم الثوابت وهو الثامن، ثم الفلك الأطلس. وهذه الأفلاك التسعة دائرة بما فيها من المشرق إلى المغرب بحيث تقطع فى اليوم والليلة دورة كاملة، والسبعة كواكب متحركـة بالسـير إلى جهات مخصوصة. [٣١٠] فالشمس والقمر يسيران من الغرب إلى الشرق، ومن الجنوب إلى الشمال، ومن الشمال إلى الجنوب، وبقية الكواكب يختلف سيرها استقامة ورجوعاً، والله تعالى هو فاعل ذلك كله، وإنه مكون الأكوان، ومنمى المعادن والنبات والحيوان.

فأما المعادن فيكون فيها جواهر الأرض من الذهب والفضة وغيرها، وذلك أن البخـار والدخان فى الأرض فإنها تجتمع [(٥)] وتمتزج، فإن غلب الدخان كان الحاصل فيه مثل النوشـادر والكبريت، وربما فعل [(٦)] البخار فى بعضه فيصير كالماء الصافى المنعقد المتحجـر فيكـون منـه الياقوت والبلور ونحوه مما لا يتطرق تحت المطارق، وإن استحكم امتزاج الدخان منه بالبخـار وقلت الحرارة المحققة فى جواهرها انعقد منه الذهب والفضة والنحاس والرصاص ونحوهـا ممـا يتطرق [بالمطرقة] [(٧)].

---

(١) متره عن: صبح، نفسه.

(٢) ساقطة من، صبح، نفسه.

(٣) الصواب: وبالهواء، صبح، نفسه.

(٤) الكواكب: صبح، ج١٣، ص٣٠٠.

(٥) إن تجتمع: أضافها محققو صبح الأعشى لكى يستقيم المعنى لديهم. ج١٣، ص٣٠٢.

(٦) تغلب: صبح، نفسه.

(٧) ما بين الحاصرتين من، صبح، نفسه.

وأما النبات فإن العرض [(١)] قد يقع منها امتزاج واختلاط، أتم من امتزاج البخار والدخان وأحسن وأقرب إلى الاعتدال فيحصل من ذلك النمو الذى لا يكون فى الجماد.

وأما الحيوان فتكونه من مزاج أقرب إلى الاعتدال وأحسن من الذى قبله من حيث أن فيه قوة المائية [(٢)] وزيادة قوتين وهى المدركة والمتحركة، ومهما حصل من الإدراك انبعثت الشهوة والتروع.

ويرون أن النفس محلها العلو، وأنها فى أول الصبا تكون عالمة بالمعقولات المجردة والمعانى الكلية بالقوة، ثم تصير بعد ذلك عالمة بالفعل. ويدينون إلى أن الأرواح باقية، والمعاد حق، ويرون إلى أن التحسين والتقبيح راجع [(٣)] إلى العقل خاصة.

ويمينهم على ما أوردها فى التعريف:

" [إننى] [(٤)] والله، والله العظيم [(٥)] الذى لا إله إلا هو الواحد، الأحد، الفرد الصمد، الأبدى، السرمدى، الأزلى الذى لم يزل [علة العلل] [(٦)]، رب الأرباب، ومدبر الكل، القدير [(٧)]، القديم، الأول بلا بداية، والآخر بلا نهاية، المنزه عن [(٨)] أن يكون حادثاً أو عرضاً للحوادث [(٩)]، الحى المتصف [(١٠)] بصفات البقاء والسرمدية والكمال، والمتردى برداء الكبرياء والجلال [٣١١ أ]، مدبر الأفلاك، ومسير الشهب، ومفيض القوى على الكواكب، باث الأرواح فى الصور، مكون الكائنات، ومنمى الحيوان والمعدن والنبات، وإلا فارقت [(١١)]

---

(١) العناصر: صبح، نفسه.

(٢) النباتية: صبح، ج١٣، ص٣٠٣.

(٣) راجعان: صبح، ج١٣، ص٣٠٤.

(٤) ما بين الحاصرتين من، التعريف، ص٢٠٦؛ صبح، ج١٣، ص٣٠٥.

(٥) ساقطة من صبح وأكملها محققوه من التعريف، ج١٣، ص٣٠٥هـ٢.

(٦) ما بين الحاصرتين من، التعريف، نفسه؛ صبح، نفسه.

(٧) ساقطة من صبح، ج١٣، ص٣٠٦.

(٨) ساقطة من التعريف، نفسه.

(٩) للأحداث: التعريف، ص٢٠٧.

(١٠) الذى أتصف: التعريف، نفسه؛ صبح، نفسه.

(١١) فلا رقيت: التعريف، نفسه؛ صبح، نفسه.

روحى مكانها، ولا اتصلت نفسى بعالمها، وبقيت فى ظلم الجهالة وحجب الضلالة، وفارقت نفسى غير مرتسمة بالمعارف ولا مكملة بالعلم، وبقيت فى عوز النقص وتحت إمرة الغى، وأخذت بنصيب من الشرك، وأنكرت المعاد، وقلت بفناء الأرواح، ورضيت فى هذا بمقالة أهل الطبيعة، ودمت فى قيد [المركبات] (١) وشواغل الحس، ولم أدرك الحقائق على ما هى عليه، وإلا [فقلت] (٢) بأن الهيولى (٣) غير قابلة لتركيب الأجسام، وأنكرت المادة والصورة، وخرقت النواميس، وقلت إن التحسين والتقبيح إلى غير العقل، وخلدت مع النفوس الشريرة ولم أجد سبيلاً إلى النجاة، وقلت إن الإله ليس فعالاً (٤) بالذات ولا عالماً بالكليات، ودنت بأن النبوات متناهية، وأنها غير كسبية، وحدت عن طريق (٥) الحكماء، ونقضت تقرير القدماء، وخالفت الفلاسفة الإلهية (٦)، ووافقت على إفساد الصور للعبث، وحيزت الرب فى جهة، وأثبت أنه جسم، وجعلته ممن (٧) يدخل تحت الحد والماهية، ورضيت [فى التقليد بالألوهية](٨)".

---

(١) بياض فى الأصل، وما بين الحاصرتين من، التعريف، نفسه؛ صبح، نفسه.

(٢) بياض فى الأصل، وما بين الحاصرتين من، التعريف، نفسه؛ صبح، نفسه.

(٣) الهيولى هو كل جسم حامل لصورته. الخوارزمى: مفاتيح العلوم، ص١٥٨.

(٤) فاعلاً: التعريف، ص٢٠٧؛ صبح، ج١٣، ص٣٠٦.

(٥) طرائق: التعريف، نفسه؛ صبح، نفسه.

(٦) ساقطة من، التعريف، نفسه؛ صبح، نفسه.

(٧) فيما: التعريف، نفسه؛ صبح، نفسه.

(٨) الصواب: بالتقليد فى الألوهية، التعريف، نفسه؛ وساقطة من صبح واستكملها محققوه من التعريف، ج١٣، ص٣٠٦ هـ١.

الضرب الثالث

فى الأيمان التى يحلف بها على الهدنة

التى تعقد بين ملكين أو ملك ونائب أو نائبين، وما يزاد فى أيمان بعض أعيان المملكة، وما يفرد بعضهم به. وهو على مهيعين:

المهيع الأول

أيمان الملوك على الهدنة

وهذه نسخة يمين حلف عليها المنصور قلاوون على الهدنة الواقعة بينه وبين الحكام بمملكة عكا وصيدا وبلادها من الفرنج الإسبتارية (١) فى ربيع الأول سنة اثنين وثمانين وستمائة على ما تقدم وهى:

" أقول وأنا فلان، والله، والله، والله، وبالله، وبالله، وبالله، وتالله، وتالله، وتالله، والله العظيم، الطالب، الغالب، الضار، النافع، المدرك، المهلك، عالم ما بدا وما خفى، عالم السر [٣١١ ب] والعلانية، الرحمن الرحيم، وحق القرآن ومن أنزله ومن أُنزل عليه، وهو محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم، وما يقال فيه من سورة سورة وآية آية، وحق شهر رمضان إنى(٢) أفى بهذه (٣) الهدنة المباركة التى استقرت بينى وبين مملكة عكا والمقدمين بها على عكا [وعثليث](٤) وصيدا وبلادها التى تضمنتها هذه الهدنة التى مدتها عشر سنين كوامل وعشرة أشهر وعشرة أيام وعشر ساعات، أولها يوم الخميس خامس ربيع الأول سنة اثنين وثمانين وستمائة للهجرة من أولها إلى آخرها، وأحفظها وألتزم بجميع شروطها المشروحة فيها، وأجرى الأمور على أحكامها إلى انقضاء مدتها، ولا أتأول فيها ولا فى شىء منها، ولا أستفتى فيها طلباً لنقضها ما دام الحاكمين بمدينة عكا وصيدا [وعثليث] (٥)، وهم كافل المملكة بعكا، ومقدم

(١) الاسبتارية والاسبتار طائفة من رجال الدين بدأ ظهورهم فى القرن التاسع الميلادى بإيطاليا، ثم زاد انتشارهم فى الحروب الصليبية لمساعدة الجيوش الصليبية فى فتحها لبيت المقدس. Ency. De France , v.xx , p.291.

(٢) إننى: صبح، ج١٣، ص٣١٢.

(٣) بحفظ هذه: صبح، نفسه.

(٤) ما بين الحاصرتين من، صبح، نفسه.

(٥) ما بين الحاصرتين من، صبح، نفسه.

بيت الروم، ومقدم بيت الأسبتار، [ونائب مقدم بيت الأسبتار إلى الآن] [١] ومن تولى بعدهم فى كفالة مملكته أو مقدم بيت لهذه المملكة المذكورة وافيين باليمين الـتى يحلفـون عليهـا لى ولولدى[٢] الملك الصالح ولأولاده على استقرار هذه الهدنة المحررة. عاملين بهـا وبشـروطها المشروحة فيها إلى انقضاء مدتها ملتزم أحكامها، وإن نكثت فى هذه اليمين يلزمنى الحج إلى بيت الله الحرام بمكة المشرفة [٣] حافياً حاسراً ثلاثين حجة، ويلزمنى صوم الدهر كله إلا الأيام المنهى عنها ". ثم يكمل من نسخة اليمين المتقدمة.

المهيع الثانى

فيما يختص به كل واحد من أرباب الوظائف

ويزاد فى أيمانهم فالوزير وأرباب التصرف فى المال يزاد فى تحليفهم:

" وإننى أحفظ أموال مولانا السلطان خلد الله ملكه من التبذير والضياع والخونة وتفريط أهل العجز، ولا أستخدم فى ذلك ولا فى شيء منه إلا أهل الكفاية والأمانة، ولا أضمن جهة من الجهات الديوانية إلا للأملياء [٤] القادرين أو ممن زاد زيادة ظاهرة وأقام عليه الضمان الثقاة، ولا أؤخر مطالبة أحد بما يتعين عليه بوجه حق من حقوق الديوان المعمور والموجبـات[٣١٢ أ] السلطانية على اختلافها، وإننى والله العظيم لا أرخص فى تسجيل ولا قياس، ولا أسامح أحـد بموجب يوجب [٥] عليه، ولا أخرج عن كل مصلحة تتعين لمولانا السلطان فلان ودولتـه، ولا أخلى كل ديوان يرجع إلى أمره يغدق [٦] بى أمر مباشرته من تصفح لأحواله، واجتهاد فى تثمير أمواله، وكف أيدى الخونة عنه، وغل أيديهم أن تصل إلى شيء منه، ولا أدع حاضراً ولا غائباً من أمور هذه المباشرة حتى أجد فيه وأبذل الجهد الكلى فى إجراء أموره على السداد وحسـن

---

(١) ما بين الحاصرتين من، صبح، نفسه.

(٢) وفى ولدى: صبح، نفسه.

(٣) ساقطة من، صبح، نفسه.

(٤) الأمناء: التعريف، ص١٨٩؛ صبح، ج١٣، ص٣٠٩؛ ولكن فى التثقيف كالثغر، ص١٦٠.

(٥) يجب: التعريف، نفسه؛ صبح، نفسه.

(٦) يوكل: التعريف، نفسه.

الاعتماد، وإننى لا أستجد على [المسلمين طاقة] [١] ما لم يرسم لى به إلا ما [كان] [٢] فيه مصلحة ظاهرة لهذه الدولة القاهرة، ونفع بين لهذه الدولة [٣] الشريفة، وإننى والله أؤدى الأمانة فى كل ما غدق [٤] بى ووليت أمره [٥] من القبض والتصرف [٦] والولاية [والعزل] [٧] والتقديم والتأخير، والتقليل والتكثير وفى كل جليل[وحقير] [٨] وقليل وكثير ".

ويزاد النواب فى تحليفهم:

" ولا أسعى فى تفريق كلمة أحد منهم عن طاعته الشريفة، وعلى أن أبذل جهدى وطاقتى فى ذلك كله وفى حفظ المملكة التى استنابنى فيها وصيانتها وحمايتها وما بها من القلاع والثغور والسواحل ".

ويزاد الأمير الدوادار [٩] :

" وإننى مهما اطلعت عليه من مصالح مولانا السلطان [فلان ونصائحه، وأمر دانى ملكه ونازحه] [١٠] أوصله إليه، وأعرضه عليه، ولا أخفيه شيء [١١] منه ولو كان على ولا أكتمه ولو خفت وصول ضرره إلى ".

ويفرد نائبى [١٢] :

(١) المستقر إطلاقه: التعريف، نفسه؛ صبح، نفسه.

(٢) ما بين الحاصرتين من، صبح، نفسه.

(٣) الأيام: التعريف، نفسه؛ صبح، نفسه.

(٤) وكل: التعريف، نفسه.

(٥) ساقطة من، صبح، نفسه.

(٦) الصرف: التعريف، ص١٨٩؛ صبح، ج١٣، ص٣٠٩.

(٧) ما بين الحاصرتين من، التعريف، نفسه؛ صبح، نفسه.

(٨) مابين الحاصرتين من، التعريف، نفسه؛ صبح، نفسه.

(٩) هذه اليمين يزاد فيها للأمير الدوادار وكتّاب السر كما ذكر ذلك فى، التعريف، نفسه؛ التثقيف، ص١٦١.

(١٠) بياض فى الأصل، وما بين الحاصرتين من التعريف، نفسه؛ التثقيف، نفسه؛ صبح، ج١٣ص٣١٠.

(١١) شيئاً: التعريف، نفسه؛ صبح، نفسه.

(١٢) الصواب: الدوادار، التعريف، ص١٩٠؛ صبح، نفسه.

" لا أؤدى رسالة عن مولانا السلطان فى إطلاق مال، ولا أستخدم مستخدمة [(١)] ولا إقطاع إقطاع، ولا ترتيب مرتب، ولا تجديد مستجد، ولا سداد شاغر [(٢)]، ولا فصل منازعة، ولا كتابة توقيع ولا مرسوم ولا كتاب صغيراً كان ولا [(٣)] كبيراً إلا بعد عرضه على مولانا السلطان فلان ومشاورته ومعاودة أمره الشريف ومراجعته ".

ويفرد كاتم السر:

" بأننى مهما [تأخرت] [(٤)] قراءته من الكتب [الواردة] [(٥)] على مولانا السلطان فلان من البعيد والقريب يعاود [(٦)] فيه من [(٧)] وقت آخر، فإن لم يعاوده [فيه] [(٨)] مجموع [(٩)] لفظه لطوله [٣١٢ ب] الطول الممل عاودته [(١٠)] فيه بمعناه من [(١١)] الملخصات، وأنه لا يجاوب فى شىء [(١٢)] [لم] [(١٣)] ينص المرسوم الشريف فيه بنص خاص ـ لم [(١٤)] تجر العادة بالنص فيه ـ، ولا يجاوب فيه إلا بأكمل ما يرى أن [فى جوابه] [(١٥)] مصلحة مولانا السلطان

---

(١) مستخدم: التعريف، نفسه؛ التثقيف، نفسه؛ صبح، نفسه.

(٢) ثاغر: التعريف، نفسه.

(٣) أو: التعريف، نفسه؛ صبح، نفسه.

(٤) ما بين الحاصرتين من، صبح، ج١٣، ص٣١٠.

(٥) ما بين الحاصرتين من، صبح، نفسه.

(٦) معاودة: صبح، نفسه.

(٧) فى: صبح، نفسه.

(٨) ما بين الحاصرتين من، التعريف، ص١٩٠، صبح، نفسه.

(٩) لمجموع: التعريف، نفسه؛ بمجموع: التثقيف، ص١٦١؛ صبح، نفسه.

(١٠) عاود: التعريف، نفسه؛ التثقيف، نفسه؛ عاوده: صبح، نفسه.

(١١) فى: التعريف، نفسه؛ صبح، نفسه.

(١٢) لا يجاوبه بشىء: صبح، نفسه.

(١٣) ما بين الحاصرتين من، التعريف، نفسه؛ صبح، نفسه.

(١٤) مما: التعريف، نفسه؛ ما لم: التثقيف، نفسه؛ صبح، نفسه.

(١٥) فيه: التعريف، نفسه؛ التثقيف، نفسه؛ صبح، نفسه.

ومصلحة دولته بأسد [١] جواب يقدر عليه، ويصل اجتهادى [٢] إليه، وأنه مهما أمكنتنى [٣] المراجعة فيه لمولانا السلطان فلان راجعته [٤] فيه، وعملت [٥] بنص ما رُسم لى [٦] به فيه ".

ويزاد فى أيمان نواب القلاع ونقباؤها مع ما تقدم فى نسخ الأيمان على ما أورده فى التثقيف [٧]:

" وإننى أجمع رجال هذه القلعة على طاعة مولانا السلطان فلان، وخدمته فى حفظ هذه القلعة، وحمايتها، وتحصينها، والذب عنها، والجهاد دونها، والمدافعة عنها بكل طريق، وإننى أحفظ حواصلها وذخائرها، وسلاح خاناتها على اختلاف [أنواع] [٨] وما فيها من الأقوات والأسلحة، وإننى لا أخرج فى [٩] شيء منها إلا فى أوقات الحاجة [والضرورة] [١٠] الداعية لصرف [١١] الأقوات والأسلحة [١٢] على قدر ما تدع [١٣] الحاجة إليه، وإننى أكون فى ذلك كواحد من رجال هذه القلعة، وكل واحد ممن يتبعنى [كواحد ممن يتبع] [١٤] أتباع [رجال] [١٥] لهذه القلعة لا أتخصص ولا أمكن من التخصيص، وإننى والله والله لا أفتح

---

(١) بأشد: التعريف، نفسه.

(٢) اجتهاده: التعريف، نفسه؛ صبح، نفسه.

(٣) أمكنه: التعريف، نفسه؛ صبح، نفسه.

(٤) راجعه: التعريف، نفسه؛ صبح، نفسه.

(٥) عمل: التعريف، نفسه؛ صبح، نفسه.

(٦) له: التعريف، نفسه؛ صبح، نفسه.

(٧) الصواب: التعريف. انظر: التعريف، ص١٨٨؛ صبح، ج١٣، ص٣٠٨.

(٨) ما بين الحاصرتين من، التعريف، نفسه.

(٩) ساقطة من، التعريف، نفسه؛ صبح، نفسه.

(١٠) ما بين الحاصرتين من، التعريف، نفسه؛ صبح، نفسه.

(١١) المتعين فيها تفريق: التعريف، نفسه؛ صبح، نفسه.

(١٢) السلاح: التعريف، نفسه؛ صبح، نفسه.

(١٣) تدعو: التعريف، نفسه؛ صبح، نفسه.

(١٤) ما بين الحاصرتين من، التعريف، نفسه؛ صبح، نفسه.

(١٥) ما بين الحاصرتين من، التعريف، نفسه؛ صبح، نفسه.

أبواب هذه القلعة [ولا آمر بذلك] [١] إلا فى الأوقات الجارى بها [عادة] [٢] فتح أبـــواب الحصون، وأغلقها إلا بشمس، وإننى أطالب الحراس والبراجة [٣] وأرباب النوب فى هذه القلعة بما جرت به العوائد اللازمة لكل منهم مما [فى] [٤] ذلك جميعه مصلحة مولانا السلطان، [ولا أسلم هذه القلعة إلا لمولانا السلطان فلان] [٥] أو بمرسومه الشريف وإمارته الصحيحة وأوامره الصريحة، وإننى لا أستجد [٦] فى هذه القلعة إلا من فيه نفع لهذه القلعة[٧] وأهليـــة الخدمـــة لا أعمل فى ذلك بغرض نفسى [لى] [٨]، [ولا أرخص فيه لمن يعمل بغرض لنفســـى لـــه] [٩]، وإننى أبذل فى ذلك كله الجهد، وأشمر [فيه] [١٠] عن ساعد الجد ".

مهمة: اليمين التى يحلف بها أرباب الوظائف بالحضرة والأمراء بالممالك الشـــامية ومـــا انضم إليها، فقد جرت [٣١٣ أ] العادة أنه إذا أريد تحليف أحد منهم تكتب نسخة الـــيمين من ديوان الإنشاء فى قطع العادة، ويتوجه بها إلى الأمير أو النائب المُحَلَّـــف فيحلـــف عليهـــا، وصفتها على ما ذكره صاحب التثقيف " أقول وأنا " ثم يخلى بياضاً [قليلاً تقدير أصبعين][١١] لموضع كتابة اسم الحالف، ثم يكتب تحته من يمين الورق بهامش دقيق جداً " والله، والله، والله " ويكمل تتمة نسخته مما تقدم، وتكون متلاصقة السطور إلى عند قوله " وهذه اليمين يمينى وأنا " فيخلى بعد ذلك بياضاً قليلاً لموضع كتابة اسم الحالف أيضاً، ثم يكتب [من يمين الورق] [١٢] " والنية فى هذه اليمين " إلى أخره.

---

(١) ساقطة من، التعريف، نفسه؛ صبح، نفسه.

(٢) ما بين الحاصرتين من، التعريف، نفسه؛ صبح، نفسه.

(٣) الدراجة: التعريف، نفسه؛ صبح، نفسه.

(٤) ما بين الحاصرتين من، التعريف، نفسه؛ صبح، نفسه.

(٥) ما بين الحاصرتين من، التعريف، ص١٨٨.

(٦) أستخدم: التعريف، ص١٨٩؛ صبح، ج١٣، ص٣٠٩.

(٧) نفعها: صبح، نفسه.

(٨) ما بين الحاصرتين من، التعريف.

(٩) ساقطة من، صبح، وأكملها محققوه من التعريف، ج١٣، ص٣٠٩ هـ١.

(١٠) ما بين الحاصرتين من، التعريف، نفسه؛ صبح، نفسه.

(١١) بياض فى الأصل، ومابين الحاصرتين من، التثقيف، ص١٥٩.

(١٢) ما بين الحاصرتين من، التثقيف، نفسه.

أما ما تكتب فيه الهدنة، فالظاهر أن كل يمين تكتب فى قطع الورق التى تكتب لـه فيـه مكاتبات ذلك الملك المحلف بقلم ذلك الورق.

أما التماس أيمان المماليك السلطانية فإنه لم تجر العادة بكتابة أيمان لهم من ديوان الإنشاء بل يكتفى بأيمانهم تجاه المصحف الشريف بقلعة الجبل وكتابة أسمائهم ونسبهم وطبقاتهم فى قوائم بخط الكاتب الذى يحلفهم حتى إذا انتهى آخرهم خُلدَت القوائم بديوان الإنشاء.

مهمة: يحلف أمراء الأشراف بمكة والمدينة وأمراء عرب الشام كأمير آل فضل وغـيره حين استقرارهم أو حدوث أمر مهم. وهذه نسخة يمين حلف بها نجم الدين أبو نمى أمير مكة فى دولة المنصور قلاوون فى شعبان سنة إحدى وثمانين وستمائة على ما ذكره ابن المكرم وهى بعد استيفاء الأقسام:

" إننى أخلصت نيتى، وأصفيت طويتى، وساويت بين باطنى وظاهرى فى طاعـة مولانـا السلطان الملك الفلانى [(١)] وطاعة ولده الملك الصالح، وطاعة أولادهما وارثى ملكهما، ألا أضمر لهم سوءاً ولا غدراً فى نفس ولا مال[(٢)] ولا سلطنة، وإننى عدو لمن عاداهم، صديقاً لمن صادقهم، حرباً لمن حاربهم، سلماً لمن سالمهم، وإننى لا يخرجنى عن طاعتهما طاعـة أحـد غيرهمـا، ولا ألتفت[(٣)] فى ذلك إلى جهة غير جهتهما، ولا أفعل أمراً مخالفاً لما استقر فى [(٤)] هـذا الأمـر، ولا أشرك فى تحكمهما على ولا على مكة وحرمها وموقف جبلها زيد ولا عمرو، وإننى ألتزم مـا أشترطه لمولانا السلطان ولولده من [(٥)] أمر الكسوة [الشريفة المنصورية الواصلة مـن مصـر المحروسة وتعليقها على الكعبة الشريفة فى كل موسم، وأن لا يعلوها كسوة غيرها، وأن أقـدم علمه المنصور] [(٦)] على كل علم [٣١٣ ب] فى كل موسم، وألا يتقدمه عليـه [(٧)] غـيره، وإننى أسبل زيارة البيت الحرام أيام مواسم الحج وغيرها للزائرين والطائفين والبادين والعاكفين

---

(١) المنصور: صبح، ج١٣، ص٣١٨.

(٢) ملك: صبح، نفسه.

(٣) أتلفت: صبح، نفسه.

(٤) من: صبح، نفسه.

(٥) فى: صبح، نفسه.

(٦) ما بين الحاصرتين من، صبح، نفسه.

(٧) علم: صبح، نفسه.

والآمين لحرمه والحاجين والواقفين، وإننى أجتهد فى حراستهم من كل عاد بفعله وقوله ويخطف الناس من حوله، وإننى أوفهم فى سريع، وأعذب لهم مناهل شربهم، وإننى والله أستمر بتفرد الخطبة والسكة بالاسم الشريف المنصور، وأفعل فى الخدمة فعل المخلص الولى، وإننى والله، والله أمتثل مراسمه امتثال النائب المستنيب، وأكون لداعى أمره أول سامع ومجيب، وإننى ألتزم بشروط هذه اليمين من أولها إلى آخرها لا أنقضها ".

تنبيه: تلتمس الأيمان من أرباب الدولة من كبير وصغير، وجليل وحقير بكل جهة كان أمر السلطان نافذ فيها حين استقرار سلطان أو ولى عهد بالسلطنة أولهما كما تقدم.

الباب الثانى

فى الأمانات وكتابة نسخها

قال فى التعريف: وهى أقوى أمور الصلح. وفيه مقصدان:

المقصد الأول

فى عقد الأمان لأهل الكفر وذكر أصله وشرطه وحكمه وصورة ما يكتب فيه

أما أصله، فاعلم أن الأمان هو أحد الأمور الثلاثة التى يرفع بها القتل عن الكفار، وأصله قوله تعالى ﴿ وَإِنْ أَحدُ مِّنَ ٱلْمُشرِكِينَ ٱستَجَارَكَ فَأَجِرهُ حَتَّى يَسمَعَ كَلَـٰمَ ٱللهِ ثُمَّ أَبلغهُ مَأمَنَهُ ﴾(١) الآية، وقوله صلى الله عليه وسلم " المؤمنون تتكافأ دماؤهم ويجير عليهم أدناهم، وهم يد على من سواهم ".

والأمان ضربان، عام وخاص، فالعام هو عقده للعدد الذى لا يحصر، ولا يصح عقد الأمان فيه إلا من الإمام أو نائبه كالهدنة. والخاص هو عقده للواحد أو العدد المحصور، ويصح من كل مسلم مكلف له أهلية القتال والمعقود له، ويصح عقده للواحد والعدد، وفى مأمن المرأة عند الاسترقاق خلاف.

وصيغة العقد وهو كل لفظ يفهم الأمان كناية أو صريحاً، وفى معناه الإشارة المفهمة، ولابد من قبول الكافر، وفى سكوته خلاف [٣١٤ أ]، وإن كان تاجراً لم يأمن إلا أن يقول الإمام أو نائبه " من دخل تاجراً فهو أمن ".

وشرطه أن لا يكون على المسلمين ضرر فى المستأمن، وأن لا يزيد الأمان عن سنة بخلاف الهدنة، وحكمه إذا عقدت الأمانات لزمت الشروط ووجبت الدية فى قتله، وهو جائز من جهة الكفار، فيجوز للكافر نبذه متى شاء، ولازم من جهة المسلمين فلا يجوز النبذ إلا أن يتوقع من المستأمن الشر.

---

(١) التوبة، الآية ٦.

وأما صورة ما يكتب، فأصله ما رواه ابن إسحاق، أن رفاعة بن زيد الجذامى [(١)] قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى هدنة الحديبية فأهدى لرسول الله صلى الله عليه وسلم غلاماً وأسلم، وكتب له رسول الله صلى الله عليه وسلم كتاباً إلى قومه فيه:

" بسم الله الرحمن الرحيم، هذا كتاب من محمد رسول الله لرفاعة بن زيد [إنى] [(٢)] بعثته إلى قومه عامة ومن دخل فيهم يدعوهم إلى الله تعالى، وإلى رسوله، فمن أقبل منهم ففى حزب الله ورسوله، ومن أدبر فله أمان شهرين ". فلما قدم رفاعة إلى قومه [أجابوا] [(٣)] وأسلموا.

ثم للكتاب فى كتابته مذهبان:

الأول: أن يفتتح المكاتبة فى الأمان بلفظ " هذا كتاب أمان " و" هذا أمان " ونحو ذلك، وعلى ذلك كتب عمرو بن العاص لأهل مصر، والحافظ لدين الله الفاطمى إلى بهرام الأرمنى حين صرف من وزارته وهرب إلى الأرمن. [(٤)]

الثانى: أن يفتتح بالتحميد بما يناسب ثم يقول:

" فإن من صفتنا كيت وكيت، ولما كان حضرة الملك الجليل ـــ إلى آخر ألقابه ـــ فلان قد شمله إقبالنا المعهود ـــ ونحو ذلك ـــ اقتضى حسن الرأى الشريف أن نيسر سبيله، ونوفر له من الإكرام جسيمه كما وفرنا [له من الإنعام حشيمه، فلذلك رسم] [(٥)] أن يمكن من الحضور هو وزوجته ومن معهما [من أتباعهما] [(٦)] إلى زيارة القدس الشريف مثلاً، وإزالة الإعراض

---

(١) ذكرها القلقشندي كالثغر، ولكن محققى صبح الأعشى عدلوه " الخزاعى " بناء على سيرة ابن إسحاق، صبح، ج١٣، ص٣٢٣ هـ١، واستنتاجهم جانبه الصواب وعن ذلك انظر، القسم الثانى، ص١٩١.

(٢) ما بين الحاصرتين من، صبح، ج١٣، ص٣٢٣.

(٣) ما بين الحاصرتين من، صبح، نفسه.

(٤) انظر نص الرسالتين، صبح، ج١٣، ص٣٢٤ ـــ ٣٢٦. وقد تولى بهرام الوزارة للحافظ من عام ٥٢٩ إلى عام ٥٣١ هـ، ومات عام ٥٣٥ هـ. المقريزى: اتعاظ،ج٣، ص١٥٥، ١٧٥؛ المناوى: الوزارة، ص٢٧٨ ـــ ٢٧٩.

(٥) لغيره من الملوك مسوله: صبح، ج١٣، ص٣٢٨.

(٦) ما بين الحاصرتين من، صبح، نفسه.

عنهم [وإكرامهم] [١] ورعايتهم، واستصحاب العناية بهم إلى أن يعودوا إلى بلادهم أمنين على أنفسهم وأموالهم، ويعاملوا بالوصية ــ ونحو ذلك ــ وسبيل كل واقف عليه أن يسمع كلامه، ويتبع مرامه [٢] ولا يمنع عنهم الخير فى سير ولا إقامة ويدفع عنهم [٣١٤ ب] الأذى [حيث وردوا أو رصدوا] [٣] فلا يحذروا إلمامه، والله تعالى يوفى [٤] كل مستعين من أبوابنا أقساط الأمن والسلامة [٥]، ويظفر عزمنا المحمدى بالنصر السرمدى حتى يطوق الطائع والعاصى حسامه".

وعلى ذلك كُتب عن محمد بن قلاوون لصاحب السرب عند طلبه التمكين من زيارة القدس من إنشاء الشريف شهاب الدين.

المقصد الثانى

فى كتابة الأمان إلى أهل الإسلام

وهذا النوع فرع يلحق بما قبله لأن المسلمين آمنين، وإنما العادة أن يكتب ذلك عن الملوك لمن خاف سطوتهم، لما رواه أبو عبيدة فى كتاب الأموال عن أبى العلاء بن عبد الله [٦] أنه قال: كنا بالمربد ومعنا مطرف إذ أتانا إعرابى ومعه قطعة من أديم فقال: أفيكم من يقرأ؟ قلنا: نعم، فإذا فيها:

" بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد رسول الله لبنى زهير بن أقيش من عكل إنكم شهدتم أن لا إله إلا الله، وأقمتم الصلاة وآتيتم الزكاة، وفارقتم المشركين، وأعطيتم من الغنائم الخمس وسهم النبى صلى الله عليه وسلم، وللصفى [٧] ــ أو قال وصفيه ــ فأنتم آمنون بأمان الله ورسوله ".

---

(١) ما بين الحاصرتين من، صبح، نفسه.

(٢) إبرامه: صبح، نفسه.

(٣) ما بين الحاصرتين من، صبح، نفسه.

(٤) يوفر: صبح، نفسه.

(٥) وأقسامه: صبح، ج١٣، ص٣٢٨.

(٦) يذكر البيهقى والنسائى فى سننهما أنه يزيد بن عبد الله المعروف بابن الشخير. البيهقى، ج٧، ص٥٧؛ النسائى، ج٧، ص١٣٤.

(٧) والصفى: صبح، ج١٣، ص٣٣٠.

وكتابة الأمان على أربعة أنواع [١]:

النوع الأول
فيما يكتب عن الخلفاء

وللكتاب فى ذلك مذهبان:

الأول: طريقة صاحب مواد البيان وهو:

" هذا كتاب أمان كتبه عبد الله فلان أبو فلان أمير المؤمنين الفلانى، أعز الله به الدين، وأدام له التمكين، لفلان، فإنه قد أمنه بأمان الله [تعالى] [٢]، وأمان رسوله صلى الله عليه وسلم، وأمنه [٣] على نفسه، وماله، وشعره، وبشره، وأهله، وولده، وحرمه، وأنسبائه [٤]، وأتباعه، ورجاله، وأصحابه [وحاله] [٥]، وذات يده وأملاكه، ورباعه، وضياعه، وجميع ما يخصه ويخصهم أماناً صحيحاً، نافذا واجباً، لازماً لا ينقض ولا ينفسخ، ولا يبدل ولا يتعقب بمخاتلة، ولا دهان ولا بمواربة [٦]، ولا حيلة ولا غيلة، وأعطاه على ذلك عهد الله وميثاقه [وصفقة يمينه] [٧] بنية خالصة له ولجميع [٣١٥ أ] من ذكر معه، وعفى له عن كل جريرة متقدمة، وخطيئة سالفة إلى يوم تاريخ هذا الأمان، وأجله من ذلك كله واستقبله بسلامة النفس، ونقاء السريرة، وأوجب له من الرعاية ما أوجبه لأمثاله ممن شمله ظله، كنفته رعايته حاضراً وغائباً، وملكه من اختياره قريباً وبعيداً، وألا يلزمه [٨] على ما يريده، ولا يلزمه بالاستخارة[٩] " ونحو ذلك.

---

(١) الصواب: ثلاثة أنواع، لأن المذكور ثلاثة فقط.

(٢) ما بين الحاصرتين من، صبح، ج١٣، ص٣٣١.

(٣) أمانة: صبح، نفسه.

(٤) وأشياعه: صبح، ج١٣، ص٣٣١.

(٥) ما بين الحاصرتين من، صبح، نفسه.

(٦) مواربة: صبح، نفسه.

(٧) ما بين الحاصرتين من، صبح، نفسه.

(٨) يكرهه: صبح، ج١٣، ص٣٣٢.

(٩) بما لا يختاره: صبح، نفسه.

الثانى: أن يفتتح الأمان بخطبة يتكرر فيها التحميد مرتين أو ثلاثاً بحسب ما يقتضيه حال النعمة على من يصدر عنه الأمان فى مدة شرطها، وعلى من يؤمنه، بحمد الله تعالى فى الأول على الآية، وفى الثانية على إعزاز دينه، وفى الثالثة على بعثة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم، وفى الرابعة على إقامة ذلك الخليفة من بيت النبوة لإقامة الدين، ويأتى مع كل واحد منهما بما يناسب، ونحو ذلك. وذكر ابن سعيد فى ترسله نسخة من ذلك.

النوع الثانى

ما يكتب عن وزراء الخلفاء والملوك

فتارة يصدرون بالتماس الثناء من الأمان مع الافتتاح " بهذا كتاب من فلان ـ ويسمى الوزير أو الملك كفلان ـ إنك سألت فى كيت وكيت "، أو " إن فلاناً سأل فى أمرك " ونحو ذلك، وتارة لا يتعرضون لذلك كما أورده صاحب " غزير البلاغة "، وتارة يفتتحونه برسم كما أورده محمد بن المكرم فى " تذكرة اللبيب " حين كتب عن المنصور قلاوون للتجار الواصلين إلى مصر من إنشاء القاضى فتح الدين بن عبد الظاهر.

النوع الثالث

ما عليه مصطلح كتَّاب زماننا

وهو صنفان:

الأول: ما يكتب من الأبواب السلطانية، قال فى التثقيف: إن الأمان لا يُكتب إلا فى قطع العادة.

قلت: الذى يتجه أن يكون كتابة كل أحد فى الأمان فى قطع الورق المكتوب فيه مكاتبته.

وقال إنه يكتب فى أعلى الدرج فى الوسط الاسم الشريف، ثم يكتب على عادة السطور ما صورته " أمان شريف لفلان الفلانى بأن يحضر إلى الأبواب الشريفة ـ أو إلى بلدة أو مكانة ونحو ذلك ـ آمناً على نفسه وأهله وماله [٣١٥ ب] لا يصيبه سوء ولا يناله ضيم ولا يمسه أذى على ما شرح فيه "، والبياض فى الطرة على ما فى المكاتبات إما وصلان أو ثلاثة بحسب رتبة صاحب الأمان، ثم تكتب البسملة أول الوصل الثالث أو الرابع بهامش، ثم يكتب تحت البسملة

" هذا أمان الله تعالى وأمان نبيه محمد صلى الله عليه وسلم، وأماننـــا الشـــريف لفـــلان الفلانى على نفسه، وأهله، وماله، وجميع أصحابه وأتباعه، وكل ما يتعلق به من قليل وكـــثير، وجليل وحقير، أمان لا يبقى معه خوف ولا جزع فى أول أمر ولا آخره، ولا عاجله ولا آجله، يخص ويعم، وتصان به النفس والأهل والولد والمال وكل ذات اليد، فليحضر هو وبنوه، وأهله وذووه وأقربوه وغلمانه وكل حاشيته، وجميع ما يملك [١] من دانيته وقاصيته، وليصل بهم إلينا، ويفد على حضرتنا فى ذمام الله وكلاءته، وضمانة [٢] هذا الأمان له ذمة الله، وذمة رسوله صلى الله عليه وسلم، أن لا يناله مكروه منا ولا من أحد من قبلنا، ولا يتعرض إليه بســـوء ولا أذى، ولا يرنق له مورد بقذى، وله من الإحسان والصفاء بالقلب واللسان والرعاية التى تؤمن سربه [وهنئ شربه] [٣] ويطمئن بها [٤] خاطره، وترفرف عليها كالسحاب، لا ينالـــه إلا مـــاطره، فليحضر واثقاً بالله تعالى وبهذا الأمان الشريف، وقد تلفظنا له به ليزداد وثوقاً ولا يجد بعـــدها سوء الظن إلى قلبه طريقاً، وسبيل كل واقف عليه إكرامه فى حال حضوره، وإجـــراؤه علـــى أحسن ما عهد من أموره، وليكن له ولمن [٥] يحضر معه وما يحضر [٦] أوفر نصيب من الإكرام، وتبليغ قصارى القصد ونهاية المرام، والاعتماد على الخط الشريف أعلاه " [٧].

(١) يملكه: التعريف، ص٢٠٨؛ التثقيف، ص١٧٧؛ صبح، ج١٣، ص٣٤٤.

(٢) ضمان: التعريف، نفسه؛ التثقيف، نفسه.

(٣) ساقطة من صبح، واستكملها محققوه من التعريف، ج١٣، ص٣٤٤ هـ١.

(٤) ساقطة من صبح، واستكملها محققوه من التعريف، ج١٣، ص٣٤٤ هـ١.

(٥) ولكل من: التعريف، نفسه؛ التثقيف، نفسه؛ صبح، نفسه.

(٦) ساقطة من صبح، نفسه.

(٧) يذكر ناشر التعريف نقلاً عن القلقشندي فى صبحه أن ابن ناظر الجيش فى التثقيف كتب هذا الأمان مختصراً عن التعريف، وفى ذلك ذكر لغير الحقيقة لم يتثبت منه ناشر التعريف، فالأمان فى كليهما واحد لم يتغير فيه لفظ واحد، وأن ما ذكره القلقشندي كان يقصد به طرة هذا الأمان لا الأمان نفسه. انظر: التعريف، ص٢٠٩ هـ١؛ التثقيف، ص١٧٦ ـــ ١٧٧؛ صبح، نفسه.

الثانى: ما يكتب من الأبواب السلطانية على غير هذه الطريقة، وهذه نسخة كتب بها لأسد الدين رميثة أمير [1] مكة سنة إحدى وثلاثين وسبعمائة من إنشاء القاضى تاج الدين البارنبارى [2] وهو:

" هذا أمان الله سبحانه وتعالى، وأمان رسوله محمد صلى الله عليه وسلم [٣١٦ أ]، وأماننا الشريف للمجلس العالى ــ إلى آخره ــ بأن يحضر إلى خدمة السنجق الشريف المحروس[3] صحبة فلان [4]، آمناً على نفسه وماله وأهله وولده، وما يتعلق به لا يخشى حلول سطوة قاصمة، ولا يخاف مؤاخذة حاسمة، ولا يتوقع خديعة ولا مكراً، ولا يخشى [5] سوءا ولا ضرا، ولا يستشعر مخافة [6] ولا وجلا، ولا يرهب بأساً، وكيف يرهب من أحسن عملاً، بل يحضر إلى خدمة السنجق آمناً على نفسه وماله مطمئناً واثقاً بالله وبرسوله وبهذا الأمان الشريف المؤكد الأسباب، المبيض للوجوه الكريم الأحساب، وكل ما يخطر بباله أنا نؤاخذه [به] [7] فهو مغفور، ولله عاقبة الأمور، وله منا [الأمان والتقديم] [8]، وقد صفحنا الصفح الجميل "

---

(١) هو أبو عرادة منجد بن أبى نمى محمد بن أبى سعيد بن قتادة الحسنى، تولى إمرة مكة مشاركة مع أخيه، ثم استقل عنه بالحكم عام ٧١٥ هـ، وفى عام ٧١٨ هـ قبض عليه الناصر محمد وحدد إقامته بمصر إلا أنه هرب بعد أربعة أشهر فقبض عليه وسجن بأيلة إلى عام ٧٢٠ هـ، ثم عفا عنه الناصر ورده إلى مكة، وفى عام ٧٣١ هـ حارب أخاه مرة أخرى ثم تصالحا وأخذ أسد الدين رميثة يدعو إلى الزيدية فانزعج الناصر لذلك فأرسل إليه من يحاربه ثم استطاع أمير الحج أن يستميله فعاد لطاعة الناصر محمد وكتب له هذا الأمان عام ٧٣١ هـ ثم استقل بالإمارة عام ٧٣٢ هـ، وتوفى عام ٧٤٦ هـ. ابن تغرى بردى: النجوم، ج١٠، ص١٤٤؛ العماد الحنبلى: شذرات الذهب، ج٣، ص١٤٩ ــ ١٥٠.

(٢) هو تاج الدين محمد بن محمد بن عبد المنعم البارنبارى، أحد موقعى الإنشاء المعروف عنهم الحذق فى الأدب والكتابة، تولى الكتابة فى طرابلس ودمشق، توفى عام ٧٥٦ هـ بالقدس. السلامى: الوفيات، ج٢، ص١٨٢؛ ابن تغرى بردى: السابق، ج١٠، ص٣٢٠.

(٣) المجهز: صبح، ج١٣، ص٣٤٥.

(٤) صحبة الجناب السيفى أيتمش الناصرى: صبح، نفسه.

(٥) يجد: صبح، نفسه.

(٦) مهابة: صبح، نفسه.

(٧) ما بين الحاصرتين من، صبح، نفسه.

(٨) الإقبال والتأمير: صبح، ج١٣ص٣٤٦.

إن ربك هو الخلاق العليم "، فليثق بهذا الأمان الشريف، ولا تدب [١] به الظنون، ولا يصغى إلى الذين لا يعلمون، ولا يستشر فى هذا الأمر غير نفسه ولا يظن إلا خيراً، فيومه عندنا ناسخ لأمسه، وقد قال صلى الله عليه وسلم عن الله [٢] أنه يقول " أنا عند ظن عبدى بى فليظن فى خيراً "، [فلتمسك بمعرفة] [٣] هذا الأمان فإنها وثقى، واعمل عمل من لا يضل ولا يشقى، ونحن قد أمناك فلا تخف، ورغبنا لك الطاعة والشرف، وعفى الله عما سلف، ومن أمناه فقد فاز، وطب نفساً، وقر عيناً، فأنت أمير الحجاز ".

قلت: " استدعاه إلى السنجق الشريف "، فيه تلميح إلى أن السلطان كان خارجاً عن الأبواب الشريفة، وإن لا كان يستدعيه إلى الأبواب الشريفة [٤].

تنبيه: قال فى التثقيف: إذا انتهى الكاتب فى الأمان إلى " يمنه وكرمه " كتب التاريخ والصلاة والحسبلة، ولا يكتب فيه المشيئة لأنها تقتضى الاستثناء.

---

(١) تذهب: صبح، نفسه.

(٢) ساقطة من، صبح، وقد أضاف محققوه مكانها " فيما يرويه عن ربه "، نفسه.

(٣) فتمسك بعروة: صبح، نفسه.

(٤) يبدو أن ذلك الظن عند السحماوي له وجاهته إذا ماتم افتراض أن ذلك الأمان كتب عام ٧٣٢ هـ فى العام الذى حج به الناصر محمد حجته الثالثة. ابن تغرى بردى: النجوم، ج٩، ص١٠٤.

الباب الثالث

فى الدفن

والمراد به دفن ذنوب من يكتب له، وأصله أن العرب إذا جنى أحد منهم [جناية] (١)، وأراد المجنى عليه العفو عما وقع، فالتعويل فى الصفح فيها على الدفن.

وطريقتهم أن يجتمع أكابر قبيلة الذى يدفن بحضور رجال يثق بهم المدفون [٣١٦ ب] له، فيقوم منهم رجل يقول للمجنى عليه: نريد منك الدفن لفلان، وهو مقر بما أهاجك عليه. ويعدد ذنوبه التى أحدثها ولا يبقى منها بقية، ويقر الذى يدفن [ذلك] (٢) القائل على أن هذه جملة ما نقمه على المدفون له، ثم يحفر بيده حفيرة فى الأرض ويقول: قد ألقيت فى هذه الحفيرة ذنوب فلان التى نقمتها عليه، ودفنتها له دفنى لهذه الحفيرة. ثم يرد تراب الحفيرة إليها حتى يدفنها بيده.

ولم تجر عادة العرب بالكتابة فى ذلك، بل يكتفى بهذا بما كان فى محضر الفريقين من الكبار، ثم لو كانت دماءاً أو قتلى عفيت [وعفت] (٣) به آثار الطلائب، وأن العرب لا يطمئنون إلا بذلك.

وأما إذا كانت من الملوك، فقال فى التثقيف: يكتب بعد البسملة:

" هذا دفن لذنوب فلان من الآن لا تذكر، ولا يطالب بها، ولا يؤاخذ بسببها، اقتضته المراحم الشريفة السلطانية، الملكية الفلانية، ضاعف الله تعالى حسناها وإحسانها، وهى ما بدا من الذنوب لفلان من الجرائم التى ارتكبها، والعظائم التى احتقبها، وحصل العفو الشريف على ذللها، وقابل الإحسان العميم بالتغمة (٤) سوء عملها، وهى ـ كذا وكذا وتذكر ـ دفناً لم يتبق لنا (٥) معه مؤاخذة بسبب من الأسباب، ومات به الحقد، وهيل عليه التراب، ولم يبق معه

(١) ما بين الحاصرتين من، صبح، ج١٣، ص٣٥٢.

(٢) ما بين الحاصرتين من، صبح، نفسه.

(٣) ما بين الحاصرتين من، التعريف، ص٢٠٩؛ التثقيف، ص١٧٨؛ صبح، نفسه.

(٤) الصواب: بالتغمد، التعريف، ص٢١٠؛ التثقيف، نفسه؛ صبح، ج١٣، ص٣٥٣.

(٥) ساقطة من، التعريف، نفسه؛ التثقيف، نفسه؛ صبح، نفسه.

لمطالب بشيء منه مطمع، ولا فى إحيائه رجاء، وفى غير [مـا] (١) وارت الأرض، فـاطمع، تصدق به سيدنا ومولانا السلطان الأعظم ــ ويذكر ألقابه واسمه ــ تقبل الله صـدقته، وعفـا عنها، وقطع الرجاء باليأس منها، وأبطل منها كل حق يُطلب، وصفح عنها (٢) كل ذنب كـان [به] (٣) يستذنب، ودفنها تحت قدمه، ونسيها فى علم كرمه وخلاها نسياً منسياً، لا تـذكر فى خفارة ذممه، وجعله بها مقيماً فى أمن الله (٤) إلى أن يبعث الله خلقه ويتقاضى كما يشاء حقه، لا يعقب (٥) فى هذا الأمان معقب (٦)، ولا ينتهى إلى أمد له نظر مترقب، لا ينبش هذا الـدفن (٧) ولا يوقف له على أثر [٣١٧ أ] فى اليوم ولو(٨) بعد حين، ولا يخشى فيه صبر مصـابر، ولا يقال فيه ألا وهبها كشيء لم يكن أو كنازح به الدار أو من غيبته المقابر.

ورسم بالأمر الشريف العالى، المولوى، السلطانى، الملكى الفـلانى الفـلانى، أعـلاه الله [تعالى] (٩) وشرفه وغفر به لكل ذنب (١٠) ما أسلفه إلى (١١) أن يكتب له هذا الكتاب بما عفى له عنه، وحفر له ودفن، وأصبح بعمله غير مرتهن، ودفن له فيه دفن العرب، وقطع فى التذكر له إرب كل أرب، ودرس فى القبور الدوارس، وغيب مكانه فيما ظهر (١٢) فى الليالى الـدوامس. وسبيل كل واقف على هذا الكتاب وهو الحجة على من وقف عليه أو بلغه خبره أو سمعـه أو

---

(١) ما بين الحاصرتين من، التعريف، ص٢١٠؛ التثقيف، ص١٧٨؛ صبح، ج١٣، ص٣٥٣.

(٢) منها عن: التعريف، نفسه؛ التثقيف، ص١٧٩؛ صبح، نفسه.

(٣) ما بين الحاصرتين من، التعريف، نفسه؛ التثقيف، نفسه.

(٤) الله تعالى: صبح، نفسه.

(٥) يتعقب: صبح، نفسه.

(٦) متعقب: صبح، نفسه.

(٧) الدفين: صبح، نفسه.

(٨) ولا: التعريف، نفسه؛ التثقيف، نفسه؛ صبح، نفسه.

(٩) ما بين الحاصرتين من، التثقيف، نفسه؛ صبح، نفسه.

(١٠) مذنب: التعريف، نفسه؛ التثقيف، نفسه؛ صبح، نفسه.

(١١) ساقطة من، التعريف، نفسه؛ التثقيف، نفسه؛ صبح، ج١٣، ص٣٥٤.

(١٢) طمر: التعريف، نفسه؛ التثقيف، نفسه؛ صبح، نفسه؛ وفى إحدى نسخ التثقيف كالثغر، هـ ٦.

وضع [1] له أثره أن يتناسى هذه الوقائع ويتخذها فيما تضمنته الأرض من الودائع، ولا يـــذكر منها إلا ما اقتضاه حلمنا الذى يؤمن معه التلف، وعفونا الذى شمل، وعفى الله عما سلف ".

قلت: لم يذكر فى التثقيف قطع الورق لكتابته، ولعله أن يكتب لكل أحد فى قطـــع ورق يكتب فيه مكاتبته قياساً على ما تقدم من كتابة الأمان.

(١) وضح: التعريف، ص٢١١؛ التثقيف، نفسه؛ صبح، نفسه.

الباب الرابع

فيما يكتب فى عقد الذمة

ورتبته دون الأمان بالنسبة إلى الإمام، قال الغزالى: ومعناه عبارة عن التزام تقريرهم فى ديارنا، وحمايتهم والذب عنهم ببذل الجزية والاستسلام [١] من جهتهم. وأصل ذلك قوله تعالى ﴿ قَـٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَـٰبَ حَتَّىٰ يُعْطُواْ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَـٰغِرُونَ ﴾ [٢].

وما ورد أن النبى صلى الله عليه وسلم حين وجه معاذ إلى اليمن، قال له: إنك سترد على قوم معظمهم أهل كتاب، فأعرض عليهم الإسلام، فإن امتنعوا فأعرض عليهم الجزية، وخذ من كل حاكم [٣] ديناراً، فإن امتنعوا فاقتلهم.

وقرر عمر رضى الله عنه نصارى الشام بأماكنهم [٤] على شروط اشترطوها فى كتاب كتبوا به إليه مع زيادة زادها على ما ذكره الحافظ فى " الزبد [٣١٧ ب] المجموعة ": ويختص عقد الذمة بالإمام أو نائبه، ويشترط فى المعقود له التكليف والذكورة والحرية [فلا تعقد لصبى ولا مجنون ولا امرأة ولا عبد] [٥] بل يكونون تبعاً، وفى الشيخ الكبير والمخرف [٦]، والأصح الصحة.

ولابد فى المعقود له من أن يكون زاعم التمسك بكتاب، ولا يعقد لزنديق ولا عابد وثن، ولا من يعبد الملائكة ولا الكواكب، ولابد من قبوله للعقد ولو طلبها طالب من الإمام وجبت إجابته، وصيغتها ما يدل على التقرير أو معناه كأمر ربكم، أو أذنت لكم فى الإقامة، وتعتبر فى مدتها أن تكون مطلقة بأن لا تعقد بانتهاء أو بما شاء المعقود له من المدة، ولا تجوز إضافته إلى مشيئة الإمام بخلاف الهدنة كما سيأتى ويقرون فى كل مكان ما عدا الحجاز وقراه، ويمنعون من

---

(١) الإسلام: صبح، ج١٣، ص٣٥٦، وما كتب فى الثغر أصوب فى المعنى، لأنهم إذا بذلوا الإسلام لم يكن هناك ما يضير، ولكن إقرار الاستسلام بالجزية هو الأوقع.

(٢) التوبة، الآية ٢٩.

(٣) الصواب: حالم، صبح، ج١٣، ص٣٥٧.

(٤) بإيالتهم: صبح، نفسه.

(٥) ما بين الحاصرتين من، صبح، ج١٣، ص٣٦٠.

(٦) الزمن: صبح، ج١٣، ص٣٦١.

ركوب بحره بخلاف ركوبه للسفر، فلو تعدى أحدهم ودخل ومات فى الحرم نبش وأخرج ولو تقطع جمعت عظامه على ما يدل عليه نص الشافعى فى الأم: وإذا عقد لهم عقد الذمة ينبغى أن تطلب أسماؤهم وذمتهم وحلاهم، وينصب على كل جمع عريفاً، ولاضمان على من دخل دار أحد منهم فأراق خمره وإن كان متعدياً بالدخول، وأوجب أبى حنيفة غليه الضمان.

وأما ما يطلب منهم مع الجزية وهو الضيافة لمن يمر بهم، وأن لا يزيد على ثلاثة أيام، وعد الضيفان رجالاً وفرساناً، والانقياد إلى الأحكام الشرعية، وأن لا يركبون الخيل، ويركبون الحمير بالاكف عرضاً، والصحيح جواز ركوبهم البغال النفيسة، ويتركون للمسلمين صدر المجلس وصدر الطريق، ويمنعون من حمل السلاح، ويتميزون فى اللباس بأن يخلطوا فى ثيابهم الظاهرة ما يخالف لونها سواء الرجال والنساء، والأولى باليهود الأصفر، وبالنصارى الأزرق أو الرمادى، وبالمجوس الأسود والأحمر، وقد جعلوا ذلك عمائمهم كما هو معروف، ويشد الرجال منهم الزنار غير الحرير فى وسطه [٣١٨ أ] وتشد المرأة تحت إزارها وقيل فوقه، ويميزون ملابسهم عن المسلمين، وتغاير المرأة بين خفيها بأن يكون أحدهم أبيض، والآخر أسود، ويجعل فى عنقه فى الحمام طحلاً [١] أو خاتماً من حديد.

ويؤمرون بجز نواصيهم ويمنعون من إرسال الضفائر كما يفعل الأشراف، ولهم لبس الحرير والعمامة والطيلسان، ولا يرفعون بناياهم على جيرانهم المسلمين ولا يساوونه ولو كانوا فى غاية الانخفاض ولو رضى الجار فإن الحق للدين لا له. ولو أشترى شيئاً [٢] عالياً بقى على حاله، فلو الهدم ليس له إعادة الرفع، ولو رفع بناه فى محلة منفصلة.

وألا يحدثون كنيسة ولا بيعة ولا ديراً، وأن يمنعون النساء من التشبه بنساء المسلمين، وأن يلزموا زيهم حيث كانوا، والمرأة البارجة من النصارى يلبسن الإزار الأزرق، واليهودية الأصفر، ويطلب منهم أن لا يجددوا ما خرب من كنيسة أو بيعة أو دير، وأن لا يحيوا ما كان منها فى خطط المسلمين، ولا يمنعون كنائسهم ومنازلهم أن يأووا إليها المسلمون، ولا يأووا جاسوساً، ولا يعلمون أولادهم القرآن، ولا يظهرون شركاً، ولا يمنعون من أراد من أقاربهم

(١) الصواب: جلجلاً: صبح، ج١٣، ص٣٦٤؛ والجلجل هو الجرس الصغير، لسان العرب، ج١١، ص١٢٢، لأن الطحل يطلق على المريض بداء الطحال، أو اللون الرمادى، ولا يوجد فى معناه ما يدل على كونه علامة فى لباس أهل الذمة. انظر معانى الطحل لسان العرب، ج١١، ص٣٩٩.

(٢) بناء: صبح، نفسه.

الدخول فى الإسلام، وأن يوقروا المسلمين ويقوموا لهم فى مجالسهم إذا أرادوا الجلوس، ولا يركبوا السروج، ولا يتقلدوا السيوف، ولا ينقشوا على خواتمهم بالعربية، ولا يبيعوا الخمور، وأن يجزوا مقادم رءوسهم، ولا يظهروا الصليب على كنائسهم .... (١) فى شىء من طرق المسلمين ولا أسواقهم، ولا يضربوا نواقيسهم إلا خفية، ولا يرفعون أصواقم بالقراءة فى كنائسهم ولا فى شيء من طرق المسلمين ولا يخرجوا شعانينا (٢) ولا ناقوساً، ولا يرفعون أصواقم مع موتاهم، ولا يظهروا النيران معهم فى شىء من طرق المسلمين، ولا يجاوروهم بموتاهم، ولا يتخذوا من الرقيق ما تجر عليه سهام المسلمين، ولا يطلعوا عليهم فى منازلهم.

وينتقض عهدهم بقتال المسلمين، ومنع الجزية، والزنا بمسلمة [٣١٨ ب]، والاطلاع على عورات المسلمين وإنهاؤها لأهل الحرب، وإيواء جاسوسهم (٣)، وقطع الطريق، وقتل مسلم وقذفه وسب نبى جهراً، وطعن فى الإسلام والقرآن إن شرط عليهم الانتقاض به. أما إذا ظهر خمراً أو خنزيراً أو ناقوساً أو كتابة أو جنازة أو سقى مسلم خمراً، فإنه يعزر.

تنبيه: ربما خرج أهل الذمة من لوازم [عقد الذمة] (٤)، وأظهروا التميز وعلو الشأو ونحو ذلك، فيكتب بذلك كتاباً ويبعث إلى الآفاق بالنقض منهم، وحط قدرهم، ورفعة الإسلام وتشريف قدره. كما قيل إن المتوكل على الله حين حج سمع رجلاً يدعو عليه فهم بقتله فقال: والله ما قلت ما قلت إلا وأيقنت بالموت فاسمع مقالى ثم امر بقتلى. فقال: قل. فشكى إليه استطالة الكُتاب أهل الذمة على المسلمين فى كلام طويل، فصغى له واستنصحه وشكر عزمه، وخرج أمر أمير المؤمنين بأن يلبس النصارى واليهود ثياب العسلى، ولا يمكنوا من لبس البياض، وأن تكون ركبهم خشباً، وأن تهدم بيعهم المستجدة، وأن يطلق عليهم الجزية، ولا يدخلوا حمام المسلمين، وأن تفرد لهم حمامات خدمها ذميون، ولا يستخدموا مسلماً فى حوائجهم لنفوسهم، وقرر لهم من يحتسب عليهم، وتقدم على نحو من ذلك فى قسم التاريخ.

أما قطع الورق الذى يكتب فيه عقد أهل الذمة (٥)

(١) بياض فى الأصل.

(٢) أى يسبحون. القلقشندي: صبح، ج٢، ص٤١٥.

(٣) جاسوس: صبح، ج١٣، ص٣٦٥.

(٤) ما بين الحاصرتين من، صبح، ج١٣، ص٣٦٦.

(٥) إلى هنا انقطع تسلسل الكلام، وتلاه بياض فى الأصل.

الباب الخامس

فى الهدن الواقعة بين ملوك الإسلام وملوك الكفر

وفيه فصلان:

الفصل الأول

فى أصول يتعين على الكاتب معرفتها

والمهادنة [لغة المسامحة] [١]، وتسمى الموادعة، وتسمى المسالمة، وتسمى المقاضاة، وتسمى المواصفة. وشرعاً هو صلح يقع بين زعيمين فى قدر [٢] معلوم بشروط، وقد تقع بين ملكين مسلمين متساويين أو متقاربين، ولكل مقام منهم مقال، والكاتب الماهر يؤتى كل مقام حقه، ويعطى كل فضل مستحقه.

وأصله قوله تعالى ﴿ وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلْمِ [٣١٩ أ] فَاجْنَحْ لَهَا ﴾ [٣]، والبخارى فيما روينا [٤] ومن طريق البراء بن عازب قال: اعتمر النبى صلى الله عليه وسلم فى ذى القعدة، فأبى أهل مكة أن يدعوه يدخل مكة حتى قاضاهم على أن يقيم ثلاثة أيام، فلما كتبوا الكتاب كتبوا " هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله " فقالوا لا نقر بها لو نعلم أنك رسول الله ما منعناك، ولكن أنت محمد بن عبد الله، قال: أنا رسول الله، وأنا محمد بن عبد الله، ثم قال لعلى: امح رسول الله، فقال لا والله لا أمحوك أبداً، فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم الكتاب فكتب "هذا ما قاضى محمد بن عبد الله لا يدخل مكة ثلاثاً إلا فى القراب، وأن لا يخرج من أهلها بأحد إن أراد أن يتبعه، وأن لا يمنع أحداً من أصحابه أراد أن يقيم بها " فلما دخلها ومضى الأجل أتوا علياً فقالوا: قل لصاحبك اخرج عنا فقد مضى الأجل، فخرج النبى صلى الله عليه وسلم، وقد تكرر فى البخارى بأقسط من ذلك.

ولها أربع شروط:

---

(١) الصواب: فى اللغة المصالحة، صبح، ج١٤، ص٢.

(٢) زمن: صبح، ج١٤ص٣.

(٣) الأنفال، الآية ٦١.

(٤) رواية الحديث بطريقة أخرى، انظر: صبح، ج١٤، ص٤ ـــ ٦.

الأول: إن كان للمعقود عليه إقليماً كالهند والروم، أو مهادنة الكفار مطلقاً فلا يصح عقده إلا بالإمام أو نائبه القائم عنه، وإن كان على الأطراف والقرب فلآحاد الولاة.

الثانى: أن تكون فيه مصلحة المسلمين.

الثالث: أن لا يكون فى العقد شرط يأباه الإسلام، ويجوز بذل المال عند الخوف، ويجوز رد الرجل المسلم وقيل لا يجوز، والمرأة الكافرة لا الأمير المسلم المتقلب.

الرابع: أن لا تزيد الهدنة عن أربعة أشهر، ولا يجوز أن تبلغ سنة بحالة، وفيما دون السنة وفوق أربعة أشهر قولان أصحهما لا يجوز. أما إذا كان فى المسلمين ضعف فتجوز المهادنة إلى عشر سنين، فقد هادن النبى صلى الله عليه وسلم أهل مكة عشر سنين، ولا يجوز الزيادة عليها على الصحيح، فلو أطلق المدة فعند الشافعى رضى الله عنه أنها فاسدة، وقيل إن كانت فى حال الضعف حمل على العشر، وإلا حملت على أربعة أشهر، وقيل على ما يقارب السنة، فلو صرح بالشهادة على القدر الحائر فى حال القوة والضعف صح فى القدر المعتبر وبطل فى الزايد. وقال الفورانى [1]: وعشرة فإن أحتيج للزيادة عقد عشراً [٣١٩ ب] ثم عشراً ثم عشراً، وذهب مالك إلى أنها برأى الإمام كما يقول فى الجزية.

وأما الشروط العادية التى يقع الاتفاق عليها بين الملوك فى كتابة الهدن ما يشترطه كل منهما أو أحدهما خلا ما تقدم، فليس لها حصر ولا ضابط بل بحسب الضرورة والحالة الداعية إلى ذلك، فمنها أن يشترط أن يكون لوليه موالياً، ولعدوه معادياً، ولمسالمه مسالماً، ولمحاربه محارباً، ولا يواطئ عليه عدواً، ولا يوقع معه عليه صلحاً، ولا يوافق على من يقدح فى أمره، ولا يقبل سؤال سائل، ولا بذل باذل، ولا مراسلة مراسل فيما يخالف الاتفاق، والأخذ على يد من سعى فى نقض الصلح بالكفار إن كان مطيعاً له أو بالقتال إن كان مخالفاً له، وإذا كان أحد من أهل مملكته جنى جناية كان عليه إحضاره والأخذ منه بالجناية.

ومنها أن يشترط أن يكف عن بلاده وأعماله ومتطرف ثغوره وشاسع نواحيه أيدى الداخلين فى جماعته والمنضمين إلى حوزته، ولا يجهز لها جيشاً [ولا يخادع لها عدواً] [2]، ولا

---

(١) هو أحد فقهاء الشافعية الكبار فهو أبو القاسم عبد الرحمن بن محمدبن فوران المرزوى، توفى عام ٤٦١ هـ. الذهبى: سير أعلام النبلاء، ج١٨، ص٢٦٤.

(٢) الصواب: ولا يحاول لها غزواً، صبح، ج١٤، ص٩.

يبدأ أهلها بمنازعة، ولا يشرع له [١] فى مقارعة، ولا يتناوبهم بمكيدة ظـاهرة ولا باطنـة، ولا يقابلهم [٢] بأذية جلية ولا خفية، ولا يطلق لأحد منهم [٣] ينوب عنه فى إمارة جيش ومن ينسب إلى جملته ويتصرف على إرادته عناناً إلى شيء من ذلك بوجه من الوجـوه ولا بسـبب مـن الأسباب، وأن لا يجاوز حدود مملكته إلى المملكة الأخرى بنفسه ولا بعسكره.

ومنها أن يشترط أن يفرج عمن هو فى حوزته ممن أحاطته ربقة الأسر، وتمكينـهم مـن المسير إلى بلادهم بأنفسهم وخدمهم وعيلتهم [٤] وأتباعهم وأصـناف أمـوالهم فى أتم حراسـة وأكمل خفارة دون كلفة ولا مؤونة تلحقهم على إطلاقهم.

ومنها أن يشترط مالاً يحمله إليه فى كل سنة، أو أن يسلم إليه ما يختاره مـن حصـون وقلاع وأطراف وسواحل مما وقع الاستيلاء عليه من بلاد المسلمين أو أحب انتزاعه واستضافته من بلاد من يهادنه من ملوك الكفر، وأن يبقى من يهادن أهلها ويقرر فيها بحرمهم وأولادهـم ومواشيهم وأزوادهم وأرواحهم وسلاحهم وآلاتهم دون أن يلتمس عن ذلك أو عن شيء منـه مالاً ولا بدلا. [٣٢٠ أ]

ومنها أن يشترط عدم التعرض لتجار مملكته والمسافرين من رعيته براً وبحراً بنوع مـن أنواع الأذية والضرر فى أنفسهم ولا فى أموالهم، والمجاورين ركوب البحـر علـيهم ركـوب المراكب الحربية التى لا يعتاد التجار ركوب مثلها.

ومنها أن يشترط إمضاء ما وقعت عليه المعاهدة، وأن لا يرجع عن ذلك ولا عن شـيء منه، ولا يؤخر شيئاً عن الوقت الذى قرره [٥]، وأنه إذا بقى من مدة الهدنة مدة قريبة مما يحتاج إلى التعبيء فيه أن يعلمه بما يريده من مهادنة أو غيرها.

ومنها أنه إذا انقضى مدة الهدنة على إحدى الطائفتين وهو فى بلاد الآخرين أن يكون له الأمن حتى يلحق بمأمنه.

---

(١) لهم: صبح، نفسه.

(٢) يعاملهم: صبح، نفسه.

(٣) الصواب: ممن، صبح، نفسه.

(٤) الصواب: عيالهم، صبح، ج١٤، ص١٠.

(٥) فى صبح بياض استنتج منه محققوه أن تكون تكملة العبارة " الذى اتفق عليه "، انظر: ج١٤، ص١٠ هـ١.

ومنها أن يلزم الكاتب فى الهدنة تحرير أوضاعها وترتيب قوانينها وأحكام تعاقدها وذلك باعتماد أمور منها أن يكتب الهدنة فيما يناسب الملك الذى تجرى الهدنة بينه وبين ملكنا.

مهمة: ينبغى أن يراعى فى قطع الورق الذى تكتب فيه الهدنة مقدار قطع ورق مكاتبة المهادن، وأن يأتى فى ابتدائها ببراعة الاستهلال إما بذكر تحسين موقع الصلح والندب إليه ويمن عاقبته، أو بذكر السلطان الذى يذكر عنه الهدنة أو السلطانين المتهادنين، أو الأمر الذى ترتب عليه الصلح ونحو ذلك. وأن يأتى بعد التصدير بمقدمة يذكر فيها السبب الذى أوجب الهدنة ودعا إلى قبول الموادعة، فإن كانت مع أهل الكفر احتج للإجابة إليها بالائتمار بأمر القرآن والانقياد إليه، وما وردت به السنة من مصالحة قريشاً، وذكر ما يصلح من آيات الصلح وأحاديثه وما جرى عليه الخلفاء الراشدون، وكفهم عن القتال وقوفاً عند ما حد لهم، وأنه لولا ذلك لشرعوا الأسنة إلى مخالفيهم فى الدين، وركضوا [الجياد إلى جهاد من يليهم من الملحدين][1]، وإن كان من المسلمين احتج بقوله تعالى ﴿ وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤمِنِينَ ﴾ [2] الآية، وأحاديث [التحذير] [3] من تقاتل المسلمين.

تنبيه: ينبغى للكاتب أن يراعى فى تبجيل المتهادنين أو أحدهما بحسب الحال، ووصف كل منهما باللائق به [٣٢٠ ب]، فإن كانا متكافئين سوى بينهما، وجرى بينهما فى الشدة واللين على حد واحد، إلا أن يكون أحدهما أسن فيراعى ما يجب له مع [4] الحدث من التأدب معه ويراعى الحدث ما يجب له على الكبير من الحنو والشفقة. وإن كانت من قوى لضعيف أخذ فى الاشتداد آتياً بما يدل على [العلو فى الكلام] [5]، وانبساط القدرة، وحصول النصرة، واستتمام [6] العدد، واستكمال العدد، وظهور الأيد، ووفور الحمية [7]، وقصور الملوك عن المطاولة، وعجزهم عن المحاولة لا سيما إذا كان القوى مسلماً، فإنه يكثر من ذلك، وذكر ما

---

(١) بياض فى الأصل، وما بين الحاصرتين من، صبح، ج١٤، ص١٢.

(٢) الحجرات، الآية ٩.

(٣) بياض فى الأصل، وما بين الحاصرتين من، صبح، نفسه.

(٤) على: صبح، نفسه.

(٥) علو الكلمة: صبح، ج١٤، ص١٢.

(٦) استكمال: صبح، نفسه.

(٧) الجند: صبح، ج١٤، ص١٣.

للإسلام من المعونة [١] وما توالى له من النصرة، وذكر الوقائع التى كانت [فيها] [٢] نصرة المسلمين فى المواطن المشهورة والأماكن المعروفة. وإن كانت من ضعيف لقوى، أخذ فى الملاينة بحسب الحال مع إظهار الجلادة،وتماسك القوة خصوصاً إذا كان القوى كافراً، وإن شرط له مالاً عند ضعف المسلمين أتى فى كلامه بما يقتضى أن ذلك رغبة فى الصلح المأمور به لا عن خور طباع وضعف قوة إذ قال عز وجل ﴿ فَلَا تَهِنُوا۟ وَتَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّلْمِ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ وَٱللَّهُ مَعَكُمْ ﴾ [٣].

ومنها أن يتحفظ من سقط يدخل على الشريعة نقيصة إن كانت مع كفار، أو يجر إلى سلطانه [وهيصة إن كانت] [٤] بين مسلمين، ويحذر من تطرق خلل إليه من إهمال شيء من الشروط أو ذكر شرط فيه خلل على الإسلام أو ضرر على السلطان أو لفظ مشترك أو معنى مشتبه [٥] يوجب التأول، أو يأخذ المأخذ الواضح الذى لا يتطرق [٦] إليه معارضة ولا متناقضة ولا تأويل. وأن يبين أن الهدنة وقعت بعد استخارة الله تعالى وتروية النظر فى ذلك، وظهور الخير فيه، ومشاورة ذوى الرأى وأهل العقل [٧] وموافقتهم على ذلك، وأن تعين هذه الهدنة. قال فى التعريف: [وجرت العادة أن يحسبوا] [٨] مدة سنين شمسية، ويحرر حسابها بالقمرية، ويذكر سنين وأشهر [وأياماً] [٩] وساعات حتى يستوفى [١٠] السنين الشمسية المهادن عليها. أما بين المسلمين فلا يشترط ذلك، بل ربما قالوا أن ذلك جار لازم للأبد وفى الولد وولد الولد.

---

(١) العزة: صبح، نفسه.

(٢) ما بين الحاصرتين من، صبح، نفسه.

(٣) محمد، الآية ٣٥.

(٤) بياض فى الأصل، وما بين الحاصرتين من، صبح، نفسه.

(٥) ملتبس: صبح، نفسه.

(٦) تتوجه: صبح، نفسه.

(٧) الحجى: صبح، نفسه.

(٨) ولهم عادة أن يحسبوها: التعريف، ص٢١١ ــ ٢١٢؛ وقد جرت العادة أن يحسبوها: صبح، ج١٤، ص١٤.

(٩) ما بين الحاصرتين من، التعريف، ص٢١٢؛ صبح، ج١٤، ص١٤.

(١٠) يستكمل: التعريف، نفسه.

وأن يبين أن الهدنة وقعت بين ملكين نفسهما أو نائبهما أو أحدهما وبنائب الآخر، ويستوفى ما يحسب لكل قيمة منها، فإن كانت بين الملكين نفسهما ذُكر ما أُخذ عليهما من العهود والمواثيق والأيمان الصادرة من كل منهما، وذكر ما وقع من الإشهاد بذلك عليهما، وما جرى من ثبوت حكمه إن جرى فيه ثبوت، وإن كان من الملك ونائب الآخر بين ذلك ويعرض بذكر السبب فى ذلك من حضور كتاب من الملك الغائب بتفويض الأمر فى ذلك إلى نائبه، وأنه وصل على يده أو يد غيره، والإشارة إلى أنه معنون بعنوان مختوم بختمه المتعارف عنه، أو وكالة عنه، والتعرض إلى قيام البينة فيها وثبوتها بمجلس الحكم العزيز ونحو ذلك من المستندات. فإن كانت بين نائبين بين ذلك، وذلك مستند كل نائب منهما، ويعرض إلى أن النائب قام فيه باختياره وطواعيته لا عن إكراه ولا إجبار ولا قهر [1] ولا غلبة، بل لما رأى لنفسه ولمستنيبه فى ذلك من الحظ والمصلحة، وأن كتاب الهدنة قرىء عليه وبين له فصلاً فصلاً، أو ترجم لسه بموثوق به إذا كان لا يعرف العربية.

وأن يتعرض إلى ما يجرى من التحليف فى أخرها على الوفاء وعدم النكث والإخلال بشيء من الشروط، والخروج عن شيء من الالتزامات، أو محاولة التأويل فى شيء منه، أو السعي فى نقضه ونحو ذلك. فإن كانت من ملكين يعرض إلى حلف كل منهما على التوفية بذلك، وأن يحرر أمر التاريخ بالعربى، وما يورخ به فى ملكه الملك المهادن من السريانى أو الرومى أو غيرهما، وأن يقع الإشهاد على كل من المتعاقدين بذلك. وجرت العادة أنه يشهد على كل ملك جماعة من أهل دولته ليقضى على ملكه بقوله وإن كان مخالفاً فى الدين.

وقد ثبت أن النبى صلى الله عليه وسلم أشهد على مصالحته مع قريش رجالاً من المسلمين ورجالاً مشركين [2]، وأن [٣٢١ ب] يطلب النائب عن الملك الغائب إحضار نسخة مهادنة من جهة مستنيبه على ما وقع به العقد مشمولة بخطه شهدوا عليه فيها بأهل

---

(١) قسر: صبح، نفسه.

(٢) لقد كان صلح الحديبية فى العام السادس من الهجرة، وقد شهد عليه جماعة من المسلمين والمشركين منهم أبو بكر، وعمر، وعبد الرحمن بن عوف، ومن المشركين مكرز بن حفص بن الأخيف. الطبرى: تاريخ الرسل، ج٢، ص٤٦٥.

مملكته، أو كتاب يستشهد عليه بإلزامها، أو يجهز إليه نسخة يكتب عليها خطه، ويشهد عليـه فيها أهل مملكته، والغالب للناس الاكتفاء بالترسل [1] فى ذلك.

الفصل الثانى

صورة ما يكتب فى المهادنات

وقد جرت العادة أن تفتتح الطرة بلفظ " هذا عقد صلح " أو " هـذه موادعـة " أو " مواصفة " أو " هذا كتاب هدنة "، وربما حذف لفظ " هذا " وقيل " كتاب هدنة " أو " كتاب" أو " عقد مصالحة ".

وهذه طرة من إنشاء الشيخ شهاب الدين القلقشندي رحمه الله:

" هذا عقد صلح انتظمت به عقود المصالح، وأنضجت [2] بواسـطته سـبيل المنـاجح، وتحدثت بحسن مقدمته الغادى، وترنم بيمن نتيجته الرائح، عاقد عليه السلطان فلان الدين فلان القائم فى عقد هذا الصلح عن مرسله فلان حسب ما فوض إليه الأمر فى ذلك فى كتابه الواصل على يده المؤرخ بكذا المعنون بعنوانه المختوم بطابعه المتعارف عنه، على أن يكون الأمر كذا — ويشرح ما يقع من الشروط المتفق عليها، ثم يقال — على ما شرح فيه ".

وأما المتن، فهو نوعان:

[النوع] الأول

ما تكون الهدنة فيه من جانب واحد

إما لا على مال، بل يكون الملكين متكافئان، أو على مال [3]، ولكتاب الإنشـاء فيـه مذهبان:

---

(١) بالرسل: صبح، ج١٤، ص١٥.

(٢) وانتسقت: صبح، ج١٤، ص١٦.

(٣) لقد كانت الجملة مضطربة أيضاً فى صبح، العرف الناسم، وقد حاول محققو صبح تعديل الجملة لكى تكون متسقة مع المعنى فجعلوها هكذا " بأن يكون الملكان متكافئين فيتعاقدان إما على حصن وإما على مال يعطيه الملك المعقود له الهدنة لعاقدها "، ج١٤، ص١٧.

المذهب الأول: أن يفتتح بلفظ " هذا ما هادن عليه "، أو " هذه هدنة "، أو " هذه موادعة"، أو " هذه مواصفة "، أو " هذا سلم "، أو هذا صلح ". وهذه نسخة أفردها فى التعريف[1] يكتب بها من سلطان قوى إلى سلطان ضعيف باشتراط مال فى كل سنة، وهى:

" هذا ما هادن عليه، وأجل إليه مولانا السلطان فلان خلد الله تعالى سلطانه، وشرف به زمانه، الملك فلان الفلانى، هادنه حين وردت [2] إليه [رسله] [3] وتوالت عليه كتبه وأملـه ليمهله، وسأله ليكف عنه أسله حين أبت صفاحه أن تصفح، وسماء عجاجه بالدماء [٣٢٢أ] إلا أن تسفح، فرأى سدد الله آراءه أن الصلح أصلح، وأن معاملة الله أربح، وهادن هذا الملك ـ ويسميه ـ على نفسه وأهله وولده ونسله وجميع بلاده، وكل طارقة وتالدة [4]، وماله من مدن وبلاد [5]، وجهات وأعمال، وعسكر وجنود، وجموع وحشود، ورعايا فى مملكته من المقيم والطارئ، والسائر بها والسارى، هدنة[6] أولها أول تاريخ هذه الساعة الراهنة وما يتلوها مدة كذا وكذا ـ وبحسب [7] مدة سنين شمسية فيحرر حسابها بالقمرية، ويذكر سنين وأشهر وأيام وساعات حتى يستكمل السنين الشمسية المهادن عليها ـ يحمل فيها هذا الملك فلان إلى بيت مال المسلمين، وإلى تحت يد مولانا السلطان فلان قسيم أمير المؤمنين فى هذه المدة ـ ويذكر المقرر ويحرر، ثم يقول ـ يقوم به هذا الملك من حاله [8]، وما يتكفل بمجاوبته [9] من جزية أهل

---

(١) لم يذكر القلقشندي أنه نقل هذه النسخة من التعريف، ج١٤، ص١٧.

(٢) ترددت: التعريف، ص٢١١، صبح، نفسه.

(٣) ما بين الحاصرتين من، التعريف، نفسه؛ صبح، نفسه.

(٤) تلاده: التعريف، نفسه؛ التثقيف، ص١٨٠؛ صبح، ج١٤، ص١٨؛ وفى بعض نسخ التثقيف كالثغر، ص١٨٠ هـ٨. وكلا الكلمتين تنسجم مع النص لأن تالده تعنى الشيء الدائم أو القديم، لسان العرب، ج٣، ص٩٥.وتلاده من التلاد أى المال القديم الذى يرثه المرء عن آبائه. ابن سلام: الغريب، ج٤، ص٣٠٩.

(٥) ملك ومال: التعريف، نفسه؛ التثقيف، نفسه؛ صبح، نفسه.

(٦) زاد التعريف، نفسه؛ التثقيف، ص١٨١؛ صبح، نفسه: مدها

(٧) وهم عادة أن يحسبوها: التعريف، ص٢١١ ـ ٢١٢؛ وعادهم أن حسب: التثقيف، نفسه؛ وساقطة من صبح، نفسه.

(٨) الصواب: ماله، التعريف، نفسه؛ التثقيف، نفسه؛ صبح، نفسه.

(٩) الصواب: بجبايته: التعريف، نفسه؛ صبح، نفسه؛ بمجابيه: التثقيف، نفسه.

بلاده، وخراج أعماله يقوم به ـــ ثم يذكر أقساطه ـــ قياماً لا يحوج معه إلى تكلف مطالبة، ولا إلى تناوله بيد مغالبة.

على أن يكف مولانا السلطان عنه بأس بأسائه، وخيله المطلة عليه فى صباحه ومســـائه، ويضم عن بلاده أطراف جنوده وعساكره وأتباعهم، وينه [١] من بطائهم وسراعهم، ويمنع عن بلاد هذا الملك المتاخمة لبلاده، والمزاحمة لدوافق [٢] إمداده، ويرد عنها وعما جاورها من بقية ما فى مملكته وهى كذا وكذا ـــ وتذكر ـــ أيدى النهب، ويكف الغارات، ويمنع الأذى، ويرد من نزح من رعايا هذا الملك إليه ما لم يدخل فى دين الإسلام ويشهد الشهادتين ويقـــر بـــالكلمتين المعتادتين، ويؤمن جلابة هذا الملك وتجاره المترددين من بلاده إلى بلاد الإسلام فى [٣] عـــوارض الأشغال، ولا يحصل عليه [٤] ضرر فى نفس ولا مال، وإن أخذت المتجرمة لهم [٥] مالاً أو قتـــل [٦] منهم أحداً، أمر بإنصافهم من ذلك المتجرم، وأن يؤخذ بحقهم من ذلك المجرم، وعليه مثـــل ذلك فيمن يدخل إليه من بلاد الإسلام، وأن لا يفسح لنفسه ولا لأحد [٣٢٢ ب] من جميع أهل بلاده فى إيواء مسلم متنصر، ولا يرخص لذى عمى منهم ولا متبصر. وإنه كلمـــا ورد [٧] عليه كتب مولانا السلطان فلان أو كتب نوابه أو أحد من المتعلقين بأسبابه، يسارع إلى امتثاله، والعمل به فى وقته [٨] الحاضر ولا يؤخره ولا يهمله، ولا يطرحه ولا يمهله.

---

(١) ويؤمنه: التعريف، ص٢١٢،؛ التثقيف، ص١٨١؛ صبح، ج١٤، ص١٨.

(٢) لدى وفق: التثقيف، نفسه.

(٣) من: التعريف، نفسه؛ التثقيف، نفسه.

(٤) عليهم: التعريف، نفسه؛ التثقيف، نفسه؛ صبح، نفسه.

(٥) منهم: صبح، نفسه.

(٦) قتلت: التعريف، نفسه؛ التثقيف، نفسه؛ صبح، نفسه.

(٧) وردت: التعريف، نفسه؛ التثقيف، نفسه؛ صبح، ج١٤، ص١٩.

(٨) الوقت: التثقيف، ص١٨٢.

وعليه أن لا يكون عيناً [١] للكفار[٢] على بلاد الإسلام وإن دنت به أو بعدت الدار، ولا يواطىء على مولانا السلطان فلان أعداءه[٣]، وأن يلزم [٤] ما يلزمه من المسألة [٥] بالمسكنة، ويفعل ما يكف [٦] به عن [٧] [الأسنة وما أشبهها من] [٨] الألسنة، وعليه أن ينهى ما يتجدد عنده من أخبار الأعداء ولو كانوا من أهل ملته، وينبه على سوء مقاصدهم [٩]، ويعرف بما سمعه[١٠] من أحوال ما هم عليه.

وهذه هدنة تم عليها الصلح إلى منتهى الأجل المعين فيه ما استمسك بشروطها، وقام بحقوقها، ووقف عند حدها الملتزم [به] [١١]، وصرف إليها عنان اجتهاده، وبنى عليها قواعد وفائه، وصان من التكدير فيها سرائر صفائه، سأل هو فى هذه الهدنة المقرة، وأجابه مولانا السلطان إليها على شروطها المحررة، وشهد به الحضور فى المملكتين، وتضمنته هذه الهدنة المسطرة، وبالله التوفيق ". ويؤرخ بالعربي وبالسرياني.

---

(١) عوناً: التعريف، ص٢١٢.

(٢) للكافر: التثقيف، ص١٨٢.

(٣) فى التعريف والتثقيف أتبعا هذه الكلمة بجملة " وأولهم التتار "، وهى ساقطة فى صبح أيضاً وأضافها محققوه من التعريف، ولكنهم لم يفطنوا أن القلقشندي قد علق على هذه الجملة بعدها بقليل بما يفهم منه أنه تركها عمداً لا سهواً فقال " قلت: الظاهر أنه كان يكتب بهذه النسخة عن صاحب الديار المصرية والممالك الشامية لمتملك سيس، فإن فى خلال كلام المقر الشهابي بعد قوله: ولا يواطىء على مولانا السلطان فلان أعداءه وأولهم التتار. وقد تقدم فى الكلام على الممالك أن متملك سيس كان يمالئ التتار، ويميل إليهم، ويساعدهم فى حرب المسلمين، ويكثر فى سوادهم ". انظر: التعريف، ص٢١٣؛ التثقيف، نفسه؛ صبح، ج١٤، ص١٩ ــ ٢٠.

(٤) يلتزم: التعريف، نفسه؛ التثقيف، نفسه؛ صبح، ج١٤، ص١٩.

(٥) المسكة: التعريف، نفسه؛ التثقيف، نفسه؛ صبح، نفسه.

(٦) تسكت: التعريف، نفسه؛ التثقيف، نفسه؛ صبح، نفسه.

(٧) عنه به: التعريف، نفسه؛ التثقيف، نفسه؛ صبح، نفسه.

(٨) ما بين الحاصرتين من، التعريف، نفسه؛ التثقيف، نفسه؛ صبح، نفسه.

(٩) مقاصده: التثقيف، نفسه.

(١٠) ما يهم سماعه: التعريف، نفسه؛ التثقيف، نفسه؛ صبح، نفسه.

(١١) ما بين الحاصرتين من، التعريف، نفسه؛ التثقيف، نفسه؛ والجملة حدها الملتزم به ساقطة من صبح، نفسه.

وهذه نسخة هدنة من ملك ضعيف إلى ملك قوى، كتب بها عبد الله بن [الجنان] (١) أحد كتّاب الأندلس عن بعض ملوك الأندلس من المسلمين (٢) وهى:

" هذا عقدنا بعد استخارة الله تعالى واسترشاده واستعانته واستنجاده نيابة عن الإشارة(٣) العلية، بحكم استنادنا إلى أوامرها العالية، وآرائها الهادية، عقدنا وبالله التوفيق (٤)، لقشتالة مع فلان النائب فى عقده معنا، عن مرسله إلينا الملك الأجل فلان، حين وصل لنا من قبله كتاب مختوم بطابعه المعلوم المتعارف عنه، تفويضاً منه إليه فى كل ما يعقد له وعليه، وعاقدنا على أن يكون السلام بيننا وبين مرسله المذكور لعامين اثنين، أولها كذا على جميع ما تحت نظرنا الآن من البلاد وهى كذا حافظاً عليها من الجهتين، محفوظاً عقدها (٥) عند أهل [٣٢٣ أ] الملتين، لا غدر فيها ولا إخلال فى معنى من معانيها، ولا تشن فيها (٦) غارة، ولا تذعر سيارة، ومهما وقع أغوار أو حدث إضرار (٧) على جهة المجاهرة، أو التغلب (٨) والمساترة، فإن كان من جهة النصارى فعلى ملك قشتالة تسريح الأسارى، ورد الغنائم والنهب، والإنصاف، وعلينا مثل

---

(١) بياض فى أصول صبح الأعشى، ج١٤، ص٢٤ هـ١. وأبو عبد الله الجنان هو محمد بن محمد بن أحمد الأنصارى من أهل مرسية بالأندلس، كان عالماً ومحدثاً وأديباً بارعاً، خرج من مرسية بعد إستيلاء القشتاليين عليها عام ٦٤٠ هـ، وذهب إلى بجاية ببلاد المغرب، توفى بعد عام ٦٥٠ هـ. المقرى: نفح الطيب، ج٧، ص٤١٦.

(٢) كتب القلقشندي فقال " عن بعض ملوك الأندلس من المسلمين من أتباع المهدى بن تومرت القائم بدعوة الموحدين مع دون فرانده صاحب قشتالة من ملوك الفرنج بعقد الصلح على مرسية من بلاد الأندلس " صبح، نفسه.

ولقد كانت هذه المهادنة أو المعاهدة بين بهاء الدولة محمد بن هود وبين فرناندو الثالث ملك قشتالة عام ٦٤٠ هـ، وتسمى اتفاقية أو معاهدة " الكرس "، وتسمح بإقامة حامية قشتالية مع دفع جزية سنوية لقشتالة، وتقديم كافة التسهيلات التجارية لها. محمد أبو الفضل إبراهيم: شرق الأندلس فى العصر الإسلامي، الإسكندرية ١٩٩٦، ص٢١٥.

(٣) الإمارة: صبح، نفسه.

(٤) الله الموفق: صبح، نفسه.

(٥) عهدها: صبح، ج١٤، ص٢٥.

(٦) مدها: صبح، نفسه.

(٧) أقدار: صبح، نفسه.

(٨) إذا اتصلت: صبح، نفسه.

ذلك سواء، هذا [ليقابل بالوفاء، هذا بعد أن يتبع الأمر ويعلم من أين كان] [١]، ومن هـــذه المهادنة أن لا يتسبب إلى الحصون بالغدر ولا بالشر، ولا يتجاوز النصـــارى حـــدود بلادهـــم وأرضهم بشيء من البناء، ولا يصل من بلد قشتالة مدد لمخالفنا، ولا معونة لمعاملينا [٢]، وكل ما يرجع [إلى المدعو المريد به] [٣]، ويدخل للطاعة [٤] من البلاد بعد هذا العقد فداخل للسلم بزيادة نسبته من المال الذى هو شرط فى صحة هذا الحكم، وإذا بقى من مدة هـــذه المســـالمة شهران فعلى ملك قشتالة أن يعلمنا بعزمه فى المهادنة أو سواها [إعلاماً من مـــذاهب الوفـــاء أوفاها] [٥]، وقد التزم رسول المذكور لنا بهذه الشروط، وأحكم معنا ــ بنيابة عنه فيهـــا ــ العقود والربوط، وعلى كل ما ذكرناه إلزاماً [٦] فى هذا السلم لملك قشتالة مكافأة عن عهده، وصحة عقده، مائة ألف دينار وأربعين ألف دينار فى كل عام مقسماً ذلك على ثلاثة أنجـــم فى العام ليتقاضاها ثقاته، ويوفى عنها عن [٧] التمام والكمال، قبض منها كذا ليوصلها إلى مرسله، والتزم له تخليص باقى الأنجم [٨] عند انقضاء كذا على أوفى وجه وأكمله، وإن وفى له بذلك بعد الأربعين يوماً المؤقتة، فالسلم ثابت [٩] وحكمها باق [١٠]، وإلا فالسلم مفسوخ [١١]، ولا حكم لها إن عجز عن الوفاء له بحصول ما بقى من النجم [١٢] شرط فى استصحاب الحكم، واتصـــال العمل، وعلى ما تضمنه هذا الكتاب.

---

(١) بياض فى الأصل، وما بين الحاصرتين من، صبح، نفسه.

(٢) لمفاتننا: صبح، ج١٤، ص٢٥.

(٣) إلى هذه الدعوة: صبح، نفسه.

(٤) فى الطاعة: صبح، نفسه.

(٥) ما بين الحاصرتين من، صبح، نفسه.

(٦) التزمنا: صبح، نفسه.

(٧) على: صبح، ج١٤، ص٢٦.

(٨) باقى كذا: صبح، نفسه.

(٩) باقية: صبح، نفسه.

(١٠) ثابت: صبح، نفسه.

(١١) مفسوخة: صبح، نفسه.

(١٢) ساقطة من، صبح، نفسه.

أمضى فلان ــ أعزه الله تعالى ــ بحكم النيابة عن الأمر العالى ــ أسماه الله تعالى ــ هذا العقد الصلحى، [والنظر المصلحى] [١]، وأشهد بما فيه على نفسه، وحضر بالمشهد طور المذكور، فترجم له هذا الكتاب، وبينت له معانيه، وقرر على مضامينه، والتزم ذلك كله عن مرسله ملك قشتالة حسب ما فوض إليه فيه، وأشهد بذلك على نفسه فى صحته وجواز أمره فى كذا، والله [٣٢٣ ب] الموفق لما يرضاه، ويقدم [٢] الخير والخيرة فيما قضاه ".

المذهب الثانى: أن يفتتح المهادنة ببعدية كما كتب أبو الربيع بن سالم [٣] من كتَّاب الأندلس فى عقد صلح على مدينته [٤] وغيرها من شرق الأندلس دون تقرر شىء من الجانبين لأنهما ملكان متكافئان، سلك بينهما سبيل التسوية فى جميع الشروط.

النوع الثانى

أن تكون الهدنة من الجانبين جميعاً

وللكتَّاب فى ذلك مذهبان [٥]:

المذهب الأول: أن يفتتحوا " بهذه هدنة " ونحوه، وصورة ما قاله فى التعريف [٦]:

" هذه هدنة استقرت بين السلطان فلان، والسلطان فلان، هادن كل واحد منهما الآخر على الوفاء عليه، وأجل له أجلاً ينتهى إليه لما اقتضته المصلحة الجامعة، وحسمت به مواد الآمال الطامعة، تأكدت بينهما أسبابها، وفتحت بهما أبوابها، وعليها [٧] عهد الله على الوفاء بشرطها، والانتهاء إلى أمدها، ومد حبل الموادعة إلى آخر مددها، ضربا لها أجلاً أوله ساعة تاريخه، وإلى نهاية المدة، وهى مدة كذا وكذا ــ ويذكر نحو ما تقدم ــ على أن كل واحد منهما يغمد بينه

(١) ساقطة من، صبح، نفسه.

(٢) مقدم: صبح، ج١٤، ص٢٦.

(٣) هو الحافظ أبو الربيع بن سالم الكلاعى أحد كتاب بلنسية وقضاتها توفى عام ٦٣٤ هـ. المقرى: نفح الطيب، ج٤، ص٤٧٣.

(٤) بلنسية: صبح، نفسه. وكان ذلك عام ٦٢١ هـ، صبح، ج١٤، ص٤٧٤.

(٥) ثلاث مذاهب:

(٦) ذكر العمري هذا النص فى المواصفات التى تتقرر بين ملكين على تقرير من الجانبين، وهذا ما فعله أيضاً ابن ناظر الجيش، انظر: التعريف، ص٢١٣ ــ ٢١٤؛ التثقيف، ص١٨٣ ــ ١٨٤.

(٧) عليهما: التعريف، ص٢١٣؛ التثقيف، ص١٨٣؛ صبح، ج١٤، ص٣٠.

وبين صاحبه سيف الحرب، ويكن [١] ما بينهما من السهام الراشقة، ويعقد [٢] الرماح الخطارة[٣]، وتقر على مرابطها الخيول [٤] المغيرة، وبلاد السلطان فلان كذا وكذا، وبلاد السلطان فلان كذا وكذا، وما فى مملكة [٥] كل منهما من الثغور والأطراف والموانئ والرساتيق والجهات والأعمال، براً وبحراً، وسهلاً وجبلاً، ونائياً ودانياً، ومن فيها من ملكها المسمى وبنيه وأهله، وأمواله وجنده، وعساكره وخاص ما يتعلق به، وسائر [٦] رعاياه على اختلاف أنواعهم، وعلى اجتماعهم وانفرادهم [٧]، البادى والحاضر، والمقيم والسائر، والتجار والسفارة، وجميع المترددين إلى [٨] سائر الناس أجمعين، على أن يكون على فلان كذا، وعلى فلان [٩] كذا — [ويعين ما يعين] [١٠] من مال وبلاد، أو مساعدة فى حرب، أو غير ذلك — يقوم بذلك لصاحبه، وينهض من حقه المقرر بواجبه، وعليهما الوفاء المؤكد المواثيق، والمحافظة على العهد، والتمسك بسببه الوثيق هدنة صحيحة صريحة قطعاً[١١] بها [٣٢٤ أ] وتصادقا عليها، وعلى ما تضمنته المواصفة [المستوعبة بينهما فيها، وأشهدا الله عليهما بمضمونها، وتواثقا على ديونها، ويشهد كل[١٢] من حضر مقام كل منهما على هذه الهدنة وما تضمنته من المواصفة] [١٣]، وجرت بينهما على [حكم] [١٤] المناصفة رأياً فيها سكون الجماح، وغض طرف الطماح،

---

(١) يكف: التعريف، نفسه؛ صبح، نفسه.

(٢) يعقل: التعريف، نفسه؛ التثقيف، نفسه؛ تعقل: صبح، نفسه.

(٣) الرمح الخاطرة: التعريف، نفسه؛ التثقيف، نفسه.

(٤) الخيل: التعريف، نفسه؛ التثقيف، نفسه؛ صبح، نفسه.

(٥) بلاد: صبح، نفسه.

(٦) سائره: صبح، نفسه.

(٧) انفرادهم واجتماعهم: التعريف، ص٢١٤؛ التثقيف، نفسه؛ صبح، نفسه.

(٨) من: صبح، نفسه.

(٩) ساقطة من صبح، وأضافها محققوه من التعريف، ج١٤، ص٣٠ هـ١.

(١٠) ساقطة من صبح، وأضافها محققوه من التعريف، ج١٤، ص٣٠ هـ١.

(١١) نطقاً: صبح، ج١٤، ص٣٠.

(١٢) وشهد: التعريف، ص٢١٤؛ التثقيف، ص١٨٣.

(١٣) ما بين الحاصرتين ساقطة من صبح، وأضافها محققوه من التعريف، ج١٤، ص٣٠ هـ١.

(١٤) ما بين الحاصرتين من، صبح، نفسه.

وعلى أن على كل منهما رعاية ما جاوره من البلاد والرعية، وحملهم فى قضاياهم على الوجوه المرضية [١]، ومن نزح من إحدى المملكتين إلى الأخرى لأعيد، وما أخذ منها باليد الغالبة [٢] استعيد، وبهذا تم الإشهاد، وقرئ على المسامع على رءوس الأشهاد ".

قلت: إن صاحب التعريف أتى بها فى المواصفات، وتبعه على ذلك صاحب التثقيف، وأورده الشيخ شهاب الدين القرقشندى فى الهدن، وتبعته على ذلك لأنها إلى الهدنة أقرب من المواصفات.

وهذه نسخة كُتبَ [٣] بمثلها بين الأشرف خليل بن قلاوون وبين دون حاكم الريد أرغون صاحب برشلونة فى صفر سنة اثنين وتسعين وستمائة وهى:

" استقرت الهدنة [٤] والمصادقة بين الملك الأشرف فلان، وحضرة الملك الجليل، المكرم، الخطير، الباسل، الأسد، الضرغام، المبجل، المفخم [٥]، دون حاكم الريدارغون وأخويه دون لذريك، ودون بيدرو، وبين صهريه فلان وفلان، الرسولان الواصلان إلى الأبواب الشريفة، عن مرسلهما الملك فلان، أن يكونا داخلين فى الهدنة والمصادقة، وأن يلزم [٦] الملك دون حاكم عنهما بكل ما التزم به عن نفسه، وبتدرك أمرهما وهما [الملك الجليل، المكرم الخطير، الباسل، الأسد، الضرغام] [٧] دون شانجة ملك [قشتالة وطليطلة وليون وبلنسية وأشبيلية وقرطبة ومرسية وجيان والغرب، الكفيل بمملكة أرغون وبرتقال، والملك الجليل دون أنفونش ملك برتقال من تاريخ] [٨] كيت وكيت، ودون أنفرنس من يوم الخميس تاسع عشر صفر سنة اثنين

---

(١) الشرعية: التعريف، نفسه؛ التثقيف، نفسه؛ صبح، نفسه.

(٢) الغاصبة: التعريف، نفسه؛ التثقيف، نفسه؛ صبح، نفسه.

(٣) فى صيغة هذه المهادنة قام صاحب الثغر ببعض التغييرات التى لا تمثل جوهراً فى نص الرسالة مثل إهمال ألقاب الرسل، وألقاب التفخيم، وذكر الملك دون حاكم باستبدال اسمه واسم أخويه وصهريه بالضمائر العائدة عليهم.

(٤) المودة: صبح، ج١٤، ص٦٣.

(٥) الفخم المبجل: صبح، نفسه.

(٦) يلتزم: صبح، نفسه.

(٧) ما بين الحاصرتين من، صبح، نفسه.

(٨) ما بين الحاصرتين من، صبح، ج١٤، ص٦٣ ــ ٦٤.

وتسعين [وستمائة] [١] الموافق لثلاث وستين من جنير سنة ألف ومائتين اثـنين وأربعـين [٢] للمسيح [٣]، وذلك بحضور رسل الملك دون حاكم، وهما [المحتشم الكبير روصوديما رمونـد الحاكم عن الملك دون حاكم فى بلنسية، ورفيقه المحتشم العمدة ديمون المان قرارى برجلونة] [٤] الواصلين بكتابه المختوم بختمه معناه أنه حملهما جميع أحوالهم ومطلوبهم، وسأل أن يصدقا فيما يقولا عنه، فكان مضمون مشافهتهما وسؤالهما تقرير مواعـد الصـلح والمـودة والصـداقة، والشروط التى يشترطها الملك الأشرف [٣٢٤ ب] على الملك دون حاكم، وإنه التزم بجميع هذه الشروط الآتى ذكرها، ويحلف عليها هـو وأخـواه وصـهره [٥]، ووضـع الرسـولان [المذكوران] [٦] خطهما بجميع الفصول الآتية فيه [٧] بأمره ومرسومه، وإنكم [٨] ملتزمون بها، وهى استقرار المودة والمصادقة من التاريخ المقدم ذكره على مر السنين والأعوام، وتعاقب الليالى والأيام، براً وبحراً، سهلاً ووعراً، بعداً وقرباً.

على أن تكون بلاد مولانا السلطان الملك الأشرف، وقلاعه، وحصونه، وثغوره، وممالكه وموانى بلاده وسواحلها وبرورها، وجميع أقاليمها ومدنها، وكل ما هـو داخـل فى مملكتـه، ومحسوب منها ومنسوب إليها من سائر الأقاليم ـــ ويعدد الأقاليم [٩] ـــ وما تحويه هذه الأقاليم من عساكر وجنود وتركمان وعربان، ورعايا وتجار، وشوانى ومراكب وسفن، وأموال ومواش، على اختلاف الأديان والأنفار والأجناس، وما تحويه [من أصناف] [١٠] أموال وأسلحة وأمتعة

---

(١) ما بين الحاصرتين من، صبح، ج١٤، ص٦٤.

(٢) الصواب: وتسعين.

(٣) لمولانا السيد المسيح عليه السلام: صبح، نفسه.

(٤) فى الأصل: فلان وفلان، وما بين الحاصرتين من، صبح، نفسه.

(٥) وصهراه المذكورون: صبح، نفسه.

(٦) ما بين الحاصرتين من، صبح، نفسه.

(٧) الآتى ذكرها: صبح نفسه.

(٨) وأن الملك دون حاكم وأخويه، وصهريه يلتزمون بها: صبح، نفسه.

(٩) ذكر القلقشندي هذه الأقاليم كما وردت فى الهدنة. انظر: صبح، ج١٤، ص٦٤ ـــ ٦٥.

(١٠) الأيدى من سائر أصناف: صبح، ج١٤، ص٦٥.

وبضائع ومتاجر، قليلاً [كان أو] (١) كثيراً [براً وبحراً، قرباً وبعداً] (٢)، أمنه على الأنفس والأرواح والأموال والحرم (٣) والأولاد من الملك حاكم، ومن أخويه وصهريه المذكورين، ومن أولادهم وفرسانهم وخيالتهم ومعاهديهم، وعمائرهم ورجالهم، وكل ما يتعلق بهم وكذلك كل ما سيفتح (٤) إن شاء الله تعالى على يد السلطان الملك الأشرف، وعلى يد أولاده وعساكره وجيوشه من القلاع والحصون والبلاد والأقاليم، فإنه يجرى عليه هذا الحكم.

وعلى أن تكون بلاد الملك دون حاكم وبلاد أخويه وصهريه ومماليكه المذكورة فى هذه الهدنة وهى ــ بلاد كذا وكذا إلى أخرها (٥) ــ، [وما سينفتح من بلاد أعدائهم] (٦) الفرنج المجاورين له بتلك الأقاليم، آمنين من الملك الأشرف وأولاده، وعساكره وجيوشه، وشوانيه وعمائره، هى ومن فيها من فرسان وخيالة، ورعايا وأهل بلاده، [آمنين] (٧) مطمئنين على الأنفس والأموال والحرم (٨) والأولاد فى البر والبحر [٣٢٥ أ] والصدور والورود.

وعلى أن [الملك] (٩) دون حاكم هو وأخواه وصهراه أصدقاء من يصادق الملك الأشرف وأولاده، وأعداء من يعاديهم من سائر الملوك الفرنجية، وغير الملوك الفرنجية، وإن قصد الباب برومية أو ملك من الملوك الفرنجية (١٠) متوجاً كان أو غير متوج، صغيراً كان أو كبيراً، أو من الجنوية أو من البنادقة، أو من البيازنة (١١)، أو من سائر الأجناس على اختلاف الفرج

(١) ما بين الحاصرتين من، صبح، نفسه.

(٢) قريباً كان أو بعيداً، براً كان أو بحراً: صبح، نفسه.

(٣) الحريم: صبح، نفسه.

(٤) سيفتحه: صبح، نفسه.

(٥) ذكر القلقشندي هذه الأقاليم كما وردت فى الهدنة. انظر: صبح، ج١٤، ص٦٥ ــ ٦٦.

(٦) وما سيفتحه الملك دون حاكم من بلاد أعدائه: صبح، ج١٤، ص٦٦.

(٧) ما بين الحاصرتين من، صبح، ج١٤، ص٦٦.

(٨) الحريم: صبح، نفسه.

(٩) ما بين الحاصرتين من، صبح، نفسه.

(١٠) الفرنج: صبح، نفسه.

(١١) ساقطة من، صبح، نفسه.

والروم، والبيوت بيت الأجونة الديونية (١)، والاسبتارية والروم [وسائر] (٢) أجناس النصارى مضرة ببلاد [الملك] (٣) الأشرف بمكاتبة (٤) أو أذية يمنعوهم ويردوهم، ويعمرون شوانيهم ومراكبهم، ويقصدون بلادهم ويشغلوهم بنفوسهم عن قصد بلاد الملك الأشرف وموانيه وسواحله وثغوره [المذكورة وغير المذكورة] (٥) ومقاتلتهم (٦) براً وبحراً (٧) بشوانيهم وعمائرهم، وفرسانهم [وخيالتهم] (٨) ورجالتهم.

وعلى أنه متى خرج أحد من معاهدينها (٩) من الفرنج عن شرائط (١٠) الهدنة المستقرة بينه وبينهم ووقع ما يوجب فسخ الهدنة [لا يعينونه ولا أحد من أهل بلادهم] (١١) بخيل ولا خيالة، ولا سلاح ولا رجالة، ولا أمان (١٢) ولا نجده، ولا ميرة ولا مراكب ولا شوانى (١٣) ولا غير ذلك.

وعلى أنه متى طلب الباب برومية وملوك الفرنج والروم والتتار وغيرهم منهم أو من بلادهم إنجاداً أو معاونة بخيالة أو رجالة، أو مال أو قتال (١٤)، أو مراكب أو شوانى (١٥) أو

---

(١) الأخوة الديوية: صبح، نفسه.

(٢) ما بين الحاصرتين من، صبح، نفسه.

(٣) ما بين الحاصرتين من، صبح، نفسه.

(٤) بمحاربة: صبح، نفسه.

(٥) ما بين الحاصرتين من، صبح، نفسه.

(٦) ويقاتلوهم: صبح، نفسه.

(٧) فى البر والبحر: صبح، نفسه.

(٨) ما بين الحاصرتين من، صبح، نفسه.

(٩) معاهدى الملك الأشرف: صبح، ج١٤، ص٦٦.

(١٠) شروط: صبح، نفسه.

(١١) لا يعينهم الملك دون حاكم، ولا أحد من أخويه، ولا صهريه، ولا خيالتهم ولا فرسانهم، ولا أهل بلادهم: صبح، نفسه.

(١٢) مال: صبح، نفسه.

(١٣) شوان: صبح، نفسه.

(١٤) ساقطة من، صبح، ج١٤، ص٦٧.

(١٥) شوان: صبح، نفسه.

سلاح، لا يوافقهم على شيء من ذلك لا فى سر ولا جهر، ولا يعين أحد منهم ولا يوافقه، ومتى اطلعوا على أن أحد منهم يقصد [بلادنا لمحاربة أو مضرة يسير يعرفنا بخبرهم] [١]، وبالجهة التى اتفقوا على قصدها فى أقرب وقت قبل حركتهم [٢] من بلادهم، [ولا يخفوا شيء من ذلك] [٣].

وعلى أنه متى انكسر مركب من [مراكبنا فى بلادهم يجهزونه] [٤]، ويحفظوا مراكبهم وأموالهم، ويساعدوهم على عمارة مركبهم ويجهزونهم [٥] وأموالهم وبضائعهم إلى بلادنا [٦]. وكذلك إن انكسرت مركب من بلادكم يكون لكم هذا الحكم.

وعلى أنه متى مات أحد من تجار المسلمين، أو من نصارى بلادنا، أو ذمية أهل بلادنا فى بلادكم، لا يعارضوهم فى أموالهم [٣٢٥ ب] ولا فى بضائعهم، ويحمل مالهم وموجودهم إلى بلادنا ليفعل به ما نختار، وكذلك كل من يموت فى بلادنا منكم.

وعلى أنه متى عبر على بلادكم رسل من بلادنا قاصدين جهة من الجهات القريبة أو البعيدة صادرين أو واردين، أو رماهم الريح فى بلادكم، تكون الرسل وغلمانهم وأتباعهم، ومن يصل معهم [من رسل الملوك أو غيرهم] [٧] آمنين [محفوظين] [٨] فى الأنفس والأموال، ويجهزوهم [٩] إلى بلادنا.

[وعلى أنهم ومعاهديهم لا يمكن أحد منهم الحرامية ولا الكرسالية من التردد من بلادنا ولا من حمل ماء منها، ومن ظفر بأحد منهم من الحرامية يمسكه ويفعل معه الواجب، ويسير ما

---

(١) بلاد الملك الأشرف لمحاربته أو لمضرته بشيء يعرف الملك الأشرف بخبرهم: صبح، نفسه.

(٢) حوطتهم: صبح، نفسه.

(٣) ولا يخفيه شيئاً من ذلك: صبح، نفسه.

(٤) المراكب الإسلامية فى بلاد الملك دون حاكم، أو بلاد أخويه، أو بلاد صهريه فعليهم أن يخفروهم: صبح، نفسه.

(٥) ويجهزوهم: صبح، نفسه.

(٦) بلاد الملك الأشرف: صبح، ج١٤، ص٦٧.

(٧) ما بين الحاصرتين من، صبح، ج١٤، ص٦٨.

(٨) ما بين الحاصرتين من، صبح، نفسه.

(٩) ويجهزهم: صبح، نفسه.

يجده معهم من الأسرى المسلمين والبضائع والحريم والأولاد والغلمان إلى بلادنا، ونحن الحكم فيه، ولبلادكم كذلك] [١].

وعلى أنه يفسح كل منهم لأهل بلاده وغيرهم من الفرنج أنهم يجلبون إلى الثغور الإسلامية الحديد والبياض والخشب، وغير ذلك.

وعلى أنه متى جرى من أحد من بلادهم قضية توجب فسخ المهادنة، كان على كل منهم طلب من يفعل ذلك وفعل الواجب معه.

وعلى أنه متى أسر أحد من المسلمين فى البر والبحر [من مبدأ تاريخ هذه المهادنة] [٢] من سائر البلاد شرقها وغربها، أقصاها وأدناها، ووصلوا به إلى بلادهم ليبيعوه بها، فيلزمهم فك أسره وحملهم [٣] إلى بلادنا.

وعلى أنه [من كان من] [٤] تجار المسلمين بينه وبين تجارهم معاملة فى بضائعهم ريبة [٥] فى بلادنا، كان أمرهم محمولاً على موجب الشرع الشريف.

وعلى أنه متى ركب أحد من المسلمين مراكب بلادهم، وحمل بضاعته معهم وعدمت [البضاعة] [٦]، كان عليهم ردها إن كانت موجودة، أو قيمتها إن كانت مفقودة.

وعلى أنه متى هرب أحد من بلادنا الداخلة فى هذه المهادنة إلى بلادهم، أو توجه ببضاعة ليست له [٧]، وأقام بتلك البلاد، كان عليهم رد الهارب، أو المقيم ببضاعة غيره والمال معه إلى بلادنا الداخلة فى هذه المهادنة ما دام مسلماً، وإن تنصر يرد المال الذى معه خاصة، ولملكيهم فيمن يهرب عن بلادهم إلى بلادنا هذا [٣٢٦ أ] الحكم.

وعلى أنه متى وصل أحد من بلادهم ومعاهديهم من الفرنج من يقصد زيارة القدس الشريف وعلى يده كتابهم وختمه إلى نائبنا بالقدس الشريف، يفسح له فى الزيارة، ومسموحاً

---

(١) ما بين الحاصرتين ساقط من صبح، نفسه.

(٢) ما بين الحاصرتين من، صبح، نفسه.

(٣) وحمله: صبح، ج١٤، ص٦٨.

(٤) متى كان بين: صبح، نفسه.

(٥) ساقطة من، صبح، نفسه.

(٦) ما بين الحاصرتين من، صبح، نفسه.

(٧) لغيره: صبح، نفسه.

بالحق ليقضى زيارته ويعود إلى بلاده مطمئناً فى نفسه وماله رجلاً كان أو امرأة، بحيث أن الملك دون حاكم لا يكتب لأحد من أعدائه ولا أعدائنا فى أمر الزيارة بشىء.

وإنهم يحرسون جميع بلادنا من كل مضرة، ويجتهد كل منهم فى أن أحداً من أعـدائنا لا يصل إلى بلادنا، ولا ينجدهم على مضرة بلادنا ولا رعايانا [١]، وأنه يساعدنا براً وبحـراً، بمـا يختاره ويشتهيه.

وعلى أن الحقوق الواجبة على من يصدر ويتردد ويرد من بلادهم إلى ثغرى الإسكندرية ودمياط والثغور الإسلامية والممالك السلطانية، بسائر أصناف البضائع والمتاجر على اختلافها، تستمر على حكم الضرائب المستقرة فى الديوان المعمور إلى آخر وقت، ولا يحدث عليهم فيها حادث، وكذلك يجرى الحكم على من هو متردد من البلاد السلطانية إلى بلادهم، فتستمر [٢] هذه المودة والمصادقة على حكم هذه الشروط المشروحة أعلاه من الجهـات علـى الـدوام والاستمرار، وتجرى أحكامها وقواعدها على أحسن [٣] الاستقرار، فإن الممالك بها قد صارت مملكة واحدة وشيئاً واحداً لا تنتقض بموت أحد من الجانبين، ولا بعزل وال وتوليه غيره، بـل تؤيد أحكامها، وتدوم أيامها وشهورها وأعوامها، وعلى ذلك انتظمت واستقرت فى التـاريخ المذكور أعلاه، وهو كذا، والله الموفق ".

وأن يصلى على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، ويسلم على المسيح عيسى ابن مريم، ويحمد الله، ثم يحسبل.

المذهب الثانى: أن يفتتح بـ " الحمد لله "، وعلى ذلك مشى صاحب المواد، فقال: يفتتح بحمد الله على الهداية إلى دين الإسلام إذ [٤] أذل كل دين وأعزه، وخذل كل شرع ونصـره، وأغمض[٥] كل مذهب وأظهره، والتوغل فى توحيده وتقديسه وتمجيده، والثناء عليه بآلائـه، والصلاة على [خير] [٦] أنبيائه. [٣٢٦ ب]

---

(١) رعاياه: صبح، ج١٤، ص٦٩.

(٢) تستمر: صبح، ج١٤، ص٧٠.

(٣) أجمل: صبح، نفسه.

(٤) الذى: صبح، ج١٤، ص٧١.

(٥) وأخفى: صبح، نفسه.

(٦) ما بين الحاصرتين من، صبح، نفسه.

ولم أطلع على نسخة ذلك، والظاهر أن صاحب مواد البيان قصد بهذه الطريقة أصل فى الافتتاح ليتسع بسط الكلام فى ذلك، لا أن يكون هذا اللفظ بعينه افتتاحاً.

تنبيه: قد جرت العادة أنه إذا كتبت الهدنة كتب قرينها يمين يحلف بها السلطان أو نائبه القائم بفعل [1] الهدنة على التوفية بفصولها وشروطها، [وأن يحلف بها القائم عن الملك المحضر لعقد] [2]الهدنة ممن يأذن له فى عقدها عنه بكتاب يصدر عنه بذلك، أو تتجهز نسختها إلى الملك الآخر [3] ليحلف عليها، ويكتب خطه بذلك وتعاد إلى الأبواب الشريفة، وقد تقدم الكلام بذلك فى الأيمان.

---

(١) بعقد: صبح، ج١٤، ص٧١.

(٢) ويمين يحلف عليها القائم عن الملك الكافر بعقد: صبح، نفسه.

(٣) الكافر: صبح، نفسه.

الباب السادس

فى عقود الصلح بين ملكين مسلمين

وأصله كتاب القضية فى صفر عام سبع وثلاثين بين على ومعاوية رضى الله عنهما حين حَكَّمَا أبا موسى الأشعرى من جهة على، وعمرو بن العاص من جهة معاوية. ونسخته على ما ذكره أبو عبد الله بن مزاحم فى كتاب صفين بسنده إلى الشعبى، وهو:

" هذا ما تقاضى عليه على بن أبي طالب، ومعاوية بن أبي سفيان [وشيعتهما] [١] فيما تراضيا من الحكم بكتاب الله وسنة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم، قضية على على أهل العراق ومن كان من شيعته من شاهد أو غائب، [وقضية معاوية على أهل الشام ومن كان من شيعته من شاهد أو غائب] [٢]، أنا رضينا [أن نترل على حكم الله تعالى فيما حكم، وأن نقف عند أمره فيما أمر، فإنه لا يجمع شيئاً إلا ذلك] [٣] وأنا جعلنا كتاب الله تعالى حكماً بيننا فيما اختلفنا من فاتحته إلى خاتمته، نحيي ما أحيا، ونميت ما أمات، على ذلك تقاضينا به، وتراضينا، وأن علياً وشيعته رضوا أن يبعثوا عبد الله بن قيس ناظراً وحاكماً[٤] ورضى معاوية وشيعته أن يبعثوا عمرو بن العاص ناظراً وحاكماً [٥]، على أنهم أخذوا عهد الله وميثاقه عليهما، وأعظم ما أخذ الله على أحد من خلقه ليتخذان الكتاب إماماً فيما بعث إليه[٦]، لا يعدوانه إلى غيره فى الحكم بما وجدوا فيه مسطوراً، وما لم يجداه مسمى فى الكتاب، رداه إلى سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم الجامعة، لا يتعمدان لها خلافاً، ولا [٣٢٧ أ] يتبعان لهما فى ذلك [٧] هوى، ولا يدخلان فى شبهة.

---

(١) بياض فى الأصل، وما بين الحاصرتين من، صبح، ج١٤، ص٨٠.

(٢) ما بين الحاصرتين من، صبح، نفسه.

(٣) وأن نترل عند حكم كتاب الله بيننا حكماً فيما اختلفنا فيه: صبح، نفسه.

(٤) محاكما: صبح، نفسه.

(٥) محاكما: صبح، نفسه.

(٦) الصواب: بعثا له، صبح، نفسه.

(٧) ساقطة من، صبح، ج١٤، ص٨٠.

وأخذ عبد الله بن قيس، وعمرو بن العاص على علي ومعاوية عهد الله وميثاقه بالرضا بأحكامه [١] من كتاب الله وسنة رسوله [٢]، ليس لهما أن ينقضا ذلك تحالفاً إلى غيره، وإنهما لهيبان [٣] فى حكومتهما على دمائهما وأموالهما وأهليهما، ما لم يعدوا الحق، رضى بذلك راض، أو نكر منكر، وأن للإمامة [٤] أنصار لهما على [ما] [٥] قضيا به من العدل.

فإن توفى أحد الحكمين قبل انفصال [٦] الحكومة، فأمير شيعته وأصحابه يختارون رجلاً لا يألوان عن أهل المعدلة والإقساط على ما كان عليه صاحبه من العهد والميثاق والحكم بكتاب الله تعالى وسنة رسوله، وله مثل شرحا [٧] صاحبه، وإن مات واحد من الأميرين قبل القضاء، فشيعته [٨] أن يولوا مكانه أحداً [٩] يرضون عدله.

وقد وقعت القضية بيننا والأمن والتقاضى [١٠]، ووضع السلاح، وعلى الحكمين عهد الله وميثاقه ليحكمان بكتاب الله تعالى وسنة نبيه، لا يدخلان فى شبهة، ولا بسالغين [١١] اجتهاد له[١٢]، ولا يتعمدان جوراً، ولا يتبعان هوى، ولا يعدوان ما فى كتاب الله تعالى وسنة رسوله، فإن لم يفعلا، برئت الأمة من حكمهما، ولا عهد لهما ولا ذمة.

فقد [١٣] وجبت القضية على ما سميناه فى هذا الكتاب من موقع الشرط على الأميرين، والحكمين، والفريقين، والله أقرب شهيداً، وأدنى حفيظاً، والناس آمنون على أنفسهم وأهليهم

---

(١) بما حكما به: صبح، نفسه.

(٢) نبيه: صبح، نفسه.

(٣) الصواب: آمنان، صبح، ج١٤، ص٨١.

(٤) الصواب: الأمة، صبح، نفسه.

(٥) ما بين الحاصرتين من، صبح، نفسه.

(٦) انقضاء: صبح، نفسه.

(٧) شرط: صبح، نفسه.

(٨) الصواب: فلشيعته، صبح، نفسه.

(٩) رجلاً: صبح، نفسه.

(١٠) التفاوض: صبح، نفسه.

(١١) يألوان: صبح، نفسه.

(١٢) ساقطة من، صبح، نفسه.

(١٣) وقد: صبح، نفسه.

وأموالهم إلى انقضاء مدة الأجل، والسلاح موضوع، والسبيل مخلى، والشاهد والغائب من الفريقين سواء فى الأمر.

والحكم من [1] أن ينزلا منزلاً عدلا بين أهل العراق، وأهل الشام، ولا يحضرهما فيه إلا من أحبا من ملأ منهما وتراض، وأجل القاضيين [المسلمون] [2] إلى رمضان. فإن رأى الحكمان تعجيل الحكومة فيما وجها له عجلاً، وإن أرادا تأخيره بعد رمضان إلى انقضاء الموسم [فإن ذلك إليهما. فإن هما لم يحكما بكتاب الله وسنة نبيه إلى انقضاء الموسم] [3] فالمسلمون على أمرهم الأول فى الحرب، ولا شرط بين واحد من الفريقين، وعلى الأمة عهد الله وميثاقه على التمام على ما فى هذا الكتاب، وهم يد على من أراد فى هذا الكتاب [٣٢٧ ب] إلحاداً أو ظلماً، أو أراد له نقضا ".

وشهد جماعة من كلا الفريقين، وكَتَب عمير يوم الأربعاء لثلاث عشرة ليلة بقيت من صفر سنة سبع وثلاثين.

فائدة: أخرج بسنده إلى أبى إسحق الشيبانى أن عقد الصلح كان عند سعيد بن أبى بردة[4] فى صحيفة صفراء عليها خاتمان، خاتم فى أسفلها، وخاتم فى أعلاها لعلى ومعاوية، نقش كل منهما " محمد رسول الله ".

وأما ما كان يكتب عن الخلفاء قديماً، فصورته إن عقد من الجانبين افتتح " بهذا كتاب"، وعلى ذلك استكتب هارون الرشيد ولديه محمد الأمين، وعبد الله المأمون العهدين اللذين عهد فيهما بالخلافة بعده لابنه الأمين، وولى المأمون خراسان، ثم عهد بالخلافة من بعد الأمين للمأمون، وأشهد فيهما، وبعثهما إلى مكة فعلقا فى بطن الكعبة على ما ذكره الأزرقى فى أخبار مكة.

مهمة: إن جرى العقد بين ملكين مسلمين من جانب واحد، فللكتَّاب فى ذلك مذهبان:

---

(١) الصواب: وللحكمين، صبح، ج١٤، ص٨١.

(٢) ما بين الحاصرتين من، صبح، نفسه.

(٣) ما بين الحاصرتين من، صبح، نفسه.

(٤) هو سعيد بن أبى بردة بن أبى موسى الأشعرى رضى الله عنه، حدث كثيراً عن أبيه، توفى عام ١٠٤ أو ١٠٣ هـ. ابن سعد: الطبقات، ج٦، ص٣٢٤؛ الذهبى: سير أعلام النبلاء، ج٥، ص٦.

الأول: يفتتحونه بلفظ " هذا كتاب لفلان "، كما كتب أبو إسحق الصابئ بين الوزير أبي نصر سابور بن أردشير [١]، والشريفين أبي أحمد الحسين بن موسى[٢]، وأبي الحسن محمد بن الرضى [٣]، بما انعقد من الصلح [والصهر] [٤] بين الوزير المذكور، وبين النقيبين أبي الحسن الوزير، وولده محمد حين تزوج ابنه محمد بنت سابور المذكور، وجعله نسختين لكل جانب نسخة.

الثاني: يفتتحونه بخطبة مفتتحة بـ " الحمد لله "، وربما كتب فيها التحميد، فأعلاها تعظيم موقع النعمة كما كتب أبي الحسين بن سعيد [٥] عقد صلح عن بعض الأمراء ممن كان قد باينه، على ما ذكره في البلاغة في الترسل، وعلى هذا المذهب كتب عقد الصلح بين الناصر فرج بن برقوق، وبين المقام الشريف تيمور كوركان صاحب ما وراء النهر في جمادى الأول سنة خمس وثمانمائة في مباشرة القاضي فتح الله من إنشاء القاضي زين الدين طاهر بن حبيب الحلبي[٦]، وطرته:

" مرسوم شريف [جليل] [٧]، عظيم، مبجل، مكمل [٨]، جميل، نظيم، يشتمل [٩] على

(١) هو الوزير بهاء الدولة أبو نصر، تولى الوزارة لبهاء الدولة بن عضد الدولة بن بويه، توفي عام ٤١٦ هـ. الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج١٧، ص٣٨٧.

(٢) هو الشريف الحسين بن موسى رأس العلويين في بغداد، والد كل من الشريف الرضى والشريف المرتضى، توفي ببغداد عام ٤٠٠ أو ٤٠٣ هـ. ابن خلكان: وفيات، ج٤، ص٤٢٠، ت رقم ١٩٧.

(٣) هو الشريف أبو الحسن محمد بن الحسين بن موسى الشهير بالشريف الرضى، أحد أقطاب الأدب بالإضافة إلى كونه رأس آل علي بن أبي طالب في ذلك الوقت، توفي عام ٤٠٦ هـ. ابن خلكان: السابق، ج٤، ص٤١٤، ت رقم ٦٦٧؛ الذهبي: السابق، ج١٧، ص٢٨٦.

(٤) ما بين الحاصرتين من، صبح، ج١٤، ص٩٧.

(٥) أبو الحسين أحمد بن سعد: صبح، ج١٤، ص١٠٠.

(٦) هو زين الدين طاهر بن بدر الدين حسن بن حبيب الحلبي الموقع، وكان أديباً وشاعراً مجيداً، توفي عام ٨٠٨ هـ. ابن تغرى بردى: النجوم، ج١٣، ص١٥٧.

(٧) ما بين الحاصرتين من، صبح، ج١٤، ص١٠٣.

(٨) مكرم: صبح، نفسه.

(٩) مشتمل: صبح، نفسه.

عقد الصلح [١]، افتتحه المقام الشريف، العالى، القطبى، نصرة الدين، تيمور كوركان، زيدت عظمته، يكون بينه وبين المقام الشريف، السلطانى [٢] [٣٢٨ أ] المالك، الملك الناصر أبى السعادات فرج بن السلطان الشهيد الملك الظاهر أبى سعيد برقوق، خادم الحرمين الشريفين، خلد الله تعالى ملكه، انعقد بمباشرة السفير عن المقام القطبى المشار إليه، ووكيله فى ذلك الخواجا نظام الدين مسعود الكججانى، بشهادة من حضر صحبته من العدول بالتوكيل المذكور على حكم إشارة مرسله ـــ المشار إليه ـــ، ومضمون مكاتبته وقصده تجهيز الأمير أطلمش لزمه، وحلف المقام القطبى على الموافاة، والمصافاة واتحاد المملكتين، واتفاق الكلمتين [٣]، وإجراء الأمر[٤] على السداد، وعمل مصالح العباد والبلاد ".

والبياض ثلاثة أوصال بوصل الطرة، والبسملة أول الوصل الرابع بهامش، وتحت البسملة سطر، ثم بيت العلامة، والعلامة بالذهب " الله أملى ". والمتن:

" الحمد لله الذى جعل الصلح خير ما انعقدت عليه المصالح والإصلاح بين الناس أولى ما اتصلت به أسباب المناجح، وأحق ما نطقت به ألسن المحامد، وأثنت عليه أفواه المدائح.

نحمده على نعمه التى جمعت أشتات القلوب الطوائح، وأضافت إلى ضياء الشمس نور القمر فاهتدى بهما كل غاد ورائح، ونشهد أن لا إله إلا الله [وحده لا شريك له] [٥] شهادة تبلغ قائلها المنى [٦] المنائح، وتتعطر مجالس الذكر بعرف روائحه [٧] الروائح، ونشهد أن محمداً عبده ورسوله، أفضل من آخى بين المتحابين [٨] فنصح لله فرأى الصلح من أعظم المصالح [٩]،

---

(١) صلح: صبح، نفسه.

(٢) السلطان: صبح، نفسه.

(٣) ساقطة من، صبح، ج١٤، ص١٠٣.

(٤) الأمور: صبح، نفسه.

(٥) ما بين الحاصرتين من، صبح ج١٤، ص١٠٤.

(٦) أهنى: صبح، نفسه.

(٧) روائحها: صبح، نفسه.

(٨) المتحاكمين: صبح، نفسه.

(٩) النصائح: صبح، نفسه.

وأكمل رسول انقادت لأخلاقه الرضية، وصفاته المرضية جوانح النفوس الجوامح [١] [وصلى الله عليه وعلى أله وصحبه الذين شهدت بفضيلتهم الجوارح، وانطوى على محبتهم الجـوانح، وسلم وبعد] [٢].

فإن أول ما اجتمعت عليه آراء أولى الألباب، وركنت إليه قلوب ذوى المعرفة من أهـل المودة والأحباب ائتلاف القلوب بعد اختلافها، واتصافها بالتلبس بأحسن أوصافها، والعمـل على الصلح الذى هو أصلح الناس، وأربح متاجر الدنيا [٣٢٨ ب] والآخرة، وأدفع لليأس والبأس إذ هو مفتاح أبواب الخيرات الشاملة، ومصباح مناهج الفكـر الصـحيحة الكاملـة، والداعى إلى كل فعل جميل، والساعى بكل قول هو شفاء صدى الغليل، ونجاة ذا [٣] العليل.

ولما كان المقام الشريف، العالى، الكبيرى، العالمى، العاملى، المؤيدى، المظفرى، الملجئى، الملاذى، الوالدى، القطبى، نصرة الدين، ملجأ القاصدين، ملاذ العابـدين، قطـب الإسـلام والمسلمين، تيمور كوركان، زيدت عظمته، هو البادئ بإحياء هذه السنة الحسنة، والحادى إلى العمل بمقتضى مفاوضته الشريفة التى هى كذلك [٤]، متضمنة الواردة إلى حضرة عبد الله ووليه السلطان ـــ إلى أخره [٥]ـــ على يد سفير حضرته المجلس السامى فلان [٦] المستهل [٧] بمستهل شهر ربيع الأول سنة تاريخه، وجعل مضمونها، وسر مكنونها[قصد] [٨] إيقاع الصلح الشريف بين المشار إليهما، ونسج المودة والمحبة والمصادقة بينهما، وإسبال رداء محاسنها عليهما بمقتضـى تفويض المقام الشريف [القطبى][٩] المشار إليه الإذن[١٠] فى الصلح المذكور إلى [الشيخ][١١]

---

(١) الجوانح: صبح، ج١٤، ص١٠٤.

(٢) ما بين الحاصرتين ساقط من صبح، وبدلاً منه " وسلم تسليماً كثيراً ". صبح، نفسه.

(٣) من داء: صبح، نفسه.

(٤) لذلك: صبح، ج١٤، ص١٠٥.

(٥) يذكر القلقشندي ألقاب السلطان فرج بن برقوق. صبح، نفسه.

(٦) الشيخى النظامى مسعود الكججانى: صبح، نفسه.

(٧) المؤرخة: صبح، نفسه.

(٨) ما بين الحاصرتين من، صبح، نفسه.

(٩) ما بين الحاصرتين من، صبح، نفسه.

(١٠) الأمر: صبح، ج١٤، ص١٠٥.

(١١) ما بين الحاصرتين من، صبح، نفسه.

نظام الدين مسعود المذكور، وتوكيله إياه فيه، وإقامته مقام نفسه الشريفة، وجعل قوله من قوله، [وأنه] [(١)] ــ عظم الله تعالى شأنه ــ أشهد الله العظيم عليه بذلك، وأشهد عليه من يضع خطه من جماعته المجهزين صحبة الشيخ نظام الدين المذكور، وهما بدر الدين أحمد بن [الشيخ الإمام] [(٢)] العالم شمس الدين محمد بن الجزرى الشافعى [(٣)]، والصدر [الأجل] [(٤)] كمال الدين كمال أغا، وأن ذلك صدر عن المقام الشريف القطبى المشار إليه وموافقته [(٥)] على الصلح الشريف، وإجابة القصد فيه بإطلاق الأمير أطلمش لزم المقام القطبى [المشار إليه] [(٦)] وتجهيزه إلى حضرته العلية، وإنه عاهد الله تعالى بحضور جم غفير من أمراء دولته وأكابرها، ومن حضر مجلسه باليمين الشرعية الجامعة لأشتات الحلف بالله تعالى الذى لا إله إلا هو رب البرية، وبارئ النسمة [(٧)] على ذلك جميعه، وعلى أنه لا يدخل إلى البلاد الداخلة فى مملكة مولانا السلطان الملك الناصر المشار إليه، وأنه مهما [٣٢٩ أ] عاهد وصالح وعاقد عليه [الشيخ نظام الدين مسعود] [(٨)] الوكيل المذكور، يقضى به المقام القطبى المشار إليه ويمضيه ويرتضيه.

فعندما وقع مولانا السلطان الملك الناصر المشار إليه على المكاتبة الشريفة المشار إليها، وفهم [(٩)] مضمونها، ورأى أن المصلحة فى الصلح تبركاً بما ورد فى كتاب الله تعالى، وسنة رسوله، استخار الله تعالى وأمر بتجهيز أطلمش، وتسليمه للوكيل المذكور، وأذن لهما فى التوجه إلى حضرة المشار إليه بموافقة مولانا أمير المؤمنين المتوكل على الله على ذلك، وحضور شيخ الإسلام

---

(١) ما بين الحاصرتين من، صبح، نفسه.

(٢) ما بين الحاصرتين من، صبح، نفسه.

(٣) هو ابن قاضى القضاة شمس الدين الجزرى الذى وصل مع رسل تيمور لنك، وشمس الدين الجزرى أحد علماء الشافعية الذين اتصلوا بتيمور لنك وولاه قضاء شيراز وكان عالماً بالقراءات، توفى عام ٨٣٣ هـ.
ابن حجر: إنباء الغمر: ج٢، ص٢٢٩؛ السيوطى: طبقات الحفاظ، ج١، ص٥٤٩.

(٤) ما بين الحاصرتين من، صبح، نفسه.

(٥) لموافقته: صبح، نفسه.

(٦) ما بين الحاصرتين من، صبح، نفسه.

(٧) النسم: صبح، نفسه.

(٨) ما بين الحاصرتين من، صبح، نفسه.

(٩) وتفهم: صبح، نفسه.

عمر البلقيني [١]، وقضاة القضاة، ومشايخ العلوم والصلاح، وأركان الدولة الشريفة، ومن يضع خطه فى هذا الصلح الشريف بالشهادة بمضمونه، وعقد الصلح الشريف بين مولانا السلطان الملك الناصر، وبين الوكيل المذكور المشار إليه على حكم مضمون مفاوضته الشريفة المقدمة، وما قامت به البينة الشرعية بشهادة العدلين المذكورين الواصلين صحبة المذكور بالتوكيل المشروح فيه، فكان صلحاً صحيحاً شرعياً تاماً كاملاً معتبراً مرضياً على أحسن الأمور وأجملها، وأكمل الأحوال وأفضلها.

وحلف مولانا السلطان الناصر المشار إليه، وعاهد الله عز وجل نظير ما حلف وعاهد عليه المقام القطبى من القول والعمل، واستقرت بمشيئة الله الخواطر، وسرت القلوب، وقرت النواظر، لما فى ذلك من حفظ ذمام العهود الشريفة، وإقامة منار الشرع الشريف، وامتداد ظلال أعلامه الشريفة [٢]، وإجراء كلمة الصدق على لسان أهل الحق، وصون أمانة الله تعالى وشعار دينه بين الخلق، فلا يتغير عقد هذا الصلح الشريف على مدى الليالى والأيام، ولا ينقض[٣] حكمه، ولا ينحل إبرامه على توالى السنين والأعوام.

هذا على أن لا يدخل أحداً من عساكرهما وجندهما ومماليكهما إلى مملكة الآخر، ولا يتعرض إلى ما يتعلق به من ممالك وقلاع وحصون وسواحل وموانئ [٤] وغير ذلك من سائر الأنواع، ورعاياهما من جميع الطوائف والأجناس، وما هو مختص ببلاد كل منهما ومعروف بين الناس، حاضرها وباديها عن قاصيها [٣٢٩ ب] ودانيها، وعامرها وغامرها، وباطنها وظاهرها، ولا إلى من فيها من الرعية والتجار والمسافرين، وسائر الغادين والرائحين فى السبل والطرق مجتمعين ومتفرقين.

هذا على أن يكون كل من المقامين الشريفين المشار إليهما مع الآخر على أكمل ما يكون فى السراء والضراء من حسن الوفاء، وجميل المودة والصفاء، ويكونا فى الاتحاد كالوالد والولد،

---

(١) هو عمر بن رسلان بن نصير بن صالح، الملقب بالسراج البلقيني، ولد عام ٧٢٤ هـ، قدم إلى القاهرة وتلقى العلم، تولى قضاء الشافعية عدة مرات، مات عام ٨٠٥ هـ. ابن حجر: إنباء الغمر، ج٢، ص٢٤٥ ــ ٢٤٧.

(٢) الوريفة: صبح، ج١٤، ص١٠٧.

(٣) ينقضي: صبح، نفسه.

(٤) موان: صبح، نفسه.

وعلى البَلَغَة [١] فى الامتزاج والاختلاط، كزوجين فى جسد، مع ما يضاف إلى ذلك من مصادقة الأصدقاء، ومعاداة الأعداء، ومسالمة المسالمين، ومحاربة المحاربين، فى السر والإعلان، والظهــور والكتمان، وبالله التوفيق، وهو العالم بما تبدى الأعين وما تخفى الصدور، وعليه التكلان فى كل الأمور فى الغيبة والحضور، والورود والصدور ".

(١) الصواب: المبالغة، صبح، ج١٤ص١٠٧.

الباب السابع

فى الفسوخ الواردة على العقود السابقة

وسماه فى التعريف مفاسخات لأنه نوعان، فسخ، ومفاسخة. فالفسخ ما وقع على إحدى الجانبين فيه نقض عهد حصلت المواثقة عليه، وقل ما يكون فيه إلا ما يبعث فيه على ألسن [١] الرسل.

قال صاحب التعريف: وقد كتب عمى الصاحب شرف الدين عبد الوهاب سنة دخول العساكر الإسلامية ملطية سنة أربع عشرة وسبعمائة فسخاً على التكفور متملك سيس كان سبباً لأن زاد قطيعته. ولم يذكر صورة ما كتبه.

وحين [٢] جرت العادة إذا كان الفسخ من جانب واحد أن يذكر الكاتب فيه موجب الفسخ الصادر عن المفسوخ عليه من ظهور ما يوجب نقض العهد، ونكث العقد، وإقامة الحجة على المفسوخ عليه من كل وجه. قال [٣]: والذى أقول فيه أن يكتب بعد البسملة وهو:

" هذا ما استخار الله تعالى فيه فلان، استخارة تبين له فيها غدر الغادر، وأظهر له بها سر الباطن بما [٤] حققه الظاهر فسخ فيها على فلان ما كان بينه وبينه من المهادنة التى كان آخر الوقت الفلانى آخر مدتها، وطهر السيوف الذكور فيها من الدماء إلى انقطاع [٥] عدتها وذلك حين بدا منه من موجبات النقض، وقل [٦] المعاقدة [٧] التى كانت يشد بعضها [٣٣٠ أ] ببعض، وهى كذا وكذا ــ وتذكر وتعد ــ مما يوجب كل ذلك إخفار الذمة، ونقض العهود المرعية الحرمية [٨]، وهد قواعد [الهدنة، وتخليه] [٩] ما كان قد أمسك من الأعنة، كتب

(١) ألسنة: صبح، ج١٤، ص١٠٨.

(٢) الصواب: قد، صبح، نفسه.

(٣) يقصد العمري.

(٤) ما: التعريف، ص٢١٥؛ صبح، نفسه.

(٥) انقضاء: التعريف، نفسه؛ صبح، نفسه.

(٦) وحل: التعريف، نفسه؛ صبح، نفسه.

(٧) المعاهدة: التعريف، نفسه.

(٨) الصواب: الحرمة، التعريف، نفسه؛ صبح، ج١٤، ص١٠٩.

(٩) ما بين الحاصرتين من، التعريف، ص٢١٥؛ صبح، ج١٤، ص١٠٩.

[للإنذار وقدم والحذار] [١]، وممن شهد [٢] بوجوب هذا الفسخ ودخول حكمة [٣] تلك الهدنة فى حكم الفسخ [٤] ما شهد [٥] به الأيام ويحكم بها [٦] عليه النصر المكتتب للإسلام. وكتب هذا الفسخ عن فلان لفلان، وقد نبذ إليه عهده، [وأنفذ إليه سهمه وأنجز وعده] [٧] بعد أن صبر ملياً على ممالأته، وأقام مدة يداوى [٨] مرض وفائه، ولا ينجح فيه شيئاً [٩] من مداواته، ولينصرن الله من ينصره، ويحذر من يأمن مكره من يحذره. وأمر فلان بأن يقرأ هذا الكتاب على رءوس الأشهاد، وليتنقل مضمونه إلى البلاد، أنفذه [١٠] من أمر لا يتأدى به الإعلان، وينصب به لهذا الغادر لواء لا يقال به إذ يقال [١١] هذا اللواء لغدرة فلان ".

وأما المفاسخة، فتكون من الجهتين، قال فى التعريف، وصورته:

" هذا ما اختاره فلان وفلان من فسخ ما كان بينهما من المهادنة التى هى إلى آخر مدة كذا، اختارا فسخ بنائها، ونسخ انتهائها [١٢]، ونقض ما أبرم من عقودها، وأكد من عهودها، جرت بينهما على رضى من كل منهما بإيقاد نار الحرب التى كانت أطفئت، وغـايرات [١٣] الثوائر التى كانت كفيت، نبذاه على سواء بينهما، واعتقاد من كل منهما أن المصلحة فى هذا

(١) إنذاراً، وقدم حذاراً: صبح، نفسه؛ وفى التعريف كما فى الثغر، ولكن ناشر التعريف أثبت فى المتن كما فى صبح الأعشى. انظر: التعريف، ص٢١٥ هـ٨.

(٢) يشهد: التعريف، نفسه؛ صبح، نفسه.

(٣) ملة: التعريف، نفسه؛ صبح، نفسه.

(٤) النسخ: التعريف، نفسه؛ صبح، نفسه.

(٥) الصواب: تشهد، التعريف، نفسه؛ صبح، نفسه.

(٦) به: صبح، نفسه.

(٧) وأنجز وعده وأنفذ إليه سهمه: صبح، نفسه.

(٨) يدارى: صبح، نفسه.

(٩) الصواب: شيء، صبح، نفسه.

(١٠) أنفة: التعريف، ص٢١٦؛ صبح، نفسه.

(١١) ساقطة من التعريف، نفسه.

(١٢) أنبائها: التعريف، نفسه؛ صبح، نفسه.

(١٣) وإثارة تلك: التعريف، نفسه؛ صبح، نفسه.

لجهته، وأسقط ما كان [١] يحمله الآخر[٢] من ربقته، ورضى فيه بقضاء السيوف، ومدار [٣] أمر القدر والقضاء فى مساقاة الحتوف، وقد أشهدا عليهما [بذلك] [٤] الله وخلقه، ومن حضر ومن سمع ونظر، وكان ذلك فى تاريخ كذا ".

قلت: لم يتعرضا فى التثقيف والتعريف إلى قطع الورق الذى تكتب فيه المفاسخات، والذى أراه أن تكتب فى قطع دون قطع ورق الهدنة، إذ كانت الهدنة محل الصلح وجب فيها التعظيم والتهويل، والفسخ نقض العهد وجب فيها التصغير عن الهدنة [٥].

---

(١) ساقطة من، التعريف، ص٢١٦.

(٢) للآخر: التعريف، نفسه؛ صبح، ج١٤، ص١٠٩.

(٣) إمضاء: التعريف، نفسه.

(٤) ما بين الحاصرتين من، التعريف، نفسه؛ صبح، نفسه.

(٥) كانت تلك الصفحة آخر أوراق المخطوط، ولكن توجد ورقة ليست ذات صلة بما قبلها تتناول صورة العهد الذى كتبه عمر بن الخطاب لنصارى الشام. انظر اللوحة رقم ٥.

قائمة المصادر والمراجع



أولاً : المصادر المخطوطة

ـ ابن الأثير (أبو الفتح ضياء الدين نصر الله بن محمد بن محمد بن عبد الكريم) ت ٦٣٧ هـ : الوشى المرقوم فى حل المنظوم ، مخطوط بالمكتبة الأهلية بباريس ، تحت رقم ٤٤٣٥ .

ـ ابن تغرى بردى (جمال الدين أبو المحاسن) ت ٨٧٤ هـ : المنهل الصافى والمستوفى بعد الوافى ، ج٥ ، مخطوط بالمكتبة الأهلية بباريس تحت رقم ٢٠٧٢ .

ـ ابن حجة (أبو بكر بن على بن عبد الله التقى الحموى) ت ٨٣٧ هـ : قهوة الإنشاء ، مخطوط بالمكتبة الأهلية بباريس ، تحت رقم ٤٤٣٨ .

ـ ابن شاهين (غرس الدين خليل الظاهرى) ت ٨٧٢ هـ : كشف الممالك ، مخطوط لدى الدكتور محمد عيسى صالحية ، جامعة اليرموك الأردن .

ـ ابن شاهين : زبدة كشف الممالك ، مخطوط بالمكتبة الأهلية بباريس ، تحت رقم ١٧٢٤ ، ٢٢٥٨.

ـ ابن فضل الله العمرى (شهاب الدين أبو العباس أحمد بن يحيى) ت ٧٤٩ هـ : عرف التعريف ، مخطوط بالمكتبة الأهلية بباريس ، تحت رقم ٩٢٦ .

ـ ابن ناظر الجيش (تقى الدين عبد الرحمن بن محب الدين محمد) ت ٧٨٦ هـ : تثقيف التعريف بالمصطلح الشريف ، [المعروف بإجابة السائل إلى معرفة الرسائل لمجهول] مخطوط بالمكتبة الأهلية بباريس ، تحت رقم ٤٤٣٧ .

ـ السحماوى (محمد بن حسن بن على بن حسام بن أيوب بن محمود) ت ٨٦٨ هـ : العرف الناسم من الثغر الباسم فى صناعة الكاتب والكاتم ، مخطوط بدار الكتب المصرية تحت رقم ١٥٥٩ .

ـ الصفدى (صلاح الدين خليل بن أيبك) ت ٧٦٤ هـ : قانون الترسل ، مخطوط بدار الكتب المصرية تحت رقم ٤١١ أدب تيمور ، ميكروفيلم ٢٧٩٦٩ .

ـ مجهول : جواهر السلوك ، مخطوط بالمكتبة الأهلية بباريس ، تحت رقم ١٦١٦ .

ـ مجهول : مجموعة من المراسلات ، مخطوط بالمكتبة الأهلية بباريس ، تحت رقم ٤٤٤٠ .

ثانياً : المصادر المطبوعة

ـ ابن الآبار (أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعى) ت ٦٥٨ هـ : الحلة السيراء ، تحقيق حسين مؤنس ، القاهرة ١٩٨٥ .

ـ ابن الأثير (عز الدين أبو الحسن على بن محمد) ت ٦٣٠ هـ : اللباب فى تهذيب الأنساب ، القاهرة ١٣٥٧ هـ / ١٩٣٨ م .

ـ ابن الأثير (عز الدين) : الكامل فى التاريخ ، بيروت ١٩٨٢ .

ـ ابن الأثير (ضياء الدين) : المثل السائر فى أدب الكاتب والشاعر ، بولاق ، ١٢٨٢ هـ .

ـ ابن إياس (محمد بن أحمد الحنفى) ت ٩٣٠ هـ : بدائع الزهور فى وقائع الدهور ، تحقيق محمد مصطفى ، القاهرة ١٩٨٢ .

ـ ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة ، تحقيق وليم بوبر ، كاليفورنيا ١٩٠٩ـ ١٩٣٦، طبعة دار الكتب المصرية ، القاهرة ١٩٣٠ ـ ١٩٧٢ .

ـ ابن تغرى بردى : حوادث الدهور فى مدى الأيام والشهور ، نشر وليم بوبر ، كاليفورنيا ١٩٣٢.

ـ ابن تغرى بردى : المنهل الصافى والمستوفى بعد الوافى ، تحقيق محمد محمد أمين ونبيل عبد العزيز ، القاهرة ١٩٨٤ ـ ١٩٩٠ .

ـ ابن الجوزى (عبد الرحمن بن على بن محمد) ت ٥٩٧ هـ : المنتظم فى تاريخ الملوك والأمم [من ٢٥٧ هـ] ، بيروت ١٣٥٨ هـ .

ـ ابن الجوزى : المنتظم فى تاريخ الملوك والأمم [حتى ٢٥٧ هـ] ، تحقيق محمد ومصطفى عبد القادر عطا ، بيروت ١٩٩٢ .

ـ ابن الجيعان (شرف الدين أبو زكريا يحيى بن شاكر بن عبد الغنى) ت ٨٨٥ هـ : التحفة السنية بأسماء البلاد المصرية ، نشر مورتيتز ١٨٩٨ .

ـ ابن حبيب (الحسن بن عمر بن الحسن بن عمر بن حبيب) ت ٧٧٩ هـ : تذكرة النبيه فى أيام المنصور وبنيه ، تحقيق محمد محمد أمين ، القاهرة١٩٧٦ .

ـ ابن حجر العسقلانى (شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن على) ت٨٥٢ هـ : رفع الإصر عن قضاة مصر ، تحقيق حامد عبد المجيد ومحمد المهدى أبو سنة ، محمد إسماعيل الصاوى ، القاهرة ١٩٥٧.

ـ ابن حجر العسقلانى : الدرر الكامنة فى أعيان المائة الثامنة ، تحقيق محمد سيد جاد الحق ، القاهرة ١٩٦٦ .

ــ ابن حجر العسقلانى : فتح البارى ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقى ومحب الدين الخطيب ، بيروت ١٣٧٩ هـ .
ــ ابن حجر العسقلانى : إنباء الغمر بأبناء العمر ، تحقيق حسن حبشى ، القاهرة ١٩٩٤ ــ ١٩٩٨.
ــ ابن حجر العسقلانى : الإصابة فى تمييز الصحابة ، تحقيق على محمد البجاوى ، بيروت ١٩٩٢ .
ــ ابن خلدون (ولى الدين عبد الرحمن بن محمد) ت ٨٠٣ هـ : العبر وديوان المبتدأ والخبر ، بيروت ١٩٧٩ .
ــ ابن خلدون (يحيى بن محمد بن محمد بن محمد بن الحسن) ت أواخر القرن الثامن الهجرى : بغية الرواد فى ذكر الملوك من بنى عبد الواد ، الجزائر١٩٠٣ .
ــ ابن خلكان (شمس الدين أبو العباس أحمد بن محمد) ت ٦٨١ هـ : وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، تحقيق إحسان عباس ، بيروت ، بيروت . ١٩٦٩ ــ ١٩٧٢ .
ــ ابن دقماق (الأمير إبراهيم بن محمد بن أيدمر العلائى) ت ٨٠٩ هـ : الانتصار لواسطة عقد الأمصار ، نشر فولرز ، القاهرة١٨٩٤ .
ــ ابن دقماق : الجوهر الثمين فى سير الخلفاء والملوك والسلاطين ، تحقيق سعيد عبد الفتاح عاشور ، مكة ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٢ م .
ــ ابن سعد (محمد بن سعد بن منيع الهاشمى) ت ٣٢٠ هـ : الطبقات الكبرى ، بيروت ، ب . ت.
ــ ابن سعيد المغربى (أبو الحسن على بن موسى) ت ٦٧٣ هـ : كتاب الجغرافيا ، تحقيق إسماعيل العربى ، بيروت ١٩٧٠ .
ــ ابن شاكر الكتبى (محمد بن شاكر بن أحمد) ت ٧٦٤ هـ : فوات الوفيات ، تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد ، القاهرة ، ب . ت .
ــ ابن شاهين : زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك ، نشر بول راويس ، باريس ١٨٩٤ .
ــ ابن شيث (عبد الرحيم بن على بن الحسين) ت ٦٢٥ هـ : معالم الكتابة ومغانم الإصابة ، نشر الخورى قسطنطين الباشا المخلص ، بيروت ١٩١٣.
ــ ابن الصيرفى (تاج الرئاسة أمين الدين أبو القاسم على بن منجب بن سليمان) ت ٥٤٢ هـ : القانون فى ديوان الرسائل ، والإشارة إلى من نال الوزارة ، تحقيق أيمن فؤاد سيد ، القاهرة ١٩٩٠ .
ــ ابن الصيرفى (الخطيب الجوهرى على بن داود) ت ٩٠٠ هـ : نزهة النفوس والأبدان فى تواريخ الزمان ، تحقيق حسن حبشى ، القاهرة ١٩٧٣ .
ــ ابن الطوير (أبو محمد المرتضى عبد السلام بن الحسن القيسرانى) ت ٦١٧ هـ : نزهة المقلتين فى أخبار الدولتين ، أعاد بناءه وحققه أيمن فؤاد سيد ، شتوتجارت ١٩٩٢ .

ـ ابن ظافر (جمال الدين أبو الحسن على بن أبي منصور) ت ٦١٢ هـ : أخبار الدول المنقطعة ـ القسم الخاص بالفاطميين ـ مقدمة تحليلية وتعقيب أندريه فريه ، القاهرة ١٩٧٢ .

ـ ابن عبد البر (يوسف بن عبد الله بن محمد) : تحقيق على محمد البجاوى ، بيروت ١٩٩٢ .

ـ ابن عذارى (محمد بن عذارى) ت نهاية القرن السابع الهجرى : البيان المغرب فى أخبار الأندلس والمغرب ، تحقيق كولان ، ليفى بروفنسال ، بيروت ١٩٨٣ .

ـ ابن عرب شاه (أبو العباس شهاب الدين أحمد بن محمد الدمشقى) ت ٨٥٤ هـ ، تحقيق أحمد فايز الحمصى ، بيروت ١٩٨٦ .

ـ ابن فضل الله العمرى : مسالك الأبصار فى ممالك الأمصار ، الجزء الأول تحقيق أحمد زكى باشا ، القاهرة ١٩٢٤ .

ـ ابن فضل الله العمرى : مسالك الأبصار فى ممالك الأمصار ـ القبائل العربية فى مصر والشام ـ ، تحقيق دوروتيا كرافولسكى ، بيروت ١٩٨٥ .

ـ ابن فضل الله العمرى : مسالك الأبصار فى ممالك الأمصار، ممالك مصر والشام والحجاز واليمن ، تحقيق أيمن فؤاد سيد ، القاهرة ١٩٨٥ .

ـ ابن فضل الله العمرى : التعريف بالمصطلح الشريف ، تحقيق محمد حسين شمس الدين ، بيروت ١٩٨٨ .

ـ ابن قانع (أبو الحسين عبد الباقى بن قانع) معجم الصحابة ، تحقيق صلاح بن سالم المصراتى ، المدينة المنورة ١٤١٨ هـ .

ـ ابن قتيبة (أبو محمد عبد الله بن مسلم) ت ٢٧٠ هـ : الإمامة والسياسة ، القاهرة ١٣٢٥ هـ.

ـ ابن كثير (الحافظ عماد الدين أبو الفداء إسماعيل) ت ٧٧٤ هـ : البداية والنهاية ، بيروت ، ب . ت .

ـ ابن كثير : تفسير ابن كثير ، بيروت ، ١٤٠١ هـ .

ـ ابن المأمون (جمال الدين أبو على موسى) ت ٥٨٨ هـ : أخبار مصر ، تحقيق أيمن فؤاد سيد ، القاهرة ١٩٨٣ .

ـ ابن مماتى (الأسعد بن مماتى) ت ٦٠٦ هـ : قوانين الدواوين ، تحقيق عزيز سوريال عطية ، القاهرة ١٩٩١ .

ـ ابن منقذ (الأمير أبو المظفر مؤيد الدولة مجد الدين أسامة بن مرشد بن على الكنانى الشيزرى) ت ٥٨٤ هـ : الاعتبار ، نشر فيليب حتى ، الولايات المتحدة الأمريكية ١٩٣٠ .

ـ ابن منظور (أبو الفضل جمال الدين محمد بن المكرم) ت ٧١١ هـ : لسان العرب ، بيروت ، ب . ت .

ـ ابن ميسر (تاج الدين محمد بن على بن يوسف بن جلب بن راغب) ت ٦٧٧ هـ : أخبار مصر، تحقيق أيمن فؤاد سيد ، القاهرة ١٩٨١

ـ ابن ناظر الجيش : تثقيف التعريف بالمصطلح الشريف ، تحقيق رودلف فسلى ، القاهرة ١٩٨٥ .

ـ ابن واصل (جمال الدين محمد بن سالم) ت ٦٩٧ هـ : مفرج الكروب فى أخبار بنى أيوب ، تحقيق جمال الدين الشيال ، القاهرة ١٩٥٣ ـ ١٩٥٧ .

ـ أبو الفداء (إسماعيل بن على بن محمود بن محمد بن عمر بن شاهنشاه بن أيوب ، الملك المؤيد) ت٧٣٢ هـ : تقويم البلدان ، نشر رينو ، البارون دى سلان ، باريس ١٨٤٠ .

ـ أبو الفداء : المختصر فى أخبار البشر ، تحقيق محمد زينهم عزب ، ويحيى سيد حسن ، القاهرة ، ب . ت .

ـ أبو شامة (شهاب الدين أبو محمد عبد الرحمن) ت ٦٥٥ هـ : الروضتين فى أخبار الدولتين النورية والصلاحية ، تحقيق محمد حلمى محمد أحمد ، القاهرة ١٩٥٦ ـ ١٩٦٢ .

ـ أبو هلال العسكرى (الحسن بن عبد الله) ت ٣٩٥ هـ : كتاب الصناعتين الكتابة والشعر ، تحقيق على محمد البجاوى ، ومحمد أبو الفضل إبراهيم ، القاهرة ١٩٨٦ .

ـ أبو الوفاء (عبد القادر بن أبي الوفاء محمد بن أبي الوفاء القرشى) ت ٧٧٥ هـ : الجواهر المضية فى طبقات الحنفية ، كراتشى ، ب . ت .

ـ البغدادى (أبو منصور عبد القاهر بن طاهر) ت ٤٢٩ هـ : الفرق بين الفرق ، تحقيق طه عبد الرءوف سعد ، القاهرة . ب . ت .

ـ البكرى (أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز) ت ٤٨٧ هـ : المغرب فى ذكر بلاد إفريقية والمغرب، تحقيق دى سلان ، الجزائر ١٨٥٧ .

ـ البلوى (أبو محمد عبد الله بن محمد المدينى) : سيرة أحمد بن طولون ، تحقيق محمد كرد على ، القاهرة ب . ت .

ـ بنيامين التطيلى (بنيامين بن يونة التطيلى النبارى الأندلسى) ت ٥٦٩ هـ : رحلة بنيامين ، ترجمة عزرا حداد ، بغداد ١٩٤٥ .

ـ البيهقى (أحمد بن الحسين بن على بن موسى) ت ٤٥٨ هـ : سنن البيهقى الكبرى ، تحقيق محمد عبد القادر عطا ، مكة المكرمة ١٤١٤ هـ ـ ١٩٩٤ م .

ـ الجهشيارى (أبو عبد الله محمد بن عبدوس) : الوزراء والكتاب، تحقيق مصطفى السقا وآخرين ، القاهرة ١٩٣٨ .

ـ حاجي خليفة : كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ، ١٩٤٣ .

ـ الحميرى (محمد بن عبد المنعم) : الروض المعطار فى خبر الأقطار ، تحقيق إحسان عباس ، بيروت ١٩٧٥ .

ـ الخوارزمي (محمد بن أحمد بن يوسف) ت ٣٨٧ هـ : مفاتيح العلوم ، تحقيق إبراهيم الأبيارى ، بيروت ١٩٨٤ .

ـ الذهبي (محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز) ت ٧٤٨ هـ : سير أعلام النبلاء ، تحقيق شعيب الأرناؤوط ومحمد نعيم العرقسوسي ، بيروت ١٤١٣ هـ .

ـ الزبيدى (محمد مرتضى الحسينى) : تاج العروس من جواهر القاموس ، تحقيق عبد الكريم عزباوى، الكويت ١٩٧٢ .

ـ الزهرى (أبو عبد الله محمد بن أبي بكر) ت أواسط القرن السادس الهجرى : كتاب الجغرافية ، تحقيق محمد حاج صادق ، القاهرة ، ب . ت .

ـ سبط ابن الجوزى (شمس الدين أبو المظفر يوسف بن قزاوغلى) ت ٦٥٤ هـ : مرآة الزمان فى تاريخ الأعيان ، تحقيق مسفر بن سالم بن عريج الغامدى ، مكة ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٧ م .

ـ السخاوى (محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن أبي بكر) ت ٩٠٢ هـ : الضوء اللامع لأهل القرن التاسع ، القاهرة ١٣٥٣ هـ / ١٩٣٤ م .

ـ السخاوى : الذيل على رفع الإصر ، تحقيق جودة هلال ومحمد محمود صبح ، القاهرة ١٩٦٦ .

ـ السلامي (محمد بن رافع السلامى) ت ٧٤٤ هـ : الوفيات ، تحقيق صالح مهدى عباس ، وبشار عواد معروف ، بيروت ١٤٠٢ هـ .

ـ السلاوى (أبو العباس أحمد بن خالد الناصرى) ت ١٣١٩ هـ : الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى ، تحقيق جعفر الناصرى ومحمد الناصرى ، الدار البيضاء ١٩٩٧ .

ـ السيوطى (جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر) ت ٩١١ هـ : تاريخ الخلفاء ، تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد ، ط الثانية ، القاهرة ١٩٥٩ .

ـ السيوطى : طبقات الحفاظ ، بيروت ١٤٠٣ هـ .

ـ الصولى (محمد بن يحيى) ت ٣٣٦هـ : أدب الكُتّاب ، علق عليه محمد بهجة الآثرى ، القاهرة ١٣٤١ هـ .

ـ الصفدى : الوافى بالوفيات ، تحقيق مجموعة من الأساتذة ، شتوتجارت .

ـــ الطبرى (أبو جعفر محمد بن جرير) ت ٣١٠ هـــ : تاريخ الرسل والملوك ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، القاهرة ، ب . ت .

ـــ الطبرى : تفسير الطبرى ، بيروت ١٤٠٥ هـــ .

ـــ على بن خلف (الوزير أبو شجاع محمد بن الأشرف بن محمد) ت ٤٦٦ هـــ : مواد البيان ، تحقيق حسين عبد اللطيف ، ليبيا ١٩٨٢

ـــ العماد الحنبلى (أبو الفلاح عبد الحى) ت ١٠٨٩ هـــ : شذرات الذهب فى أخبار من ذهب ، القاهرة ١٣٥١ هـــ .

ـــ العينى (بدر الدين محمود) ٨٥٥ هـــ : السيف المهند فى سيرة الملك المؤيد ، تحقيق فهيم محمد شلتوت ، القاهرة ١٩٦٧ .

ـــ العينى : عقد الجمان فى تاريخ أهل الزمان ، تحقيق محمد محمد أمين ، القاهرة ١٩٨٧ .

ـــ الغزى (نجم الدين محمد بن محمد بن محمد بن أحمد) : الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة ، تحقيق جبرائيل سليمان جبور ، بيروت ١٩٧٩ .

ـــ الفاكهى (محمد بن إسحاق بن العباس الفاكهى أبو عبد الله) ت ٧٣١ هـــ : أخبار مكة ، تحقيق عبد الملك بن دهيش ، بيروت ، ١٤١٤ هـــ .

ـــ القرطبى (محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح) ت ٦٧١ هـــ : تفسير القرطبى ، تحقيق أحمد عبد العليم البردونى ، القاهرة ١٣٧٢ هـــ .

ـــ القلقشندى (أبو العباس أحمد بن على) ت ٨٢١ هـــ : ضوء الصبح المسفر وجنى الدوح المثمر ، نشر محمود سلامة ، القاهرة ١٩٠٦ .

ـــ القلقشندى : صبح الأعشى فى صناعة الإنشا ، القاهرة ١٩١٤ـــ ١٩١٩ .

ـــ القلقشندى : نهاية الأرب فى معرفة أنساب العرب ، تحقيق إبراهيم الأبيارى ، القاهرة ١٩٥٩ .

ـــ الكندى (محمد بن يوسف) ت ٣٥٠ هـــ : ولاة مصر ، تحقيق حسين نصار ، بيروت ، ب . ت.

ـــ الماوردى (على بن محمد بن حبيب البصرى) ت ٤٥٠ هـــ : الأحكام السلطانية والولايات الدينية ، راجعه محمد فهمى السرجانى ، القاهرة ١٩٧٨ .

ـــ مجهول : الاستبصار فى عجائب الأمصار ، تحقيق سعد زغلول عبد الحميد ، الإسكندرية ١٩٥٨ .

ـــ المراكشى (عبد الواحد بن على التميمى) ت ٦٤٧ هـــ : المعجب فى تلخيص أخبار المغرب ، تحقيق محمد زينهم محمد عزب ، القاهرة ١٩٩٤ .

ـــ المقرى (أحمد بن محمد المقرى التلمسانى) : نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، تحقيق إحسان عباس ، بيروت ١٩٦٨ .

ـــ المقريزى (تقى الدين أحمد بن على) ت ٨٤٥ هـــ : المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثـــار ، بولاق ١٨٥٧ .
ـــ المقريزى : البيان والإعراب عما بأرض مصر من الأعراب ، تحقيق عبد المجيد عابـــدين ، القـــاهرة ١٩٦١ .
ـــ المقريزى : السلوك لمعرفة دول الملوك ، تحقيق محمد مصطفى زيادة ، سعيد عبد الفتاح عاشـــور ، القاهرة ١٩٥٧ ـــ ١٩٧٣ .
ـــ المقريزى : اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا ، تحقيق الجزء الأول جمال الدين الشـــيال ، والثانى والثالث محمد حلمى أحمد ، القاهرة ١٩٩٦ .
ـــ المقريزى : درر العقود الفريدة فى تراجم الأعيان المفيدة ، تحقيق محمد كمال الدين عز الدين على ، بيروت ١٩٩٢ .
ـــ المقريزى : مسودة كتاب المواعظ والاعتبار فى ذكر الخطط والآثار ، تحقيق أيمن فؤاد سيد ، لندن ١٩٩٥.
ـــ المقريزى : المقفى الكبير ، تحقيق محمد اليعلاوى ، بيروت ١٩٩١ .
ـــ النسائى (أحمد بن شعيب) ت ٣٠٣ هـــ : سنن النسائى ، تحقيق عبد الفتاح أبو غدة ، حلـــب ١٤٠٦ هـــ ـــ ١٩٨٦ م .
ـــ النعيمى (عبد القادر بن محمد) ت ٩٧٨ هـــ : الدارس فى أخبار المدارس ، تحقيق إبراهيم شمس الدين ، بيروت ١٤١٠ هـــ .
ـــ النويرى (شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب) ت ٧٣٣ : نهاية الأرب فى فنون الأدب ، ج ١٦ ، ١٧ ، القاهرة ١٩٥٢ ـــ ١٩٥٣ ، ج٣٢ تحقيق محمد فهيم شلتوت ، القاهرة ١٩٩٨ .
ـــ ياقوت الحموى (شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت) ت٦٢٦ هـــ : معجم البلدان ، بيروت ، ب . ت.
ـــ ياقوت الحموى : المشترك وضعاً والمفترق صقعاً ، بغداد ، ب . ت .

ثالثاً : المراجع العربية

ـ إبراهيم حركات : السياسة والمجتمع فى العصر الأموى ، المغرب ، ١٩٩٠.
ـ إبراهيم على طرخان : النظم الإقطاعية فى الشرق الأوسط فى العصور الوسطى ، القاهرة ١٩٦٨.
ـ إبراهيم على طرخان : قيام إمبراطورية مالى الإسلامية ، مقال بمجلة جامعة القاهرة بالخرطوم ، ١٩٧٠.
ـ أحمد دراج : صناعة الكتابة وتطورها فى العصور الإسلامية ، مكة ١٤٠١ هـ .
ـ أحمد زكى صفوت : جمهرة رسائل العرب ، القاهرة . ب . ت .
ـ أحمد عبد الرازق :البذل والبرطلة زمن سلاطين المماليك ، القاهرة١٩٧٩ .
ـ أحمد محمد الحوفى : أدب السياسة فى العصر الأموى ، القاهرة ١٩٦٩ .
ـ أحمد مختار العبادى : دراسات فى تاريخ المغرب والأندلس ، الإسكندرية ، ب . ت.
ـ إسرائيل ولفنسون : تاريخ اليهود فى بلاد العرب فى الجاهلية وصدر الإسلام ، القاهرة ١٣٤٥ هـ.
ـ البيومى إسماعيل الشربينى : النظم المالية فى مصر والشام ، القاهرة ١٩٩٨ .
ـ توفيق سلطان اليوزبكى : الوزارة ونشأتها وتطورها فى الدولة العباسية ، الموصل ١٩٧٦ .
ـ جمال الدين الشيال : مجمل تاريخ دمياط سياسياً واقتصادياً ، القاهرة ٢٠٠٠ .
ـ جومار : وصف مدينة القاهرة ، ترجمة وتعليق أيمن فؤاد سيد ، القاهرة ١٩٨٨ .
ـ حربى أمين سليمان : غياث الدين خواندمير كما يبدو فى كتابه دستور الوزراء ، القاهرة ١٩٨٠ .
ـ حسام الدين السامرائى : المؤسسات الإدارية فى الدولة العباسية ، بيروت ١٤٠٣ .
ـ حسن الباشا : الفنون الإسلامية والوظائف على الآثار العربية ، القاهرة ١٩٦٦ .
ـ حسن الباشا : الألقاب الإسلامية فى التاريخ والوثائق والآثار ، القاهرة ١٩٧٨ .
ـ حسين بيوض : الرسائل السياسية فى العصر العباسى الأول ، دمشق ١٩٩٦ .
ـ حسين نصار : نشأة الكتابة الفنية فى الأدب العربى ، القاهرة ١٩٥٤ .
ـ حسين نصار : المراسلات فى العصر الأموى ، بحث فى مجلة عالم الفكر ، أكتوبر ـ ديسمبر ، الكويت ١٩٨٣ .
ـ حكيم أمين عبد السيد : قيام دولة المماليك ، القاهرة ١٩٦٩ .
ـ درويش النخيلى : السفن الإسلامية على حروف المعجم ، الإسكندرية ١٩٧٤ .
ـ سعد زغلول عبد الحميد : تاريخ المغرب العربى ، الإسكندرية ١٩٧٩ .
ـ شاكر مصطفى : دولة بنى العباس ، الكويت ١٩٧٣ .

ـ شاكر مصطفى : التاريخ العربي والمؤرخون ، بيروت ١٩٩٠ .
ـ طاهر راغب حسين : الدولة الحفصية بالمغرب إلى آخر القرن الثامن ، رسالة ماجستير بكلية دار العلوم ، القاهرة ١٩٧٥ .
ـ طه ناجي الطراونة : مملكة صفد فى عهد المماليك ، بيروت ، ١٩٨٢.
ـ عبد الحميد حاجيات : أبو حمو موسى الزيانى حياته وآثاره ، الجزائر ، ١٩٧٤ .
ـ عبد اللطيف حمزة : الأدب المصرى من قيام الدولة الأيوبية إلى مجيء الحملة الفرنسية ، القاهرة ، ب . ت .
ـ عبد العزيز سالم : المغرب الكبير ، بيروت١٩٨١ .
ـ عبد العزيز سالم : تاريخ مدينة المرية الإسلامية ، الإسكندرية ١٩٨٤ .
ـ عبد المنعم ماجد : نظم الفاطميين ورسومهم فى مصر ، القاهرة ١٩٥٣ ـ ١٩٥٥ .
ـ عبد المنعم ماجد : نظم دولة المماليك ورسومهم فى مصر ، القاهرة ١٩٧٨ .
ـ عطية مصطفى مشرفة: نظم الحكم بمصر فى عصر الفاطميين ، ط الثانية ، القاهرة ب . ت.
ـ عفاف صبرة : ديوان الإنشاء وتطوره فى عصر الأيوبيين والمماليك ، رسالة ماجستير ، آداب القاهرة ١٩٧٠ .
ـ فؤاد سيد : فهرست المخطوطات التى اقتنتها دار الكتب من سنة ١٩٦٣ ـ ١٩٥٥ ، القاهرة ١٩٦٣.
ـ قاسم عبده قاسم : أهل الذمة فى مصر العصور الوسطى ، القاهرة ١٩٧٩ .
ـ قاسم عبده قاسم : الرؤية الحضارية للتاريخ ، القاهرة ١٩٨٥ .
ـ كارل بروكلمان : تاريخ الأدب العربى ، ترجمة محمود فهمى حجازى ، حسن محمود إسماعيل ، القاهرة ١٩٩٥ .
ـ كراتشكوفسكى : تاريخ الأدب الجغرافى العربى ، ترجمة صلاح الدين عثمان هاشم ، بيروت ١٩٨٧ .
ـ محمد أحمد أبو الفضل : شرق الأندلس فى العصر الإسلامى ، الإسكندرية ١٩٩٦ .
ـ محمد الحبيب الهيلة : النظم الإدارية بمصر فى القرن التاسع الهجرى ، ضمن أبحاث الندوة الدولية لتاريخ القاهرة ، القاهرة ١٩٧١ .
ـ محمد حمدى المناوى : نهر النيل فى المكتبة العربية ، القاهرة ١٩٦٦ .
ـ محمد حمدى المناوى : الوزارة والوزراء فى العصر الفاطمى ، القاهرة ١٩٧٠.

ـ محمد حمزة الحداد : قرافة القاهرة فى عصر سلاطين المماليك ، دراسة حضارية أثرية ، رسالة ماجستير ، آثار القاهرة ١٩٨٧ .

ـ محمد عبد الله عنان : أبو العباس القلقشندى ، مقال ضمن ندوة " أبو العباس القلقشندى وكتابه صبح الأعشى " ، القاهرة ١٩٧٣ .

ـ محمد عيسى الحريرى : تاريخ المغرب الإسلامى والأندلس فى العصر المرينى ، الكويت ١٩٨٥ .

ـ محمد عيسى الحريرى : الدولة الرستمية بالمغرب الإسلامى ، الكويت ، ١٩٨٧ .

ـ محمد فريد : تاريخ الدولة العلية العثمانية ، تحقيق إحسان حقى ، بيروت ب . ت

ـ محمد قنديل البقلى : التعريف بمصطلحات صبح الأعشى ، القاهرة ١٩٨٣ .

ـ محمد كمال الدين عز الدين على : أربعة مؤرخين وأربعة مؤلفات ، القاهرة ١٩٩٢.

ـ محمد مصطفى زيادة : المؤرخون فى مصر فى القرن الخامس عشر ، القاهرة ١٩٤٩ .

ـ محمود إسماعيل عبد الرازق : الخوارج فى بلاد المغرب ، القاهرة ١٩٨٦ .

ـ محمود محمد الحويرى : أسوان فى العصور الوسطى ، القاهرة ١٩٨٠ .

ـ نورمان ف كانتور : التاريخ الوسيط قصة حضارة البداية والنهاية ، ترجمة قاسم عبده قاسم ، القاهرة ١٩٨٤ .

ـ هسى .ج . م : العالم البيزنطى ، ترجمة رأفت عبد الحميد ، القاهرة ١٩٨٢ .

ـ يلماز أوزتونا : تاريخ الدولة العثمانية ، ترجمة عدنان محمود سليمان ، استنبول ١٩٨٨ .

رابعاً : المراجع الأجنبية

* Abd al-Hamid saleh;"une source de Qalqashandi Mawâd al-Bayân et son auteur Ali b- Halaf ",Arabica ,xx.1973,p.192-200.

* Ahmad Darrag , L'Egypte sous le règne de Barsbay,DAMAS,1961.

* Amari M, Al-Umari,Condizioni dei Crisiani dell Occidente secondo una relazion di Domenichino Dorio da Genova, in Atti della R: Accademia dei Lincei , serie III,t.XI 1883.

* Björkman W., Beiträge zur Geschichte der Staatskanzelerei im Islamischen Ägypten,HAMBURG,1928.

* Bosworth C.E.,Medieval Arabic Culture and Administration, London,1982.

* Donald P.Little., History and Historiography of the Mamlûks, London,1986.

* Dozy, Supplément aux dictionnaires arabes, Paris,1966.

* Encyclopédie de L'Islam, Nouvelle Édition,Paris,1990.

* Gaudefroy- Demombynes M.,La Syrie à l' époque des Mamlouks, Paris 1923 .

* Hartman R.Politische Geographie des Mamlukenreiches.Zeitschrife des Deutschen Morgenländischen Gesellschaft , 70,1916.

* Lewis, B.,: Saladin and the Assassins, BSOAS xv,1954.

* Malcolm .,The History of Persia

* PAUL BALOG , The Coinage of The mamluk sultans of Egypt and syrie , NEW YORK 1964.

* Poliak A.N., Feudalism in Egypt,Syria,Palestine and Lebanon, London,1939.

* Quatremère M.,Notice de l' ouvrage qui pour titre Mesalek al-Absar fi Memalek al- Amsar,dans Notices et extraits des manuscrits de la Bibliotheques du Roi et autres Bibliothèque13, 1838.

* Sourdel D., Le vizirat Abbaside de 749 à 936 , Damas 1960 .

* Wiet G., Les Secrétaires de la Chancellerie en Egypte sous les Sultans Circassiens,Extrait des Mélanges René Basset,Paris,1923.

* Wüstenfeld , Calcaschandi's Geographie und Verwaltung von Agypten, aus dem Arabischen,1879.

* Sauvaget.J, La Poste aux Chevaux dans l' Empire des Mamelouks , PARIS 1941 .

فهارس الكتاب

الأعلام

(ب)

(ى)

الأماكن والبلاد



(أ)

(ب)

(ت)

(ح)

(ن)

الوظائف والمصطلحات

(أ)

(ب)

(ش)

(ع)

(غ)

(هـ)

(و)

(ى)

الفهرس